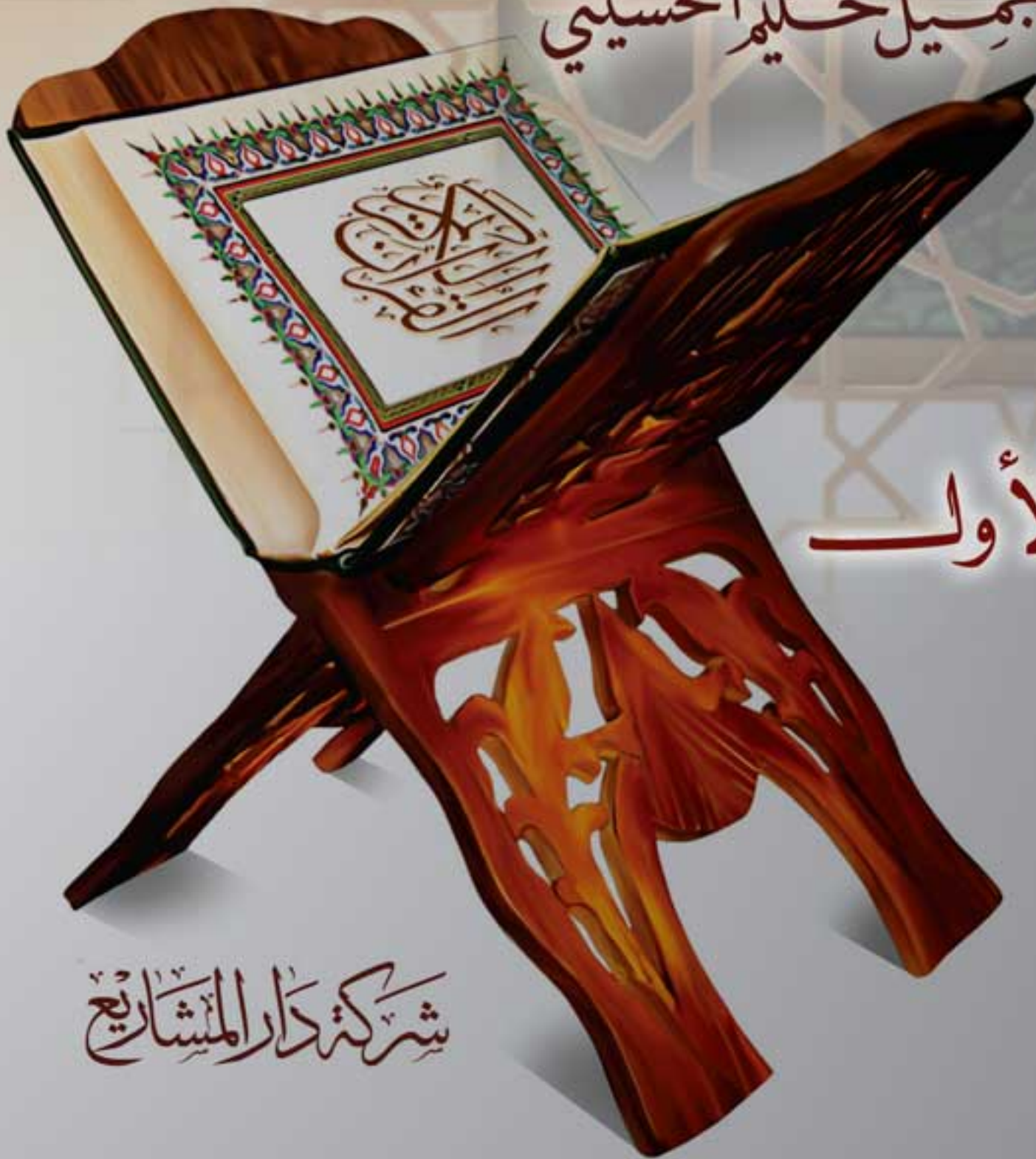


الفرقان

في تَصْحيحِ مَا حُرِّفَ تَقْسِيرُهُ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ

الشيخ الدكتور الشريف
جميل حليم الحسيني



الجزء الأول

شركة دار المشايخ

الْفُرْقَانُ

فِي تَصْحِيحِ مَا حُرِّفَ تَفْسِيرُهُ

مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ

الجزء الأول

شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

الشيخ جميل محمد علي حليد الأشعري الشافعي الحسيني
دكتور محاضر في العقائد والفرق

شركة دار المشايخ

الطبعة الثانية
١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ ر

شركة دار المنشأيع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن
خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت -
لبنان



شركة دار المنشأيع للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN 978-9953-20-746-9



email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com



يقول الإمام المُنزنيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيِّ ثمانين
مرة، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَكَانَ يَقِفُ عَلَيَّ خَطَأً،
فَقَالَ الشَّافعيُّ: هَيْه، أَبِي اللَّهُ أَنْ يَكُونَ كِتَابًا
صَحِيحًا غَيْرَ كِتَابِهِ».

أخي القارئ الكريم،
مَا كَانَ مِنْ خَطِئٍ فِي كِتَابِنَا أُرْشِدُنَا إِلَيْهِ
فَإِنَّا لَا نَدَّعِي الْعِصْمَةَ،
وَنَحْنُ لَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوَطُّة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم وشرف وكرم على سيدنا محمد، الحبيب المحبوب، العظيم الجاه، العالي القدر طه الأمين، وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين، وعلى ذريته وأهل بيته الميامين المكرمين، وعلى زوجاته أمّهات المؤمنين البارّات التقيّات النقيّات الطاهرات الصفيّات، وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذه عقيدة كلّ الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعرض عليه عقائد الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحقّ الذي يكشفُ زيف الباطل وزيغهُ، فكان لا بدّ من هذا البيان المهمّ لخصوص الغرض وعموم النفع؛ وعليه:

اعلم أُرشدنا الله وإياك أنه يجبُ على كلّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ الله عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكه، خلق العالم بأسره العلويّ والسفليّ والعرش والكرسيّ، والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما. جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرةٌ إلا بإذنه، ليس معه مدبّرٌ في الخلق ولا شريكٌ في الملك، حي قيومٌ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البرّ والبحر، وما تسقط من ورقةٍ إلا يعلمها، ولا حبةٌ في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين.

أحاط بكلّ شيء علمًا وأحصى كلّ شيء عددًا، فعالٌ لما يريد، قادرٌ على ما يشاء، له الملك وله الغنى، وله العزُّ والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا، ليس عليه حقٌّ يلزمه ولا عليه حكمٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ وكلُّ نعمةٍ منه عدلٌ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. موجودٌ قبل الخلق، ليس له

قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينُ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا أَمَامٌ وَلَا خَلْفٌ، وَلَا كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ، وَلَا يَقَالُ مَتَى كَانَ وَلَا أَيْنَ كَانَ وَلَا كَيْفَ، كَانَ وَلَا مَكَانَ، كَوْنَ الْأَكْوَانِ، وَدَبَّرَ الزَّمَانَ، لَا يَتَّقِيْدُ بِالزَّمَانِ، وَلَا يَتَخَصَّصُ بِالْمَكَانِ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ وَهْمٌ وَلَا يَكْتَنِفُهُ عَقْلٌ، وَلَا يَتَخَصَّصُ بِالذَّهْنِ، وَلَا يَتِمَثَّلُ فِي النَفْسِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الْوَهْمِ، وَلَا يَتَكَيَّفُ فِي الْعَقْلِ، لَا تَلْحَقُهُ الْأَوْهَامُ وَالْأَفْكَارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠﴾.

تنزّه ربّي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرّحمنُ على العرشِ استوى استواءً منزهاً عن المماسّة والاعوجاج، خلق العرشَ إظهاراً لقدرته ولم يتخذهُ مكاناً لذاته، ومن اعتقد أنّ الله جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتصرِّفٌ فيه كيف يشاء، تنزّه وتقدّس ربّي عن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال والقرب والبعد بالحسّ والمسافة، وعن التحوّل والزوال والانتقال، جلّ ربّي لا تُحيطُ به الأوهامُ ولا الظنونُ ولا الأفهامُ، لا فكرة في الرّبِّ، خلق الخلق بقدرته، وأحكمهم بعلمه، وخصّهم بمشيئته، ودبّرهم بحكّمته، لم يكن له في خلقهم مُعين، ولا في تدبيرهم مُشير ولا ظهير.

لا يلزمه (لم)، ولا يجاوره (أين)، ولا يلاصقه (حيث)، ولا يحلّه (ما)، ولا يعده (كم)، ولا يحصره (متى)، ولا يحيطُ به (كيف)، ولا يناله (أي)، ولا يظله (فوق) ولا يُقلّه (تحت)، ولا يقابله (حدّ)، ولا يزاحمه (عند)، ولا يأخذه (خلف)، ولا يحده (أمام)، ولم يتقدّمه (قبل)، ولم يفتته (بعد)، ولم يجمعه (كلّ)، ولم يوجدّه (كان)، ولم يفقده (ليس).

لا إله إلا هو، تقدّس عن كلّ صفات المخلوقين وسمات المحدثين، لا يمسّ ولا يمسّ ولا يحسّ ولا يحسّ، لا يُعرفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناسِ، نُوحدهُ ولا نُبعّضه، ليس جسمًا ولا يتّصفُ بصفات الأجسام، فالمجسم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلّى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس

جوهراً، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأَعْرَاضُ، ليس مَوْثِقًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذِي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضَوْءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيْمًا وليس هَوَاءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزَّةٌ عن الطُولِ والعَرْضِ والعُمُقِ والسَّمَكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيءٌ، ولا يَنْحَلُّ منه شيءٌ، ولا يَحُلُّ هو في شيءٍ، لأنه ليس كمثلِه شيءٌ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ في شيءٍ أو مِنْ شيءٍ أو على شيءٍ فقد أشْرَكَ، إذ لو كان في شيءٍ لكان محصورًا، ولو كان مِنْ شيءٍ لكان مُحَدَّثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيءٍ لكان محمولًا، وهو معكم بعلمِه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواءِ مخالطًا لكم.

وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبْتَدَأً ولا مُخْتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزلِّيٌ أبديٌّ ليس ككلامِ المخلوقين، فهو ليس بفمٍ ولا لسانٍ ولا شفاهٍ ولا مخارجِ حروفٍ ولا انسلالِ هواءٍ ولا اصطكاكِ أجرامٍ. كلامُه صفةٌ من صفاته، وصفاته أزليةٌ أبديةٌ كذاته، وصفاته لا تتغيرُ لأنَّ التغيرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، واللهُ منزَّةٌ عن كلِّ ذلك، مهما تصورتِ ببالِكَ فاللهُ لا يشبه ذلك، فصنونا عقائدكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ومن زعم أن إلهنا محدودٌ فقد جهَلَ الخالقَ المعبودَ، فاللهُ تعالى ليس بقدرِ العرشِ ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكلُّ ما

دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطرٍ وحياة وموتٍ وصحةٍ ومَرَضٍ ولَذَّةٍ وألمٍ وفَرَحٍ وحزنٍ وانزعاجٍ وانبساطٍ وحرارةٍ وبرودةٍ ولُيونةٍ وخشونةٍ وحلاوةٍ ومرارةٍ وإيمانٍ وكفرٍ وطاعةٍ ومعصيةٍ وفوزٍ وخسرانٍ وتوفيقٍ وخذلانٍ وتحركاتٍ وسكناتٍ الإنسِ والجنِّ والملائكةِ والبهائمِ وقطراتِ المياهِ والبحارِ والأنهارِ والآبارِ وأوراقِ الشجرِ وحبّاتِ الرمالِ والحصىِ في السهولِ والجبالِ والقفارِ فهو بخلقِ الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنسِ والجنِّ والملائكةِ والبهائمِ لا يخلقون شيئاً من أعمالهم، وهم وأعمالهم خُلِقَ لله، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٦١)، ومن كَذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا وَغَوْثَنَا وَوَسِيلَتَنَا وَمَعْلَمَنَا وَهَادِينَا وَمُرْشِدَنَا وَشَفِيعَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، جَاءَنَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ كَكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ قَمَرًا وَهَاجًا وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَعَلَّمَ وَأَرْشَدَ وَنَصَحَ وَهَدَى إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْجَنَّةِ، ﷺ وَعَلَى كُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَادَاتِنَا وَأُمَّتِنَا وَقَدُوتِنَا وَمَلَاذِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَسَائِرِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ الْأَتْقِيَاءِ الْبَرَّةِ وَعَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ الطَّاهِرَاتِ النَّقِيَّاتِ الْمُبَرَّاتِ، وَعَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأَصْفِيَاءِ الْأَجْلَاءِ وَعَنْ سَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ أَنْ هَدَانَا لِهَذَا الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتَرِيدِيَّةُ وَكُلُّ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



نُبذة تعريفيّة بالشيخ الدكتور جميل حليم

بقلم الناشر

هو السيّد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد علي حليم، الحسيني الأشعري الشافعي الرفاعي القادريّ.

تلقّى العلوم والطرق عند علامة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله بن محمد الهري الشيبّي العبدري ولزمه وصحبه واستفاد منه زماناً طويلاً وكان يعيد دروسه وإملاءاته في كثير من مجالسه العامة والخاصة بطلب منه رضي الله عنه، وقرأ وسمع وحضر في علوم شتى على كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين من مشاهير البلاد كمكة والمدينة وجدة ولبنان وسوريا والعراق ومصر وأندونيسيا وتركيا والمغرب واليمن والحبشة وغيرها، وأجازه كثير من العلماء والمحدثين والمشايخ في مختلف البلاد إجازةً عامةً مطلقةً وخاصةً بكل ما تجوز لهم روايته وفي الطرق والإرشاد والتسليك وإقامة الختم والحضرة وتلقيّن الأوراد.

وقد حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في لبنان تحت عنوان «السُّقُوط الكبير المُدَوِّي للمُجَسِّم ابن تَيْمِيَةَ الحَرَّانِي» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقديرٍ مشرفٍ جداً.

وقد أولى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة وتأليف الكتب وتحقيق مصنّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية العبدرية» في بيروت وقد حوت آلاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة في علوم وفنون شتى بالإضافة إلى نشاطاته الواسعة وممارسته الخطابة في المساجد وإلقاء المحاضرات والمشاركة في المؤتمرات في لبنان والخارج والمحاضرات في بعض الجامعات ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم،

واستقباله المشايخ وطلبة العلم وعموم الناس . ولم ينكفئ عن خدمة الناس ومخالطتهم لنشر الدين والدعوة والعلم . وقد بلغت مؤلفاته ومصنّفاته وتحقيقاته لبعض الكتب فوق المائتي كتابٍ إلى الآن .

وقد قرأ وسمع على العلماء والمشايخ وحصل تلقياً أكثر من ثلاثمائة كتاب في كل الفنون والعلوم ولله الفضل والحمد والمِنَّة ولا زال إلى اليوم بعونٍ من الله وتوفيقٍ وتسديدٍ قائماً على الخطابة في المساجد والتدريس وإلقاء محاضرات في المساجد والجامعات والمعاهد وفي مناسبات الناس العامة كالجنائز والتعازي والأعراس جوّالاً على المحافظات والبلاد بذلك، كما وأنه شارك وحضر في كثير من المؤتمرات والمهرجانات والاحتفالات في كثيرٍ من الدول والبلاد بطلب ودعوةٍ من أهلها، وله العديد من المقابلات واللقاءات في عدد من وسائل الإعلام كالتلفزيون والإذاعة والمجالات والصحف، وهو دكتور أستاذ محاضر في الجامعة العالمية في لبنان، كما وأنه يعقد مجالس الإقراء والإسماع في الأحاديث المسلسلة وكتب الحديث الشريف كالكتب السبعة وغيرها من أمّهات الكتب من العقائد والأحكام والفقه والتّصوف وهو أوّل من أقرأ صحيحي البخاري ومسلم في لبنان من تلاميذ الحافظ الهري، وقد أقرأ إلى الآن العشرات من الكتب والمؤلّفات التي حضر فيها الجَمّ الغفير من المشايخ والدعاة والأساتذة والدكاترة ومعلّمي ومعلمات المعاهد والمدارس وخطباء المساجد وطلاب الكليات والمعاهد الشرعيّة، وبعض هذه المجالس تبث مباشرة على مواقع التواصل وصفحات الفايسبوك وبعض هذه المجالس والمحاضرات شاهدها قريبٌ من ثلاثة ملايين مشاهد .

كما وقد راسله وهاتفه وكتبه وشافهه عدد كبير من المشايخ والدكاترة والدعاة والأساتذة والفقهاء والمحدثين لطلب وأخذ الإجازة منه، وإجازاته من كل بقاع الدنيا قاربت الألف إجازة بعضها مذكور ومفصّلٌ في ثبته الموسوم بـ«جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، وقد طبع مرات ومعظم إجازاته وأكثرها التي جاءت بالميئات في ثبته الكبير المسمّى بـ«المجد والمعالي من أسانيد الشيخ جميل

حلیم الغوالی».

هذا وقد خصَّه بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ من الأُسَر الشريفة المشهورة وأصحاب الطرق من بلادٍ عدة بآثار من آثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في «الخزينة الحلیمیة». وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في مختلف البلاد ببعض هذه الآثار الزكيَّة المباركة العطرة، وقد حصل بذلك خيرٌ عظيمٌ جسيمٌ كبير من دخول بعض النَّاس في الإسلام وظهرت حالات شفائيَّة سريعة وظاهرة جدًّا حتى جُمع بعضها في كتاب طبع مرات وهو «أسرار الآثار النبويَّة أدلَّة شرعيَّة وحالات شفائيَّة» ولله الحمد والفضل والثناء والمنة والشكر الجزيل على ما أسدَى من الفضل العميم وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى كل النبيين والمرسلين وءالٍ كلِّ وصحب كلِّ وسائر عباد الله الصالحين^(١).

بيروت، الخميس ٢٩ المحرم ١٤٤٢ هـ

الموافق ١٧ أيلول ٢٠٢٠ ر



(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: +٩٦١٣٠٠٦٠٧٨ / +٩٦١٣٦٧٣٩٤٦

info@sheikhjamilhalim.com :

sheikhjamilhalim@gmail.com

المقدمة

الباعث على تأليف هذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه
الطيبين الطاهرين وبعد،

قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [سورة المائدة]. وقال الله
تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنْتَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [سورة آل عمران]،
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ [سورة البقرة].

هذه الآيات الكريمة المباركات هي الباعث والمحرك لنا على كتابة هذه
الرسالة، تحذيرًا من التفسيرات المخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، كي لا نكون
داخليين بعدم تحذيرنا، وسكوتنا من التفسيرات المُستحدثة المُحرِّفة لكتاب الله
ودينه تحت هذا الوعيد والتهديد الشديد الذي أشارت إليه هذه الآيات، وكي لا
نكون من الشياطين الخرس كما قال العالم الولي الصالح أبو علي الدقاق: «الساكت
عن الحق شيطان أخرس». نقله عنه عبد الكريم القشيري في الرسالة القشيرية^(١)،
وقيامًا منا بالواجب الشرعي المؤكد علينا وحفظًا لدين الله وتحذيرًا للأمة مما
يضرها في دينها والله يقول الحق ويهدي للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) الرسالة القشيرية (ص ١٢٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، الظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين. فنشر الله به الخيرات، وبدد الظلمات. وأصلي وأسلم على آله وأصحابه أفنان الدوحة النبوية أولي السابقة والأولية وسلم يا ربِّ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله تعالى حفظ كتابه العزيز (القرآن الكريم). من أي تحريف فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾. فقد امتدت إيادي الإثم غير مرة في التاريخ للنيل من كتاب الله تعالى إلا أنهم بفضل الله تعالى أنكسوا وأركسوا ولما عجزوا عن نيل مرامهم عمدوا إلى تحريف التفسير فكان الخلاف مع أهل الأهواء على تأويله لا على تنزيله فكُتِبَ في التفسير القناطير المقنطرة من المؤلفات الفاسدة التي تعج بالبضاعة الكاسدة وعليها انعقدت الشهرة بين الكثير من العامة والخاصة وهي ما كان يعرف (بالإسرائيليات). ولكن في العصور المتأخرة زاد البلاء وعمت اللأواء وراح يفسر القرآن من ليس في العير ولا في النفير وراحوا يخضعون القرآن للنظريات المسماة بالعلمية وصاروا يخبطون خبط عشواء وكل ذلك من أجل أن يقولوا إن القرآن يوافق النظريات المعاصرة. والبعض من أجل أن يقال عنهم أنهم أتوا بشيء لم يأت به الأوائل ومنهم من أجل إخراج الدين عن جادة الحق والمسار الصحيح حتى إن البعض صرح أنه (كيف نأخذ بتفسير ابن عباس ومجاهد وابن سيرين لعصر الذرة والصعود إلى القمر والتطور العلمي). فخاضوا في لجج الأوهام بغير حجة ولا كتاب منير فتلاطمت أفهامهم وتضاربت أقوالهم إلا أنه خفى على هؤلاء وأمثالهم أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحججه كما قال سيدنا علي بن أبي طالب لكميل بن زياد. فهؤلاء وإن كانوا أخفياء لا نصيب لهم من الشهرة كما

لأبواق السوء لكنهم قائمون على ثغر من ثغور الإسلام يجاهدون ويناضلون بالكلمة بالحكمة والموعظة الحسنة ومهما طال الليل فلا بد وإن الفجرات وإن أشد مراحل الظلام تلك الهنيئات التي قبيل الفجر ومن هنا فقد انتفض الشريف الشيخ جميل علي الحسيني تلميذ الإمام المحدث الشيخ عبد الله الهرري انتفض لنصرة دين الله تعالى بالمقال والفعال يطوف بالأرض بلسانه ويراعه وهو صاحب همة عالية في هذا المضمار وقدم لنا هذا السفر الذي بين أيدينا ليكون نورًا للأمة وذخرًا له يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فأوفى بالغرض وجمع أباطيلهم وأضاليلهم ورد بحزم وجزم بالبراهين والبيانات فجزاه الله خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على أفضل المرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وكتب الشيخ أسامة محمد السيد

وعيد من قال في القرءان وتفسيره برأيه

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ آتَاكَ مِنْ بَدَلٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُجِدْ لَكَ مِنْهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [سورة الحج]، وقال عز وجل ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء].

القرءان الكريم كلام الله تعالى المنزل على خاتم أنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وكان جبريل يعلم النبي، صلى الله عليهما وسلم قال الله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [سورة النجم]، وكان الصحابة يرجعون إلى النبي ﷺ في تفسيرهم لكتاب الله قال الله تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوَاءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة]، وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّنِي إِنْ قَلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ». رواه الحافظ السيوطي في «تاريخ الخلفاء». وقال سيدنا علي رضي الله عنه: «مَا أَبْرَدَهَا عَلَى كَبْدِي أَنْ أَقُولَ لَا أُدْرِي حِينَ لَا أُدْرِي». رواه الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهاني.

لذا اشترط العلماء على من يُفَسِّرُ كتاب الله عز وجل ويتصدى لهذا المقام الجليل أن يكون مُلِمًّا بأمور تُعينه على ذلك منها:

العلم بالإجماع: كي لا يخرق الإجماع في تفسيره.

العلم بأصول الدين: وهو علم التوحيد، ويُعرف به ما يجب لله تعالى، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه، وما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم.

ويشترط العلم بآيات الأحكام وأحاديث الأحكام كي لا يخالفها.

العلم باللغة: قال مجاهد: «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي

كتاب الله، إذا لم يكن عارفاً بلغات العرب». وقال الإمام مالك: «لا أوتى برجلٍ غير عالم بلغة العرب يُفسِّر كتابَ الله إلا جعلته نكالا». رواه البيهقي عن مالك كما في الإتيقان^(١).

العلم بالنحو: من لم يعرف النحو قد يقع في أخطاء فاحشة.
العلم بالتصريف: فبه تعرف أبنية الكلمات، والصيغ، وألوان التصاريف.
العلم بالاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما.

العلم بعلوم المعاني والبيان والبديع: وهو علم البلاغة المشهور.
العلم بالقراءات: فيها تعرف مخارج الحروف والأصوات وكيفية النطق بها.
العلم بأصول الفقه: فيه تُعرف فيه وجوه الاستدلال، وطريقة استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة.

العلم الفقه: فيه تُعرف فيه الأحكام الشرعية (في العبادات والمعاملات ونحوها) في ذلك ومذاهب الفقهاء.

العلم بأسباب النزول: فيها يُعرف فيه المعنى المراد من الآية كما أنه يُزيل الإشكال عن بعضها، ويعلم القصص يُعلم ما هو من الإسرائيليات التي دُست في التفسير وما ليس منه وما هو حق وما هو باطل.

العلم بالناسخ والمنسوخ: وهو مهم للمفسر وإلا وقع في خطأ كبير.
العلم بالحديث والسنن والآثار المبيّنة لتفصيل المجمل، وتوضيح المبهم وتخصيص العام وتقييد المطلق، ونحو ذلك من وجوه بيان السنة للقرآن.

فَمَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بَعِيدًا عَنْ هَذِهِ الْعُلُومِ كَانَ مُفَسِّرًا بِالرَّأْيِ الْمُنْهَى عَنْهُ، وَكَانَ مُسْتَحَقًّا لِلْعَوِيدِ الْوَارِدِ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ ضَلَّ»، وَفِي حَدِيثِ «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»، وَمَعْنَى «فَأَصَابَ» أَي صَادَفَ كَلَامُهُ الْوَاقِعَ. وَمَعْنَى «فَقَدْ أَخْطَأَ» أَي عَصَى اللَّهَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً

(١) الإتيقان (٢/ ٤٧٤).

فيكون فاسقًا مستحقًا لعذاب الله في جهنم لأنه تجرأ على كتاب الله بغير علم وهذا من جملة الفتوى بالرأي، وقد قال ﷺ «من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض» رواه ابن عساکر.

إن الذي يتجرأ على تفسير كتاب الله برأيه وجهله قد يقع في الكفر ويخرج من الإسلام فإن سلّم من الكفر لا يسلم من الكبيرة ومن القسم الأول كالذي يفسر قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بأنه تعالى ضوء عمّ السموات والأرض أو أنه نورٌ منتشرٌ في الأرجاء وهذا تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ويكفر أيضًا الذي يفسر قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بالجلوس أو الاستقرار أو المحاذاة، بل معنى الآية الأولى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الله هادي المؤمنين لنور الإيمان، وستجده مفصلاً موسّعاً في محله. ومعنى الآية الأخرى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قهر العرش وكل العالم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١٦)، وهذا أيضًا تجده مبينًا بيانًا شافيًا في محله. فعلم الدين وتفسير القرآن لا يؤخذان من الفضائيات والصُّحف والإذاعات بل يؤخذان من أهل العلم بالتلقي مشافهةً كما قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه»^(١): «إنما يؤخذ العلم من أفواه العلماء».

فالحذر الحذر من أدعياء العلم الذين استسهلوا الفتوى بغير علم واستسهلوا تفسير القرآن بأرائهم فهؤلاء هالكون، ومن أخذ بأرائهم وتفسيراتهم الباطلة هو هالك أيضًا ولا عذر له، بدليل حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد «إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهلًا فاستفتوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا» فليلاحظ قوله ﷺ «فضلُّوا وأضلُّوا» أي هم ومن تبعهم، ويؤكد هذا المعنى أيضًا ما

(١) الفقيه والمتفقه (٢/٩٧).

رواه البخاري قال ﷺ «أناسٌ من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا تعرف منهم وتُنكر دعاءً على أبواب جهنم من استجاب لهم قذفوه فيها».

فالسلمة والنجاه بالوقوف عند حد الشرع الشريف وعدم التجرؤ عليه والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع، والشرع يعلو ولا يعلى عليه، وسلامة الدين لا يعدلُّها شيء.

سورة الفاتحة

قال الله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قال الإمام الحافظ اللغوي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي ما نصه: «العبادة أقصى غاية الخشوع والخضوع»، وذكر ذلك الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرح القاموس، وممن فسّر العبادة بذلك أيضًا الراغب الأصبهاني وهو لغويّ مشهور يُكثر النقل عنه صاحب شرح القاموس محمد مرتضى الزبيدي قال في تأليفه مفردات القرآن: «العبادة غاية التذلل».

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١) ما نصه: «فاعلم أن العبادة عبارة عن الإتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم للأمر» اهـ.

ثم لو كان معنى العبادة مطلق الطاعة لمخلوق في أي شيء طاعة أو معصية لكان عمّال الحكام الجائرين كفّاراً فهل يقول هؤلاء الذين يكفرون المتوسلين بالأنبياء والأولياء في هؤلاء العمال إنهم مشركون، أليس هؤلاء أنفسهم يطيعون الحكّام في بعض المعاصي، فعلى مقتضى قولهم يكونون حكموا على أنفسهم بالكفر، وهؤلاء هم الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب كفّروا أنفسهم وإن لم يشعروا. فهؤلاء الذين يكفّرون المستغيثين بالأولياء والأنبياء ليتعلموا معنى العبادة في لغة العرب قبل إطلاق ألسنتهم بالتكفير؛ وهذا معنى العبادة المرادة بقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وبقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وهذه هي العبادة المختصة لله تعالى التي من صرفها غيره صار مشرّكاً، وليس معناها مجرد النداء أو الاستغاثة أو الاستعانة أو الخوف أو الرّجاء كما زعمت الوهابية أن مجرد نداء شخص ميت أو غائب شرك وكذلك استعانته به إلا بالحجّي الحاضر، حتى لو قال قائل «يا محمد» صار عندهم كافراً، وكذا لو قال قائل «يا رسول الله المدد» صار كافراً عندهم، وهؤلاء جاهلون

(١) التفسير الكبير (١٩/١).

بمعنى العبادة في لغة العرب، قال الليث وهو إمام من أئمة اللغة متقدّم: «ويقال للمشركين هم عبدة الطاغوت - أي الشيطان - ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله، وقال الله عز وجل ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي أطيعوا ربكم، وقوله الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نطيع الطاعة التي يخضع معها» اهـ. وقال ابن الأثير: «والعبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع»، وفي المصباح المنير للفيومي أحد مشاهير اللغويين: «عبدت الله أعبده عبادة وهي الانقياد والخضوع»، وفي تاج العروس شرح القاموس للحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي: «والعبادة بالكسر الطاعة».

فإن قال هؤلاء وأمثالهم أليس ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) أن عبادتهم لهم طاعتهم في ما حرّموا وحلّلوا من تلقاء أنفسهم.

فالجواب أن ذلك داخل تحت هذا التعريف الانقياد والتذلل فإنهم انقادوا وتذللوا لهم في ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يستحقون أن يطاعوا في ذلك حقيقة، وليس الذي حصل منهم مجرد أنهم أطاعوهم فإن المسلم قد يطيع من له عليه رئاسة في المعصية لكنه لا يطيعه على الوجه الذي أطاعته النصارى لأحبارهم ورهبانهم فلا يكونون عابدين لرؤسائهم كأولئك وكذلك مجرد الطاعة لمخلوق في المعصية ليس عبادة له وإشراكاً بالله؛ وإنما الطاعة التي يكفر فاعلها هي الطاعة مع غاية التذلل والتعظيم وهذا مراد من قال من اللغويين «العبادة الطاعة» فكأنهم قالوا الطاعة المخصوصة.

ومعنى الآية أنهم كما عبدوا المسيح بقولهم «هو الله أو هو ابنه» وهو بريء من ذلك، كذلك القرءان أخبرنا بأنهم اتخذوا أحبارهم أي علماءهم ورهبانهم أي الذين اتخذوا صوامع بعيدة عن الناس أرباباً من دون الله أي عبدوهم من دون الله لأنهم اعتقدوا أنه لهم حق التحليل والتحرير لأنّ الذي يقول لشخص «اعترف عندي بذنوبك أنا أغفرها لك» فقد ادعى الألوهية لنفسه لأن ذلك لا يكون إلا لله، والله

تعالى يقول ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ معناه لا أحد يستطيع أن يغفر الذنوب لمن عصى إلا الله لأن دعوى الربوبية لها وجوه من جملتها أن يعتقد الإنسان أن للعبد حق التحليل والتحرير أو مغفرة الذنوب أو الإيجاد لبعض الأشياء قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾، قال سيدنا علي رضي الله عنه في هذه الآية: إنها تعني أصحاب الصوامع النصرارى الذين يظنون أنهم يحسنون العمل وهم ليس لهم في الآخرة إلا النار لكونهم عبدوا غير الله، أي تذللوا لغير الله غاية التذلل.

فلا مُتَمَسِّكٌ في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥٠﴾﴾ لله هابية الذين فسروا العبادة بالخوف والرجاء والطاعة والمحبة لأنهم بذلك يُكفِّرون كل البشر كما في كتابهم المسمى «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»^(١) المتن لمحمد بن عبد الوهاب والشرح لحفيده المدعو عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وبموافقة ابن باز، وهذا دين جديد لم يقل به مسلم قط.

وهذا الوهابي المصري محمد حسان يقول في كتابه المسمى «حقيقة التوحيد»^(٢) مستشهداً بكلام المتطرف الملحد سيد قطب من كتابه المسمى «في ظلال القرآن»^(٣) عن الآية ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ بعد قول محمد حسان أن الأنداد هم الشركاء ما نصه: «فقد تكون الأنداد في صورة أخرى خفية. قد تكون في تعليق الرجاء بغير الله في أي صورة وفي الخوف من غير الله في أي صورة».

وبهذا يكون الوهابي محمد حسان قد كفر سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام لأن محمد حسان يقول بأن الأنداد الذي هو الشرك قد يكون في الخوف من غير الله في أي صورة، والله تعالى يقول حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَخَافُ﴾

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ١٧٩).

(٢) انظر كتابه المسمى حقيقة التوحيد (ص ٣٣ - ٣٤).

(٣) في ظلال القرآن (١/ ٤٢).

أَنْ يَقْتُلُونَ ﴿٤٦﴾ وقال تعالى حكاية عن هارون وموسى ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَارَى﴾، وهذا الخوف هو الخوف الطبيعي، فكيف يقول الخوف من غير الله في أي صورة يكون من الشرك نعوذ بالله! وقد قال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ هذا الوهابي كَفَر الصحابة أيضًا، فقد قال الله تعالى فيهم في سورة الأنفال ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ أَتْلَاسُ فَعَاوَنَكُمُ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

قال الإمام المفسر محمد بن مسعود البغوي في شرحه لهذه الآية في كتابه تفسير البغوي ما نصه: «قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: واذكروا يا معشر المهاجرين إذ أنتم قليل في العدد مستضعفون في أرض مكة في ابتداء الإسلام ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ أَتْلَاسُ﴾ يذهب بكم الناس يعني كفار مكة. وقال عكرمة: كفار العرب. وقال وهب فارس والروم، ﴿فَعَاوَنَكُمُ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ إلى المدينة ﴿فَعَاوَنَكُمُ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ أي قواكم يوم بدر بالأنصار. وقال الكلبي: قواكم يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم».

وأما قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فليس فيها ما زعمته الوهابية من تكفير المستغيثين والمتوسلين بالأنبياء والأولياء والصالحين، وكما زعم محمد راتب النابلسي الدمشقي فقد اعتبر مطلق الاستعانة عبادة وهذا عين عقيدة الوهابية في كتابه المسمى «تأملات في الإسلام»^(١) فقد قال فيه: «ورب العالمين هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به» اهـ، وقال فيه أيضًا ما نصه^(٢): «أي لا نعبد أحدًا غيرك ولا نستعين بكائن سواك» اهـ. فالمسلم لا يعتقد في الأنبياء والأولياء أنهم هم يخلقون له النفع بل اعتقاده أن الله هو يخلق له النفع عند توسله أو استغاثته أو استعانتته بالأنبياء والأولياء لأن عقيدة المسلمين أن الضار والنافع على الحقيقة هو الله، والمسلم لا

(١) تأملات في الإسلام (٢٤).

(٢) المصدر نفسه، (٣٠).

يطلب من نبي أو ولي ما لا يقدران عليه، وهذه الاستعانة في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي الاستعانة الخاصة أي أننا نطلب منه سبحانه أن يخلق فينا العون والقدرة على فعل الأشياء. وهذا لا نطلبه من غيره سبحانه، ولا يدخل تحت هذا المعنى الاستغاثة والتوسل والاستعانة بالأولياء ولا ما يطلبه العباد بعضهم من بعض كقول الإنسان لإنسان آخر «أعني في إمساك فرسي هذه» أو «على حمل متاعي على الدابة»، وليس معناها أن المسلم إذا استعان بنبي أو ولي حي أو ميت يكون كافرًا وإلا لو كانت هذه الاستعانة أو هذه الاستغاثة شرًا كما زعمت الوهابية لما بقي، على قولهم، مسلم على وجه الأرض. ومما يرد كلامهم ما رواه الترمذي من حديث رسول الله ﷺ «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». فهل تزعم الوهابية أن الرسول ﷺ حث الناس على أن يعبد بعضهم بعضًا بهذه الاستعانة؟! حاشا وكلا، وماذا تقول الوهابية في قول الله تعالى إخبارًا عن عبده الصالح ذي القرنين في قصة بناء السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الكهف] فهل تزعم الوهابية أن ذا القرنين عبد الناس الذين طلب منهم الإعانة؟!!

ومن عجائب الوهابية أنهم يُكفِّرون المسلمين سلفًا وخلقًا شرقًا وغربًا إذا توسلوا بالأنبياء والأولياء واستعانوا بهم مع الاعتقاد الصحيح أن الضار والنافع على الحقيقة هو الله، ولا يُكفِّرون إمامهم وشيخهم ابن تيمية الحراني حيث قال في كتابه «مجموع الفتاوى»^(١): «إنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده (وأعوانه) من الملائكة» فهل ستكفِّره الوهابية لأنه قال «الملائكة أعوان الله» وحاشى لله وتنزه الله، أم يخافون الفضيحة وانقطاع المال؟

فَلْيُنظَرُ كَيْفَ كَفَّرُوا الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ اسْتَعَاثُوا بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُولُوا بِالْسُنَّتِهِمْ «إِنَّهُمْ أَعْوَانُ اللَّهِ»، فَيَكْفُرُونَ الْمُسْتَعِيثِينَ

(١) مجموع الفتاوى (٥/٥٠٧)

بالأنبياء والأولياء، ولا يكفرون إمامهم مع تصريحه بنسبة الأعوان إلى الله فيا
لفضيحتهم.

سورة البقرة

الملاحدون في أسماء الله تعالى:

قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥)

قال الرازي في «التفسير الكبير»^(١): «أحدها: أن ما يفعله الله بهم جزاءً على استهزائهم سماه بالاستهزاء» اهـ.

سبب نزول الآية أن المنافقين كانوا حين يجتمعون بأمثالهم يتكلمون ببغض الإسلام وكرهيته، فالله أخبرنا أنه يجازيهم بما يليق بهم وهذه المجازاة سَمَاهَا استهزاءً. والمنافقون هنا هم الذين يكرهون الإسلام في قلوبهم ويتظاهرون بالإسلام أمام المسلمين ويعملون أعمال المسلمين ولكن قلوبهم فيها شكٌ أو إنكار.

تنبيه: من قال يجوزُ تسمية الله ناسياً وماكراً ومستهزئاً ومخادعاً ومستدرجاً ومزيفاً كَفَرَ لأنه استخفَّ بالله كما في الكتاب المسمى «حز الغلاصم في إفحام المخاصم»^(٢) المنسوب لشيث ابن إبراهيم بن حيدره المعروف بابن الحاج القفطي، ونحن لا نعتقد في مؤلفه أنه يقول ذلك إنما هو مما دس عليه أو هو من تحريف النساخ فإننا لم نقف على نسخة معتبرة، يقول فيه عن الله تعالى: «فنسميه ماكراً وناسياً ومخادعاً ومزيفاً ومستدرجاً» اهـ. وأما ورود إضافة المكر والنسيان لله في القرآن فهو من باب المقابلة وهو جائزٌ كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَآءٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركهم من رحمته، وأما قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [سورة الجاثية]، فقد ذُكِرَ على وجه المقابلة، ومعناه تركناكم من رحمتنا كما أنتم تركتم طاعة الله في الدنيا بترك الإيمان به. وليس معناه أنه يوصف بالنسيان المعروف لأن هذا تشبيهه لله بخلقه وهو تكذيب للقرآن، أما مَنْ استحلَّ قولَ «يا

(١) التفسير الكبير (٢/٦٣).

(٢) حز الغلاصم في إفحام المخاصم (ص ٤١).

ماكرُ ارزقني» ونحو ذلك فهذا يكفرُ، وكذا يكفرُ من يُسمِّي الله المضلَّ لأنه جَعَلَهُ اسماً لله كالرحمن فيكونُ معنى كلامِهِ يجوزُ أن نقولَ يا مضلُّ أعني أو أن يُسمي الشخصَ ولدَه «عبد المضلَّ».

أما قولُ «يا الله يا جبارُ ارزقني» أو «يا الله يا متكبرُ» فلا يدلُّ على النقص في حقِّ الله، أما الذي يدلُّ على النقص فهو مثل أن يقال في حقِّ الله «يا مخادعُ» أو «يا ناسي» أو «يا مستهزيء» أو «يا ماكرُ».

فلا يجوزُ تسمية الله بغير ما ورد في الفرقان أو السنة الصحيحة أو الإجماع فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «لا يجوزُ تسمية الله إلا بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة أو الإجماع» نقله عنه الإمام ابن فورك في كتابه «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري»، وهذا هو المعتمد، وقال الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»: «لا مجال للقياس في أسماء الله وإنما يُراعى فيها الشرع والتوقيف» اهـ.

وكذلك لا يجوزُ تسمية الله بالقوَّة كما فعلَ سيِّدُ قطب وكأنه اقتدى بكلام بعض الملاحدة الذين يقولونَ «إن للعالم قوَّة مدبرة» ويعنون أن الله هو هذه القوَّة، ولعلَّ هذا مما اكتسبه منهم حينَ كان مع الشيوعية إحدى عشرة سنة كما اعترف هو في بعض مؤلفاته وهو كتابه المسمى «لماذا أعدموني»، وكذلك تسميته بالقوَّة الخالقة أو الخارقة أو القوَّة الخفية أو القوَّة الكبرى، وكذلك تسمية سيد قطب لله بالريشة المبدعة والنبع الذي لا يغيض وبالعقل المدبِّر لأنَّ العقلَ صفةٌ من صفات البشر والجن والملائكة، والتحذير من فساد هذه التسمية يدخلُ تحت قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في كتابه الذي ألفه لبيان ما عليه أهل السنة: «ومن وصفَ الله بمعنى من معاني البشر فقد كَفَّر»، ومثل كلام سيد قطب ما في كتاب محمد سعيد البوطي من تسمية الله بالعلَّة الكبرى والسبب الأوَّل والواسطة والمصدر والمنبع وذلك مذكورٌ في كتابين له. الأوَّل يسمَّى «كبرى اليقينيَّات الكونية» والآخر المسمى «من روائع القرءان»، وذلك نوعٌ من الإلحاد، ومثله محمد راتب النابلسي الدمشقي فإنه يسمي

الله بالمصدر ويصفه بالاتصال الذي هو من صفات المخلوقين ذكر ذلك في كتابه المسمى «نظرات في الإسلام»^(١) يقول ما نصه: «وحيثما يتصل الإنسان بالله رب العالمين مصدر الحق والخير والجمال» اهـ.

كيف يسمي الله علةً وقد قال الإمام ركن الإسلام عليّ السُّعديّ الحنفي وهو من علماء القرن الثامن الهجري قال: «من سمى الله علةً أو سبباً كَفَرَ». نقله عنه الكمال ابن أبي شريف في كتابه «المسامرة شرح المسامرة»^(٢).

قال المفسر أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي في تفسيره المسمى «تفسير النسفي»^(٣) عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾: «ومن الإلحاد تسمية الله بالجسم والجوهر والعقل والعلة». اهـ.

ومثل هذه الضلالات ما جاء في^(٤) كتاب محمد راتب النابلسي المسمى «نظرات في الإسلام» يسمي الله بالكنز فيقول: «وإلى الله استنادهم» ثم بعد ذلك يقول: «هو كنزهم». اهـ.

العجب العجب ممن يتجرأ ويسمي الله بالكنز مع عدم ورود هذا الاسم في الشرع من ذلك ما جاء في الكتاب المسمى «معراج التشوف إلى حقائق التصوف»^(٥) المنسوب لابن عجيبة، يقولون فيه عن الله والعياذ بالله تعالى: «النور الأزلي الكنزي»، وفي الكتاب نفسه^(٦) يقولون فيه عن الله: «فلذلك قالوا في حق الخمرة الأزلية» اهـ. والعياذ بالله من الكفر والضلال.

ومن ذلك ما جاء في كتاب محمد علوي في كتابه المسمى «أبواب الفرج»^(٧)

(١) نظرات في الإسلام (ص ١٧٠).

(٢) المسامرة شرح المسامرة (ص ٤٠).

(٣) تفسير النسفي (٢/ ٨٧).

(٤) نظرات الإسلام (١٨٨).

(٥) معراج التشوف إلى حقائق التصوف (ص ٨١).

(٦) المصدر نفسه (ص ٧٦).

(٧) أبواب الفرج (ص ٢٧٢).

فقال عن الله تعالى ما نصه: «وجار المستجيرين ومأمن الخائفين وكنز الطالبين» اهـ. والعياذ بالله تعالى.

أما ما رواه الديلمي في كتابه المسمى «مسند الفردوس» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «يا جار المستجيرين يا أمان الخائفين يا عماد من لا عماد له يا سند من لا سند له يا ذخر من لا ذخر له يا حرز الضعفاء يا كنز الفقراء»، فلم يثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، كما ذكر ذلك الحافظ السخاوي في «القول البديع»^(١) فقال: «ضعيف»، وقال ابن عرّاق في كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» بعد أن عزاه للديلمي عن ابن عباس: «لم يذكر علته وفيه من لم أعرفهم».

ثم إن هذه الألفاظ الواردة في هذا الكلام المركب لم يثبت لا في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ولا في إجماع الأمة، فلا يعول عليه ولا يعتمد، وينزه الله تعالى عن مثل هذه الأوصاف.

وما زعمه بعض الجهال حديثاً قدسياً «كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف» فهو موضوع لا أصل له. ذكر ذلك الحافظ الزركشي في كتابه «اللائئ المنثورة في الأحاديث المشهورة»^(٢) المعروف «بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة» والحافظ العسقلاني كما نقل عنه ذلك تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة» والحافظ السيوطي في كتابه «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة»^(٣) وملاً علي القاري في كتابه «الأسرار المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة»^(٤) والعجلوني في كتابه «كشف الخفا» ومحمد الحوت في كتابه «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة

(١) القول البديع (ص/ ٣٣٥).

(٢) اللائئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (١٣٦).

(٣) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٢٠٣).

(٤) الأسرار المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة (١٧٩).

المراتب»^(١) والسخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»^(٢) والعلامة محمد بن طولون الصالحي^(٣) (ت ٩٥٣هـ)، في كتابه «الشدرة في الأحاديث المشتهرة»^(٤) وعبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي في كتابه «تمييز الطيب من الخبيث في ما يدور على ألسنة الناس من الحديث»^(٥). هؤلاء العلماء نصوا على أن هذا الحديث هو من جملة الأحاديث التي لا أصل لها وأن هذا الكلام المنسوب زورًا إلى الله عز وجل، يذكره بعض مدعي التصوف تساهلاً منهم. ومعناه فاسد لا يصح ولفظه موضوع فاسد. فمن أراد به الاسم فقد كذب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، و[كنز] اسم جماد، فكيف يسمى الله به؟!؟! فمن سمى الله «كنزًا» كفر، فالله تعالى لا يُشَبَّه بخلقه. و[مخفيًا] اسم مفعول أي غيره أخفاه. والله هو المتصرف في العالم كما يريد ولا أحد يتصرف في الله. وليس مقبولاً أن يُتكلف له معنى لأنه مخالف للنصوص القرآنية. فهذا الكلام المنسوب إلى الله فيه كفران: الأول: زَعَمُ الراوي أن الله يسمي نفسه بأسماء الجمادات، والكفر الآخر: زَعَمُ الراوي أن الله يقول بأن غيره أخفاه.

وقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي التميمي الإجماع على عدم تسمية الله بالكنز في كتابه «تفسير الأسماء والصفات»^(٦) فقال ما نصه: «فأما قول العامة في دعواها يا رجانا ويا غياثنا ويا ظهر الأغنيا ويا كنز الفقرا... لا يجوز إطلاق شيء منه على الله عز وجل إلا أن يكون قد ورد بتسميته منه توقيف أو سنة إذ ليس ذلك في القرآن أو مما أجمع عليه علماء السلف، ولا يجوز أن يقال يا غياث المستغيثين وإنما يقال

(١) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب (٢٤٣).

(٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المستقرة على الألسنة (٣٣٢).

(٣) في كتاب توفي سنة ٩٥٣.

(٤) الشدرة في الأحاديث المشتهرة (٥١ / ٢).

(٥) تمييز الطيب من الخبيث في ما يدور على ألسنة الناس من الحديث (١٤٢).

(٦) تفسير الأسماء والصفات (٥٨٢).

يا مغيث» اهـ. وكذلك يكفر من قال عن الله تعالى يا جاري اللصيق كما في كتاب «نشوار المحاضرة»^(١) للتنوخي فقد كَفَّرَ فيه من قال ذلك عن الله تعالى. وقد سَمَّى بعض الناس الله أصلاً والعياذ بالله مخالفين بهذه التسمية الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع ففي كتاب محمد راتب النابلسي المسمى «تأملات في الإسلام»^(٢) يسمي الله «أصلاً» فيقول: «فالله جل جلاله أصل الخير والحق والجمال» اهـ.

وهذا كفر صريح لأنه تشبيه لله بخلقه، فنحن نقول: الماء أصل العالم، والذي يسمي الله أصلاً أو مصدرًا فقد كذب قول الله عز وجل ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. ويكفي في الزجر عن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ولا يجوز تسمية الله بالسبب ولا بالعلة فمذهب أهل السنة أن السَّبَبَ والمسَبَّبَ مخلوقٌ لله تعالى، وتسمية الله بالعلة أشدُّ قُبْحًا من تسميته بالسبب لأن العلة في اللغة المرض ونحوه والله أزليٌّ أبديٌّ ذاتًا وصفاتٍ، فما أبعد هذا الكلام من كلام مَنْ مَارَسَ كُتُبَ عقائدِ أهلِ السنَّةِ فحالُه كحالِ من لم يُعَرِّجَ عليها بالمرّة.

ولا يجوز أن يسمي الله بالمستحي ولا يجوز أن يؤخذ من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴿[سورة البقرة]، تسمية الله بالمستحي، ومعنى الآية أننا لا نترك استحياءً كما يترك البشرُ الشئَ استحياءً، معناه أن الله لا يُحِبُّ تركَ إظهارِ الحقِّ فلا يتركُه للاستحياء كما يفعلُ الخلقُ، وهذا مستحيلٌ على الله.

ولا يجوز كذلك أن يشتق اسمُ المستحي لله من يستحي في الحديث الذي رواه الترمذي «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرَدَّهِنَّمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ» معناه لا يُحْيِيه، إما أن يعطيه الثواب وإما أن يعطيه ما طَلَبَ والثواب،

(١) نشوار المحاضرة (٢/١٥٤).

(٢) تأملات في الإسلام (٢٨).

ومعنى «رَفَعَهُمَا إِلَيْهِ» أي إلى جِهَةٍ مَهَبِطِ الرَّحْمَةِ وهي السماء لأنها قِبلة الدعاء كما نقل الإجماع على ذلك القاضي أبو محمد عبد الوهاب المالكي البغدادي في كتابه «شرح عقيدة مالك الصغير»^(١) فقال: «ولإجماع الأمة على أننا متعبدون في الدعاء برفع أيدينا إلى جهة العلو» اهـ. وكما نص على أن السماء قِبلة الدعاء الحافظ النووي في شرحه على مسلم، وسيف الدين الآمدي وكثير من علماء أهل السنة والجماعة، والله منزّه عن الجهات كلها.

ومن الإلحاد والكفر أيضًا قول بعض الناس في مناجاتهم لله: «يا صاحب الصوت العالي»، فالله تعالى أزلي أبدي وكلامه أزلي أبدي فلو كان يتكلم بحرف وصوت ولغة لكان مخلوقًا كالعالم لأن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، فكلام الله تعالى لا يشبه كلام المخلوقين ولا بأي وجه من الوجوه.

ومن الإلحاد والكفر أيضًا قول بعض الناس في بيروت عن الله تعالى: «أبو الخيمة الزرقاء»، وهم يفهمون معنى كلمة «الأب» ويعنون «بالخيمة الزرقاء» السماء، وقد أجمعت الأمة على تكفير من نسب الأبوة أو البنوة لله تعالى.

ومن الإلحاد في أسماء الله قول بعض الناس في حمص عن الله تعالى إذا نضج التين والتمر: «طَبَّاخ التين» أو «طَبَّاخ التمر»، وبعضهم يقول: «صَبَّاخ الليمون» أو «سبحان المقيم»، وهذا كله لم يرد في دين الله عز وجل فلا يجوز إطلاقه على الله تعالى.

ويجب التحذير أيضًا من قول بعض الناس: «الله يشعر بنا» أو «الله يحس بنا» أو «نحس بوجود الله معنا» أو «نشعر بالله معنا» وقول ابن تيمية الحراني شيخ المشبهة في كتابه المسمى «مجموع الفتاوى»: «وأكثر أهل الحديث يصفونه باللمس» اهـ. تنزه الله عن ذلك. قال الرازي في «مختار الصحاح»^(٢) ما نصه: «وقوله تعالى: ﴿لَا مَسَاسٌ﴾ أي لا أَمَسٌ ولا أَمْسٌ» اهـ.

(١) شرح عقيدة مالك الصغير (٢٦).

(٢) مختار الصحاح (٦٢٤).

وقال الإمام زين العابدين في ما رواه عنه الحافظ الزبيدي: «لا إله إلا أنت سبحانك لا يحويك مكان لست بمحدود لا تحس ولا تمس ولا تمس». والإحساس والشعور صفة المخلوق ويحتاج فيها المخلوق إلى عصب وجلد وغير ذلك من صفات المخلوقين، وإطلاق هذا على الله كفر.

ومن الإلحاد والكفر أيضًا نسبة الشَّم إلى الله تعالى كما فعل ابن تيمية الحراني شيخ المجسمة وإمام المشبهة، ونسب هذا الكفر كذبًا وزورًا إلى أئمة الأصول والعقيدة، وقد قال الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى]، ولا حجة له ولا لغيره في قول النبي ﷺ: «لِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ» رواه البخاري ومسلم.

وقال المجسم ابن تيمية أيضًا في كتابه المسمى «بيان تلبيس الجهمية»^(١): «الله يجوز أن يُحَسَّ به بالحواس الخمس والسمع والبصر والشم والذوق واللمس» اهـ. والعياذ بالله تعالى من التجسيم.

ويقول الوهابي ابن باز في الكتاب المسمى «مسائل الإمام ابن باز» ما نصه^(٢): «سؤال: هل يؤخذ من الحديث (أطيب عند الله من ريح المسك) إثبات صفة الشم لله عز وجل؟ الجواب: ليس ببعيد» اهـ.

وقد تكلم علماء أهل السنة والجماعة الحفاظ في شرح هذا الحديث مُنَزَّهين الله عن صفة الشَّم واصفيه بما يليق به فقد قال الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كتابه «طرح التثريب في شرح التقریب»^(٣) في شرحه على هذا الحديث ما نصه: «اختلف في معنى كون هذا الخلوف أطيب من ريح المسك بعد الاتفاق على أنه سبحانه وتعالى منزّه عن استطابة الروائح الطيبة واستقذار الروائح الخبيثة فإن ذلك من صفات الحيوان الذي له طبائع تميل إلى شيء

(١) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٥٦٥ - ٥٦٦).

(٢) مسائل الإمام ابن باز (٢٧٨).

(٣) طرح التثريب في شرح التقریب (٤/ ٩٤).

فتستطيه، وتنفر من شيء فتستقذره» اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرحه على هذا الحديث في كتاب الصيام باب فضل الصوم: «القدوري من الحنفية والداودي وابن عربي من المالكية والقاضي حسين والخطابي وأبو عثمان الصابوني والنووي وأبو بكر بن السمعاني وغيرهم من الشافعية جزموا كلهم بأنه عبارة عن الرضا والقبول» اهـ.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في كتابه «إتحاف السادة المتقين»^(١): «وأما على القول بجواز إطلاق المشتق مما يثبت سمعًا اتصافه بمعناه وما يُشعر بالجلال ولم يوهم نقصًا وإن لم يرد توقيف كما ذهبت إليه المعتزلة وأبو بكر الباقلائي فخطأ أيضًا لأنه لم يوجد في السمع ما يُسَوِّغ إطلاقه ولأن شرطه بعد السمع ألا يوهم نقصًا فيكتفون حيث لا سمع بدلالة العقل على اتصافه تعالى بمعنى ذلك اللفظ. ومن قال بإطلاق الألفاظ التي هي أوصاف دون الأسماء الجارية مجرى الأعلام كالمصنف يعني الغزالي في المقصد الأسنى والإمام الرازي فالشرط عنده كذلك في ما أجازته دون توقيف. واسم الجنس يقتضي النقص من حيث اقتضاؤه الافتقار إلى أجزائه التي يتركب منها وهو أعظم مقتض للحدوث، فمن أطلقه عليه تعالى فهو عاص، بل قد كفره الإمام ركن الإسلام قاضي القضاة علي بن الحسين بن محمد السغدري (ت ٤٦١هـ) في من أطلق عليه اسم السبب والعلة وهو أظهر، كما نقل عنه ذلك كمال الدين محمد بن همام الدين المشهور بابن الهمام في كتابه «شرح المسامرة في علم الكلام»^(٢)، فإن إطلاقه عليه وهو غير مكره عليه بعد علمه بما فيه من اقتضاء النقص استخفاف بالربوبية وهو كفر إجماعًا» اهـ.

وبعد أن قُرِّرَ أَنَّهُ لا يجوز تسمية الله بصفات النقص وأنه لا يجوز تسميته بغير ما ورد في القرآن أو السنة الصحيحة أو الإجماع يُعلم من ذلك حرمة إطلاق الروح على الله، وفساد قول بعض الناس إنَّ إياه اسم من أسماء الله لأن إياه باتفاق علماء اللغة

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٠).

(٢) شرح المسامرة في علم الكلام (ص ٢٨)

لفظ وضع للشكاية والتوجع. وقد قرر أهل المذاهب الأربعة أن الأنين والتأوه يفسد الصلاة، وءاه من جملة ألفاظ الأنين، وقد عدّها الزبيدي في شرح القاموس اثنتين وعشرين كلمة.

وما يروى من أن الأنين اسم من أسماء الله فلا أصل له أخرجه الرافعي في تاريخ قزوين بإسنادٍ تالفٍ وهو مناقض لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الأعراف]، فقد فسّروا الحسنى بالدالة على الكمال، فلا يجوز أن يكون اسم من أسماء الله تعالى دالًّا على خلاف الكمال. وما يدل على العجز والشكاية والتوجع مستحيل أن يكون اسمًا لله تعالى، وذلك دليلٌ على أن الحديث المذكور موضوع كما قال الحافظ أحمد بن صديق الغماري في كتابه «الحنين بوضع حديث الأنين».

ولا عبرة بما ورد في بعض كتب المتصوفة بإطلاق اسم الروح على الله سبحانه لأن «الروح» اسم جامد ليس من الأوصاف حتى ينطبق عليه قول الغزالي، ولأنه يدل على النقص؛ فالروح جسم لطيف محدث يتعلق بالبدن والله منزّه عن أن يكون كذلك.

ولا يجوز أيضًا إطلاق الفم على الله أو الأذن لأنهما من قبيل الأجسام، ويستحيل أن يكون الله تعالى جسمًا إذ لو كان جسمًا لجاز عليه ما يجوز على الأجسام من الفناء والتغير ونحو ذلك ووجب له ما يجب للأجسام كالحدوث، ولصحت الألوهية للشمس والقمر والسماء والملائكة والجن وغير ذلك، وذلك محال، وما أدى إلى المحال، وهو كونه جسمًا، محال.

أما الوجه فقد ورد في القرآن إطلاقه على الله بمعنى الذات كقوله تعالى: ﴿وَبَقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن]. وهنا يتعين تفسيره بالذات لأنه ورد مرفوعًا موصوفًا بـ ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، وذو مرفوع أيضًا لأن الصفة تتبع الموصوف في الإعراب والذات المقدّس هو الموصوف بالجلال والإكرام.

وليس في ذلك حجة للمجسمة الذين يعتقدون أن الله تعالى له وجه بمعنى الجزء المعهود.

أما العين واليد إذا أضيفتا إلى الله فلا يراد بهما الجارحتان اللتان للإنسان ونحوه، قال البيهقي في كتابه «الاعتقاد» وغيره: «إنهما صفتان ليستا جارحتين، قال أبو حنيفة: ولكن يده صفته بلا كيف، وقال في الفقه الأيسر: ليست بجارحة.

وقال البيهقي في كتابه الأسماء والصفات ما نصه: «وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: ليس في ما يضاف إلى الله من صفة اليدين شمال لأن الشمال محل النقص والضعف، وقد روي: «وكلتا يديه يمين»، وليس معنى اليد عندنا الجارحة إنما هو صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيّف، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة» اهـ كلام البيهقي.

قال الله تعالى:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

[سورة البقرة].

قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»^(١): «الملائكة قالوه لاستعلام وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض. ذكره الزجاج» اهـ.

فيكفر من يقول «إن الملائكة اعترضوا على الله تعالى لأن الاعتراض على الله تعالى مستحيل على الملائكة الكرام لأن الله سبحانه قال في القرآن الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم]، فالآية صريحة في طاعتهم لربهم وتنفيذهم لأوامره، فمن نسب إليهم الاعتراض على الله يكون قد كفرهم وكذب القرآن، قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٣٤] بينت الآية أن اعتراض إبليس على تنفيذ أمر الله تعالى كفر، وهذا مستحيل على الملائكة لأن الله قال ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾، وإبليس ليس ملكاً، ولا هو كما قال الكفار: «طاووس الملائكة» بل هو كما قال الإمام الحسن البصري «إن إبليس لم يكن ملكاً قط ولا طرفة عين» اهـ رواه السيوطي. قال الله تعالى في سورة الكهف ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ ﴾.

وأما قول الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾، فهم علموا ذلك لأنهم اطلعوا عليه في اللوح المحفوظ.

(١) زاد المسير (١/ ٦٠).

قال الله تعالى :

﴿يَبْنَى إِسْرَءِىلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَنى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧)

[سورة البقرة]

قال المفسر القرطبي في شرحه لهذه الآية ما نصه^(١) : «قوله تعالى : ﴿يَبْنَى إِسْرَءِىلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدم . ﴿يَبْنَى إِسْرَءِىلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يريد على عالمي زمانهم، وأهل كل زمانٍ عالمٌ اهـ، ومثله ذكر البغوي».

وليس المقصود من كفر من اليهود كما يذكر كثير من الجهال في هذا الزمان هذه الآية، إنما المراد من الآية أن أولاد إسرائيل أي يعقوب عليه الصلاة والسلام المؤمنين المسلمين الأتقياء فضّلهم على عالمي زمانهم وليس على كل العالمين والأزمنة على الإطلاق.

فالأنبياء هم أعلى خلق الله رتبة وأفضل العالمين درجة على الإطلاق لأن الله تعالى قال فيهم ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، ثم بعد ذلك فالأفضل والأعلى رتبة ومنزلة هو الأتقى لله في أي زمان أو عصر كان، فالتقى في أمة محمد ﷺ أفضل من المؤمن غير التقى من أولاد إسرائيل يعقوب.

(١) تفسير القرطبي (١/٣٧٦).

قال الله تعالى:

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥٧)

[سورة البقرة]

معنى الآية كَلُوا من الطيب الحلال وليس معناها ما يستلذه الإنسان ولو كان حرامًا، وهذا ما ذكره ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين النووية»^(١)، وقال ابن رجب الحنبلي البغدادي من علماء القرن^(٢) الثامن الهجري في «جامع العلوم والحكم» في شرحه لقول الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، «والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال» اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه «فتح المبين لشرح الأربعين» ما نصه^(٣): «وهو الحلال الخالص من الشبهة، لأن الشرع طيبه لآكله وإن لم يستلذه، وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه المُسْتَلَذُّ أي شرعًا، وإلا فلذيذ الطعام غير المباح - أي الحرام - وبال وخسارة فيكون طعامًا ذا عُصَّةٍ وعذابًا» اهـ.

وقال محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي في كتابه «الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية» ما نصه^(٤): «أي من حلال ما خلقناه نفعًا لكم. وسُمِّيَ الحلال طيبًا لأن الشارع طيبه لآكله وإن لم يستلذه والحرام، وإن التذُّ به آكله، يؤدي إلى العقاب فهو مضر. فقول الشافعي رضي الله تعالى عنه: «الطيب المستلذ». أراد به المستلذ

(١) شرح الأربعين النووية (ص ٨٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٩٣).

(٣) فتح المبين لشرح الأربعين (ص ١٣٨).

(٤) الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية (ص ١٠٧).

شرعًا لا حِسًا. ألا ترى أن لحم الخنزير لذيد وهو حرام إجماعًا، والصَّبْر - الدواء المر - لا لذة فيه وهو حلال إجماعًا» اهـ.

قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) : «والطيبات هنا قد جَمَعَتَ الحلال واللذيد» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن» ما نصه^(٢) : «من حلاله الذي أبحناه لكم» اهـ.

فيتبين أن معنى «الطيبات» أي الحلال وليس معناها المستلذ ولو كان حرامًا، فهذا لم يقل به عالم معتبر. فليُحذَر مما شاع بين الجهال من أنهم يحتجون بهذه الآية عند أكل المحرمات فإذا اعتَرَضَ عليهم وأنكِرَ ذلك قالوا «قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾»، وهذا معارض لما ثبت في حديث رسول الله ﷺ أن مُحَرَّم الحلال كُمستحل الحرام، فما أحلَّ الشرعُ فهو الطيب المراد في هذه الآية الكريمة، وليذكر العاقل قول النبي ﷺ «كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به». ويدخل في هذا التحريف ما انتشر في كثير من الدول والبلاد من أنهم يهجمون هجومًا على أكل اللحوم كالغنم والبقر والدجاج من غير التأكد من حِلِّها ويوردون هذه الآية في هذا الموضوع. قال العلم الشامخ والجبل الراسخ القدوة الحجة الشيخ عبد الله الهرري في كتابه «صريح البيان في الرد على من خالف القرآن» ما نصه^(٣) : «حكم الأكل من اللحم الذي لم يذك ذكاة شرعية:

اعلم أن الذكاة الشرعية تكون بقطع مجرى الطعام والشراب ومجرى النفس بما له حدّ بشرط أن يكون الذابح مسلمًا أو يهوديًا أو نصرانيًا فإذا حصل هذا وكان المذبوح مأكولًا حلَّ الأكل منه لمن علم، وأمّا ما كان موته بما لا حدّ له كأن مات بسبب التردّي أو الغرق أو شيء يزهق الروح بثقله لا بحدّه فلا يحلّ أكله وأيضًا لا

(١) الجامع لأحكام القرآن (ص ٤٠٨).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (ص ٢٣٧).

(٣) صريح البيان في الرد على من خالف القرآن (ص ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١).

يحلّ أكل ما لم يعلم هل ذابحه هو ممن يصحّ تذكيته أم لا لأن أمر اللحم في هذا أشد من أمر الجبن والحلوى ونحوهما فإنه إذا شك شخص هل في الحلوى التي بين يديه أو الجبن الذي بين يديه فيها نجاسة جاز له الأكل منه مع الشك، وأمّا اللحم فلا يجوز الشروع في أكله مع الشك في ذكاته كما نصّ على ذلك الفقهاء كابن حجر الهيتمي والسيوطي من الشافعية والقرافي من المالكية وغيرهم. بل تحريم اللحم الذي لم يعلم طريق حله بأنه شك في ذلك مجمع عليه.

ففي الفتاوى الكبرى^(١) لابن حجر الهيتمي: «وسئل نفع الله ببركاته عن شاة مذبوحة وجدت في محلة المسلمين ببلد كفّار وثنية، وليس فيهم مجوسي ولا يهودي ولا نصراني، فهل يحلّ أكل تلك الشاة المذبوحة التي وجدت في تلك المحلة أم لا؟ فأجاب بأنه حيث كان ببلد فيه من يحلّ ذبحه كمسلم أو يهودي أو نصراني ومن لا يحلّ ذبحه كمجوسي أو وثني أو مرتد، ورئي بتلك البلد شياء مذبوحة مثلاً، وشك هل ذبحها من يحلّ ذبحه لم تحلّ للشك في الذبح المبيح والأصل عدمه» اهـ.

وفي الأشباه والنظائر للسيوطي ما نصّه^(٢): «الفائدة الثانية قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني: الشك على ثلاثة أضرب شك طراً على أصل حرام، وشك طراً على أصل مباح، وشك لا يعرف أصله، فالأول مثل أن يجد شاة في بلد فيها مسلمون ومجوس فلا يحلّ حتى يعلم أنها ذكاة مسلم أصلها حرام وشككنا في الذكاة المبيحة» اهـ.

وفي كتاب التاج والإكليل لمختصر خليل في هامش كتاب مواهب الجليل شرح مختصر خليل^(٣) - باب الوضوء نقلاً عن شهاب الدين القرافي ما نصّه: «الفرق الرابع والأربعون بين الشك في السبب والشك في الشرط، وقد أشكل على جمع من الفضلاء قال: شرع الشارع الأحكام وشرع لها أسباباً وجعل من جملة ما شرعه من الأسباب الشك، وهو ثلاثة مجمع على اعتباره كمن شك في الشاة المذكّاة والميتة

(١) الفتاوى الكبرى (١/ ٤٥ - ٤٦).

(٢) الأشباه والنظائر (/ ٧٤).

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل (١/ ٣٠١).

وكمّن شكّ في الأجنبية وأخته من الرضاعة» اهـ.

أي أنّ تحريم ما شكّ فيه من اللحم مسألة إجماعية، فلا التفات إلى ما يخالف هذا الإجماع من قول بعض أهل العصر المتعالمين، وهؤلاء ضربوا النَّاسَ برأيهم المخالف للإجماع في البلاد العربية وفي أوروبا وأمريكا وموّه بعضهم بإيراد حديث أخرجه البخاري في صحيحه - في كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد في باب ذبيحة الأعراب - على غير وجهه، والحديث وردّ في ذبيحة أناس مسلمين قريبي عهد بكفر وذلك لقول عائشة: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَنَسًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ يَأْتُونَنَا بِلِحْمَانِ لَا نَدْرِي أَذْكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا، فَقَالَ: «سَمَّوْا اللَّهَ أَنْتُمْ وَكَلُّوْا»، ومعنى الحديث أن هذه اللحوم حلال لأنها مذكاة بأيدي مسلمين ولو كانوا حديثي عهد بكفر ولا يضرّكم أنكم لم تعلموا هل سمّي أولئك عند ذبحها أم لا وسمّوا أنتم عند أكلها أي ندبًا لا وجوبًا لأن التسمية سنّة عند الذبح فإن تركها الذابح حل الأكل من الذبيحة.

فمن أين موّه هؤلاء بإيراد هذا الحديث على غير وجهه فكأن هؤلاء قالوا إنّ الرسول أحلّ أكل ما لم يُعلم هل ذابحه مسلمٌ أم مجوسي أم بوذي أم غير ذلك بالاختصار على التسمية عند الأكل، وهذا لم يقله عالم مسلم قطّ، فليتّق الله هؤلاء المتهورون، وليعلموا أنّ الإنسان يُسأل يوم القيامة عن أقواله وأفعاله وعقائده» اهـ كلام الإمام الهري.

قال الله تعالى:
﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة]

قال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»^(١) ما نصه: «المروي عن كافة الصحابة والتابعين أنها نزلت في أمر يختص بالصلاة وقولهم حجة، وثانيهما أن ظاهر قوله ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ﴾ يفيد التوجه إلى القبلة في الصلاة». وفي الكتاب عينه يقول^(٢): «الآية نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث تتوجه به راحلته. وعن سعيد ابن جبير عن ابن عمر أنه قال: إنما نزلت هذه الآية في الرجل يصلي إلى حيث توجهت به راحلته في السفر» اهـ.

فمعنى الآية فأينما تُوَجَّهوا وجوهكم في صلاة النفل في السفر قبله الله أي فتلك الوجهة التي توجهتم إليها هي قبله لكم.

المشرق ملك لله والمغرب ملك لله فأينما تولوا فثم وجه الله أي أينما توجهوا وجوهكم في صلاة النفل وأنتم راكبون الدابة في سفركم فهناك قبله الله، فالمسافر إذا كان راكبا الدابة يجوز أن يصلي النفل إلى الجهة التي يريدتها ولا يلتحق بذلك راكب السيارات والطائرات كما يفهم ذلك من كتب الفقه ومن المؤسف أن كثيرا من جهلة العصر ومنهم مشايخ إذا ذكر الكلام في التوجه للكعبة يقولون: «لا تشددوا ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ولا يراد بالوجه الجارحة وحكم من يعتقد الجارحة لله التكفير لأنه لو كانت له جارحة لكان مثلاً لنا يجوز عليه ما يجوز علينا من الفناء. ففي هذه الآية أضاف الله إلى نفسه لفظ الوجه: فليس لنا أن نرد ذلك لكن علينا أن نعتقد أن الوجه إذا أطلق على الله ليس معناه الجارحة التي نعرفها لأن الذي يعتقد في الله الجارحة يكفر. الجارحة من صفات الأجسام فمن اعتقد أن لله جارحة

(١) التفسير الكبير (٤/١٧).

(٢) المصدر نفسه، (٤/١٨).

فقد نسب الجسمية إلى الله ومن نسب الجسمية إلى الله كفر وتكفيره هو مذهب السلف والخلف قاله الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما، فقول بعض المنتسبين للمذهب الشافعي بعدم تكفيرهم مخالف لما عليه السلف، فلا التفات إلى ما في كتاب عز الدين بن عبد السلام الذي هو من متأخري الشافعية ولعله دُسَّ عليه.

فإذا قال قائل: هل ذكر في القرآن أن الله منزه عن الجارحة وعن اللمس واللسان والأذن؟ نقول: يكفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأنه لو كان له جارحة سمع أو جارحة بصر لكان مثلاً لنا ولو كان مثلاً لنا لم يكن إلهاً فمن يعتقد أن لله سمعاً وبصرًا بجارحتين فقد كذَّب القرآن ولو أضاف إلى ذلك قوله «لا كجوارحنا». قد يراد بالوجه الطاعة التي يراد بها التقرب إلى الله تعالى كأن يقول أحدهم: «فعلت كذا وكذا لوجه الله»، ومعنى ذلك «فعلت كذا وكذا امتثالاً لأمر الله تعالى».

وهذا المعنى لا يصح سواه في نحو حديث «أقرب ما تكون المرأة إلى وجه الله إذا كانت في قعر بيتها» فليس للوجه في هذا الحديث معنى إلا طاعة الله. فماذا يفعل المجسم إذا جاء إلى هذا الحديث؟ أيفسره على حسب اعتقاده أن لله وجهًا بمعنى الجزء والحجم المركب على البدن؟ فكيف يتجرأ على ذلك بعد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ويتجرأ على تفسير نحو قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ بالحجم المعروف المركب على البدن؟ قال البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في سورة القصص: ﴿هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا ملكه، ويقال ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله اهـ. ومعنى «ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله» الأعمال الصالحة فإنها تبقى قال الله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [سورة مريم].

وقول البخاري «إلا ملكه» أي إلا سلطانه كما في الصحيح، الله له سلطان على العالم وسلطان الله لا يفنى لأن سلطانه صفة من صفاته وصفاته أزلية أبدية هذا معنى إلا ملكه، والبخاري من أئمة السلف هو وسفيان الثوري، وقد أولاه هذه الآية تأويلاً تفصيلياً ولم يحملها على الظاهر فيجب على المجسم أن يترك اعتقاده

وليقل ما يناسب معنى هذا الحديث الصحيح الذي رواه ابن حبان بهذا اللفظ ليلتزم تفسير الرواية الأخرى لهذا الحديث «أقرب ما تكون المرأة إلى الله إذا كانت في قعر بيتها» على معنى تلك الرواية، فكلتا الروایتين صحيحة إسنادًا ومعناها واحد. فمن اعتقد أن وجه الله حجم فقد أُلحد وكفر لأن الحجم مخلوق كثيفًا كان أو لطيفًا وهذا لا بدّ له من مقدار قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ فالحجم مهما كان صغيرًا ومهما كان كبيرًا لا بدّ له من مقدار فالله منزّه عن أن يكون حجمًا لطيفًا أو كثيفًا لأن الحجم لا بدّ أن يكون له مقدار.

قال الله تعالى:

﴿ وَعَهْدُنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي ﴾

[سورة البقرة]

قول الله تعالى في الكعبة ﴿بَيْتِي﴾ إضافة ملك للتشريف لا إضافة صفة أو ملابسة لاستحالة الملازمة أو المماسمة بين الله والكعبة. قال البغوي في تفسيره المسمى «معالم التنزيل»^(١): ﴿أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي﴾ يعني: الكعبة أضافه إليه تخصيصًا وتفضيلًا» اهـ.

كذلك قول الله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾ ليس إلا للدلالة على أن الله خالق العرش الذي هو أعظم المخلوقات ليس لأن العرش له ملابسة لله بالجلوس عليه أو بمحاذاته من غير جلوس فليس المعنى أن الله جالس على عرشه باتصال، وليس المعنى أن الله محاذ للعرش بوجود فراغ بين الله وبين العرش إن قدر ذلك الفراغ واسعًا أو قصيرًا كل ذلك مستحيل على الله، ومزية العرش أنه كعبة الملائكة الحافين من حوله قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ كما أن الكعبة شُرفت بطواف المؤمنين بها. ومن خواص العرش أنه لم يُعص الله تعالى فيه لأن من حوله كلهم عباد مكرمون لا يعصون الله طرفة عين ومن اعتقد أن الله خلق العرش ليجلس عليه فقد شبه الله بالملوك الذين يعملون الأسرة الكبار ليجلسوا عليها ومن اعتقد هذا لم يعرف الله. فتبين أن الإضافة ليست إضافة صفة أو ملابسة.

فإضافة الصفة هي كقولنا: «قدرة الله وعلم الله ونحو ذلك» والملابسة هي علاقة بين شيئين بمعنى الاتصال ونحوه، فإذا كان شيء متصلاً بشيء قد يضاف إليه من أجل هذه العلاقة، فمثلاً إذا أريد الإخبار عن سكن زيد وإقامته بأرض فليل فلان بلده البصرة فالملابسة بين زيد والبصرة هي السكن والإقامة فإضافة البيت إلى الله

(١) معالم التنزيل (١/١١٤).

ليست من هذا القبيل. كذلك إضافة صورة آدم إلى الله ليست من باب الجزئية فمن اعتقد أن الله روح فاقطع من ذاته قطعة فجعلها آدم فكأنه قال إن الله ولد آدم، ومن قال إن معنى خلق الله آدم على صورته أي أن لله صورة وصورة آدم تشبه هذه الصورة فقد كفر أيضًا، فلم يبق تفسير صحيح للحديث إلا أن يُقال الإضافة فيه إضافة الملك إلى مالكة بمعنى التشريف أو أن يقال على ما هو الغالب عند السلف خلق الله آدم على صورته بلا كيف. وليعلم أن الرسول ﷺ قال: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته. أي الله خلق آدم على الصورة التي عليها آدم.

قال الله تعالى في القرآن الكريم عن الكعبة لإبراهيم وإسماعيل ﴿لَنْ نَنْسَاهُ﴾ ليفهمنا أن للكعبة عنده مقامًا عاليًا وأنها مشرفة عنده، وهذا ليس من باب إضافة الصفة ولا من باب إضافة الملابس كما في قولك صاحب زيد عمرو فعمرو صاحب أضيف إلى زيد للملاسة لأن بينهما علاقة الصحبة.

ويكفر من يعتقد المماساة، لاستحالتها في حق الله تعالى لأن ذلك يؤدي إلى جعل ذات الله مقدّرًا محدودًا متناهياً. إذا دخلت بيتا فاستندت إلى جداره هذا يقال له مماسة لمس جسمك الجدار الذي هو جسم.

فقولنا «المساجد بيوت الله» أو «الكعبة بيت الله» أي البيوت المشرفة المكرمة المعظمة عند الله التي بُنيت لعبادة الله وتوحيده وتعظيمه، وليس معناه أن الله تعالى يحل في الكعبة أو في المساجد، تنزه الله عن ذلك.

والذي يقول «إن الله يحل في الكعبة يسكنها أو هو على سطحها، بالمماساة أو محاذا لها في هوائها من غير مماسة» فقد شبه الله بخلقه وجعله حادثًا كما أن الكعبة حادثه، فمن قال إن الله فيها أو عليها فإما أن يقول إن الله حادث كما أن الكعبة حادثه مخلوقة وهذا كفر وخروج من الإسلام وإما أن يقول إن الكعبة أزلية مع الله وهذا نسبة الشريك لله في الأزلية، وهو تكذيب لقول الله ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ وهو كفر أيضًا. وقد أخبرنا طبيب لبناني أنه سمع من سائق سيارة يعمل بالأجرة بين

مكة والمدينة، يقول «إن الله تعالى موجود فوق الكعبة» وهو رجلٌ فوق الخمسين من العمر فما أبشع هذا الكفر.
والكعبة سُمِّيَت كعبةً لأنها مكعبة الشكل، وأوّل من بناها على قول بعض السلف الملائكة، وقال بعضهم ءادم أخذ حجارة من سبعة جبال فبناها بها، وقد جُدِّدَ بناؤها إحدى عشرة مرة.

قال الله تعالى :
﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

[سورة البقرة]

قال الإمام الحافظ اللغوي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الأشعري الشافعي في «فتاوى السبكي» ما نصه^(١) : «الحمد لله الذي عصمنا من الفتن وصلّى الله على سيدنا محمد الذي بيّن لنا ما ظهر وما بطن وعلى آله وصحبه الذين بيّنوا لنا معاني القرآن والسنن وسلم تسليمًا كثيرًا على توالي الزمن، وبعد فإننا لا نحصي ما لله علينا من نعمة ومنة، وما حمانا به عن كل محنة وجعل بيننا وبينها وقاية وجنة وأرشدنا إلى طريق السنة وجعل لنا على العدل قوة ومنة؛ وأنه جرى الكلام في تفسير الفتنة في قوله تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ وأطلقت فيه الأئمة وأغرى به بعض ذوي الضنة وتوهم أن مجرد الإلقاء بين الناس للقتل مظنة فخشيت من استباحة دم مسلم بالضغنة، فأردت ذكر تفسير الآية، وسميته «تأويل الفطنة في تفسير الفتنة» والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

قال ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى عزّ ذكره ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يعني بقوله جلّ ثناؤه ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ والشرك بالله أشد من القتل. وقد بينت في ما مضى أن أصل الفتنة الابتلاء والاختبار، فتأويل الكلام وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشرکًا بالله من بعد إسلامه أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيمًا على دينه متمسكًا بملته محققًا فيه، كما حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال: ارتداد المؤمن إلى الوثن أشد عليه من أن يقتل، حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله، حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ

(١) فتاوى السبكي (ص ٢١ - ٢٢ - ٢٣).

مِنَ الْقَتْلِ ﴿ يقول: الشرك أشد من القتل، حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة مثله، حدثنا المثنى ثنا إسحاق ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يقول: الشرك أشد من القتل، حَدَّثْتُ عن عمار بن الحسن قال: حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يقول: الشرك أشد من القتل، حدثنا القاسم ثنا الحسين حدثني الحجاج قال: قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد في قوله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال: الفتنة الشرك، حَدَّثْتُ عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال: انا عبيد بن سليمان قال سمعتُ الضحاك: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال: الشرك، حدثني يونس انا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال: فتنة الكفر. انتهى ما نقلته من تفسير الطبري المسمى بالبيان.

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن حاتم في تفسيره قوله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ حدثنا عصام بن رواد ثنا آدم عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية: قوله ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ الشرك بالله أشد من القتل، وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وأبي مالك وقاتدة والضحاك والربيع بن أنس نحو ذلك؛ وقوله ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ حدثني أبي ثنا يحيى بن المغيرة انا جرير عن حصين عن أبي مالك ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال الفتنة التي أنتم مقيمون عليها أكبر من القتل. انتهى ما نقلته من تفسير ابن أبي حاتم.

وقال الواحدي في البسيط: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يعني شركهم بالله عز وجل أعظم من قتلهم إياهم في الحرم والحرم والإحرام وذكرنا معاني الفتنة عند قوله ﴿ إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٍ ﴾، وقال بعض أصحاب المعاني سمى الكفر فتنة لأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار وأصل الفتنة الاختبار. انتهى ما قاله السبكي.

وبعد هذا البيان الكافي الشافي من الحافظ السبكي في بيان معنى الفتنة في هذه الآية وأنها الفتنة في الدين أي الكفر بالإشراك بالله أو بأن يترك المسلم دينه، فلا عبرة

بعد ذلك بقول مُحَرِّفٍ جهولٍ يقول «إن مجرد الغيبة أو النميمة أو إن الإفساد بين اثنين أو بين أسرتين أشد من القتل» لأنه بذلك يُكذِّبُ القرآن والحديث والإجماع، على أن الكفر بأنواعه هو أكبر الذنوب على الإطلاق وبعده قتل النفس التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق وجاء ترتيب الكبائر في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ، وقد بيَّن ذلك الرسول ﷺ أيضًا، كما في الصحيحين من حديث عبد الله «قيل يا رسول الله أيُّ الذنوب أكبر؟ قال أن تجعل لله ندًا وهو خَلْقُكَ» (أي أن تجعل له شريكًا)، «قيل ثم أي، قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، وفي لفظ «خشية الفقر»، «قيل ثم أي، قال أن تُزاني بحليلة جارك»، ففي هذا الحديث بيَّن الرسول ﷺ أن أكبر الذنوب بعد الكفر قتل النفس التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحق، فمن جعل الفتنة هنا في هذه الآية التي تقدّم ذكرها بمعنى الغيبة والنميمة أو الإفساد بين اثنين وجعله أشد وأكبر من القتل يكون قد كذَّب رسول الله ﷺ وكذَّب شريعة الله، ومن قال ذلك فهو كافر. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَاعُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة].

ثم لو سئل هذا المُتَقَوِّلُ المُحَرِّفُ لشريعة الله «شخص يريد قتل ولدك بذبحه مثلاً» وشخص يشتغل بغيبته، فأَيُّ الفعلين أشد عندك؟ لقال «القتل»، فيقال له «فكيف تُفسر هذه الآية ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ بالغيبة والنميمة؟! «ألست تكون متناقضًا في قولك»؟

ومن حصل منه ذلك فعليه أن يُقْلِعَ عنه ويرجع للإسلام بالشهادتين.

قال الله تعالى :

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا قُلْتُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة]

معنى هذه الآية أن من حلف بلا إرادة كقول «لا والله، بلى والله» بدون إرادة لا يكتب عليه ذلك ولا يكون عليه كفارة. وفرق بين «الأيمن» التي هي جمع «يمين» كما فسرها القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»^(١)، «وهو القَسَم»، وبين التلفظ بكلام الكفر فالأيمن بفتح الهمزة جمع يمين والإيمان بكسر الهمزة هو المعتقد فلم يقل بإيمانكم بكسر الهمزة بل بفتحها فالذين أباحوا الكفر حرفوا الآية مبناهم ومعناها، فالآية مفسرة بقول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرُهُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [سورة المائدة]، فلا مناسبة بين هذه الآية وبين مسألة من تلفظ بالكفر وهو لا يقصد الكفر. فإن من فرط الجهل المؤدي إلى الكفر احتجاج بعض الجهال بالآية، ظانين أن معناها أن الإنسان لا يكفر إذا لم يقصد بكلام الكفر الكفر، والعياذ بالله تعالى.

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»^(٢) مبيِّناً الإجماع الذي نقله المروزي في هذه المسألة، ما نصه: «فقال ابن عباس: هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاوراة: لا والله، وبلى والله، دون قصدٍ لليمين. قال المروزي: لغو اليمين التي (اتفق العلماء) على أنها لغو هو قول الرجل: لا والله، وبلى والله، في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريدها» ثم قال: «وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله،

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد السادس/ ص ٢٦٤).

(٢) المصدر نفسه، (المجلد الثالث/ ص ٩٩).

وبلى والله - أي بلا إرادة - اهـ.

وقال الفخر الرازي في كتابه «التفسير الكبير» ما نصه^(١): «وعن عائشة أنها قالت «أيمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة التي لا يُعقد عليها القلب»، فقولها «لا يُعقدُ عليها القلب» أي بلا إرادة ولا قصدٍ، ولذلك قال الشافعي «ليس فيه كفارة». ويقول ما نصه^(٢): «قال الشافعي رضي الله عنه: إنه قول العرب: لا والله، بلى والله، مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف، ولو قيل لواحدٍ منهم: سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام ألف مرة لأنكر ذلك» اهـ.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ جُدْهُم جِدُّ وهزلهن جِدُّ: الطلاقُ والنِّكاحُ والرَّجعةُ» فإذا كان الطلاقُ والنِّكاحُ والرَّجعةُ جُدْهُنَّ جِدُّ وهزلهن جِدُّ فبالأولى أن يكون قول الكفرِ جِدًّا إن كان في حال المزح وإن كان في حال الغضب وإن كان في حال الرضا. فلا يُغْتَرَّ بقولِ بعض الجهَّالِ السُّقاطِ عن الكفر الذي يتفوهون به بلا اعتقاد إنه من لغو اليمين ويستدلون بالآية ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ يزعمون أن الأيمانَ المذكورة في الآية الكلام الذي يتكلم به الناس بلا اعتقاد، وما دروا أن الأيمانَ هي الحلفُ، وأن لغو اليمين هو الحلفُ بالله الذي يجري على اللسان بلا قصدٍ ولا إرادةٍ، فإنه لا كفارة في ذلك الحلف الذي يجري فيه قول والله، فهؤلاء جمعوا بين كُفرين الكفر الذي خرج من ألسنتهم عمدًا بلا اعتقاد، والكفر الذي هو تعليل كفرهم مستدلينَ بالآية على غير وجهها، لأنهم بهذا نسبوا تحليل الكفر إلى الآية، والآية بريئة من قولهم ومن استدلالهم.

ومن تلفظ بلفظٍ صريحٍ في الكفر مازحًا أو لاعبًا أو غاضبًا وهو يفهم ما يقوله، يُكفِّرُ ظاهرًا وباطنًا ولا يُسأل عن نيته وقصده ولا يُشترط انشراح صدره ولا أن يكون

(١) التفسير الكبير (الجزء السادس المجلد الثالث، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ في ص ٦٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٦٦).

ناويًا الخروج من الإسلام كما لا يُشترط أن يكون عالمًا بحكم هذه الكلمة، وسترى ذلك موسعًا مُفصّلًا في هذا الكتاب عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُوْكِرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل].

قال الله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ﴾

[سورة البقرة]

معنى هذه الآية لا تُكْرَهُوا أحداً على الدخول في الإسلام بالقتال حتى يأتيكم الإذن، ثم جاءهم الإذن بالقتال فَنَسِخَتْ هذه الآية بآيات القتال، وليس معنى هذه الآية أن للإنسان حرية أن يعتقد ما شاء والعياذ بالله تعالى، وقال بعض المفسرين: أي أنت يا محمد لا تستطيع أن تُكرِه قلوبهم على الإيمان. وقال بعضهم أي ليس لك أن تُكرِه الذين يدفعون الجزية ما داموا يدفعونها ويخضعون للسلطة أي يلتزمون الشروط.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(١): «وقال آخرون: هو منسوخ بقوله عليه السلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها». اهـ

فهذه آية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ﴾ [سورة الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۗ﴾ [سورة البقرة]. وبقوله تعالى: ﴿نُقَاتِلُوهُمْ أَوْ تُسَلِّمُوا﴾ [سورة الفتح]، وبقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة التوبة]، وفي وصية النبي ﷺ إذا أمر أميراً بالجهاد: «قاتلوا من كفر بالله» رواه مسلم في صحيحه.

في هذا دليل صريح على أن سبب مشروعية قتالهم هو كفرهم وليس كما قال البوطي وكثير من المعاصرين المداهنيين «هو لدفع عدوانهم فلا يكون ابتداءً وإنما يكون دفاعاً» وهذا منهم تحريف للكلم عن مواضعه، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد الثاني ص ٢٣٩).

يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة التوبة]، فلو كانت الآية تُعطي حرية العقيدة كما يزعم بعض العصريين، فلماذا توعدّهم الله وتهدّدهم؟

وما أصرح الحديث المتواتر في أن الآية لا تعطي حرية الكفر والاعتقاد، وهو قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وهو متواتر رواه خمسة عشر صحابياً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قال القاضي ابن عطية الإشبيلي الأندلسي في تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» في سورة يونس ما نصه^(١): «المعنى أن هذا الذي تقدّم إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم ولو شاء الله لكان الجميع مؤمناً، فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك وادع، ولا عليك فالأمر محتوم، أفتريد أنت أن تُكفره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره» اهـ.

فتبين أن معنى الآية أن الرسول عليه السلام ليس عليه أن يُكره القلوب لأن القلب أمره مخفي، فليس على الرسول أن يُكره الناس حتى تصير قلوبهم مؤمنة لأن هذا لا يملكه الرسول وليس في استطاعته إنما الذي في استطاعته ﷺ أن يدعوهم إلى الإسلام ويقاثلهم على ذلك إلى أن يُسلموا بأن يتشهدوا أو إلى أن يدفعوا الجزية، فهذا الذي كلفه الرسول لأن هذا عمل الظاهر. فظهر بهذا أنه لم يقل أحد من أهل العلم إن معنى الآية يدل على حرية الرأي والفكر والاعتقاد والتعبير ولأن الكافر لا يُكره على الدخول في الإسلام.

وأولى ما ذُكر في تفسير ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ القول إن المعنى لا تستطيعون أن تُكروهوا القلوب حتى تصير مؤمنة ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي أن الرسول بلغ وبين طريق الإسلام الذي هو الرشد

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج ٣/ ص ١٤٥).

فمن سَمِعَ وَقَبِلَ تَبْلِيغَهُ فَقَدْ اهْتَدَى أَي نَجَا مِنَ الضَّلَالِ.

إن رأينا مسلماً يريد الانتحارَ بأن يرمي نفسه من شاهق جبل أو بأن يرمي نفسه في البحر ليغرق أو بأن يرمي نفسه في النار ليحترق نسعى لإنقاذه من الهلاك، فبالأولى أن نسعى لإنقاذ الكافر من الكفر الذي يؤدي به إلى الخلود في نار جهنم إن مات عليه.

وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة].

وليس معنى قول الله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أنه ليس مأموراً أو ليس مكلفا بدعوة الكفار إلى الإسلام كما ادعى بعض المحرفين لشريعة الله.

وقول الله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، فمعناه أنك يا محمد لست مكلفاً بهداية قلوب الكافرين لأن أمر القلوب إلى الله وليس إليك، لكنه مأمور بالقتال لإدخالهم في الإسلام أو بدعوتهم من غير قتال. روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل. ومعنى عجب رضي، وذلك أن قومًا يدخلون الإسلام مكرهين بالسيف ثم يثبتون فهؤلاء كأنهم دخلوا الجنة بالسلاسل.

وأما قول بعض الناس الذين لا علم لهم والعياذ بالله في معنى هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أن الله تعالى خلق العباد ولم يأمرهم بعبادته وأن الدين جاء بحرية العقيدة والفكر والقول، كما صرح غير واحد من أهل الضلال أمثال ذلك النائب اللبناني الذي يدعي المشيخة والعلم من آل ضاهر في برنامج تلفزيوني على قناة الجديد اسمه الأسبوع في ساعة في تاريخ ٢٩/٥/٢٠١١، وعمرو خالد عندما جاء إلى بيروت ليلقي محاضرة في المدينة الرياضية في بيروت بتاريخ ١١/٥/٢٠٠٢ قال والعياذ بالله بلهجته المصرية: «الإسلام حرية العقيدة: تعبد إلهي أنت عايزه» (أي أن الإنسان يجوز له أن يعبد ما يريد) وهذا إباحة للإشراك بالله وعبادة غيره والعياذ بالله تعالى من هذا الكفر، ثم قال بعد ذلك: «الصحابة كفلوا حرية العقيدة»، وهذا بتسجيل فيديو بالصوت والصورة لدينا، وقد أخبرنا رجل من أهالي بيروت

من آل اللاذقي أن امرأة دعيت لأن تتعلم الشرع والفقہ في الدين فأجابت: «لقد قال الداعية عمرو خالد الإنسان يعبد إلهي هو عايزه فأنا لا أريد أن أكون مسلمة» وقالت «أنا لا أريد أن أعبد الله» محتجة لهذا الكفر بكلام عمرو خالد، فانظر إلى هذا الوبال الذي حصل بسببه، وقد قال أيضاً عمرو خالد في رسالة له نشرها في مكتبته التي في موقعه على الإنترنت إلى الدنماركيين الذين أسأوا إلى النبي ﷺ بالرسومات المسيئة التي فيها أبشع وأقبح الشتائم والسب لرسول الله محمد ﷺ، تحت عنوان «كلمة الأستاذ عمرو خالد الأولى عن أحداث الدنمارك» فقال لهم: «مفهوم عند الغرب عظيم نحترمه ونحتاجه ونقدسه اسمه حرية التعبير، مفهوم عظيم حضاري وإنساني».

وهذا يوسف القرضاوي في موقعه على الإنترنت وبرامجه التلفزيونية على قناة الجزيرة ومحطة بي بي سي، يقول بحرية العقيدة مستنداً إلى هذه الآية، ففي كتاب له سماه «الدين والسياسة» الفصل السادس في باب سماه «الدولة الإسلامية وحقوق الإنسان» يقول ما نصه: «الواقع من المبادئ الأساسية في الإسلام أن حرية الاعتقاد مكفولة للجميع»، وقال القرضاوي أيضاً في مقابلة مع محطة ال بي بي سي في البرنامج المسمى «في الصميم» ما نصه^(١): «الحرية مقدمة على تطبيق الشريعة»، وقد قال علي جمعة مفتي مصر في برنامج «بالعربي»^(٢) عندما سألته المذيع عن المسلم الذي يترك دينه فقال لها: «لا يجوز»، فسألته عن النصراني الذي يترك نصرانيته ويدخل في الإسلام فقال علي جمعة: «كما لا يجوز للمسلم أن يترك دينه لا يجوز للمسيحي أن يترك دينه!» والعياذ بالله من تكذيب القرءان.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(١٥)، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: «أمرت أن أقاتل الناس

(١) وهي موجودة على موقع القناة الرسمي على الإنترنت وذلك نهار الأحد في ٧ شباط

(٢) في قناة العربية مع جيزيل خوري المذيع اللبنانية بتاريخ ٢٠٠٧/٠٩/١٥

حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وقال ﷺ: «ما من يهودي أو نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن بي وبما جئت به إلا كان من أصحاب النار»، فعلى قول الدكتور علي جمعة أن النبي كان يدعو الكفار إلى شيء محرم وهو أن يتركوا دينهم والعياذ بالله تعالى من مسخ القلوب، وأمثال هؤلاء هم الذين جرؤوا من أساء إلى نبينا أن يتمادى في كفره وضلاله، فقد كانوا يذهبون إليهم ويعقدون معهم المؤتمرات والمحاضرات باسم الحوار فكانوا يداهنونهم ويقولون لهم كذباً إن الإسلام جاء بحرية العقيدة والفكر والقول والعياذ بالله من سوء الحال، فبعد أن رسم بعض الصحافيين الدنماركيين الرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ احتجوا بقول هؤلاء المتسترين باسم الإسلام أن الإسلام جاء بحرية العقيدة والتعبير والقول والفكر والعياذ بالله.

وهذا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي يقول في كتاب له سماه «الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان!» ما نصه^(١): «و نحن نعلم أن الإنسان مخير في الدنيا بين أن ينقاد لأمر الله فيعتنق الإسلام أو لا ينقاد لأمره فيبقى على ما هو عليه متبعاً أي دين أو عقيدة يشاء». اهـ

واعجبوا أولاً من اسم هذا الكتاب!

وقال البوطي في كتابه المسمى «حرية الإنسان في ظل عبوديته لله» ما نصه^(٢): «بل إن بوسعه - أي الإنسان - في حياته الدنيا هذه أن يدعن لوجود الله وربوبيته وأن لا يدعن ولن يلحقه - أي الإنسان - من جراء تمرده على هذه الحقيقة أو من جراء إعراضه عن تعليماته وهديه - أي الله - أي عقاب دنيوي عاجل تجد هذا - على زعمه - في مثل قول الله عز وجل: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَمُ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

(١) الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان! (طبعة دار الفكر سوريا الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ هـ ص ٦٨).

(٢) حرية الإنسان في ظل عبوديته لله (طبعة دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ودار الفكر دمشق سوريا الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ ص ٣١)

فَلْيَكْفُرْ ﴿ [سورة الكهف]، وفي قوله عز وجل ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة] «.اهـ

انظروا إلى هذا محمد راتب النابلسي الدمشقي الذي يقول في كتابه المسمى «تأملات في الإسلام» ما نصه^(١) : «ومن هذه الحقوق التي أعلنها الإسلام جهرة، قبل خمسة عشر قرناً، حق الحياة وحق الكرامة الإنسانية وحق التفكير وحق التدين وحق الاعتقاد وحق التعبير».

وممن قال أيضاً بما يسمى «حرية الاعتقاد والفكر والتعبير والقول» المدعو الشيخ إسماعيل المجذوب الحمصي كما يشهد عليه بذلك رجل من آل سعادة وآخر من آل بتكجي وآخر من آل صدقة وآخر حمصي، وذلك في بيته في حمص قرب القلعة، فقال بزعمه: «لا يوجد دليل على أن الرسول قاتل الكفار لإدخالهم في الإسلام»، ف قيل له: «ماذا تقول في قوله عليه الصلاة والسلام الذي في البخاري ومسلم وهو حديث متواتر: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا إلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فأى إكراه أشد وأكبر من القتال لإدخالهم في الإسلام. وماذا تقول في قول الله تعالى: ﴿نُقِنَلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ . يقول: «كلامكم أكبر من عقلي».

ف يجب الحذر من هؤلاء وأمثالهم الذين يحرفون معاني الآيات ويتكلمون بالكفر ويدهنون الكفار مع أن الكفار لا تعجبهم مدهانتهم لهم ويعرفون أنهم يدهنونهم. وقد حذر الله منهم ومن أمثالهم بقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ نُذِرُهُمْ فَيُدْهِنُونَ﴾ [سورة القلم]. فاحذر أخي المسلم من قولهم بحرية العقيدة والفكر والتعبير محتجين بغير حق بهذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فكلامهم باطل لم يقل به أحد من الصحابة ولا السلف ولا أحد من العلماء المعتبرين الذين نقلوا لنا هذا الدين.

فكيف جاء الدين بحرية العقيدة بزعمهم وهناك أكثر من ستين آية جاءت بالوعيد والتهديد بالعذاب الشديد والخلود الأبدي للذين يموتون على الكفر والعياذ بالله؟

(١) تأملات في الإسلام (طبعة دار المكتبي الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٨ هـ ص ٢٤٨).

فقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [سورة البقرة].

فلو كان كما يزعم هؤلاء الجهلة فلماذا خلق الله جهنم؟! قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة].
فأين حرية العقيدة المزعومة مع هذا التهديد والوعيد بجهنم لمن مات على غير الإسلام؟!!

ولماذا أرسل الله تعالى الرسل؟! فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام].
ومعنى الإنذار التهديد والوعيد بالعذاب، فأين ما يسمى حرية التعبير والرأي والفكر والعقيدة مع هذا الوعيد بجهنم؟! بل كان ترك الناس وما هم عليه من عقائد وأفكار ومعتقدات مختلفة فيها أنواع الكفریات والضلالات كما كان أهل الجاهلية الذين بعث إليهم الرسل.

فلو كان كما زعم هؤلاء الدكاترة والمشايخ الذين يداهنون على حساب الشريعة والإسلام ليتقربوا من غير المسلمين توددًا ومداهنة فليجيئوا على هذه الأسئلة لماذا خلقت جهنم ولمن؟ ولماذا التهديد والوعيد في مئات آيات القرآن؟ ولماذا كل هذا التاريخ الحافل بالجهاد في سبيل الله تعالى من الأنبياء والأولياء والصالحين والأمم المسلمة الماضية والأمة المحمدية؟ ولماذا أنزل الله الكتب السماوية تدعو إلى التوحيد والإيمان والإسلام؟ ولماذا خرج النبي بنفسه في سبع عشرة غزوة؟ ولماذا أيد الله نبيه والصحابة الكرام بالملائكة العظام في غزوة بدر؟ ولماذا خرج النبي وأغار على بني المصطلق وهم غارون - أي لا علم لهم - فقتل مقاتلتهم وسبي نساءهم وذريتهم ولم يكونوا في القتال معه بل هو فاجأهم وبدأهم بذلك؟ فلو كان كما زعم هؤلاء المحرفون لدين الله أن الجهاد يكون دفاعا فقط أو لمقاتلة المحاربين

فليجيئوا عن فعل الرسول ﷺ هذا.

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب «العتق» في باب «من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية» قال: (حدثنا علي بن الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا ابن عون قال كتبت إلى نافع فكتب إلى أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية. حدثني به عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش).

فلا دليل بعد هذا أصرح ولا أصح من كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة على جواز قتال الكفار لإدخالهم في الإسلام ابتداءً أو دفاعاً بدليل ما تقدم من البراهين الواضحات والتي لا يخالفها ولا يشذ عنها إلا مبتدع ضال ينطبق عليه ما في صحيح مسلم من قوله ﷺ: «من شذَّ شذَّ إلى النار» وفي رواية «شذ في النار».

الرد المحكم المتين في فضح المنافقين والضالين

ننقل هذا الرد القوي الوافر الكبير الذي كتبه فضيلة الشيخ الأديب أسامة السيد حفظه الله ورعاه في الرد على الدكتور السوري في كتابه الرد العلمي، ولكن هو في الحقيقة رد على كل هؤلاء الذين تقدمت أسماؤهم أمثال القرضاوي وعمرو خالد ومحمد راتب النابلسي ومن كان على منوالهم.

يقول الشيخ السيد في كتابه «الرد العلمي على الدكتور السوري» ما نصه^(١):
يقول الدكتور السوري في كتابه المسمى «الجهاد في الإسلام» ما نصه^(٢): «إن علة الحكم بقتل المرتد هي الحراية أيضاً لا الكفر» اه، ويقول في المصدر نفسه^(٣):
«والجواب إن لتلبس المسلم بالردة حالتين اثنتين: أولاهما أن يمارس شبهاته التي هجمت عليه، أو قناعاته الجديدة بينه وبين نفسه ويمسك عن إعلانها والإشارة

(١) الرد العلمي على البوطي (١/ ١٧٤).

(٢) الجهاد في الإسلام (ص/ ٢١١).

(٣) المصدر السابق (ص/ ٢١٢).

بين الناس فهذا يظل مكلوئًا في حرز حصين من مبدأ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ذلك لأن حالته هذه لا تنم عن أي معنى من معاني الحرابة يواجه بها المسلمين ومن ثم فشأنه كشأن الكافر الأصلي. والثانية أن يستعلن برده عن الإسلام وينافح عن أفكاره المناقضة لما كان عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ويصر على ذلك إصراره، فشأن هذا الإنسان يختلف عن سابقه اختلافاً كبيراً وعزم الحرابة في نفسه واضح إلى درجة القطع واليقين، وهل في أنواع الحرابة ما هو أشد وأخطر من الكيد للإسلام والمسلمين عن طريق بث عوامل الزيف والسعي إلى تشكيك الناس بعقائدهم ومبادئهم الإسلامية» اهـ. وفي إحدى المراسلات التي جرت بيننا وبينه كتب البوطي بخط يده يقول: «راجعنا فلن نجد من قال إن شهادة اثنين بكفر فلان من الناس يقوم في القضاء مقام سماع موجب الكفر منه مباشرة، ومن ثم تكفي تلك الشهادة للحكم عليه بالردة وملاحقته بتنفيذ الحكم الذي تستوجبه الردة... نعم إن شهادة واحد أو اثنين أمام القضاء تستوجب التحري والتحقيق المباشر، فمن هم الذين قالوا إن للقاضي أن يحكم بردة فلان من الناس اعتماداً على شهادة رجلين دون استدعائه والسماع منه» اهـ.

الجواب والرد: نأمل منك يا دكتور ألا تظن لحظة أنك إن لم تكن على اطلاع على مسألة أن لا تظن أنها غير موجودة أو أنه لا أثر لها، ومن المعلوم عند العلماء أن عدم العلم ليس بدليل، ومن علم حجة على من لم يعلم، والأحكام الشرعية لا تبني على النحو الذي ذهبت إليه. وإليك إن كنت لا تعلم فلتعلم الآن مثلاً لثلاث تعود إلى ما ذكرت: وكنا قد أفردنا هذا البحث على حدة لمناسبة أخرى ونعيده هنا تكميماً للفائدة.

قال الدردير المالكي صاحب الشرح الكبير ما نصه^(١): «ثبت الردة أمام القضاء بشهادة رجلين مسلمين عدلين وبهذا قال الحنابلة ومالك والأوزاعي والشافعي والحنفية، وقال ابن المنذر: ولا نعلم أحداً خالف في هذا إلا الحسن قال لا يقبل في

(١) الشرح الكبير (٢/٣٠٤).

إثبات الردة إلا أربعة شهود قياسًا على الزنى، ولكن يرد على الحسن أن الشهادة على الردة شهادة في غير الزنى فتقبل من عدلين كالشهادة على السرقة». اهـ ثم لمزيد من التحري عن الدليل اعلم أن ابن قدامة قال في المغني ما نصه: «وتقبل الشهادة على الردة من عدلين في قول أكثر أهل العلم، وبه يقول مالك والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، قال ابن المنذر ولا نعلم أحدًا خالفهم إلا الحسن قال لا يقبل في الردة إلا أربعة لأنها شهادة بما يوجب القتل فلم يقبل فيها إلا أربعة قياسًا على الزنى»، ثم قال ابن قدامة: «ولنا - أي الحنابلة - إنها شهادة في غير الزنى البكر ولا قتل فيه، وإنما العلة كونه الزنى، ولم يوجد ذلك في الردة. ثم الفرق بينهما أن القذف بالزنى يوجب ثمانين جلدة بخلاف القذف بالردة». اهـ

وأما قولك يا دكتور: إن علة الحكم بقتل المرتد الحراة أيضًا لا الكفر. فنقول: من أين لك هذا وما دليلك وما هي حجتك، وكلامك هذا ظاهر البطلان مخالف لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري في صحيحه. فالرسول علق الحكم بالقتل بردة المرتد، وإن كان المرتد فردًا أو كانوا جمعًا لم يفرق الشرع بين الفرد أو الجماعة، وحرب أبي بكر للمرتدين لم يكن مهاجمة من المرتدين للمسلمين بل هو جيش إليهم الجيش في معاقبتهم وقتل من قتل واستسلم من استسلم بالرجوع إلى الإسلام فهذه محاولة منك لإبطال حكم الردة. ثم ماذا تقول في الحديث الصحيح المتفق عليه الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة» فالنبي ﷺ لم يقل كفر مع حراة، ثم بينا لك أنه انعقد الإجماع على أن الردة تثبت عند القاضي بشهود وعليه يقتل المرتد حتى ولو لم يكن هذا المرتد يجاهر برده كما تزعم فماذا تقول بهذا الإجماع.

ثم الآن اسمع إلى أقوال المذاهب الأربعة في هذا الموضوع ففي المغني لابن قدامة الحنبلي ما نصه^(١): «وروي أن معاذًا قدم على أبي موسى فوجد عنده رجلًا

(١) المغني (١٠/٧٦).

موثقًا فقال: ما هذا؟ قال: رجل كان يهوديًا فأسلم ثم راجع دينه دين السوء فتهود فقال: لا أجلس حتى يقتل، فأمر به فقتل، متفق عليه، ولم يذكر استتابته ولأنه يقتل لكفره». اهـ

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه^(١): «وقد وقع في حديث معاذ أن النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن قال له: «أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها». اهـ

وفي الصحيفة التي قبلها في فتح الباري^(٢) عازيًا إلى أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري، عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون، قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم ءأكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدواً عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلت ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائني بفعلة معهم مرورهم فخذ لهم أخدودًا بين باب المسجد والقصر وقال: احفروا فابعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا فخذف بهم فيها حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمرًا منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا

وهذا سند حسن». اهـ

وهذا دليل صريح على بطلان قول البوطي أن المرتد لا يقتل إلا على وجه الحراية لأن هؤلاء الذين قتلهم علي ما كانوا محاربين بل عبده من شدة غلوهم وإطرائهم له في محبته.

(١) شرح البخاري (١٢/٢٧٢).

(٢) فتح الباري (١٢/٢٧٠).

يؤيد ما ذكرنا ما رواه ابن حبان في صحيحه عن عكرمة، أن علياً أتى بقوم قد ارتدوا عن الإسلام أو قال زنادقة معهم كتب فأمر بنار فأججت فألقاهم فيها بكتهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: أما أنا لو كنت لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب الله» وقال رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه».

وموضع الشاهد قوله: «ولأنه يقتل لكفره» ولم يقل لحرابته. ثم في المغني ما نصه^(١): «(الفصل الرابع) إن لم يتب قتل لما تقدم ذكره وهو قول عامة الفقهاء» اهـ.

ويقول النووي الشافعي في روضة الطالبين الباب الثاني في حكم الردة ما نصه^(٢): «أحكامها كثير متفرقة في الأبواب والمقصود هنا نفسه وولده وماله أما نفسه فمهددة فيجب قتله إن لم يتب» اهـ.

وقال صاحب جواهر الإكليل في شرح مختصر خليل المالكي ما نصه^(٣): «واستتيب المرتد حرّاً أو عبداً ذكراً أو أنثى أي طلبت منه التوبة وجوباً ثلاثة أيام متوالية لأن الله تعالى أخرج قوم صالح ﷺ ثلاثة أيام، وقال ابن القاسم: ثلاث مرات ولو في يوم بلا معاقبة بجوع ولا بعطش وبلا معاقبة بضرب ولا غيره وإن لم يتب، فإن تاب المرتد برجوعه للإسلام فلا يقتل وإلا أي إن لم يتب حتى تمت الأيام الثلاثة بغروب اليوم الثالث قتل» اهـ.

وقال ابن عابدين الحنفي في حاشيته المشهورة ما نصه^(٤): «[ويحبس ثلاثة أيام إن استمهل، فإن أسلم وإلا قُتل] لحديث: «من بدل دينه فاقتلوه» [وإسلامه أن يتبرأ عن الأديان] سوى الإسلام [أو عما انتقل إليه] بعد النطق بالشهادتين، وتمامه في

(١) المغني (٧٨/١٠).

(٢) روضة الطالبين (٧٥٩/١٠).

(٣) جواهر الإكليل في شرح مختصر خليل المالكي (٢٧٨/٢).

(٤) حاشية ابن عابدين (٢٨٦/٣).

الفتح ولو أتى بهما على وجه العادة لم ينفعه ما لم يتبرأ [وكره] تنزيهاً لما مرّ [قتله قبل العرض بلا ضمان] لأن الكفر مبيح للدم» اهـ.

فبعد سرد هذه الأقوال من المذاهب الأربعة قل لنا يا دكتور أين كلمة الحرابة، فهذه الأقوال كلها مدعمة بالأدلة تثبت أن قتل المرتد بسبب الكفر وليس بسبب الحرابة المزعومة عندك. ومن أين لك أن تقسم المرتد إلى قسمين قسم يقتل وقسم لا يقتل.

وإذا أردت أيها القارئ أن تأخذ نموذجاً مما انطوت عليه سريرة البوطي في هذا الشأن في ادعائه بعدم قتل المرتد إن لم يظهر حرباً على المسلمين فاسمع إليه حيث يقول في كتابه «هذه مشكلاتهم»^(١) حيث يدعو إلى احترام الكفر وإلى عدم قتل المرتد إذا لم يظهر حرباً على المسلمين ونص عبارته: «لو كان الذي كتبه سلمان رشدي وجهة نظر علمية أو فكرية عبّر عنها بما يدل على قناعة داخلية لديه بشأنها لكننا أول من يحترم عمله سواء وافقنا في وجهة نظره أم لا» اهـ.

ثم اسمع إليه يقول المصدر ذاته ما نصه^(٢): «ولو كان الذي كتبه رشدي إعلاناً بأنه لم يستطع أن يصل إلى قناعة بالإسلام ومبادئه، ومن ثم فهو يريد أن يمارس حرите في الإعراض عنه إلى أي معتقد آخر يفضله لفسحنا أمامه الطريق عريضاً إلى كل ما يبتغيه خاضعين لقرار الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وكل ما يمكن أن نضيفه إلى ذلك هو فتح باب حوار معه بالحكمة والموعظة الحسنة من خلال الأدلة العلمية والبراهين المنطقية المجردة لا نزيد على ذلك شيئاً ما دام أن الرجل لا يبتغي أكثر من ممارسة حرите ولا يشتط وراء ذلك إلى رسم أي كيد أو عدوان» اهـ.

(١) هذه مشكلاتهم (ص/١٤٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص/١٤٧).

إذًا فما معنى قولك في جريدة السفير^(١): «الحكم بالردة على نصر حامد أبو زيد باطل ومن ثم التفريق بينه وبين زوجته أيضًا باطل، كذلك سلمان رشدي الذي صاغ هذه الرواية لا يجوز إطلاقاً أن نحكم عليه غيابياً أيضًا وأن نهدر دمه» اهـ. نقول: أنت كفرته بعد أن سقت أقواله المفزعة بحق الرسول وأزواجه وبحق الله حتى قلت صراحة في كتاب «هذه مشكلاتهم»^(٢): «إن العالم الإسلامي لم يثر على كفر سلمان رشدي»، ثم قلت: «وإنما ثار العالم الإسلامي على كرامته التي هي كرامة كل فرد مسلم».

أنت يا دكتور هدرت دم سلمان رشدي بحسب ضوابط الردة التي وضعتها وهي إعلانه الحراية على المسلمين فلماذا هذا التناقض؟ فأنت تريد أن تحمل على فتوى رشدي ومن جهة أخرى تحكم عليه بالقتل بحسب ضوابطك.

ألم تعلم أنه قد ثبت أن أسامة بن زيد قتل رجلاً قال لا إله إلا الله فقال له النبي ﷺ: «كيف تقتله وقد قال لا إله إلا الله» فقال: قالها خوفاً من السيف فقال: «أشقت على قلبه» الحديث... فالنبي لم يقل له هل أعلن عليك الحرب حتى تقتله.

ثم ماذا تقول في الآية الكريمة: ﴿نُقَلِّبُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [سورة الفتح]، وفي وصية النبي ﷺ إذا أمر أميراً بالجهاد: «قاتلوا من كفر بالله» رواه مسلم في صحيحه. وفيه دليل صريح على أن سبب مشروعية القتال هو كفرهم.

ثم ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة التوبة] ما ادعيته من أن الحراية هي سبب الجهاد، وأنه لا جهاد إلا مع الحراية، وأن المرتد لا يقتل إلا إذا حارب؟! وأيضاً ما ورد في الحديث أن عيسى عليه السلام حين ينزل يضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام فيه دليل على أن المقصود الأصلي من الجهاد. إدخال الناس في الإسلام.

(١) جريدة السفير بتاريخ الجمعة ١٥/١١/٩٦ (ص ٨).

(٢) هذه مشكلاتهم (ص ١٥١).

واعلم يا بوطي أن الآية السابق ذكرها نزلت في حروب الردة وأول الآية: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ فقد نقل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن^(١) عن الزهري ومقاتل أنهم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة.

وقال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية في ما مضى: ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم، وقال القرطبي^(٢) في قوله تعالى: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾: «هذا حكم من لا تؤخذ منهم الجزية وهو معطوف على تقاتلونهم أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة وإما الإسلام».

وأما استدلال البوطي بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ زاعماً أن معناه للإنسان حرية أن يعتقد ما شاء كما أفاد كلامه فهذا تحريف، إذ الآية معناها لا تُكرهوا أهل الكتاب بالقتال إن دفعوا الجزية، وقال بعض المفسرين: المعنى أنكم لا تستطيعون أن تُكرهوا قلوب الكفار وعليكم إكراه الظاهر بالقتال. وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في شرح التأويلات: هذه الآية منسوخة بآيات الجهاد كآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا﴾ [الآية [سورة الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة] وما أصرح الحديث المتواتر في أن الآية لا تعطي حرية ولا حرية الاعتقاد كما زعم البوطي وغيره من أهل هذا العصر وهو قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أولاً إلا لله وأن محمداً رسول الله»، الحديث رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وغيرهما.

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة الكهف] فهو تهديد وليس إذناً للناس في حرية الكفر بدليل آخر الآية وهو ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [سورة الكهف]، والمعنى من آمن فقد أحسن ومن كفر فهو

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ٢٧٢).

(٢) القرطبي [١٤].

مستحق للعذاب المقيم في النار، يُفهم ذلك من قوله تعالى في الآية ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [سورة الكهف] ومعناه من كفر يقيم في جهنم في العذاب المستمر، وأن أهل النار محفوفون بالنار من كل الجوانب، فأى معنى للجهاد على زعمك لو كان لكل إنسان حرية المعتقد كما زعمت.

ومعلوم أن لفظ الأمر قد يكون للتهديد لا لطلب الفعل، وقد ذكر الأصوليون أن لفظ الأمر يأتي بمعنى الخبر ويأتي بمعنى التهديد، ومثال الأمر بمعنى الخبر قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [سورة مريم]، والمعنى يمد له. قضيت عمرك ولم تعلم ذلك، أم علمت وتعمدت تحريف كتاب الله، نطالبك بأن تجيب عن قول الله تعالى: ﴿نَقُولُوا لَهُمْ أَوْ لِيُقَالُوا﴾ [سورة الفتح] ولم يقل حتى يتركوا المحاربة، فإننا نتحداك تحدياً علنياً فإنك لن تستطيع الجواب على هذا جواباً علمياً صحيحاً.

حذق النظر حتى تفهم لعلك إذا حذقت النظر في هذه الجملة تفهم، حذق النظر في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ .
قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [سورة البقرة].

معناه أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مؤمناً ومُصدقاً بقلبه تصديقاً جازماً لا ريب فيه أن الله تبارك وتعالى قادر على إحياء الموتى وإعادة الخلق يوم القيامة، فسأل الله تعالى أن يُريَه كيف يُحيي الموتى بعد موتهم، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَأَنَا مُؤْمِنٌ﴾ أي أنا مؤمن غير شاك ولا مُرتاب ولكن تاقت نفسي لأن أرى بعيني ليطمئن قلبي ويزداد يقيني، فمعنى قول إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي ليطمئن قلبي بإجابة طلبي، لأنه من الجائز أن يعطي الله تعالى بعض الأنبياء جميع ما طلب أو أن يعطيه بعض ما طلب ولا يعطيه بعضاً، فسيدنا محمد ﷺ الذي هو أشرف خلق الله وأكرمهم على الله ما أُعطي جميع ما

طلب، بل أعطي بعض ما طلب ومنع بعض ما طلب، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ما كان جازماً وقاطعاً في نفسه بأن الله يعطيه ما سأل، ولكنه كان مؤمناً بأن الله تبارك وتعالى قادرٌ على ذلك، ولكن كان عنده احتمال أن الله يريه كيف يحيي الموتى واحتمال أنه لا يريه، فأجاب الله تبارك وتعالى سؤال إبراهيم عليه السلام وأمره أن يأخذ أربعةً من الطير ويتعرف إلى أجزائها ثم يفرقها أشلاء وأجزاء ويجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم يدعوهن إليه فيأتيه سعيًا بإذن الله، فلما فعل إبراهيم خليل الرحمن ما أمره الله تعالى، صار كلُّ جزء ينضم إلى مثله وعادت الأشلاء والأجزاء كما كانت وأعاد الله الروح إلى كل طائر، ورجعت الطيور الأربعة بقدرة الله ومشيتها إلى إبراهيم عليه السلام، وهو يرى آيات الله البينات وءاثار قدرته العظيمة التي تدل أنه تعالى لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماوات فتبارك الله.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»^(١): «وأما حديث النبي ﷺ «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فقال المزني: لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم عليه السلام في أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وإنما شكنا أن يجييهما إلى بعض ما سألاه. وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس وليس في قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم صلى الله عليه وسلم، لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما، فإنه يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتب في قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى، فإبراهيم عليه السلام أولى بأن لا يشك فيه ولا يرتاب^(٢)، وفيه الإعلام أن المسألة من قبل إبراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الإحياء» اهـ.

فليحذر من تفسير فاسد يتناقله بعض الناس أن سيدنا إبراهيم عليه السلام شك في قدرة الله، وهذا لا يليق بنبي من الأنبياء كما أنه لا يقول به مسلم قط.

(١) الأسماء والصفات (الطبعة الأولى ١٩٨٥ دار الكتاب العربي، الجزء الثاني ص ٢٧٦).

(٢) تفسير الخازن (١/١٩٢).

فقد انعقد إجماع المسلمين على أن من شك في قدرة الله على كل شيء كفر، فكيف ينسب إلى نبي من الأنبياء الكفر والعياذ بالله؟! نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»^(١)، عن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي أنه قال: «جده صفة القدرة كفر اتفاقاً» اهـ. ويدخل في هذا أيضًا من شك في قدرة الله تعالى على كل شيء.

أمّا القرضاوي فيقول والعياذ بالله في المجلة المسماة «مناهج تقريبيية»^(٢) عن الرجل الذي ذكر في الحديث الذي رواه البخاري أنه قال: «لئن قدر الله عليّ»: «وإنما أدركته رحمته لجهله وإيمانه بالله والمعاد ولذلك خاف العقاب وأما جهله بقدرة الله تعالى على ما ظنه محالاً فلا يكون كفرًا إلا لو علم أن الأنبياء جاؤوا بذلك». وقال في كتابه المسمى «الصحوة الإسلامية» ما نصه^(٣): «حديث الذي أوصى أن يحرق ثم يذرى في يوم شديد الرياح نصفه في البر ونصفه في البحر حتى لا يقدر الله عليه ثم يعذبه. وأما جهله بقدرة الله على ما ظنه محالاً فلا يكون كفرًا وهذا الحديث أرجى حديث لأهل الخطأ والتأويل».

فهذا كلام فاسد باطل يردّه إجماع المسلمين الذي نقلناه من قبل.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (طبعة دار الريان سنة ١٤٠٧ ر الطبعة الأولى الجزء السادس ص ٦٠٤).

(٢) مناهج تقريبيية (العدد ١٤ ص ١٠٢).

(٣) الصحوة الإسلامية (ص ١٠٨).

قال الله تعالى:

﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾

[سورة البقرة]

روى الإمام أحمد في مسنده أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لَمَمٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ فَبَرِيٌّ.

ففي هذا الحديث دليل على أن الشيطان يستطيع أن يدخل في أجساد بعض الناس، بقول النبي ﷺ «أَخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ»، معناه كان الشيطان داخل هذا الصبي فخرج. وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال «إِذَا تَغَابَ أَحَدُكُمْ فليَمْسِكْ بيده على فيه فإن الشيطان يدخل».

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ذَكَرَ رَجُلٌ عند النبي ﷺ نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، فَقَالَ ﷺ: «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالُ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ». قال ابن الجوزي في «كشَفِ مُشْكَلِ الصَّحِيحِينَ» في ما نقله ابن مفلح في «مصائب الإنسان»^(١): «إنه على ظاهره، وفي القراء أن الشيطان يَنْكِحُ، قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، وقال ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾، وفي الحديث في صحيح مسلم أنه يأكل ويشرب، فلا يمتنع أن يكون له بول وإن لم يظهر في الحس». وروى البخاري ومسلم أيضًا أن النبي ﷺ قال «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم».

وروى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسُّه حين يولد، فيستهلُّ صارخًا من مسِّ الشيطان إلا مريم وابنها». وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصيبهم ذلك. قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(٢): «الثانية عشرة: في

(١) مصائب الإنسان (ص ٧٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الثالث ص ٣٥٥).

هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطباع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد مضى الرد عليهم في ما تقدم من هذا الكتاب» اهـ.

وقال المفسر أبو حيان الأندلسي في «النهر الماد»^(١): «الظاهر أن الشيطان يتخبَّط الإنسان حقيقةً» اهـ.

وقال أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان»^(٢): «يعني بذلك: يتخبَّله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يخنُّقه فيصرِّعه» اهـ.

وقال البغوي في تفسيره «المسمى معالم التنزيل»^(٣): «يقال: مُسَّ الرجلُ فهو ممسوسٌ، إذا كان مجنوناً» اهـ.

وليس كما ادَّعى بعض دجاجلة هذا العصر في الفضائيات من أن الشيطان لا وجود له بين الإنس وأنه لا يستطيع أن يدخل في أجساد بعض الناس وأن الشيطان عبارة عن الميكروبات والجراثيم قاله محمد رشيد رضا، والعياذ بالله تعالى من الكذب على الله وعلى كتابه وعلى دينه.

فتبين أن ما قاله أحمد طالب المفتي الجعفري في قناة «الجديد» اللبنانية من أن الجن لهم عالم خاص لا يُخالطون الإنس ومن أن الجنى لا يدخل في الإنسي، كلام باطل مردود معارض لما مرَّ من الآيات والأحاديث ونصوص علماء الأمة الإسلامية، والحق أحق أن يُتَّبَع.

(١) النهر الماد» (١/ ٢٧٥).

(٢) جامع البيان» (٦/ ٨).

(٣) المسمى معالم التنزيل» (١/ ٣٤٠).

قال الله تعالى :
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾

[سورة البقرة]

التقوى هي أداء الواجبات واجتناب المحرمات، ومن جملة الواجبات تعلمُ القدر الضروري من علم الدين، فلا يكون العبد من المتقين ما لم يتعلم ما فرض الله على عباده معرفته من علم دينه، فلا يكون متقيًا مهما أتعب نفسه في العبادات وجاهد نفسه بتحمل مشقات العبادة وكَفَّهَا عن هواها، ويغتر بعض الناس بحديث «من عمل بما عِلِمَ ورَّثه الله علم ما لم يعلم». هذا الحديث ضعيف الإسناد، على أن معناه ليس كما يزعمون فإن معناه: من تعلم ما هو فرض عليه وعمل بذلك أعطاه الله من العلم الموهوب وهو العلم اللدني، وهذا العلم غير مكتسب وهو حرامٌ على من تقاعس عما افترض الله عليه.

والحجة في إثبات ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾، دلَّت الآية على أن من اتقى الله تعالى هو مَنْ يُرَزَقُ هذا العلم، أما مَنْ لم يكن من المتقين فليس من أهل هذه الآية، فالعلم الموهوب هو العلم اللدني الذي يُرزقه الأتقياء من غير تعلم له، كعلم تأويل المنام والدراية في أمور المعارك الذي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه باع طويل به.

أكثر المتصوفة على هذه الحال لا يطلبون العلم الشرعي إلى القدر الكافي، إنما يميلون إلى الإكثار من الذكر فهؤلاء لا يصيرون من أولياء الله مهما تعبوا ومهما صَحِبُوا من أولياء الله ومهما خدموهم لا يصيرون من الصالحين إلا إذا أتتهم نفحة فيتعلمون ويجدّون في العمل وهؤلاء من أهل العناية وأمّا الذين بقوا على ما هم عليه من الجهل وظنوا أنهم يصلون إلى الله بالذكر ومحبة الأولياء فهم مخدوعون. ومن أحوالهم الفاسدة أن الشياطين ليوحون لهم منكر القول وفساد الاعتقاد فيقولون حدثني قلبي عن ربي.

قال الإمام المفسر اللغوي النحوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط»، عند شرحه لهذه الآية ما نصه^(١) : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَيُّ فِي تَرْكِ الضَّرَارِ، أَوْ فِي جَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ﴾. ثم قال: «وقيل: معنى الآية الوعد، فإن من اتقى علمه الله، وكثيراً ما يتمثل بهذه بعض المتطوعة من الصوفية الذين يتجافون عن الاشتغال بعلوم الشريعة، من الفقه وغيره، إذا ذكر له العلم والاشتغال به، قالوا: قال الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَيُّ فِي تَرْكِ الضَّرَارِ، أَوْ فِي جَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ﴾. ومن أين تُعرف التقوى؟ وهل تُعرف إلا بالعلم؟» اهـ.

وليحذر من قول بعض جهلة الصوفية أن الذي يكثر من ذكر الله وصلاة النافلة أنه يستغني بهذه الأعمال عن العلم الديني الضروري، وهذا كلام فاسد لم يقل به أحد من العلماء، فهذا رسول الله ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجه والبيهقي.

قال القاضي الفقيه عبد الواحد بن إسماعيل الروياني (ت ٥٠٢هـ) في كتابه «بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي»^(٢) شارحاً لهذا الحديث: «أراد به علم ما لا يسع جهله» اهـ.

كما فصل أبو حامد الغزالي في ما يجب وجوباً عينياً على كل مكلف تعلمه من علم الدين في كتابه «إحياء علوم الدين»^(٣).

وقال الإمام العلامة جمال الدين أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ في كتابه «مفيد العلوم ومبيد الهموم» ما نصه^(٤) : «الباب الثاني في فرض العين: إن الفرائض الواجبة على العباد على قسمين، منها ما هو فرض عين وتفسير فرض

(١) البحر المحيط (دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، الجزء الثاني ص ٣٥٤).

(٢) بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي (الجزء الثالث عشر طبعة دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٢٣هـ ص ٢٣٧).

(٣) إحياء علوم الدين (طبعة دار الكتب العلمية الجزء الأول ص ٢٥).

(٤) مفيد العلوم ومبيد الهموم (طبعة المكتبة العصرية ص ٦١).

العين، أنه يجب على كل آدمي خاص وعام أمير ووزير، وحر، وعبد، وشيخ، وشاب مسلم، وكافر. فعلى مذهب أهل السنة والجماعة أن الكفار مخاطبون بالشرائع فرضًا واجبًا على العامة والخاصة ولجميع الناس كافة ففرض العين ما يجب على كل مكلف ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض وذلك كعرفة الله تعالى أنه حي قادر مرید، له (أي سبحانه) بعثة الأنبياء من غير وجوب عليه وأنه بعث رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة فطاعته فريضة وشريعته مؤيدة من الله أنه نبي في قبره رسول في روضته كما في حياته، ما بطلت رسالته ولا تراخت نبوته، فعرفة فرض العين أركان الشريعة من الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وشرائط المعاملات إن كان تاجرًا وأحكام النكاح إن كان متأهلًا وأحكام الوزارة والإمارة إن كان أميرًا. فيجب على كل واحد أن يعلم أن فرض عينه في اليوم واللييلة سبع عشرة ركعة من الصلاة وأركانها كذا وكذا ويعرف عددها وشرائطها وكذا كيفية الزكاة ومقاديرها كم يجب وفي أي مال تجب فيه ومتى وجبت وإلى من يجب دفعها. وكذا الصيام في شهر رمضان كم أركانه وما يصححه وأي شيء يبطله ومعرفة أركان المناسك والحج فرض عين ويجب على الأمير والرئيس أن يعرف حقوق الرعية وشرط السياسة واللطف في موضعه وكيفية استيفاء الحقوق ونصرة المظلوم والجري على منهاج السياسة، والسوقي يجب عليه أن يعرف الأشياء التي يحرم بيعها والشروط الفاسدة إلى غير ذلك، وكل من يتولى أمرًا يجب عليه فرض عين أن يحصل لنفسه علم ذلك الشيء من الحلال والحرام الذي لا يسعه جهله ومن تركها وغفل عنها فلا يعذر في القيامة ويسأل عنه حرقًا حرقًا ويجازى عليه ألفًا ألفًا اهـ.

وقال الإمام الحافظ الفقيه شيخ الإسلام ومجدد عصره الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الحبشي العبدري رضي الله عنه في كتابه «عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب» ما نصه^(١): «قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه البيهقي وحسنه الحافظ المزي كما قال الحافظ السيوطي في رسالته المسماة

(١) عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب (الطبعة الثانية سنة ١٤٣٠هـ ص ٢٠).

«التنقيح في مسألة التصحيح» وصححه وحسنه أيضًا في كتابه «تدريب الراوي»^(١).
والمراد بالعلم في هذا الحديث علم الدين الضروري الشامل لمعرفة الله ومعرفة
رسوله وغيرهما من ضروريات الاعتقاد والشامل أيضًا لمعرفة أحكام الصلاة والطهارة
شروطًا وأركانًا ومبطلات وغيرهما من ضروريات علم الدين» اهـ.

(١) تدريب الراوي (ص ٣٥٠).

قال الله تعالى:
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[سورة البقرة]

إن كثيراً من الجهال أخذوا هذه الآية حجة وذريعة لهم في كثير من أمور التكليف، فمثلاً الواحد منهم إن كان مريضاً يشق عليه أن يُصلي قائماً، يقول (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ويترك الصلاة بالمرة، وليس هذا معنى الآية، فإن كان عاجزاً عن الصلاة قائماً يصلي قاعداً ولا يجوز له أن يترك الصلاة، ومن كان عاجزاً عن الصلاة قاعداً يجب عليه أن يصلي مستلقياً بشروط ذكرها الفقهاء ولا يجوز له أن يترك الصلاة، وهكذا من كان مسافراً في الطائرة أو في السيارة لا يجوز له أن يصلي الفرض قاعداً وهو قادرٌ على القيام، في الطائرة، يصلي مستقبلاً القبلة لا كيفما كان، ومن في السيارة أو في الباص ينزل ويستقبل القبلة ويصلي، ولا يجوز له أن يترك الصلاة أو أن يصلي إلى غير جهة القبلة محتجاً بهذه الآية ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، ومن فعل ذلك لم تصح منه الصلاة ولم تبرأ ذمته.

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال لعمران بن الحصين (صَلِّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فمضطجعًا)، وشاع استعمال هذه الآية في غير موضعها فإذا بكثير من الجهلة يتركون الواجبات ويتقاعسون عن الفرائض والطاعات وليست الآية حجة لهم ولا تعطي المعنى الذي زعموه، فترك هؤلاء الجهال كثيرًا من الأحكام كان سببًا في هلاكهم، وما ذلك إلا لتكبرهم عن طلب العلم والتعلم، ومن لم يتعلم ما فرض الله عليه من أمور الدين يكون تائها ضائعًا لا يضمن صحة صلاته وصيامه وعبادته، فنسأل الله السلامة والنجاة والمعافة والتوفيق والسداد.

قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه «زاد المسير» ما نصه^(١) : «الوسع الطاقة، قاله ابن عباس وقتادة». ثم قال: «فأما تكليف ما يستحيل من المكلف لا كفقد الآلات فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في علم الله القديم أنه لا يؤمن فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعًا - أي مستحيلًا - كان السؤال عبثًا، وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [سورة الكهف]. وقال ابن الأنباري: المعنى، لا تُحَمِّلْنَا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له» اهـ.

وأما قول الله تعالى: ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن]. فقد قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع

(١) زاد المسير (طبع المسمى المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ الجزء الأول ص ٣٤٦).

لأحكام القرآن» ما نصه^(١): «فاتقوا الله ما استطعتم فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه في ما جعل فتنه لكم من أموالكم وأولادكم أن تغلبكم فتنتهم، وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام؛ فتركوا الهجرة ما استطعتم؛ بمعنى وأنتم للهجرة مستطيعون. وذلك أن الله جل ثناؤه قد كان أعذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ مَالَكُمُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾. فأخبر أنه قد عفا عن من لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً بالإقامة في دار الشرك؛ وكذلك معنى قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ في الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام أن تتركوها بفتنة أموالكم وأولادكم. ومما يدل على صحة هذا أن قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ عقيب قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾

ولا خلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتشبيط أولادهم إياهم عن ذلك؛ حسب ما تقدم. وهذا كله اختيار الطبري. وقيل: فاتقوا الله ما استطعتم في ما تطوع به من نافلة أو صدقة؛ فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقبيهم وتفرحت جباههم، فأنزل الله تعالى تخفيفاً عنهم (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الأولى؛ قاله ابن جبير. قال الماوردي: ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المكروه على المعصية غير مؤاخذ بها؛ لأنه لا يستطيع اتقاءها» اهـ.

قال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه^(٢): «قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه،

(١) الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى الجزء الثامن عشر ص ١٤٤ - ١٤٥).

(٢) طبعة دار الجيل - بيروت، المجلد الثاني عشر (٨٢/٢٨).

وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم
وبلغه وسعكم» اهـ.

قال الله تعالى:

﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾

[سورة آل عمران]

المكر من الخلق خُبثٌ وِخْدَاعٌ لا يصلح الضرر إلى الغير باستعمال حيلة، وأمّا من الله تعالى فهو مُجازاةُ الماكرين بالعقوبة من حيث لا يدرون. وبعبارة أخرى إنّ الله أقوى في إيصال الضرر إلى الماكرين من كل ماكر، جزاءً لهم على مكرهم، أما المكر بمعنى الاحتيال فهو مستحيل على الله.

قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»^(١): «قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ ، قال الزجاج: المكر من الخلق: خبث وِخْدَاعٌ، ومن الله عز وجل: المجازاة، فسُمِّيَ باسم ذلك، لأنه مجازاة عليه، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ اهـ. أي أن الله يجازيهم على استهزائهم بالمؤمنين فينتقم منهم.

في هذه الآية أسند الله إلى نفسه المكر، ومكر الله ليس كمكر العباد، مكر الإنسان أن يُحاول إيصال الضرر إلى إنسانٍ بطريقةٍ خفيةٍ يحتاج فيها إلى استعمال بعض الحيل، أما مكر الله فليس هكذا، مكر الله هو إيصال الضرر إلى من يشاء من عباده من حيث لا يعلم ذلك العبد ولا يظن ولا يحتسب أن الضرر يأتيه من هنا.

فمكر العبد مذمومٌ أما مكر الله لا يُذمُّ لأنَّ الله لا يجوز عليه الظلم، لا يكون ظالماً إن انتقم من عباده الظالمين بما شاء.

يكفر من يسمي الله «ماكرًا» لأنه لا يدل على المدح والكمال، فلا يؤخذ الماكر

(١) زاد المسير (الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ، الجزء الأول ص ٣٩٥).

اسما لله من هذه الآية كما ظنّ بعض الكفار ولا تعطي هذا المعنى بالمرة.

قال الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

[سورة آل عمران].

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١) : «قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ : ونظيره قوله تعالى حكاية عنه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي متمم عمرك فحينئذ أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن».

ثم نقل الرازي عن بعض المفسرين^(٢) قالوا: «إن قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يقتضي أنه رفعه حيًّا، والواو لا تقتضي الترتيب، فلم يبق إلا أن يقول فيها تقديم وتأخير والمعنى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا ومثله من التقديم والتأخير كثير في القرآن. والمراد بقوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي إلى محل كرامتي وجعل ذلك رفعا إليه للتفخيم والتعظيم، ومثله قوله ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [سورة الصافات]، أي إلى طاعة ربي، أي إلى حيث وجَّهني ربي، إلى مكانٍ أمرني الله أن أذهب إليه، وإنما ذهب إبراهيم عليه الصلاة والسلام من العراق إلى بَرِّ الشام لأنه عرف، بتعريف الله إياه، أن الشام مهبط الرحمات وأن أكثر الوحي يكونُ بالشام وأن أكثر الأنبياء كانوا بها، وقد يقول السلطان ارفعوا هذا الأمر إلى القاضي، فكذا ههنا» اهـ.

ومثل ذلك قال القرطبي في تفسيره^(٣) «الجامع لأحكام القرآن» سنة ١٣٧٣ هـ في شرحه لهذه الآية.

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد الرابع الجزء ٨ ص ٦٠).

(٢) (ص ٦١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٣ هـ).

ومن أمثلة التقديم والتأخير في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [سورة الأعلى]، ومعروف أن النبات يكون أولاً طرياً أخضر اللون ثم يجف وييبس، وأما الآية ففيها ﴿غُثَاءً﴾ أي يابساً، ثم جاء فيها ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ أي أخضر، والمعنى أنه بعد الخضرة يجف وييبس لكن التقديم والتأخير من أساليب البلاغة.

وليس صحيحاً أن عيسى عليه الصلاة والسلام عندما رُفِعَ إلى السماء كان ميتاً ثم أحياه الله في السماء، هذا كذب يجب الحذر منه، وقال القرطبي في تفسيره عن هذا القول: «وهذا فيه بعد». اهـ.

وليس صحيحاً أنه رفع نائماً، بل الصحيح والمعتمد أنه رفع إلى السماء حياً يقظان، وهذه معجزة عظيمة له عليه الصلاة والسلام.

ومن سخافة عقول الوهابية أنهم احتجوا بهذه الآية على أن الله تعالى في السماء ورفع عيسى «حقيقة» إليه، وهذا من أسخف السخافات، لأن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض والجهات كلها، يعني كان موجوداً قبلها، فعلى زعم ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وابن باز ومحمد خليل هراس ومحمد العريفي الوهابية، أن الله تعالى بذاته حقيقة في السماء ورفع المسيح حقيقة إليه، فعلى زعمهم أين كان الله قبل أن كان قبل أن يخلق السماء؟! وإن كان كما زعموا فقد جعلوا الله تعالى مع المسيح في السماء الثانية حقيقة، وعلى قولهم هذا فقد جعلوا الله تحت أقدام الملائكة الذين في السماء الثالثة، وجعلوا الله تعالى جسماً تحاصره السماوات، وجعلوا الله محتاجاً إلى خلقه، وجعلوا الله متغيراً متطوراً متبدلاً عاجزاً ضعيفاً يتغير من حال إلى حال، والتغير أكبر علامات الحدوث، وتنزه الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإليك نصوص عباراتهم التي تدل على جهلهم العريض.

يقول شيخ المجسمة والمشبهة أحمد بن تيمية الحراني في كتابه المسمى «بيان تلبيس الجهمية»^(١): «قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

(١) بيان تلبيس الجهمية (في الجزء الرابع من طبعة المملكة العربية السعودية وزارة ما يسمى الشؤون=

وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إليه إلى السماء» اهـ.
ويقول تلميذه الذي جمع كتبه وعقيدته المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع
الأمة ابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «نونية ابن قيم» مع شرح الوهابي العنيد
محمد خليل هراس عليها ما نصه^(١) : «وإليه رفع المسيح حقيقة ولسوف ينزل
كي يرى بعيان» اهـ. هذا الوهابي المجسم محمد خليل هراس يقول شارحاً لهذا
البيت مفترياً على الله ودينه وأهل السنة والجماعة: «هذا من جملة كلام أهل السنة
والجماعة في إثبات الفوقية لله عز وجل على الحقيقة حيث أخبر سبحانه أنه رفع
عيسى عليه السلام إليه بجسده وروحه حياً كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ إِنِّي
مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ اهـ

وقال مثل ذلك ابن باز مفتي الوهابية مستشهداً بهذه الآية بزعمه في إثبات الجهة
لله تعالى، ذكر ذلك في موقعه الرسمي على الإنترنت.
ومثل ذلك قال الوهابي محمد العريفي المجسم ناقلاً عن ابن باز كذلك في موقعه
الرسمي على الإنترنت.

وهكذا قال تابعهم عبد الهادي حسن وهبي في كتابه المسمى «غاية البيان في
إثبات علو الرحمن» طبعة ما يسمى جمعية السراج المنير الطبعة الأولى.
ومن عجيب تناقضاتهم أنه وافقهم في هذه العقيدة ثم كفرهم عليها فهو قال في
هذا الكتاب ما نصه^(٢) : «وليس المراد بأن السماء تحصر الرب وتحويه كما تحوي
الشمس والقمر وغيرهما فإن هذا لا يقوله مسلم ولا يعتقد عاقل» اهـ.
فكيف يتفق هذا مع قول ابن قيم «إن الله رفع المسيح إليه حقيقة»؟
فهم متناقضون يكفر بعضهم بعضاً.

وقول ابن قيم ومن وافقه إن الله حقيقة في السماء الثانية، يؤدي إلى أن الله محصور

= الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة

(١) نونية ابن قيم (طبعة مطبعة الإمام مصر ص ٧٠).

(٢) غاية البيان في إثبات علو الرحمن (ص ٢٧).

بلا شك، وقد كفرهم الإمام جعفر الصادق على ذلك. قال رضي الله عنه: «من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً، ولو كان على شيء لكان محمولاً». رواه القشيري في الرسالة القشيرية^(١). قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا﴾. فهل الله بزعمكم يكون طاوياً ومطوياً في آن واحد. فلا مفر ولا مهرب للوهابية وأئمتها من الكفر والضلال إلا بأن يتركوا ما هم عليه ويرجعوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة من التنزيه والتوحيد.

فائدة عظيمة النفع في تنزيه الله عن الجهة والمكان

الله تعالى غَنِيٌّ عن العالمين أي مُسْتَعْنٍ عَن كُلِّ ما سِوَاهُ أَزْلاً وَأَبْداً فَلَا يَحْتَاجُ إلى مَكَانٍ يَتَحَيَّزُ فِيهِ أو شَيْءٍ يَحُلُّ بِهِ أو إلى جَهَةٍ لَأَنَّهُ لَيْسَ كَشَيْءٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ لَيْسَ حَجْماً كَثِيفاً ولا حَجْماً لَطِيفاً والتَحَيُّزُ من صفاتِ الجِسْمِ الكَثِيفِ واللَطِيفِ فَالجِسْمُ الكَثِيفُ والجِسْمُ اللَطِيفُ مَتَحَيِّزٌ فِي جَهَةٍ وَمَكَانٍ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) [سورة الأنبياء] فأثبت الله تعالى لكل من الأربعة التحيز في فلكه وهو المدار.

ويكفي في تنزيه الله عن المكان والحيز والجهة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى] لأنه لو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاداً طول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان محدثاً محتاجاً إلى من حده بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق، هذا الدليل من القرآن.

أما من الحديث فما رواه البخاري وابن الجارود والبيهقي بالإسناد الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، ومعناه أن الله لم يزل موجوداً في الأزل ليس معه غيره لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كُرْسِيٌّ ولا عَرْشٌ ولا

(١) الرسالة القشيرية (طبعة دار الجيل بيروت سنة ١٤١٠هـ الطبعة الثانية ص ٤٦).

إِنْسٌ وَلَا جِنَّ وَلَا مَلَائِكَةٌ وَلَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ وَلَا جِهَاتٌ، فَهُوَ تَعَالَى مَوْجُودٌ قَبْلَ الْمَكَانِ
بِلا مَكَانٍ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَانَ فَلَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَهَذَا مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ
الْمَذْكُورِ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ»: «اسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي نَفْيِ
الْمَكَانِ عَنْهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ
دُونَكَ شَيْءٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَلَا دُونَهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي مَكَانٍ» اهـ.
وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ الرَّدُّ أَيْضًا عَلَى الْقَائِلِينَ بِالْجِهَةِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ» رَوَاهُ أَبُو مَنْصُورٍ
الْبَغْدَادِيُّ.

وَلَيْسَ مِحْوَرُ الْإِعْتِقَادِ عَلَى الْوَهْمِ بَلْ عَلَى مَا يَفْتَضِيهِ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ السَّلِيمُ الَّذِي
هُوَ شَاهِدٌ لِلشَّرْعِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَحْدُودَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ حَدَّهُ بِذَلِكَ الْحَدِّ فَلَا يَكُونُ إِلَهًا.
فَكَمَا صَحَّ وَجُودُ اللَّهِ تَعَالَى بِلا مَكَانٍ وَجِهَةٍ قَبْلَ خَلْقِ الْأَمَاكِينِ وَالْجِهَاتِ فَكَذَلِكَ
يَصِحُّ وَجُودُهُ بَعْدَ خَلْقِ الْأَمَاكِينِ بِلا مَكَانٍ وَجِهَةٍ، وَهَذَا لَا يَكُونُ نَفْيًا لَوْجُودِهِ تَعَالَى كَمَا
زَعَمَتِ الْمَشْبُهَةُ وَالْوَهَابِيَّةُ وَهِيَ الدُّعَاةُ إِلَى التَّجْسِيمِ فِي هَذَا الْعَصْرِ.
وَحُكْمُ مَنْ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَكَانٍ أَوْ فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِينِ» التَّكْفِيرُ إِذَا
كَانَ يَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ مُنْبَثٌّ أَوْ حَالٌّ فِي الْأَمَاكِينِ، أَمَا إِذَا كَانَ يَفْهَمُ
مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّهُ تَعَالَى مُسَيِّطِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَعَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَكْفُرُ، وَهَذَا
قَصْدُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَلْهَجُ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَيَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، لِأَنَّهُمَا
لَيْسَتَا صَادِرَتَيْنِ عَنِ السَّلَفِ بَلْ عَنِ الْمَعْتَزِلَةِ ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُمَا جَهْلَةُ الْعَوَامِّ.

وَنَرَفَعَ الْأَيْدِي فِي الدُّعَاءِ لِلسَّمَاءِ لِأَنَّهَا مَهْبِطُ الرَّحْمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَلَيْسَ لِأَنَّ اللَّهَ
مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ فِي السَّمَاءِ، كَمَا أَنَّنَا نَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
أَمَرَنَا بِذَلِكَ وَلَيْسَ لِأَنَّ لَهَا مِيزَةً وَخُصُوصِيَّةً بِسُكْنَى اللَّهِ فِيهَا.

ويكفر من يعتقد التحيز لله تعالى، أو يعتقد أن الله شيء كالهواء أو كالنور يملأ مكاناً أو غرفةً أو مسجداً ويردُّ على المعتقدين أن الله متحيزٌ في جهة العلوِّ ويقولون لذلك تُرفع الأيدي عند الدعاء بما ثبت عن الرسول أنه استسقى أي طلب المطر وجعل بطن كفيه إلى الأرض وظهرهما إلى السماء وبأنه ﷺ نهى المصلي أن يرفع رأسه إلى السماء، ولو كان الله متحيزاً في جهة العلوِّ كما تظنُّ المشبهة ما نهانا عن رفع أبصارنا في الصلاة إلى السماء، وبأنه ﷺ كان يرفع إصبعه المسبحة عند قول «إلا الله» في التحيات ويحنيها قليلاً فلو كان الأمر كما تقول المشبهة ما كان يحنيها بل يرفعها إلى السماء وكلُّ هذا ثابت حديثاً عند المحديثين. فماذا تفعل المشبهة والوهابية؟!

ونسَمي المساجد بيوت الله لا لأن الله يسكنها بل لأنها أماكن معدة لذكر الله وعبادته، ويقال في العرش إنه جرم أعدّه الله ليطوف به الملائكة كما يطوف المؤمنون في الأرض بالكعبة. وفي البخاري أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، فلو ترك الحديث على ظاهره لكان الله بزعمهم تحت الأرض أي تحت رجلي المصلي والعياذ بالله.

قال الله تعالى :

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ
النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾

[سورة النساء]

أجمع المفسرون على أن معنى هذه الآية: أن من كان متزوجاً أكثر من امرأة لا يستطيع أن يسوي بينهم في المحبة القلبية والاستمتاع بالجماع وما دونه، وليس معناه أن الرجل لا يستطيع أن يعدل في النفقة والمبيت بين نسائه، وقد كان رسول الله ﷺ يعدل بين نسائه في النفقة والمبيت وكذلك سائر الصالحين.

وأجمع العلماء على أن الرجل إذا عدل بين نسائه في المبيت والنفقة الواجبة، لا يلزمه التسوية بينهم في ما عدا ذلك فلو أهدى إحدى زوجاته هدية لا يلزمه أن يهدي البقية مثلها، أو جامع إحدى زوجاته لا يجب عليه أن يجمع الأخرى، فالواجب على الرجل أن يعدل بين زوجاته في المبيت والنفقة الواجبة فإن لم يفعل كان فاسقاً. وليس معنى «المبيت» الجماع.

قال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في تفسيره «زاد المسير» ما نصه^(١) : «قال أهل التفسير: لن تطيقوا أن تسووا بينهم في المحبة التي هي ميل الطباع لأن ذلك ليس من كسبكم (ولو حرصتم) على ذلك». اهـ.

ومثله قال القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي في تفسيره المسمى تفسير أبي السعود^(٢) ، والمفسر الفقيه أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي في تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»^(٣).

(١) زاد المسير (طبعة المكتب المسمى الإسلامي الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧هـ الجزء الثاني ص ٢١٩).

(٢) تفسير أبو السعود (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م، المجلد الثاني ص ٤٣٨ - ٤٣٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى =

وقال أبو بكر بن عربي في «شرح الترمذي» ما نصه^(١): «والمعنى فيه تعلق القلب ببعضهن أكثر منه إلى بعض، فعذرهم في ما يكونون». اهـ.

وقد قال رسول الله ﷺ «اللهم هذا قسمني في ما أملك فلا تلمني في ما تملك ولا أملك». رواه الحاكم على شرط مسلم وصححه ووافقه على تصحيحه الذهبي، ورواه ابن ماجه عن عائشة بسند جيد، والنسائي والترمذي.

وفيه إشارة إلى ميله ﷺ لعائشة، وقال الترمذي: ومعنى قوله (لا تلمني في ما تملك ولا أملك) إنما يعني به الحب والمحبة. وفيما ذكرنا هنا رد على من يستدلون بزعمهم بهذه الآية على تحريم تعدد الزوجات وهذا شائع في زماننا.

= سنة ١٤١٣هـ في الجزء الثاني ص (١٢٠).

(١) شرح الترمذي (٨٠ / ٥).

قال الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[سورة النساء]

هذه الآية معناها أنه كُملَ مُعظم الدين، كما ذكر ذلك البغوي في تفسيره، والخازن في تفسيره، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري وغيرهم، وليس معناها أنه لا يجوز للمجتهدين من أمة محمد ﷺ أن يُحدِثوا ما يوافق الشرع كعمل المولد النبوي الشريف.

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»^(١): «وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحریم، قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الربا، ونزلت آية الكلاله إلى غير ذلك، وإنما كمل معظم الدين وأمر الحج اهـ.

قال الإمام بدر الدين الزركشي في «البرهان في علوم القرآن»^(٢): «ثم ساق سنده من طرق إلى ابن عباس: آخر آية نزلت ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ اهـ. وهذا دليل على أن عددا من الآيات نزلت بعد آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. قال أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري في كتابه «أسباب النزول»^(٣): «عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

أما المجسمة الوهابية فيحتجون بهذه الآية لِيُحَرِّمُوا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وغيره من البدع الحسنة التي أحدثها علماء أتقياء من أهل الاجتهاد والفهم، كالاحتفال بذكرى فتح مكة، أو الإسراء والمعراج، أو النصف من شعبان، أو الطرق الصحيحة، أو الصلاة على النبي جهرًا بعد الأذان، أو عمل المحاريب في

(١) الجامع لأحكام القرآن» الجزء ٦ ص ٦١ - ٦٢).

(٢) البرهان في علوم القرآن (منشورات المكتبة العصرية، الجزء ١ في ص ٢٠٩).

(٣) أسباب النزول (مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٤).

المساجد، والقباب، والمآذن، وقراءة الفاتحة أو القرآن بعد عقد النكاح أو قبله، أو بعد الدعاء أو قبله، أو المسبحة، أو الذكر الجماعي جهرة في تشييع الجنازة، ولو لمنع غيبة الميت، والذكر المفرد بلفظ الجلالة «الله» فرادى أو جماعة، أو حلق الذكر، أو الاشتغال بالصلاة على النبي كألف مرة، أو عشرة آلاف مرة بإشارة شيخ مرشد صادق، أو وحده بغير إشارة شيخ الطريقة، وهذا ليس شرًا كما زعم حسام العقاد الوهابي، في كتابه «حلقات ممنوعة» وهذا تجرؤٌ عجيب على تكفير الذاكرين الله كثيرًا والمصلين على رسوله، أو غير ذلك من بدع الهدى والخير التي تدخل تحت حديث رسول الله ﷺ «ومن سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» رواه مسلم، وهذه البدع الحسنة فيها خير وبركة لأنها موافقة لشريعة الله وتحث المسلمين على الإكثار من الخير وعمل الآخرة ويشملها قول الله عز وجل ﴿ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، ولا يجوز تحريمها كما فعلت الوهابية المتهورة، وقد بينا معنى الآية الكريمة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ . وليس فيها شيء مما ادعته الوهابية كذبًا وافتراءً من مثل ما ذكر مفتيهم ابن باز وحلّفه ابن عثيمين في كتاب ألفاه أسماياه «مسائل مهمة لعموم الأمة».

وفي كتاب آخر اسمه «البدع والمحدثات وما لا أصل له»^(١) من فتاوى أئمة الوهابية المعاصرين (ابن باز - محمد ابن صالح العثيمين - عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - صالح بن فوزان الفوزان واللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء) جمعه وأعدّه الوهابي حمود بن عبد الله المطر، يقولون محتجين بهذه الآية أن عمل المولد حرام وأنه تشبه باليهود والنصارى وأنه فساد عظيم ومنكر شنيع ومصادمة لقول الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ.

والعياذ بالله من تحريفهم لمعنى آيات الله وأحاديث الرسول، فهم كما قال الله

(١) البدع والمحدثات وما لا أصل له (طبعة دار ابن خزيمة الرياض الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ص ١٢ - ١٣ - ١٤).

في ذمّ اليهود: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض».

وبعد هؤلاء مفتي الوهابية المدعو عبد العزيز آل الشيخ في جريدة الشرق الأوسط يقول^(١): «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» وإحداث مثل هذه الموالد فيها استدراك على الله وأن الدين لم يكمل حتى جاء في القرون المتأخرة من زاد فيه» اهـ.

وأتباعهم يرددون كلامهم في كتبهم ومؤلفاتهم وفي وسائل الإعلام المتاحة لهم. وهذا إمامهم ومرجعهم ومفتيهم المجسم ابن تيمية يفضحهم ويناقضهم ويناقض نفسه في كتابه المسمى «اقتضاء الصراط المستقيم»^(٢) يقول: «فتعظيم المولد واتخاذة موسمًا: قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس». اهـ.

فيا لفضيحة أتباعه وأئمتهم، فهل سيتبرؤون منه ويحذرون منه أم سيسكتون على ذلك على مضمض خوف انقطاع المال عنهم؟!!

وهذا ابن كثير حبيب الوهابية وتلميذ المجسم ابن تيمية يقول في كتابه المسمى «البداية والنهاية»^(٣) في ترجمة الملك المظفر أبو سعيد كوكبري الذي كان أوّل من أحدث عمل المولد: «ابن زين الدين علي بن بكتكين أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة وقد عمّر الجامع المظفري بسفح قاسيون، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه، وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلدًا في المولد النبوي سمّاه التنوير في مولد البشير النذير، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية، وقد

(١) جريدة الشرق الأوسط (العدد ٨٥٧٦ بتاريخ الأربعاء ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٢ صحيفة

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (دار المعرفة ص ٢٩٧).

(٣) البداية والنهاية (دار الكتب العلمية الجزء ١٣ ص ١٣٩ - ١٤٠).

كان محاصرًا عكا وإلى هذه السنة، محمود السيرة والسريرة، قال السبط: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، وقال: وكان يحضر عنده في الموالد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعًا من الظهر إلى الفجر، ويرقص - الرقص الخفيف الذي ليس فيه تشنّ ولا تكسر كرقص الحبشة في مسجد رسول الله ﷺ أمام رسول الله ﷺ كما ورد في حديث رواه أحمد أن الحبشة كانوا يزننون (أي يرقصون رقصًا خفيفًا) في مسجد رسول الله - بنفسه معهم، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة. وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما، وَيَسْتَفِيكُ من الفرنج في كل سنة خلقًا من الأسارى، حتى قيل إن جملة من استفكه من أيديهم ستون ألف أسير، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وكان قد زوجها إياه أخوها صلاح الدين، لما كان معه على عكا - قالت: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم فعاتبته بذلك فقال: لبيسي ثوبًا بخمسة وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبًا مثمناً وأدع الفقير المسكين، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار. وعلى الحرمين والمياه بدرج الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى، وكانت وفاته بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد عليّ اهـ.

ما أوقح وأتعس الوهابي سعد بن علي الشهراني الذي قال في هذا الملك المظفر:
«وفي ذلك يقول الشاعر:

كساعية للخير من كسب فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقني» اهـ

ذكر سعد بن علي الشهراني سخافته هذه في كتابه الذي ملأه بالتحريفات والتحريفات والتزويرات وسماه «فرقة الأحباش»^(١).

معتدًا في ذلك على ما وجد في «معجم البلدان» من غير نقل بالطريق المعتمد المضبوط عن الثقات، فإيا لفضيحته وغباوته حيث يشبه تصدق هذا الملك على الفقراء وعلى الاحتفال بالمولد بالزانية التي تزني وتتصدق وهذا تناقض واضح مع ابن كثير الذي أثنى ثناء عظيمًا عاطرًا على ملك إربل، وابن كثير هو تلميذ شيخهم ابن تيمية، وهذا دأبهم التعارض والتضارب والتناقض.

وقد ردّ على هذا الكتاب وحدّر منه تحذيرًا كبيرًا عدة علماء وشخصيات مهمة ومؤسسات رسمية كمديرية أوقاف القاهرة ورئيس المجلس الأعلى لعموم المشيخة الطرق الصوفية الشيخ حسن الشناوي المصري وبيّنوا أن هذا الكتاب هو ضدّ عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية، فيجب الحذر منه والتحذير.

وإلّكم ما نقله الذهبي حبيب الوهابية وتلميذ إمامها المتناقض المجسم ابن تيمية في كتابه المسمى «تاريخ الإسلام»^(٢) في ترجمة الملك المظفر أبو سعيد كوكبري الذي كان أوّل من أحدث عمل المولد: «السلطان الملك المعظم، مظفر الدين، أبو سعيد، ابن صاحب إربل الأمير زين الدين أبي الحسن علي كوجك التركماني. وكوجك: لفظ أعجمي معناه لطيف القدّ. كان شجاعًا، شهيمًا». ثم قال: «فقدم الموصل، وبها الملك سيف الدين غازي بن مودود، فأقطعه حرّان، فأقام بها مدة، ثم اتّصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وأنفق عليه، وتمكّن منه، وزاد في إقطاعه الرّها سنة ثمانٍ وسبعين، وزوّجه بأخته ربيعة خاتون». ثم قال: «وشهد مظفر الدين مع السلطان صلاح الدين مواقف كثيرة أبان فيها عن نجدةٍ وقوةٍ، وثبت يوم حطّين، وبيّن. ثم وفد أخوه زين الدين يوسف على صلاح الدين نجدة، وخدمته من إربل، فمرض في العسكر على عكا وتوفي في رمضان سنة ستٍ وثمانين. فاستنزل

(١) فرقة الأحباش (المجلد الثاني دار عالم الفوائد الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ).

(٢) تاريخ الإسلام (دار الكتب العلمية الجزء ١٣ ص ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢).

صلاح الدين مظفر الدين عن حرّان والرّها ففعل، وأعطاه إربل وشهرزور فسار إليها وقدمها في آخر السنة. ذكره القاضي شمس الدين وأثنى عليه، وقال: لم يكن شيء أحب إليه من الصدقة، وكان له كلّ يوم قناطر مقنطرة من الخبز يفرّقها، ويكسو في السنة خلقًا ويعطيهم الدينار والدنانير. وبني أربع خوانق للزّمني والعميان، وملاها بهم، وكان يأتيهم بنفسه كل خميس واثنين، ويدخل إلى كل واحد في بيته، ويسأله عن حاله، ويتفقّده بشيء، وينتقل إلى الآخر حتّى يدور على جميعهم، وهو يباسطهم - يمزح معهم - . وبني دارًا للنساء الأرامل، ودارًا للضعفاء الأيتام، ودارًا للملاقيط رتبّ بها جماعة من المراضع. وكان يدخل البيمارستان. ويقف على كل مريض ويسأله عن حاله. وكان له دارٌ مضيف يدخل إليها كلّ قادم من فقير أو فقيه، فيها الغداء والعشاء، وإذا عزم على السفر أعطوه ما يليق به.

وبني مدرسة للشافعية والحنفية وكان يأتيها كل وقت، ويعمل بها سماطًا ثم يعمل سماعًا فإذا طاب، وخلع من ثيابه سير للجماعة شيئًا من الإنعام، ولم تكن له لذّة سوى السّماع، فإنه كان لا يتعاطى المنكر، ولا يمكّن من إدخاله البلد. وبني للصوفية خانقتين، فيهما خلقٌ كثير، ولهما أوقافٌ كثيرة، وكان ينزل إليهم ويعمل عندهم السّماع. وكان يبعث أمناءه في العام مرتين بمبلغ يفكّ به الأسرى، فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئًا. ويقيم في كلّ سنة سبيلًا للحجّ، ويبعث في العام بخمسة آلاف دينارٍ للمجاورين. وهو أول من أجرى الماء إلى عرفات، وعمل آبارًا بالحجاز، وبني له هناك تربة. قال: وأمّا احتفاله بالمولد، فإنّ الوصف يقصر عن الإحاطة به، كان الناس يقصدونه من الموصل، وبغداد، وسنجان، والجزيرة، وغيرها خلائق من الفقهاء والصوفية والوعاظ والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرّم إلى أوائل ربيع الأول ثم تنصب قباب خشب نحو العشرين، منها واحدة له، والباقي لأعيان دولته، وكل قبة أربع أو خمس طبقات ثم تزيّن في أوّل صفر، ويقعد فيها جوق المغاني والملاهي وأرباب الخيال— في لغة العرب يقال للقصائد «الأغاني» كما يقال للمنشد «أيها الحادي غن بالوادي»، والملاهي منها ما هو مباح كالضرب

بالدف والطبل وما شابه ذلك، وليس المقصود آلات الموسيقى المحرمة ويبطل معاش الناس للفرجة. وكان ينزل كل يوم العصر، ويقف على قبة قبة، ويسمع غناءهم، ويتفرج على خيالاتهم، ويبيت في الخانقاه يعمل السماع، يركب عقيب الصبح يتصيد، ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر، هكذا يفعل إلى ليلة المولد، وكان يعمل سنة في ثامن الشهر وسنة في ثاني عشر الشهر للاختلاف، فيخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً زائداً عن الوصف مزوفة بالطبول والمغاني إلى الميدان، ثم تنحر وتطبخ الألوان المختلفة». ثم قال الذهبي بعد كلام: «وقد جمع له أبو الخطاب ابن دحية أخبار المولد، فأعطاه ألف دينار. وكان كريم الأخلاق، كثير التواضع، مائلاً إلى أهل السنة والجماعة، لا ينفق عنده سوى الفقهاء والمحدثين، وكان قليل الإقبال على الشعر وأهله. ولم ينقل أنه انكسر في مصاف. ثم قال - أي القاضي شمس الدين - : وقد طوّلت ترجمته لما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكره، ولم أذكر عنه شيئاً على سبيل المبالغة، بل كل ذلك مشاهدة وعيان». ثم قال الذهبي بعد كلام: «وقال: قال من حضر المولد مرة: عدت على السّماط مائة فرس قشلميش، وخمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلواء» اهـ.

فتبين من مجموع الأدلة وعمل الأمة ونصوص ونقول الحفاظ والعلماء وأهل التفسير أن الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ليس فيها تحريم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ولا تحريم البدع الحسنة الموافقة لدين الله تعالى، وكتب علماء الأمة طافحة بذلك، فمن شاء فليرجع إليها والله الموفق للصواب.

قال الله تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾
١٥

[سورة المائدة]

قال المفسر اللغوي النحوي أبو حيان أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي في كتابه «التفسير الكبير البحر المحيط» ما نصه^(١) : «هو القرآن؛ سماه نورًا لكشف ظلمات الشرك والشك، أو لأنه ظاهر الإعجاز». اهـ.

قال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(٢) : «قد جاءكم من الله نور أي: ضياء؛ قيل: الإسلام». اهـ.
وقال المفسر أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري في كتابه «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» في شرحه على هذه الآية ما نصه^(٣) : «وقوله «قد جاءكم من الله نور» ضياء من الضلالة وهدى، يعني الإسلام، وقال قتادة: يعني النبي ﷺ وهو اختيار الزجاج: قال: النور محمد ﷺ وهو الذي يبين» اهـ.

وقال المفسر السلفي أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه «جامع البيان في تفسير القرآن» ما نصه^(٤) : «قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: «قد جاءكم»، يا أهل التوراة والإنجيل «من الله نور»، يعني بالنور، محمدًا ﷺ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور

(١) كتاب «التفسير الكبير البحر المحيط» طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت في تفسيره لسورة المائدة في شرحه على هذه الآية.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى في المجلد ٦ ص ١١٨ - ١١٩).

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ الجزء الثاني في تفسير سورة المائدة ص ١٦٨ - ١٦٩).

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن (طبعة دار الجيل بيروت ص ١٠٤).

لمن استنار به يبين الحق. ومن إنارته الحق تبيينه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب». اهـ.

فليُحذَر من قول بعض جهلة المتصوفة أن النبي محمدًا ﷺ خُلِقَ من نور محتجين بهذه الآية ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾، وقد قدّمنا معنى هذه الآية كما فسرها علماء التفسير من المتقدمين والمتأخرين، وليس فيهم عالم معتبر فسرها بأن جسد النبي خلق من نور، أو أن النبي حقيقة هو نور بمعنى الضوء، فلا التفات إلى قول بعض جهلة المتصوفة وبعض المغالين الذين يقولون إن النبي ﷺ خلق من نور محتجين بزعمهم الفاسد بحديث جابر الموضوع.

وقد بين بطلان هذا الحديث الإمام الحافظ الفقيه شيخ الإسلام عبد الله بن محمد بن يوسف بن جامع بن عبد الله الهرري المعروف بالحبشي دفين مدينة بيروت رضي الله عنه وأرضاه في رسالته «رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي» فقال ما نصه^(١): «نقول: هذا الحديث موضوع لا أصل له وهو مخالف للقرآن الكريم، وللحديث الصحيح الثابت. أما مخالفته للقرآن قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء].»

وأما مخالفته للحديث فقد روى البخاري والبيهقي من حديث عمران بن حصين أنّ أناسًا من أهل اليمن أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: جئناك يا رسول الله لنتفق في الدين فأنبئنا عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض»، فهذا نص صريح في أنّ أول خلق الله الماء والعرش لأن أهل اليمن سألوه عن بدء العالم. فقوله عليه الصلاة والسلام: «كان الله ولم يكن شيء غيره» إثبات الأزلية لله أي أنه تعالى لا ابتداء لوجوده، وقوله: «وكان عرشه على الماء» معناه أنّ هذين أول المخلوقات، أما الماء فعلى وجه الإطلاق وأما العرش فبالنسبة لما بعده كما أفاد ذلك قوله عليه السلام: «على الماء» وذلك يدل على تأخر العرش عن هذا الأصل.

(١) رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي (طبعة دار المشاريع الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ).

وروى ابن حبان وصححه من حديث أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من الماء»، وفي لفظ: «إن الله تعالى خلق كل شيء من الماء».

وروى السُّدي في تفسيره بأسانيد متعددة عن جماعة من أبناء الصحابة: «إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء». ففي الحديث الأول نصّ على أنّ الماء والعرش هما أول خلق الله، وأما أنّ الماء قبل العرش فهو مأخوذ من الحديثين التاليين.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ما نصه: «قال الطيبي: هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء، ولم يعارضه في الأوليّة، لكن أشار بقوله: «وكان عرشه على الماء» إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقاً قبل خلق السموات والأرض ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء» اهـ

وفي تفسير عبد الرزاق عن قتادة في شرح قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [سورة هود] ما نصّه: «هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض». وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [سورة هود] قال: «قبل أن يخلق شيئاً».

فإن قيل: أليس قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر، خلقه الله من نوره قبل الأشياء»؟، فالجواب: أنه يكفي في ردّ هذا الحديث كونه مخالفاً للأحاديث الثلاثة الصحيحة السابقة، وأما عزو هذا الحديث للبيهقي فغير صحيح إنما ينسب إلى مصنّف عبد الرزاق ولا وجود له في مصنّفه بل الموجود في تفسير عبد الرزاق عكس هذا، فقد ذكر فيه أنّ أول الأشياء وجوداً الماء كما تقدّم.

وقال الحافظ السيوطي في الحاوي: «ليس له - أي حديث جابر - إسناد يُعتمد عليه». اهـ قلت: وهو حديث موضوع جزماً، وقد صرح الحافظ السيوطي في شرحه على الترمذي أنّ حديث أولية النور المحمّدي لم يثبت.

وقد ذكر عصرينا الشيخ عبد الله الغماري محدّث المغرب أن عزو هذا الحديث الموضوع إلى مصنّف عبد الرزاق خطأ لأنه لا يوجد في مصنّفه، ولا جامعه ولا تفسيره،

والأمر كما قال.

كما أنّ محدّث عصره الحافظ أحمد بن الصديق الغماري حكم عليه بالوضع محتجاً بأنّ هذا الحديث ركيك ومعانيه منكّرة.

قلت: والأمر كما قال، ولو لم يكن فيه إلا هذه العبارة: «خلق الله من نوره قبل الأشياء» لكفى ذلك ركاكة، لأنه مشكل غاية الإشكال، لأنّه إن حُمِلَ ضمير من نوره على معنى نور مخلوق لله كان ذلك نقيض المدعى لأنه على هذا الوجه يكون ذلك النور هو الأوّل ليس نور محمّد بل نور محمّد ثاني المخلوقات، وإن حُمِلَ الضمير على إضافة الجزء للكل كان الأمر أفطع وأقبح لأنّه يكون فيه إثبات نور هو جزء لله تعالى، فيؤدّي ذلك إلى أن الله مركب والقول بالتركيب في ذات الله من أبشع الكفر لأنّ فيه نسبة الحدوث إلى الله تعالى. وبعد هذه الجملة من هذا الحديث المكذوب ركاكات بشعة يردها الذوق السليم ولا يقبلها.

ثم هناك علة أخرى وهي الاضطراب في ألفاظه، لأن بعض الذين أوردوه في مؤلفاتهم رووه بشكل وءآخرون رووه بشكل ءآخر، فإذا نُظِرَ إلى لفظ الزرقاني ثم لفظ الصاوي وجد فرق كبير.

فالحديثان الأولان لا حاجة إلى تأويلهما لأجل حديث غير ثابت بل حديث موضوع لركاكته وهو حديث أولية النور.

فلا حاجة لما ذكره بعض من تأويل الأحاديث التي فيها أولية الماء وحمل حديث أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر على الأولوية المطلقة لغرض إثبات أولية النور المحمدي».

وقد ردّ على هؤلاء الغلاة المتعصبين للجهل المخالفين للنصوص المحدث الشيخ عبد الله بن محمد بن صديق الغماري المغربي في رسالته «مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر» فقال ما نصه: «فهذا جزء سمّيته: «مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر»، أردت به تنزيه النبي ﷺ عمّا نُسب إليه مما لم يصح عنه ويعدّ من قبيل الغلو المذموم، ومع ذلك صار عند العامة وكثير من الخاصة معدوداً من

الفضائل النبوية التي يكون إنكارها طعناً في الجنب النبوي عندهم، ولا يدركون ما في رأيهم وقولهم من الإثم العظيم الثابت في قول النبي ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» والذي يصفه بما لم يثبت عنه كاذب عليه واقع في المحذور إلا أن يتوب، ولا يكون مدحه عليه الصلاة والسلام شافعاً له في الكذب عليه.

وإن كانت الفضائل يتسامح فيها فإن فضائل النبي ﷺ إنما تكون بالثابت المعروف حذراً من الكذب المتوعدّ عليه بالنار، نسأل الله العافية.

وقد وردت أحاديث في هذا الموضوع باطلة، وجاءت آراء شاذة عن التحقيق عاطلة، أبينها في هذا الجزء بحول الله.

روى عبد الرزاق - في ما قيل - عن جابر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسّم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله...» الحديث، وله بقية طويلة وقد ذكره بتمامه ابن العربي الحاتمي في كتاب «تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان»، والديار بكري في كتاب «الخميس في تاريخ أنفس نفيس».

وعزوه إلى رواية عبد الرزاق خطأ لأنه لا يوجد في مصنفه ولا جامعه ولا تفسيره.

وقال الحافظ السيوطي في الحاوي: «ليس له إسناد يعتمد عليه» اهـ، وهو حديث موضوع جزماً، وفيه اصطلاحات المتصوفة، وبعض الشناقطة المعاصرين ركب له

إسنادًا فذكر أن عبد الرزاق رواه من طريق ابن المنكدر عن جابر وهذا كذب يآثم عليه.

وبالجملة فالحديث منكر موضوع لا أصل له في شيء من كتب السنة. ومثله في النكارة ما روي عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام أن النبي ﷺ قال: «كنت نورًا بين يدي ربي قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام» وهو كذب أيضًا.

ومن الكذب السخيف ما يقال إن إحدى أمهات المؤمنين أرادت أن تلف إزارًا على جسد النبي ﷺ فسقط الإزار يريدون بذلك أن النبي نور فلم ينعقد الإزار، وهذا لا أصل له. وقد كان النبي ﷺ يستعمل الإزار ولم يسقط عنه. وكونه نورًا أمر معنوي، مثل تسمية القرءان نورًا ونحو ذلك، لأنه نور العقول والقلوب.

ومن الكذب المكشوف قولهم: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك، وكذلك ما روي عن عليّ عليه السلام، عن النبي ﷺ قال: هبط عليّ جبريل فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: «إني حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك» وهو حديث موضوع.

وروي في بعض كتب المولد النبوي عن أبي هريرة قال: سأل النبي ﷺ جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل كم عمّرت من السنين؟ فقال: يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجمًا يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنتين وسبعين ألف مرة، فقال النبي: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب. وهذا كذب قبيح، قبح الله من وضعه وافتراه.

وذكر بعض غلاة المتصوّفة أن جبريل عليه السلام كان يتلقّى الوحي من وراء حجاب وكُشف له الحجاب مرة فوجد النبي ﷺ يوحى إليه فقال جبريل: منك وإليك.

قلت: لعن الله من افترى هذا الهراء المخالف للقرءان فإن الله تعالى يقول لنبيّه:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [سورة الشورى] ويقول: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ [سورة الشعراء].

أخرج أحمد والحاكم والبيهقي في الدلائل عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمن جدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمهات الأنبياء».

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه»... «أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان» اهـ.

قلت: رواه الحاكم من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن سويد بن سعيد، عن العرياض بن سارية، وقال: «صحيح الإسناد» وتعبه الذهبي بأن أبا بكر ضعيف، وغلط الدكتور قلعجي محقق كتاب دلائل النبوة فذكر أن الذهبي وافقه على تصحيحه. وروى أحمد من طريق بُدَيْل، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: «قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد)».

وهكذا رواه البغوي وابن السكن في الصحابة.

قال الحافظ: وهذا سند قوي.

قلت: وذكره البخاري في التاريخ معلقاً.

روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل للنبي ﷺ: متى وجدت لك النبوة؟ قال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه».

وروى أحمد من طريق عبد الله بن شقيق، عن رجل قال: «قلت: يا رسول الله متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد». قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

قلت: هو أحد طرق حديث ميسرة الفجر.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عَفَّان بن مسلم وعمرو ابن عاصم الكلابي

قالا: حدّثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله ابن أبي الجدعاء قال: «قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: إذ ءادم بين الروح والجسد» اهـ. رجاله رجال الصحيح.

وروى البزار والطبراني بإسناد ضعيف عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «قيل: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: وءادم بين الروح والجسد».

قال البيهقي: قوله ﷺ: «إني عند الله في أمّ الكتاب لخاتم النبيين وان ءادم لمنجدل في طينته» يريد أنه كان كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون أبو البشر وأول الأنبياء صلوات الله عليهم». اهـ

وقال أبو الحسين بن بشران، حدّثنا أبو جعفر محمد بن عمرو، حدّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح، ثنا محمد بن صالح، ثنا محمد بن سنان العوفي، ثنا إبراهيم ابن طهمان، عن بُديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش: محمّد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنّة التي أسكنها ءادم وحوّاء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام، وءادم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبر أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه» اهـ، إسناد جيد قوي.

وهو يفيد أن معنى كونه نبياً: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في ءادم عليه السلام.

وقد بيّن الحديث أيضاً سر إعلان نبوته في ذلك العهد وأنه يرجع إلى أمرين اختص بهما:

أحدهما: أنه سيد ولد ءادم.

والآخر: أنه خاتم الأنبياء، وأيّد ذلك بما ذكره من بشارة إبراهيم وعيسى به عليهم الصلاة والسلام.

والأنبياء جميعاً نبوتهم ثابتة في تقدير الله وقضائه، لكن لم يرد في خبر أن الله تعالى أظهر نبوة أحد منهم بالتعيين قبل خلق آدم، فلم يكن ذلك إلاً لنبينا ﷺ وهذا سر قوله: «كنت نبياً وءادم بين الروح والجسد» أي أن حملة العرش والملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم يعرفوا آدم إلاً بعد خلقه. اهـ.

فيجب الحذر من قول بعض المنشدين والمؤذنين والمداحين والمغالين الذين يقولون «ربي خلق طه من نور»، فالحق أحق أن يتبع، النبي بشر بنص القرآن لكنه خير خلق الله على الإطلاق.

ويجب التحذير من قول بعض المؤذنين: الصلاة والسلام عليك يا أول خلقه الصلاة والسلام عليك يا نور عرش الله.

واعلم أنّ فضل رسول الله ﷺ ثابت في القرآن والأحاديث، فلا يُحتَاجُ في إثباتِ فضله إلى ذكر ما فيه كذبٌ وغلُوٌّ، فقد روى أحمدُ وابنُ حبانَ عنَ عمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ أنّه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تُطروني كما أطرتِ النَّصارى عيسى، فإنّما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُهُ».

على أنّ الكذبَ على رسولِ اللهِ ﷺ ليس بالأمرِ الهينِ بل هو من كَبائرِ الذُّنوبِ كما روى مسلمٌ وغيرُهُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من حدّث عني بحديثٍ يرى أنّه كذبٌ فهو أحدُ الكاذبين»، وروى البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهُما أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

فإذا علم هذا أنّ وصفَ الرسولِ بما لم يصحَّ عنه وبما فيه كذبٌ هو من قبيلِ الغلُوِّ المذموم، ولا يُحتجُّ لذلك أنّه من قبيلِ أحاديثِ الفضائلِ، فإنَّ أحاديثِ الفضائلِ يُتساهلُ فيها بروايةِ الضعيفِ عندَ الجمهورِ، أمّا المكذوبُ فلا يُقبلُ في الفضائلِ بالإجماع.

ومن المفايد التي انتشرت، وأقبل على قراءتها كثيرٌ من العامة بعض الكتب التي ألفت في المولد النبوي، وحشيت بالأحاديث المكذوبة، والأخبار المغلوطة، والغلُو

الْمَذْمُومِ، وَالْكَذِبِ عَلَى الدِّينِ، وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، فَيَحْزُمُ رِوَايَتَهَا مِنْ غَيْرِ تَبَيِّنِ
أَمْرِهَا، بَلْ وَيَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْهَا.

وَمِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ الْكُتُبِ الْمَدْسُوسَةِ الْكِتَابُ الْمُسَمَّى «مَوْلِدُ الْعُرُوسِ» وَفِيهِ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ نُورِ وَجْهِهِ فَقَالَ لَهَا كُونِي مُحَمَّدًا فَكَانَتْ مُحَمَّدًا، وَفِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ
نِسْبَةُ الْجُرْئِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَنْزَعٌ عَنِ الْجُرْئِيَّةِ وَالْإِنْحِلَالِ، فَهُوَ لَا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَالْكَثْرَةَ،
وَلَا التَّجْزَأَ وَالْإِنْقِسَامَ، وَاللَّهُ مَنْزَعٌ عَنِ ذَلِكَ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ
خَلْقِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى]. وَحُكْمٌ مَنْ يَعْتَقِدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا أَوْ غَيْرَهُ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى التَّكْفِيرُ قَطْعًا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ
جُزْءًا﴾ [سورة الزخرف]. وَلِيَتَنَبَهَ إِلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَيْسَ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ، بَلْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ زُورًا وَبُهْتَانًا، وَمَا فِي كُتُبِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ مِنْ تَنْزِيهِ
اللَّهِ عَنِ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَنَفْيِ التَّجْسِيمِ وَالْجُرْئِيَّةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مُخَالَفٌ لِمَا فِي
هَذَا الْكِتَابِ الْمُفْتَرَى، بَلْ إِنَّ فِي رِكَائِكَ أَلْفَاظِهِ، وَضَعْفِ تَرْكِيْبِ عِبَارَاتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ الْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ الْمُفَسِّرِ الَّذِي أُعْطِيَ بَاعًا قَوِيًّا فِي
الْفِصَاحَةِ وَالْبَيَانِ وَالْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ، فَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ حَرَّكَ الْقُلُوبَ حَتَّى إِنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى
يَدِهِ مِائَةٌ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُ. وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ إِلَّا الْمُسْتَشْرِقُ بْرُوكْلْمَانُ.

وَمِنْ الْمَفَاسِدِ الَّتِي انْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعَوَامِّ مَا دَرَجَ عَلَيْهِ بَعْضُ قُرَاءِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ
وَبَعْضُ الْمُؤَدِّينَ مِنْ قَوْلِهِمْ «إِنَّ مُحَمَّدًا أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ» وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِنَشْرِ حَدِيثِ
جَابِرِ الْمَكْدُوبِ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورَ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ»،
فَهَذَا الْحَدِيثُ لَا أَصْلَ لَهُ مَكْدُوبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.
أَمَّا مُخَالَفَتُهُ لِلْكِتَابِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة
الأنبياء]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف].

وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُ لِلْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ
الْحُصَيْنِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ».

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَفَرَّتْ عَيْنِي فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ»، وَرَوَى الشَّدِيدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِأَسَانِيدٍ مُتَعَدِّدَةٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ». فَفِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ نَصٌّ عَلَى أَنَّ الْمَاءَ وَالْعَرْشَ هُمَا أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَمَّا أَنَّ الْمَاءَ قَبْلَ الْعَرْشِ فَهُوَ مَا خُوذُ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ التَّالِيَيْنِ.

وَأَمَّا عَزْوُ حَدِيثِ جَابِرٍ لِلْبَيْهَقِيِّ فَعَبْرٌ صَحِيحٌ، وَأَمَّا نَسْبَتُهُ لِمُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فَمَكْذُوبٌ فَإِنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ فِي مُصَنَّفِهِ وَلَا فِي جَامِعِهِ وَلَا تَفْسِيرِهِ بَلِ الْمَوْجُودُ فِي تَفْسِيرِهِ عَكْسُ هَذَا، فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ أَوَّلَ الْمَخْلُوقَاتِ وُجُودًا الْمَاءَ، وَقَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي الْحَاوِي عَنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: «لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ» اهـ. وَهُوَ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ جَزْمًا، وَقَدْ صَرَّحَ فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ حَدِيثَ أَوْلِيَةِ النُّورِ الْمُحَمَّدي لَا يَثْبُتُ. وَمِمَّا يَشْهَدُ لِصِحَّةِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ رِكَازَةُ أَلْفَاظِهِ فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ أَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَقْوَاهُمْ بِلَاغَةٍ فَلَا يَتَكَلَّمُ بِالرِّكَاكِ، وَقَدْ حَكَمَ الْمُحَدِّثُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ الصِّدِّيقِ الْعَمَارِيُّ عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ مُحْتَجًّا بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ رِكَائِيٌّ وَمَعَانِيهِ مُنْكَرَةٌ، أَقُولُ: الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا هَذِهِ الْعِبَارَةُ «خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ» لَكَفَى ذَلِكَ رِكَازَةً، لِأَنَّهُ مُشْكَلٌ غَايَةَ الْإِشْكَالِ، لِأَنَّهُ إِنْ حُمِلَ ضَمِيرُ «مِنْ نُورِهِ» عَلَى مَعْنَى: مَخْلُوقٍ لِلَّهِ كَانَ ذَلِكَ تَقْيِضَ الْمُدْعَى، لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ ذَلِكَ النُّورُ هُوَ الْأَوَّلُ لَيْسَ نُورُ مُحَمَّدٍ، بَلِ نُورُ مُحَمَّدٍ ثَانِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَإِنْ حُمِلَ عَلَى إِضَافَةِ الْجُزْءِ لِلْكَلِّ كَانَ الْأَمْرُ أَفْطَحَ وَأَقْبَحَ لِأَنَّهُ يَكُونُ إِثْبَاتُ نُورٍ هُوَ جُزْءٌ لِلَّهِ تَعَالَى، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ مُرَكَّبٌ، وَالْقَوْلُ بِالتَّرْكِيبِ فِي ذَاتِ اللَّهِ مِنْ أَبْشَعِ الْكُفْرِ، لِأَنَّ فِيهِ نِسْبَةَ الْحُدُوثِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَبَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْمَكْذُوبِ رِكَازَاتٌ بِشَعَّةٍ يَرُدُّهَا الدَّوْقُ السَّلِيمُ وَلَا يَقْبَلُهَا.

ثُمَّ هُنَاكَ عِلَّةٌ أُخْرَى وَهِيَ الْإِضْطِرَابُ فِي أَلْفَاظِهِ لِأَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ أَوْرَدُوهُ فِي مَوْلَفَاتِهِمْ رَوَوْهُ بِشَكْلِ، وَعَآخَرُونَ رَوَوْهُ بِشَكْلِ ءآخَرَ مُخْتَلِفٍ فِي الْمَعْنَى، فَإِذَا نَظِرَ إِلَى لَفْظِ الرَّزَّاقِيِّ ثُمَّ لَفْظِ الصَّوَابِيِّ ظَهَرَ اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ.

أَمَّا حَدِيثُ: «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ» فَهُوَ ضَعِيفٌ
كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ الْمُحَدِّثُونَ وَفِيهِ بَقِيَّةُ ابْنِ الْوَلِيدِ وَهُوَ مُدَلِّسٌ، وَسَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ وَهُوَ
ضَعِيفٌ.

أَمَّا حَدِيثُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَعَادَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»، وَ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَلَا عَادَمَ وَلَا مَاءَ
وَلَا طِينَ» فَلَا أَصْلَ لَهُمَا. وَلَا حَاجَةَ لِتَأْوِيلِهِمَا فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لِتَأْوِيلِ الْآيَةِ أَوْ الْحَدِيثِ
الصَّحِيحِ لِخَبَرِ مَوْضُوعٍ لَا أَصْلَ لَهُ.

قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ ﴾

[سورة المائدة]

هذه الآية فيها تحذير من قول اليهود والنصارى «نحن أبناء الله» ومن قول كل من نسب لله الولد ولو كان مازحًا أو غاضبًا أو عن غير اعتقاد أو يزعم معنى آخر للكلمة أو قال «أردتُ معنى مجازيًا»، لأن قولهم هذا كفر لا تأويل له، ولا اعتبار لقول بعض هؤلاء «نحن لا نقصد البنوة بمعنى الولادة إنما نقصدُ العناية والعطف والرحمة»، فقد ذكر المفسر ابن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ، عند شرحه للآية ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ ﴾ في تفسيره «المحرر الوجيز» أن إطلاق نسبة البنوة إلى الله ولو قصد به الحنان كفرًا، فقال ما نصه^(١) «والبنوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرأفة، وذكروا أن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل أن أول أولادك بكري فضلوا بذلك» اهـ. والضلال هنا هو الكفر، كما نقل القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»^(٢) عنه - أي ابن عطية - في تفسير سورة التوبة آية ٣٠، ونص عبارته: «قال ابن عطية: ويقال إن بعضهم يعتقدونها بنوة حنو ورحمة وهذا المعنى أيضًا لا يحل أن تطلق البنوة عليه وهو كفر» اهـ. وقد ذكر القرافي المالكي في كتابه «الفروق» وبهامشه «أدراك الشروق على أنواع الفروق لابن الشاط»^(٣) ناقلًا عن القاضي عياض المالكي الإجماع على تكفير من نسب الأبوة والبنوة إلى الله تعالى.

فالحذر مما قاله المجسم ابن تيمية الحراني في كتابه المسمى «بيان تلبيس

(١) المحرر الوجيز (دار الكتب العلمية، الجزء الثاني ص ١٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الثامن ص ١١٧).

(٣) أدراك الشروق على أنواع الفروق لابن الشاط (المكتبة العصرية ٢٠٠٣ الجزء الأول ص ١١٧).

الجهمية»^(١) ، وفي كتابه المسمى «شرح حديث النزول»^(٢) ، يقول: «وفي الإنجيل (وفي حاشيته قال المعلق وهو محمد بن عبد الرحمن الخميس المشبه المجسم الوهابي: في الإنجيل الصحيح. والعياذ بالله من هذا الكفر) أن المسيح قال: لا تحلفوا بالسماء فإنها كرسي الله، وقال للحواريين: إن أنتم غفرتُم للناس فإن أباكم الذي في السماء يغفر لكم كلكم، انظروا إلى طير السماء: فإنهن لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في الأهواء، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم، أفلستم أفضل منهن؟ ومثل هذا من الشواهد كثير يطول به الكتاب» اهـ.

وقد حاول بعض المعلقين من الوهابية وهو يحيى بن محمد الهنيدي أن يؤول كفر ابن تيمية وذلك في تعليقه على كتاب ابن تيمية المسمى «بيان تلبيس الجهمية» فإنه قال: «إن معنى أباكم أي ربكم الله». وهذا مسلك في التعصب لا غير بل ينطبق عليه ما قاله ابن عطية إنه كفر صريح، ومن العجب أن الوهابية تُكفر المتأولين فكيف لجأوا هنا إلى التأويل البعيد غير الموافق لقواعد الدين واللغة العربية وما ذاك إلا ليسوغوا لشيخهم قول الضلال وهيهات أن يسوغوا، بل ثبت عند كل محقق أنهم مذبذبون يؤلفون دينًا على حسب أهوائهم لتأييد معتقداتهم الكفرية، فانظر كيف لا يقبلون أن نؤول الآيات المتشابهات ويقولون «التأويل تعطيل» وكيف أجازوا لأنفسهم أن يؤولوا كفر شيخهم وإمامهم الصريح ابن تيمية الحراني؟! فيا لفضيحتهم ويا لتناقضهم ويا لسخافتهم.

ومثله أحمد ديدات في مناظرته المسماة «هل المسيح ابن الله» في اسكندنافيا في تسجيل له بالصوت والصورة من إنتاج (المغامسي للإنتاج والتوزيع - المدينة المنورة)، يقول: «مجازًا نحن جميعًا أبناء الله وعباله، الطيبون منا والأشرار، وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون عيسى أقرينا في البنوة لأنه أكثرنا إخلاصًا لله أكثر منا، فمن هذه الناحية يمكن أن ننظر له ابنًا لله» اهـ، ولحقه علي جمعة الذي يقول في

(١) بيان تلبيس الجهمية (المجلد الرابع ص ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٢) شرح حديث النزول (دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ص ٢١٧).

كتابه المسمى «الدين والحياة»^(١) حين سُئِلَ، قيل له: «هل يجوز أن أقول أنا ابن الله؟ فقال: لأن السيد المسيح كان كثيرًا ما يستخدم هذه الكلمة فكان يقول (قال أبوكم الذي في السماء، إن أبانا الذي في السماء)، ثم قال والأبوة هنا بمعنى الرعاية والعناية والرزق والكلأ، فهي من الألفاظ التي حُرِفَت عن معانيها الأصلية فضلًا بها، وقالت اليهود ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ﴾ ثم قال فهذه الكلمة لا بأس بها بمعنى عيال الله أو خلق من خلقه، لكن بعد ذلك نستدرج إلى البنوة الحقيقية والأبوة الحقيقية فهذا كلام لا يقول به إلا جاهل» اهـ. والعياذ بالله تعالى.

ومن الضلال ما في الكتاب المسمى «الكتاب المدرسي الوطني، القراءة العربية التعليم الأساسي السنة الثامنة - الجمهورية اللبنانية» يقولون^(٢): «وأبصرُ الله على هيئة نخلة، كتاج نخلة يبيّض في الظلام، أحسُّه يقول: يا بني» اهـ. وفي مجلة أتباع رجب ديب المسمّاة «الأحباب» يقولون^(٣): «وإن معنى البنوة والأبوة الواردة في الأناجيل تتطابق مع معنى الإيمان بالله ومحبته» ثم قالوا: «أي إن كل مؤمن بالله عز وجل يُدعى ابنًا لله أي مؤمنًا به محبًا له» ثم قالوا «أي إن كل صانع للسلام بين البشر في العالم أجمع يدعى ابنًا لله أي مؤمنًا به محبًا له» اهـ. وهذا أخذوه من شيخهم رجب ديب الذي قال في شريط بصوته: «ليس عيسى وحده ابن الله، بل كلنا أبناء الله» اهـ.

وليُحذَر مما دُسَّ على محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني الحسني المتوفى سنة ٨٩٥هـ في كتاب «حواش على شرح الكبرى للسنوسي»^(٤) في معرض الاستشهاد بهذا الكلام والإقرار له، يقولون إن في الزبور: «يقول الله لداود عليه

(١) الدين والحياة (ص ١٧١).

(٢) الكتاب المدرسي الوطني، القراءة العربية التعليم الأساسي السنة الثامنة - الجمهورية اللبنانية (ص ٢٩).

(٣) الأحباب (العدد ٦ ص ١٤).

(٤) حواش على شرح الكبرى للسنوسي (الطبعة الأولى ص ٤٨٨).

السلام: سيولد لك ولد أَدعى له أبًا ويُدعى لي ابنًا»، ثم قالوا: «فولد داود الذي دُعِيَ ابنًا لله تعالى هو عيسى عليه السلام»، وفي كتابه المسمى «العقيدة الوسطى وشرحها» يقولون^(١): «إن في الإنجيل: أنا أطلب لكم إلى أبي حتى يمنحكم»، ويقولون^(٢): «قوله: أبي معناه: ربي وإلهي»، ويقولون^(٣): «ومعنى انطلاق عيسى عليه السلام إلى أبيه أي ربه»، وفيها^(٤) تكرار العبارة التي في الكتاب الأول، وفي «شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد»^(٥) أيضًا فيها تكرار العبارة التي في الكتاب الأول.

ومن المعاصرين من حذا حذو هؤلاء الضالين منهم رئيس لجنة البحث العلمي في جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية وهو عبد الرحمن عبد الخالق الذي تمادى في هذا الكفر وراح يدافع عنه ويؤوله، ففي بحثه الذي سماه «شهادة الإنجيل على أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» وهي من جزئين يقول فيها: «ألفاظ ابن الله التي جاءت في الأناجيل والكتب المقدسة عند النصراني من المتشابه الذي يجب رده إلى المحكم فإن هذه اللفظة «ابن الله» استخدمت في عيسى وفي أتباعه وفي كل مؤمن بالله غير كافر به»، وزاد في كفره أيضًا فقال: «وهذه الكلمة تحتل معنيين: بنوة الهداية والتشريف وهو ما يسمونه بالبنوة الروحية، والمعنى الثاني بنوة النسب والابن الذي هو قطعة من أبيه وبضعة منه». اهـ.

وهذا لم يقله مسلم من عامة المسلمين فضلاً عن علمائهم، وهو ادعاء التأويل في لفظ صراح في الكفر وهو باطل غير مقبول، وعجيبه هذه الصفاقة من هذا الكاتب الذي انبرى يضيع عمره وأنفاسه في تشجيع الناس على الكفر والضلال وعلى

(١) العقيدة الوسطى وشرحها (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ص ٣٢٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٢٧).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٣٢٨).

(٤) المصدر نفسه، (ص ٣٢٩).

(٥) شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٤٢٦).

قوله لم تبق كفرية من الكفریات إلا وتكون من المتشابهات، وهذا فتح لباب الكفر على مصراعيه للناس.

كلامهم كفرٌ صريحٌ لا يقبل التأويل وهو قولهم «نحن أبناء الله من باب المجاز»، فإن هؤلاء وافقوا اليهود بقولهم هذا، لأن اليهود لما قالوا «نحن أبناء الله» ما قصدوا أن الله والدهم إنما قصدوا أن الله يعزهم، ومع ذلك الله تعالى كفرهم فنحن أيضًا نكفر هؤلاء عملاً بحكم القرءان ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۗ ﴾ [سورة المائدة]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْ لَّهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة التوبة].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، والنسائي في سننه واللفظ للبخاري^(١): «كذّبي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدّاني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

وقال المفسر فخر الدين الرازي في كتابه «التفسير الكبير» في تفسير الآية ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ ما نصه^(٢): «معناه وأثبتوا له جزءًا وذلك الجزء هو عبد من عباده والحاصل أنهم أثبتوا لله ولدا» اهـ

(١) رواه البخاري في صحيحه ص ٩٤٠ تحت رقم ٤٩٧٤ و ٤٩٧٥ من طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٤٢١ هـ الطبعة الأولى، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لمرتبته الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ص ٢٤٢ تحت رقم ٢٦٧ من طبعة دار الكتب العلمية المجلد الأول الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ، والنسائي في سننه.

(٢) التفسير الكبير (المجلد الرابع عشر الجزء ٢٧ ص ١٧٢ - ١٧٣ طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ).

وقال الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ما نصه^(١) :
«قوله (وأما شتمه إيّاي) إنما سمّاه شتمًا لما فيه من التنقيص». اهـ.

وقال الإمام الحافظ شيخ الإسلام الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد بن يوسف الهرري المعروف بالحبشي رضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة في كتابه «الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم» ما نصه^(٢) : «وأما حديث: «الخلق كلهم عيال الله وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله» فليس صحيحًا بل هو حديث ساقط شديد الضعف وبعض الناس يفهمونه على اللغة المحليّة فيقعون في الكفر، فإنهم يفهمون من كلمة (عيال) أبناء وليس المعنى كذلك، فإن عيال في لغة العرب معناها الناس الذين ينفق عليهم الشخص لو كانوا أعمامه وأخواله وزوجاته ووالديه بمعنى أنهم تحت نفقته ورعايته لكونهم محتاجين إليه ويكفيهم نفقاتهم، ولا يوجد في اللغة عيال بمعنى الأولاد. وهذه العبارة من جملة ما أخرجها الناس عن معناه الأصلي في اللغة إلى غير معناه، ولو صحّ هذا الحديث الذي مرّ ذكره لكان معناه (فقراء الله) كما قال المناوي عند شرح هذا الحديث الذي أورده السيوطي في الجامع الصغير. فمن ظنّ أنه يجوز أن يقال عن البشر أبناء الله أو أولاد الله بالمعنى المجازي أي أنه كافيتهم بالرزق كفر، كما ذكر ابن عطية الأندلسي في تفسيره هذه الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مَنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ [سورة المائدة]. وأما قول بعض الصوفية (أرباب القلوب) أي أصحاب العقول المتنورة بالتقوى ليس معناه أن هؤلاء خالقو العقول، والقلوب هنا بمعنى العقول ويقع في بعض مؤلفات العلماء (عن الله) قول (رب الأرباب) يعنون أن الله مالك الملاك وهذا صحيح». اهـ.

وقد قال المفسر المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني في «كشف الخفاء» عن حديث «الخلق كلهم عيال الله» ما نصه^(٣) : «قال النووي في فتاويه: هو حديث

(١) المجلد الثامن ص ١٨ من طبعة الدار المسمى الريان للتراث الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

(٢) الشرح القويم في حلّ ألفاظ الصراط المستقيم (ص ٤٥ - ٤٦).

(٣) كشف الخفاء (الجزء الأول ص ٤٥٧ - ٤٥٨ من طبعة دار الرسالة، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ).

ضعيف لأن فيه يوسف بن عطية ضعيف باتفاق الأئمة، ورواه الحافظ عبد العظيم المنذري في أربعينه عن أنس رفعه بلفظ «الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله»، قال أبو عبد الله محمد السلمي في تخريجها ومعنى «عيال الله» فقراء الله، فالخلق كلهم فقراء إلى الله، وهو الذي يعولهم» ثم قال «وقال ابن حجر في الفتاوى الحديثية: حديث «الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» ورد من طرق كلها ضعيفة». اهـ.

قال الله تعالى:
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾

[سورة المائدة]

اتفق علماء السلف والخلف الصحابة ومن بعدهم من أهل الحق المعترين على أن هذه الآيات الثلاث ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والآية التي فيها (الظالمون) والآية التي فيها (الفاسقون)، نزلت في ذم اليهود الذين حرّفوا التوراة الأصلية كما سيأتي مفصلاً، وكذلك اتفقوا على كفر من يُفْضِلُ القانون الوضعي على القرآن أو يجعله مساوياً له، واتفقوا على أن المسلم لا يُكْفَر لمجرد أن حكم بالقانون الوضعي مع اعتقاده أن القرآن أفضل، فلا التفات بعد ذلك إلى ما ابتدعه رؤساء التكفيريين البدعيين المستبشرين لدماء الأمة بغير حق ولا سبب شرعي، كأبي الأعلى المودودي وسيد قطب ووافقهما على ذلك الوهابية كما سنثبت لك ذلك في آخر هذا المقال والجماعات الإرهابية التكفيرية التخريبية التي تكفّر العباد وتدمّر البلاد، محتجين لزعمهم الفاسد الكاسد بهذه الآيات التي ليس فيها ما ادعوه من تكفيرهم للأمة.

يقرر سيد قطب في كتابه المسمى «في ظلال القرآن» أنه لا وجود للمسلمين على الأرض طالما هم يخضعون لحكم الحكام بغير الشرع ولو في مسائل صغيرة، يذكر ذلك فيقول^(١): «فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شؤون حياتهم كلّها من الله وحده، وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور جلّ أو حَقَّرَ من مصدر آخر، إنما يكون الشرك أو الكفر وتكون الجاهلية التي جاء الإسلام ليقطع جذورها من حياة الناس». اهـ.

وقال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ

(١) في ظلال القرآن (مجلد ٢ ص ٥٩٠).

هُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾^(١) [سورة المائدة]: «بهذا الحسم الصارم الجازم، وبهذا التصميم الذي تحمله «من» الشرطية وجملة الجواب بحيث يخرج من حدود الملابس والزمان والمكان وينطلق حكماً عاماً على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل ومن أي قبيل،... والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه» اهـ، جاهلاً أو مكابراً أن السلف ومن بعدهم أولوا هذه الآية، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرءان، والبراء بن عازب رضي الله عنه، ذكر القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرءان» في تفسير هذه الآية ما نصه^(٢): «نزلت كلها في الكفار، ثبت في صحيح مسلم من حديث البراء، وعلى هذا المعظم، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة، وقيل فيه إضمار أي: ومن لم يحكم بما أنزل الله ردّاً للقرءان وجاحداً لقول رسول الله ﷺ فهو كافر، قاله ابن عباس ومجاهد فالآية عامة على هذا.

قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود الكفار أي معتقداً ذلك ومستحلاً له - أي أن المسلم إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من القرءان أو ساوى به كفر -، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه ركب محرماً فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، إلا أن الشعبي قال: هي في اليهود خاصة، واختاره النحاس قال: ويدل على ذلك ثلاثة أشياء: «منها أن اليهود قد ذُكروا قبل هذا في قوله: ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾^(٤١)» [سورة المائدة] فعاد الضمير عليهم.

ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك، ألا ترى أن ما بعده: ﴿وَكَبَّبْنَا عَلَيْهِمُ﴾ [سورة المائدة]، فهذا الضمير لليهود بإجماع، ومعلوم أن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص. فإن قال قائل: (من) إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها، قيل له: (من) هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الأدلة،

(١) (مجلد ٢ ص ٨٩٨).

(٢) الجامع لأحكام القرءان (المجلد السادس ص ١٩٠ - ١٩١).

والتقدير: واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فهذا من أحسن ما قيل في هذا.

ويروى أن حذيفة سئل عن هذه الآيات، أهي في بني إسرائيل، قال: نعم، هي فيهم». ثم قال: «وقال طاوس وغيره: ليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر. وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين، قال القشيري: ومذهب الخوارج أن من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر» اهـ. وذكر نحوه الخازن في تفسيره وزاد عليه^(١): «وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث: من ترك الحكم بما أنزل الله رادًا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق، وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضًا، وقال طاوس: قلت لابن عباس: أكافر من لم يحكم بما أنزل الله؟ فقال: به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونحو هذا روي عن عطاء قال: هو كفر دون كفر» اهـ.

وقد حسم حبر الأمة عبد الله بن عباس الموضوع بتفسير موجز مفيد، فقد أخرج الحاكم في المستدرك^(٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرج البيهقي في سننه وغيرهما عنه في الآيات الثلاث المذكورات أنه قال: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرا ينقل عن الملة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة] كفر دون كفر» اهـ. ومعنى «كفر دون كفر» أي ذنب كبير يشبه الكفر في الفظاعة كما قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه الإمام أحمد، وقد وقع القتال بين المؤمنين منذ أيام علي رضي الله عنه ولا يزال يحدث إلى الآن، والله يقول: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾

(١) (المجلد الأول ص ٤٦٧ - ٣٦٨).

(٢) (المجلد الثاني ص ٣١٣).

[سورة الحجرات].

ثم إن كلام سيد قطب هو عين مذهب الخوارج القائلين إن الظلم والفسق هما كفر يخلد في النار، ثم إن إطلاق قوله بتكفير من حكم بغير الشرع من غير تفصيل فيه تكفير لكثير من الحكام الذين توالوا على الخلافة الإسلامية سواء كانوا من بني أمية أو بني العباس أو بني عثمان، فإنهم حكموا بأن جعلوا الخلافة ملكًا يتوارثونه، وهذا يبطل دعوى سيد قطب في كتابه المسمى «في ظلال القرآن» فهو أولًا يرد التأويل في هذه الآية وكأنه بلغ ما قد بلغه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة والتابعين، فهو لا يتردد في كتابه هذا عن إطلاق النكير على العلماء من السلف والخلف فهو يقول فيه ما نصه^(١) : «والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن موضعه». اهـ، فقد أذاه جهله إلى هذا الاتهام الباطل لعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم من السلف والخلف إلى أن جعلهم محرفين لكتاب الله كما فعلت علماء اليهود.

والعجب أن هذا الكتاب يروج ويباع في البلاد الإسلامية وهو لم يدع فردًا من البشرية إلا وقد رماه بالردة حتى المؤذنين في المشارق والمغرب لأنهم لم يثوروا على رؤسائهم الذين يحكمون بغير الشرع فيقول ما نصه^(٢) : «فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددتها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم»، ثم يقول ما نصه^(٣) : «إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصوص الألوهية ولم تعد توحده الله وتخلص له الولاء»،

(١) في ظلال القرآن (مجلد ٢ الجزء السادس ص ٨٩٨).

(٢) المصدر نفسه، (مجلد ٢ ص ١٠٥٧).

(٣) المصدر نفسه، (مجلد ٢ ص ١٠٧٧).

ثم يتابع فيقول: «ارتدت البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد» اهـ. ثم يذكر^(١) أن من حكم ولو في مسألة جزئية بغير الشرع فهو خارج عن الدين، وبعدها^(٢) يذكر أن الذين يقولون إنهم مسلمون ولا يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم هم كأهل الكتاب هؤلاء ليسوا على شيء كذلك، ثم يكفر من يحكم بغير الشرع إطلاقاً ولو في قضية واحدة فيقول^(٣): «والإسلام منتهج للحياة كلها من تبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله ومن اتبع غيره ولو في حكم واحد فقد رفض الإيمان واعتدى على ألوهية الله وخرج عن دين الله مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم» ويذكر^(٤) نحو ذلك وزاد في الجرأة والوقاحة إلى أن ذكر^(٥) أن من أطاع بشراً في قانون ولو في جزئية صغيرة فهو مشرك مرتد عن الإسلام مهما شهد أن لا إله إلا الله، ثم يطلق القول^(٦) بعد ذلك بأن الإسلام اليوم متوقف عن الوجود مجرد الوجود، وإنما في مجتمع جاهلي مشرك، ويقرر^(٧) على زعمه أن البشرية اليوم بجملتها مرتدة إلى جاهلية شاملة فيقول: «إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة» اهـ.

ويقرر^(٨) سيد قطب أنّ على المسمّين بالجماعة الإسلامية أو حزب الإخوان انتزاع زمام الحكم من الحكام والقضاء على نظمهم والثورة وإحداث الانقلابات في الدول.

(١) في (المجلد الثانية ص ٨٤١).

(٢) في صحيفة (٩٤٠).

(٣) في (المجلد الثاني ص ٩٧٢).

(٤) في (المجلد الثاني ص ١٠١٨).

(٥) في (المجلد الثالث ص ١١٩٨).

(٦) في (المجلد الثالث ص ١٢٥٧).

(٧) في (المجلد الرابع ص ١٩٤٥).

(٨) في (المجلد الثالث ص ١٤٤٩ وما بعدها).

ويذكر^(١) سيد قطب في كتابه المسمى «معالم في الطريق» أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع منذ قرون كثيرة يقول في الكتاب المذكور^(٢) : إن العالم يعيش اليوم كله في جاهلية، ومنه يقول^(٣) : «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم». اهـ.

والعجب من أتباعه والمنادين برأيه المكفرين لمن حكم بالقانون ولو في جزئية صغيرة، قسم منهم يشتغلون بالمحاماة وقسم آخر يتعاملون بالقانون كمعاملات الباسبور والفيزا ونقل الكفالة وحجر مؤلفاتهم أو مطبوعاتهم على غيرهم أن يطبعوها إلا ياذنهم، ويعتقدون أن من فعل ذلك يحاكم قانونًا، وكفاهم هذا خزيا وتفاهة ومناقضة لأنفسهم فإنه على مؤدى كلام زعيمهم أنهم كفروا وهم لا يشعرون، بل هم على موجب نصه هذا قسم منهم عباد للحكومة السعودية وقسم منهم عباد لسائر الدول التي يعيشون فيها، فمن حقق في أمر هذا الرجل عرف أنه ليس له سلف إلا طائفة من الخوارج يقال لهم البيهسية منفردين عن سائر فرق الخوارج بقولهم: إن الملك إذا حكم بغير الشرع صار كافرًا ورعاياه كفار من تبعه ومن لم يتابعه، وسيد قطب كأنه أعاد دعوة عقيدة تلك الفرقة الخارجية التي هي من أشدهم في تكفير المسلمين، وكفاه ذلك خزيًا وضلالة لأن الرسول ﷺ قال في الخوارج: «يخرج قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم» ثم قال عليه الصلاة والسلام: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» رواه البخاري، وقال: «يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية».

وقد قالت إحدى أتباعه المسماة صافيناز كاظم، في موقع الأخبار المسمى «الدستور»، رئيس التحرير: إبراهيم عيسى، في خاتمة رأيه ورؤى - تحت عنوان:

(١) معالم في الطريق (ص ٥ - ٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٨).

(٣) المصدر نفسه، (ص ١٧ - ١٨).

صافيناز كاظم تكتب: سيد قطب وحبل المشنقة! يوم الخميس ٢٩ - ٧ - ٢٠١٠ وهي تمدح سيد قطب: «عمله الموسوعي الجليل في تفسير القرآن الكريم «في ظلال القرآن»، الذي مكنه الله سبحانه وتعالى بما يشبه المعجزة، من تنقيحه ومراجعته وزيادته، قبل استشهاده»، ثم قالت: «وأذكر حينما انتهيت من إتمام قراءة «في ظلال القرآن»، الذي أعود إليه كثيرًا، أنني كنت متعجبة من البشاشة والهدوء وأجواء السلام، التي تنبعث من سطور تلك المجلدات». انتهى كلامها.

ومما يؤكد لك أن الوهابية تُكفّر من يحكم بالقوانين الوضعية موافقين في ذلك أبا الأعلى المودودي في كتابه المسمى «شهادة الحق» بقوله^(١): «هذه الطرق والمناهج هي سبل الكفر المعوجة التي يتبع معالمها زعماءكم والذين أخذوا زمام أمركم» وبقوله^(٢): «لكن الأمة بأسرها ترجع إلى أئمة الكفر والضلال وتستهديهم» وبقوله «بل الحقيقة أنكم لو خلعتم عن أبدانكم لباس الإسلام الذي لا تلبسونه إلا زورًا وتلفيقًا» وموافقو لسيد قطب والحركات التكفيرية، ما جاء في كتاب الوهابية المسمى «التوحيد» المرحلة الثانوية، الصف الأول تأليف صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، والذي قرّرت تدريسَه في مدارس السعودية وزارة التربية والتعليم، بتوقيع وزير التربية محمد بن أحمد الرشيد، والمطبوع في مركز التطوير التربوي ١٤٢٥ هـ يقول الفوزان^(٣): ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وتحكيم النظم والقوانين البشرية كفر وشرك» ثم قال «قال الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)» اهـ. وبهذا تكون الوهابية كفّرت ملوك وأمراء وشيوخ ووزراء المملكة العربية السعودية، لأنهم يحكمون بعشرات القضايا بالقوانين الوضعية لا بالشريعة الإسلامية.

فترجو الله تعالى أن يُلهم المسؤولين في المملكة العربية السعودية أن يوقفوا

(١) شهادة الحق (طبع مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ ص ٣٠).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٣).

(٣) التوحيد (ص ٥٥).

الوهابية عند حدهم ويمنعوهم من تكفيرهم للأمة.

ومما يؤكد لك أن الوهابية تُكفِّر الملوك والرؤساء لمجرد أن حكموا بالقانون، ما جاء في حاشية كتابهم المسمى «فتح المجيد» يقولون^(١): «أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصدّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الأنس والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه» اهـ.

لاحظوا هنا كيف جعلوا مجرد الحكم بالقوانين البشرية عبادة لغير الله كما يُعبد الطاغوت والعياذ بالله، وقد دافع عن تكفير سيد قطب لكل البشرية وعن تحريفه لمعنى الآيات، الوهابي سعد بن علي الشهراني في كتابه المسمى «فرقة الأحباش»^(٢)، فيتبيّن لك اتفاق الوهابية مع سيد قطب في تكفير كل البشرية. نسأل الله السلامة وأن يحفظ المسلمين من الأفكار الخطيرة الهدامة.

ومن الدليل على أن مجرد المشاركة في الحكم ليس كفراً قوله تعالى إخباراً عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴾ [سورة يوسف]، قال شهاب الدين الألوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني: «وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلاً وكان متعينا لذلك».

والملك الذي طلب منه يوسف الولاية كان من الكافرين بدليل قوله تعالى إخباراً عن يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف]، وبدليل قوله تعالى إخباراً عن يوسف قال: ﴿ يَنْصَحِي السَّجْنَءَ أَرْيَابُ ﴾

(١) فتح المجيد (تأليف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وتعليق ابن باز، طبع مؤسسة الريان ١٤٢٨ هـ ص ٢٤٣).

(٢) فرقة الأحباش (المجلد الثاني الدار المسمى عالم الفوائد ص ٦٩٨ وما بعدها).

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾، فهذه الآيات تدل على أن الملك ورعيته كانوا كافرين ومع ذلك طلب يوسف عليه السلام تحمل المسؤولية.

وقال الإمام أبو الحسن البغدادي الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية: «وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام إلى فرعون في الولاية والخلافة فقال: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾ [سورة يوسف]. ومن عجائب حزب الإخوان في هذا العصر أنهم صاروا اليوم حكامًا في مصر وتونس ويقولون عن الدولة التي يريدونها دولة مدنية لا دينية بل صرحوا غير مرة بأنهم ضد الدولة الدينية والآن ليس أمامهم إلا الحكم بالقانون تحت مسمى الديمقراطية، حتى إن الغنوشي الذي كان لطالما ينادي بحجاب المرأة... الآن يقول: أنا ما عنديش مشكلة بالبيكيني (الميوه) الذي تلبسه المرأة في المسابح، وهو الذي صار ينادي اليوم بحرية العقيدة وأباح الكفر لمن أراد البقاء عليه. والآن أليس الذي كانوا يسمونه الشهيد سيد قطب والمفكر... أليس صار عندهم كافرًا لأنه ضد الدولة المدنية ولو في جزئية من القانون؟؟!! كيف سيواجه حزب الإخوان هذا الكم الهائل من التراث المليء بالتكفير والتفجير، وقد قالت العرب: طابخ السمء اكله.

قال الله تعالى :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢)

[سورة المائدة]

اعلم أنه قد خبط بعض الناس خبط عشواء في تفسيرها، والمعنى أن النصارى الذين كانوا مسلمين مؤمنين تابعين لشريعة المسيح من استقام منهم ولزم طاعة الله على التمام هم من أهل الجنة. ولا يعني أن النصارى بعد أن غيروا دين المسيح من أحسن منهم المعاملة مع الناس بالصدقة والمواساة ونحو ذلك يكون من أهل الجنة لأن الله تعالى قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) [سورة البينة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (١٨) [سورة آل عمران].

وعايات القرآن يجب التوفيق بينها لأنها تتعاضد ولا تتناقض.

قال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، في تفسيره «النكت والعيون»^(١) : «﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾ ليس هذا على العموم، وإنما هو خاص»، ثم قال: «عنى بذلك النجاشي وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير» اهـ.
قال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»^(٢) : «قال ابن عباس وسعيد

(١) النكت والعيون (طبع دار الكتب العلمية، المجلد الثاني ص ٥٨).

(٢) التفسير الكبير (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد السادس، الجزء ١٢ ص ٥٦).

ابن جبیر وعطاء والسدي: المراد به النجاشي، وقومه الذين قدموا من الحبشة على الرسول ﷺ وآمنوا به، ولم يُرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين» اهـ.

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (١١٢)

[سورة المائدة]

معنى قوله تعالى حكاية عن أصحاب عيسى عليه السلام ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾، أي هل يستجيب ربك لك إن طلبت منه هذا الطلب، بدليل هذه القراءة الواردة لهذه الآية وهي ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال الفراء معناه: هل تقدر أن تسأل ربك، فلا يجوز أن يُتوهم أن الحواريين شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال هذه المائدة من السماء، فالله تعالى قادر على كل شيء لا يعجزه شيء، وإنما كما يقول الإنسان لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم معي وهو يعلم أنه مستطيع. قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»^(١): «وقيل إن القوم أي الحواريين، لم يَشْكُوا في استطاعة الباري سبحانه لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين، وإنما هو كقولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي وقد علمت أنه يستطيع، فالمعنى: هل يفعل ذلك؟ وهل يجيبني إلى ذلك أم لا؟» اهـ.

نقل الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»^(٢)، عن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي أنه قال: «جحد صفة القدرة كفر اتفاقاً» اهـ. ويدخل في هذا أيضًا من شك في قدرة الله تعالى على كل شيء. وقد مر معنا مزيد تفصيل عن مسألة القدرة في شرح الآية ﴿وَلَكِنْ لِيُظَمِّنَنَّ قَلْبِي﴾، فمن شاء فليراجعه هناك.

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد السادس ص ٣٦٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (طبعة دار الريان سنة ١٤٠٧ ر الطبعة الأولى الجزء السادس ص ٦٠٤).

قال الله تعالى:

﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^١

[سورة المائدة]

معنى هذه الآية تعلم ما في سري ولا أعلم ما في غيبك، وليس المعنى أن الله له نفس بمعنى الروح، بل الله هو خالق الروح وخالق الجسد، الله ليس روحًا ولا جسدًا ولا هو روح فقط ولا هو جسد بلا روح، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن.

قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»^(١): أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك. وقيل: المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم. وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه» اهـ.

وقال القشيري في تفسيره^(٢): ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ أي علمك محيطٌ بكل العلوم. ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تُعرِّفني بإعلامك اهـ. وفي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي^(٣): تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك اهـ.

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط^(٤): «قيل المعنى تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي». ثم قال: «وقد استدلت المجسمة بقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وقالوا النفس هي الشخص وذلك يقتضي كونه جسمًا تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا» اهـ.

ونرد على المجسمة الذي يُنكرون التأويل ويقولون نأخذ بالظاهر، بقول الله

(١) الجامع لأحكام القرآن (الجزء ٦ ص ٣٧٦).

(٢) في (المجلد الأول، الطبعة الأولى صحيفة ٢٨٤).

(٣) (الطبعة الأولى ١٩٩٧ دار الكتب العلمية الجزء الثالث صحيفة ٥٨٤).

(٤) تفسير البحر المحيط (دار الفكر الطبعة الثانية ١٩٨٣ المجلد الرابع صحيفة ٥٩).

تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، فهل سيقولون بأن الله يلحقه الموت؟ تنزه الله.
قال أبو الفضل عبد الواحد التميمي في كتابه «اعتقاد الإمام المنبئ أبي عبد الله
أحمد بن حنبل» ما نصه^(١): «وقرأ أحمد بن حنبل ﴿وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ وقال
عز وجل ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وقال ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٤١)، وليست
كنفس العباد التي هي متحركة متعددة مترددة في أبدانهم» ثم قال «وأنكر - أي
أحمد - على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة،
وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة
وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله - أي منزّه عن ذلك - فلم يجوز أن يسمى
جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجز في الشرع فبطل» اهـ.

وقال أبو سليمان الخطابي في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري»
في سياق ذكر حديث «لا شخص أغير من الله» ما نصه^(٢): «قال أبو عبد الله: وقال عبيد
الله بن عمرو، وعن عبد الملك: لا شخص أغير من الله. قلت: إطلاق الشخص في صفة الله
تعالى غير جائز، وذلك لأن الشخص لا يكون إلا جسمًا مؤلّفًا وإنما يُسمّى شخصًا ما كان له
شخصٌ وارتفاعٌ ومثل هذا النعت منفي عن الله سبحانه وخليق ألا تكون هذه اللفظة صحيحة
وأن تكون تصحيحًا من الراوي» ثم قال «فدلّت رواية أسماء وأبي هريرة قوله: لا شيء أغير
من الله، على أن الشخص وَهْمٌ وتصحيّفٌ» اهـ. والغيرة بالمعنى المتعارف عليه بين الناس
محالة على الله، لأن الله منزّه عن كل صفات المخلوقين، ولكن معنى ما ورد في الحديث من
نسبة الغيرة إلى الله على معنى أن الله يكره لعبده فعل المحرمات. ومعنى «الشيء» هنا، قال
أبو حنيفة: أي «الموجود» كما في بعض رسائله، وكذلك قال أبو حيان الأندلسي في البحر
المحيط في تفسير الآية ﴿قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾.

(١) اعتقاد الإمام المنبئ أبي عبد الله أحمد بن حنبل (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ ص ٤٤ و ٤٥).

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (المملكة العربية السعودية - جامعة أم القرى، الجزء
الرابع ص ٢٣٤٤ و ٢٣٤٥).

وقال ملا علي القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» بعد ذكر مذهب السلف والخلف، ما نصه^(١) : «يعلم أن المذهبيين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يُفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره» اهـ.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، الجزء الثاني ص١٣٦).

قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾^ط
(سورة الأنعام)

[سورة الأنعام]

كان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كغيره من الأنبياء منذ صغره ونشأته مُسَلِّمًا مُؤْمِنًا عارفًا بربه معتقدًا عقيدة التوحيد مُنْزَهًا له عن مشابهة المخلوقات، ومُدْرِكًا أَنَّ هذه الأصنام التي يعبدها قومه لا تغني عنهم من الله شيئًا، وأنها لا تضر ولا تنفع لأن الضار والنافع على الحقيقة هو الله تعالى وحده.

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١): «الوجه الثاني في التأويل: أن نقول قوله (هذا ربي) معناه هذا ربي في زعمكم واعتقادكم؟!». ثم قال: «المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار إلا أنه أسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة الكلام عليه» اهـ.

أما سيد قطب فيقول في كتابه الذي سمّاه «التصوير الفني في القرآن» ما نصه^(٢): «إبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء فيرى نجمًا فيظنه إلهه فإذا أفل قال لا أحب الأفلين، ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه ولكنه يأفل كذلك فيتركه ويمضي ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها ولا شك إلهًا ولكنها تخلف ظنه هي الأخرى». اهـ.

الرد:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٦٧) [سورة آل عمران]، وقال الله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٤١) [سورة مريم]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾^(٥١) [سورة الأنبياء]، وبدليل قوله تعالى وما كان من المشركين.

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد السابع الجزء ١٣ ص ٤١).

(٢) التصوير الفني في القرآن (في ص ١٣٣ طبعة دار الشروق).

وكلام سيد قطب هذا مناقض لعقيدة الإسلام التي تنص على أن الأنبياء تجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها، وقول إبراهيم عن الكوكب حين رآه ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [سورة الأنعام] هو على تقدير الاستفهام الإنكاري كأنه قال «أهذاري كما تزعمون»، ثم لما غاب قال: «لا أحبّ الأفلين» أي لا يصلح أن يكون هذا ربًّا فكيف تعتقدون ذلك؟! ولما لم يفهموا مقصوده بل بقوا على ما كانوا عليه قال حينما رأى القمر مثل ذلك فلما لم يجد منهم بغيته أظهر لهم أنه بريء من عبادته وأنه لا يصلح للربوبية، ثم لما ظهرت الشمس قال مثل ذلك فلم ير منهم بغيته فأيس منهم فأظهر براءته من ذلك، وأما هو في حد ذاته فكان يعلم قبل ذلك أن الربوبية لا تكون إلا لله بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء].

وقال خالد الجندي المصري المتعالم - والعياذ بالله - في الشريط المسمى «العالم المجهول» بلسانه العامي: «إبراهيم شاف الكوكب قال: الله هو ده ربي فلما النجم اختفى قال لا بد أنّ هناك كوكبًا آخر أخفاه يبقي النجم ده أضعف من غيره يبقى إلهي أقوى منه هو يبقى ربي فلقى القمر قال يبقي القمر ده ربي أكيد هو ده طالما إلهي أخفاه ونجح في إخفائه يبقى أقوى منه شاف الشمس بازغة وقعد يتأمل في الشمس بقه الإله اللي اكتشفو أو يبتصورو عليه الصلاة والسلام». وهذا الكلام الساقط تكفير لنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنه كان جاهلاً بخالقه لا يعرف ربه تائهاً عن الإيمان والإسلام والحق المبين، ومن قال هذا في إبراهيم فهو من أكفر الكافرين ومن أبعد الناس عن الدين والإسلام، ويكفي في براءة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ما قاله الله تعالى عنه ﴿ حَنِيفًا مَّسَلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، ومعنى ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي مائلاً عن الباطل وعن كل الأديان إلى دين الحق الإسلام، وليس معنى «حنيفًا» أنه كان على دين اسمه «حنيفًا» هو غير الإسلام، ومن قال ذلك فقد كذب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . ومعنى ﴿ مَّسَلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي أنه كان من طفولته إلى الممات على دين الإسلام، لم يعبد

شمسًا ولا قمرًا ولا نجمًا ولا حجرًا ولا نارًا ولا وثنًا ولا شك في قدرة الله كما يفترى عليه الكفار بذلك، وإلا لم يقل الله تعالى: ﴿مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. فقد ظهر الحق واتضح وبانت براءة إبراهيم وكل الأنبياء من الشرك والكفر واتباع غير الإسلام. وقال المؤلفان البروفسوران التركيان نور الدين محمد سولمان وإسماعيل لطفي شكان في كتابهما «مجادلة الأنبياء في التوحيد لأقوامهم على حسب ما جاء في القرآن»^(١): «إبراهيم لم يعبد الكواكب ولا النجوم ولا الأصنام، وإن قول الله تعالى إخبارًا عن إبراهيم ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على معنى الاستفهام الإنكاري، وأن عبادة الكواكب والنجوم من عقائد الكلدانيين، وإبراهيم عليه السلام بيّن أن هذا الاعتقاد باطل، وعاب قومه لعبادتهم الكواكب والأصنام، وقال ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلِيكَ﴾ ومعنى قوله هذا بيان لهم على أن الذي يظهر ويختفي ويتغير من حال إلى حال وينتقل من مكان إلى مكان لا يكون إلها بل يكون مخلوقًا، والذي قال ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلِيكَ﴾ كيف يكون عبد النجوم؟! والذي اعترض على قومه لعبادتهم الأصنام، كيف يعبد الصنم والنجوم؟! اهـ.

فائدة مهمة عظيمة النفع تتعلق

بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال الحافظ الحجة القدوة الفقيه الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رحمه الله رحمة واسعة ورضي الله عنه، في كتابه «الدليل القويم على الصراط المستقيم» ما نصه^(٢): «عصمة الأنبياء:

تجب للأنبياء العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة والدناءة كسرقة لقمة.

(١) مجادلة الأنبياء في التوحيد لأقوامهم على حسب ما جاء في القرآن (مطبوع في استنبول في ١٠ - ٢ - ١٩٧٥ بتصديق وموافقة دائرة التعليم الدولي في تركيا وبموافقة وزير التربية والتعليم، في ص ٦٣).

(٢) الدليل القويم على الصراط المستقيم (الطبعة الثانية طبع دار المشاريع ١٤٣٠ هـ ص ٣٣٦ إلى ٣٤٩).

ويجوز عليه ما سوى ذلك من الصغائر.

وهذا قول أكثر العلماء كما نقله غير واحد وعليه الإمام أبو الحسن الأشعري،
وخالفه بعض الأشاعرة في وقوع الصغائر التي لا خسة فيها منهم فقال تاج الدين
السبكي في قصيدته النونية:

والأشعري إمامنا لکننا في ذا نخالفه بكل لسان

أقول: يا ليته وافقه إذ هو الموافق للنصوص.

فإن قيل إننا مأمورون بالاعتداء بهم فلو كانوا يعصون للزم الاقتداء بهم في
المعصية ولا يعقل ذلك.

فالجواب أنهم ينبهون فوراً فلا يُقرُّون عليها بل يتوبون قبل أن يقتدي بهم أحد
فزال المحذور.

فمن الغلو القبيح قول بعض المنحرفين من المتصوفة أن آدم كان منهياً عن
الأكل من الشجرة ظاهراً مأموراً باطناً. وقال بعض هؤلاء في إخوة يوسف مثل ذلك
وذلك تكذيب للنص.

أما في حق آدم فقد قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ۗ ﴿١٢١﴾ ﴾ [سورة طه] أخبرنا
الله بأنه نُهيي ولم يخبرنا بأنه أمر بالأكل من الشجرة وكيف يجتمع الأمر بشيء والنهي
عنه في حق شخص واحد في وقت واحد ثم أخبرنا بأنه تاب عليه بقوله ﴿ فَلَلَقِيَ
آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة البقرة] وأما إخوة يوسف الذين كادوه فلم
يخبرنا الله تعالى إلا بجرائمهم وأخبرنا أن يوسف قال لهم: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ
أَلْيَوْمَ ۗ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة يوسف] فكيف يعقل أن يكونوا مأمورين باطناً.

وكانت معصية الأكل صغيرة وليست كبيرة كما تدعي النصارى. فقد قالوا إن
المسيح جاء ليخلص البشر من تبعثها وأعظم بذلك افتراء. وكانت الكلمات التي
تلقاها آدم ما ذكر الله بقوله ﴿ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ۗ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

قاعدة في عصمة الأنبياء: قال الشيخ التلمساني في «شرح لمع الأدلة» ما نصه^(١): «لا يجوز عليهم الكبيرة ألبتة ويجوز تعمد الصغيرة بشرط عدم الإصرار، ولا يجوز منهم صغيرة تدل على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطيف حبة وسرقة باقة بقل» اهـ، ثم قال^(٢): «وأما عصمتهم عن الكبائر والإصرار على الصغائر وعن كل صغيرة تؤذن بقلة الاكتراث بالدين فمستند إلى الإجماع القاطع، فإن السلف رضي الله عنهم لم يزالوا يحتجون بالنبي بأفعاله وأقواله ومتبادرون إلى التأسى به، وجميع الظواهر التي اعتمد عليها الحشوية قابلة التأويل». «وأما يونس فقيل: إنما كرمه الله بالنبوة والرسالة بعد أن نبد بالعرء قال الله عز وجل ﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القلم]، وأما نبينا ﷺ وعليهم أجمعين في قصة الفداء في أسارى بدر والإذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وعبوس الوجه لابن أم مكتوم فكل ذلك ترك للأولى) اهـ.

وقال التلمساني ما نصه^(٣): «اعلم أنه لما ثبت صدق الرسول ﷺ وعصمته في ما يبلغه عن الله تعالى وجب التصديق بكل ما أخبر من أمور الغيب جملة وتفصيلاً، فإن كان مما يُعلم تفصيله وجب اعتقاده، فإن لم يُعلم تفصيله وجب أن يؤمن به جملة ويرد تأويله إلى الله تعالى ورسوله ولمن اختصه الله عز وجل بالاطلاع على ذلك» اهـ.

(١) شرح لمع الأدلة (ص ١٩٧، مخطوط).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٩٨).

(٣) المصدر نفسه (ص ٢٠١).

بيان ما يجب عقلاً للأنبياء

يجب للأنبياء الصدق ويستحيل عليهم الكذب، وتجب لهم الفطنة ويستحيل عليهم البلادة والغباوة، وتجب لهم الأمانة فلا يجوز عليهم ارتكاب الخيانة بقول وحال وفعل كبيرة قبل النبوة ولا بعدها، أو بفعل صغيرة خسة فإذا استنصحهم شخص لا يكذبون عليه فيوهمونه خلاف الحقيقة، وإذا وضع عندهم شخص شيئاً لا يضيعونه أو ينكرونه.

وتجب لهم الفطنة أي الذكاء فكلهم أذكياء فطناء أصحاب عقول كاملة قوية الفهم فيستحيل عليهم البلادة والغباوة لأنهم بعثوا لبيان الحق فلا يليق بهم أن يكونوا قاصرين عن إقامة الحجة على من جانب الحق وعاداه قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام] ولأنهم لو كانوا أغبياء لنفر الناس منهم لغباوتهم والله حكيم لا يفعل ذلك.

ومما يجب للأنبياء الصيانة فيستحيل عليهم الرذالة كاختلاس النظر إلى الأجنبية بشهوة وكسرقة حبة عنب، وكذلك يستحيل عليهم السفاهة كالذي يقول ألفاظاً شنيعة، وكذلك يستحيل عليهم الجبن فالأنبياء هم أشجع خلق الله وقد قال بعض الصحابة في ما رواه النسائي في السنن الكبرى كتاب السير باب مباشرة الإمام الحرب بنفسه «كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحُدُق أي في المعركة اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أقرب إلى العدو منه».

وكذلك يستحيل عليهم كل مرض منقر. فمن نسب إليهم الكذب أو الخيانة أو الرذالة أو السفاهة أو الجبن أو نحو ذلك فقد كفر.

قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت وإن نبيكم أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا» رواه الترمذي (١). فالأنبياء كلهم كانوا ذوي حسن وجمال فلا يجوز عليهم المرض الذي ينقر الناس منهم، ولا يسلط الله

(١) الشمايل (ص ٢٦١).

تعالى عليهم هذه الأمراض، أما المرض المؤلم الشديد حتى لو كان يحصل منه الإغماء أي الغشي فيجوزُ عليهم.

تنبيه: أيوب عليه السلام ابتلاه الله بلاءً شديدًا بمرض غير منفر استمر ثمانية عشر عامًا وفقد ماله وأهله ثم عافاه الله وأغناه ورزقه الكثير من الأولاد، لكن بعض الجهال يفترون عليه ويقولون إن الدود أكل جسمه فكان الدود يتساقط ثم يأخذ الدودة ويعيدها إلى مكانها من جسمه ويقول «يا مخلوقة ربِّي كُلِّي من رزقك الذي رزقك»، نعوذ بالله هذا ضلال مبين لا يليق نسبته إلى نبي من أنبياء الله ولا له إسناد صحيح.

وأما نبي الله موسى عليه السلام الذي تأثر لسانه بالجمرة التي تناولها ووضعها في فمه حين كان طفلاً أمام فرعون لحكمة فلم تترك الجمرة في لسانه أن يكون كلامه غير مفهم للناس بل كان كلامه مفهوماً لا يبدل حرفاً بحرف بل يتكلم على الصواب لكن كان فيه عقدة خفيفة أي بطاء من أثر تلك الجمرة ثم دعا الله تعالى لما نزل عليه الوحي قال ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [سورة طه]، فأذهبها الله عنه.

الحاصل أن أنبياء الله كلهم أصحاب خلقةٍ سويةٍ لم يكن فيهم ذو عاهةٍ في خلقته ولم يكن فيهم أعرج ولا كسيح ولا أعمى إنما يعقوب من شدة بكائه على يوسف ابضت عيناه من شدة الحزن فعمى ثم ردَّ الله تعالى عليه بصره لما أرسل يوسف بقميصه من مصر إلى مدين وهي البلدة التي فيها أبوه فشمَّ يعقوب ريح يوسف في هذا القميص فارتدَّ بصيراً فهو لم يكن أعمى من أصل الخلقة إذ النبيُّ أوَّل ما ينزل عليه الوحي لا بدَّ أن يكون بصيراً ثم بعد ذلك يجوز أن يعمى لمدةٍ كما حصل لنبي الله يعقوب عليه السلام.

وأما الذي يقول إن آدم عليه السلام كان متوحشاً قصير القامة شبيهاً بالقرود فهو كافر، وكذلك من قال إنه كان يمشي في الأرض عرياناً كالبهائم لأن في ذلك تكذيباً للقرآن قال تعالى في سورة التين ﴿وَالنِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة التين]، أي في أحسن صورة، فقول بعض الملحدين في العصور الأخيرة إن أوَّل البشر كان على صورة القرود تكذيب

للآية المذكورة وللحديث الصحيح «كان آدم ستين ذراعًا طولًا في سبعة أذرع عرضًا» رواه أحمد في مسنده.

تنبيه: لا يجوز أن يقال إنَّ فعل اللواط مشتق من اسم نبيِّ الله لوط، وقد ذكر الفقيه المحدث الأصولي بدر الدين الزركشي في كتاب «تشنيف المسامع» ما نصه^(١): «إنَّ الأفعال مشتقة من المصادر على الصحيح، والأفعال أصل للصفات المشتقة منها فتكون المصادر أصلًا لها أيضًا». اهـ.

وقال أبو منصور الجواليقي اللغوي في كتابه المعرب^(٢): «وكل أسماء الأنبياء أعجمية إلا أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد» اهـ، وفي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر أن الرسول ﷺ قال: «أربعة من الأنبياء من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد» وكيف يمضي هذا الزمن الطويل من آدم إلى لوط من غير أن تكون اللغة العربية هي أول لغة تكلم بها آدم وعلمها أبناءه كلغات غيرها فيها فعل اللواط بل كان أولاد آدم ومن بعدهم يعرفون كلمة لاط بتصاريدها كما كانوا يعرفون كلمة الزنى وتصاريدها، وقائل هذا كالذي يقول إنَّ البشر ما كانوا يعرفون كلمة الزنى وتصاريدها حتى مضى على البشر زمان طويل، وكيف يكون هود وصالح اللذان هما مبعوثان إلى العرب لغتهما ولغة من أرسلنا إليه خالية عن هذه الكلمة فلا يغترَّ بنقل هذه المقالة الشيعة في كتاب «لسان العرب»^(٣) و«شرح القاموس المسمى تاج العروس»^(٤) عن الليث فإنَّ الزجاج كما في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن قد زيفها.

اللوواط لفظ عربي هو مصدر لاط ولوط اسم أعجمي فكيف يدعي مدَّع أنه مشتق من اللواط، وكذلك عكسه وهو القول بأنَّ اللواط مأخوذ من لوط، فلفظ اللواط كان

(١) تشنيف المسامع (١/٤٢٠).

(٢) المعرب (ص ١٣).

(٣) لسان العرب (٧/٣٩٦).

(٤) شرح القاموس المسمى تاج العروس (٥/٢١٨).

قبل قوم لوط لأن اللغة العربية لغة قديمة حتى قال بعض العلماء كما في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: «إن أول لغة تكلم بها آدم هي العربية ويشهد لذلك ما ورد في الصحيح (أن آدم عطس فقال الحمد لله)، وإنما قوم لوط هم أول من فعل تلك الفعل الشنيعة، أما اللفظ فقد كان موضوعًا بين المتكلمين باللغة العربية قبل لوط كقوم عاد، وليس في قول الله تعالى إخبارًا عن قول لوط لقومه ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف]، أن لفظ اللواط لم يكن قبل ذلك وإنما معناه أن فعل تلك الفاحشة لم يسبقهم بها قبلهم غيرهم، فوضع الكلمة يتقدم على العمل به. ولا يقاس المشتق على المعرب فالمعرب لا يسمى مشتقًا فهو شيءٌ والاشتقاق شيءٌ آخر فالمعرب نقل لغة أعجمية إلى العربية كأسماء الأعيان نقل عدد منها استعملتها العرب وفرق بعيد بين هذا وبين الاشتقاق. ثم إن الله تعالى صان الأنبياء من المنقرات ككون أساميهم من الأسماء القبيحة الشنيعة وأخلاقهم من الأخلاق القبيحة، فمن نسب إليهم اسمًا شنيعًا بشعًا فقد انتقصهم، وقد صحَّ أن الرسول قال «ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه حسن الصوت» رواه الترمذي فإذا كان الأنبياء هكذا يتعين أن تكون أساميهم حسنة، فكيف استساغ بعض اللغويين القول إن لوطًا مأخوذ من اللواط بل هذه المقالة باطلة شنيعة لغة وشرعًا، فليحذر من تقليد هؤلاء. وكيف خفي على من قال تلك المقالة أن الأفعال وأسماء الأفعال وأسماء الفاعلين والصفة المشبهة وأفعال التفضيل كل ذلك مشتق من المصدر، قال أبو القاسم في «ملحة الإعراب»^(١): [الرجز] والمصدر الأصل وأي أصل ومنه يا صاح اشتقاق الفعل فكيف استجازوا أن يكون اسم هذا النبي الكريم مشتقًا من اللواط، أو أن يكون اللواط مشتقًا منه. الله تعالى عصم الأنبياء من أن تكون أسماؤهم خبيثة أو مشتقة من خبيث أو يشتق منها خبيث، ولا يخفى على المتأمل أن قول هؤلاء لا ينطبق على

(١) ملحة الإعراب (ص ٣٨).

أنواع الاشتقاق الثلاثة التي بينها العلماء في محلها.

وما نقله الأزهري في تهذيب اللغة^(١) عن الليث من أن الناس اشتقوا من اسم لوط لمن فعل اللواط لا يتفق مع ما قاله الأزهري أيضاً من أن ما سوى الأسماء الأربعة من أسماء الأنبياء أعجمية، فلا اعتماد عليه. هذا وقول الليث إن الناس اشتقوا من اسم لوط فعلاً لمن فعل اللواط ليس صريحاً في أن هذا اشتقاق صحيح لغة فلعل مراده أن هذه نسبة غير معتبرة وإنما بعض الكفار فعلوا ذلك ولا يريد بذلك تصحيح اشتقاق ذلك الفعل من اسم لوط عليه السلام.

وأما قول الناس لمن يفعل تلك الفعلة لوطيٌّ فإنما هو نسبة إلى قوم لوط وليس إلى لوط نفسه، عملاً بالقاعدة العربية في التسمية من أنهم إذا نسبوا شيئاً إلى اللفظ المركب من مضاف ومضاف إليه يذكرون لفظ المضاف إليه فيقولون في عبد القيس فلان قيسي ولا يفهمون منه إلا القبيلة، وكذلك قول لوطيٍّ، على أن هذه ليست من العبارات المستحسنة أما اللفظ الصحيح أريد اللفظ عند النسبة أن يقال فلان اللوادي أو فلان اللائط.

والحاصل أن ما ذكر من اشتقاق لاط ونحوه من اسم لوط ليس في شيء من الاشتقاق المصطلح عليه عند اللغويين لأن الاشتقاق المصطلح عليه عندهم شرطه أن يكون المشتق والمشتق منه من لغة العرب لقولهم في تعريفه: «ردّ لفظ آخر لمناسبة بينهما مع تقسيمهم أنواعه الثلاثة إلى أمثلة من اللغة العربية حيث مثلوا للاشتقاق الأصغر بحلب وحلب وللأوسط؛ جذب وجذب وللأكبر بثلب وثلم وما أشبه ذلك، ولوط عليه السلام هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام وهما ليسا عربيين بالاتفاق انتهى.

ويجب للأنبياء أيضاً التبليغ فلا يجوز عليهم أن يكتموا ما أمروا بتبليغه لأن ذلك ينافي منصب النبوة. وقد دلّ على ذلك قوله تعالى في سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.

(١) تهذيب اللغة (١٤/٢٥).

فمعنى تمنى في هذه الآية تلا وقرأ، ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته أي يزيد الشيطان على ما قالوه ما لم يقولوه ليوهموا غيرهم أن الأنبياء قالوا ذلك الكلام الفاسد، وليس معناه أن الشيطان يتكلم على لسان النبي فقد قال الفخر الرازي في التفسير الكبير^(١): «من جَوَّزَ على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر». اهـ أي يكفر من قال إن الشيطان أجرى كلامًا على لسان النبي ﷺ هو مدح الأوثان الثلاثة اللات والعزى ومناة بهذه العبارة «تلك الغرائق وإن شفاعتهن لترتجى» إذ يستحيل أن يمكن الله الشيطان من أن يجري على لسان نبيه مدح الأوثان.

وإيضاح هذا القضية أن الرسول كان يقرأ ذات يوم سورة النجم فلما بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ آلَ لَتِّ وَالْعُرَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ انتهز الشيطان وقفة رسول الله وسكته فأسمع الشيطان المشركين الذين كانوا بقرب النبي موهمًا لهم أنه صوت النبي هذه الجملة «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون وقالوا ما ذكر محمد ءلهتنا قبل اليوم بخير ف جاء جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بالحال فحزن الرسول فأنزل الله هذه الآية تسلية له «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته» فأنزل الآية المذكورة ءانفا لتكذيبهم معنى قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ يكشف الله ويبين أنه ليس من كلام الأنبياء، وذلك ابتلاء من الله وامتحان ليتميز من يتبع ما يقوله الشيطان ومن لا يتبع فيهلك هذا ويسعد هذا.

وليس في قول النبي ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة» أنّ من سوى نبينا محمد لم يجب عليه أن يبلغ من هم من سوى قومه إنّما المعنى أن الأنبياء غير نبينا أرسلوا إلى أقوامهم أي أن النص لهم كان أن يبلغوا قومهم ليس معناه أنهم لا يبلغون سوى قومهم لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل من استطاع من أفراد المكلفين وذلك في حق الأنبياء أوكد.

(١) التفسير الكبير (٢٣ / ٥١).

وليعلم أن كل الأنبياء فصحاء فليس فيهم من يكون في لسانه عقدة وحبسة ويعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه، ولا تأتاء في الأنبياء ولا أثنى ولا أرت. وأمّا الأثنى فهو الذي يُصير السين ثاء وأمّا الأرت فهو الذي لا يفصح الكلام ولا يبينه. وأنّه يستحيل عليهم سبق اللسان في الشّريعات والعاديّات لأنّه لو جاز عليهم لارتفعت الثقة في صحة ما يقولونه ولقال قائل عندما يبلغه كلام عن النبي «ما يدرينا أنه يكون قاله على وجه سبق اللسان»، فلا يحصل من النبي أن يصدر منه كلام غير الذي أراد قوله، أو أن يصدر منه كلام ما أراد قوله بالمرّة كما يحصل لمن يتكلم وهو نائم.

أمّا النسيان الجائز عليهم فهو كالسّلام من ركعتين كما حصل مع الرسول ﷺ مما ورد من أنّه قيل لرسول الله أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت قال «كل ذلك لم يكن» ثم سأل أصحابه «أصدق ذو اليدين» - وهو السائل - فقالوا نعم فقام فأتى بالركعتين. رواه مسلم في صحيحه.

ومما يستحيل على الأنبياء أيضًا الجنون، وأمّا الإغماء فيجوز عليهم، وقد كان رسول الله ﷺ يغمى عليه من شدّة الألم في مرض وفاته ثمّ يصبُّ عليه الماء فيفيق. ومما يستحيل عليهم تأثير السحر في عقولهم فلا يجوز أن يعتقد أن الرسول أثر السحر في عقله وإن قاله من قاله. وأمّا تأثير السحر في جسد النبي فقد قال بعض العلماء إنه جائز فقد ورد أن يهوديًا عمل السحر لرسول الله فتألم الرسول من أثر ذلك. وكذلك يستحيل على الأنبياء الجبن أما الخوف الطبيعي فلا يستحيل عليهم بل هو موجود فيهم وذلك مثل النفور من الحية فإن طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحية وما أشبه ذلك مثل التخوف من التكالب عليهم حتى يقتلوهم فإن ذلك جائز عليهم.

ولا يختار الله تعالى لهذا المنصب إلا من هو سالم من الرذالة والخيانة والسفاهة والغباوة والبلادة فمن كانت له سوابق من هذا القبيل لا يصلح للنبوّة ولو تخلى منها بعد، فلا تجوز النبوّة لإخوة يوسف الذين فعلوا تلك الأفاعيل. وليس المراد بقوله تعالى: ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾ إخوة يوسف هؤلاء بل المراد ذريتهم أو ما يشمل أخاهم

بنيامين وذريتهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ [سورة يوسف] فقد قيل فيه نحو خمس تأويلات وأحسن ما قيل في ذلك أن يقال قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مربوط بما بعده أي بقوله (لولا أن رأى برهان ربه) فيكون على هذا التفسير ما همَّ يوسف بالمرّة لأنه رأى البرهان، أما لو لم ير البرهان لهم، والبرهان هو العصمة أي أنه ألهم أن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الشيء وأنه سيؤتى النبوة فلم يهّم. هذا أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية. وقال بعض علماء المغاربة معنى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ أي همت بأن تدفعه ليزني بها وهمَّ يوسف بدفعها ليخلص منها.

والخلاصة أن الأنبياء لا يقعون في الزنى ولا يهّمون به.

بيان ما جاء في عدد الأنبياء

أخرج ابن حبان من حديث أبي ذر أنه سأل رسول الله عن عدد الأنبياء فقال رسول الله ﷺ: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». وأنه قال كم الرسل منهم؟ فقال «ثلاثمائة وثلاثة عشر». وصححه لكن في سنده من هو مختلف في توثيقه فلا تقوم به حجة عند جمهور علماء التوحيد، فقد قدمنا أنهم يشترطون للاحتجاج بالحديث في العقائد أن يكون الحديث مشهوراً وإن كان دون المتواتر فقد احتج الإمام أبو حنيفة بأخبار هي في درجة المشهور في بعض رسائله التي وضعها في العقيدة. ثم إن الصحيح تفضيل الأنبياء على الملائكة بدليل قوله تعالى بعدما ذكر عدداً من الأنبياء منهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط ﴿وَكَأَلَّا فُضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام].

والعالمون يشمل الإنس والجن والملائكة. فبطل زعم من زعم تفضيل الملائكة على الأنبياء محتجاً بقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء]. انتهى كلام الإمام الهري.

وقال الحافظ زين الدين العراقي في كتابه «طرح التشريب في شرح التقريب»^(١) «قال القاضي عياض: الأنبياء منزهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من المعايب ولا يلتفت إلى ما قاله من لا تحقيق عنده في هذا الباب من أصحاب التاريخ في صفات بعضهم وإضافته بعض العاهات - المنفرة - إليهم فالله تعالى نزههم عن ذلك ورفعهم عن كل ما هو عيب ونقص مما يغض العيون وينفر القلوب، انتهى كلام القاضي عياض، وكذا ذكر النووي والقرطبي هذا» اهـ.

وعند شرحه^(٢) لحديث (خرَّ عليه جرادٌ من ذهب فجعل أيوبٌ يحتشي في ثوبه) يقول الحافظ زين الدين العراقي: «الرابعة: فيه أنه لا يُحَكَّم على الإنسان بالشره وخبِّ

(١) طرح التشريب في شرح التقريب (دار الكتب العلمية، الجزء الثاني ص ٢٠١).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٢٠٥ - ٢٠٦).

الدنيا بمجرد أخذه لها والإقبال عليها، بل ذلك يختلف باختلاف المقاصد وإنما الأعمال بالنيات، فمُحالٌ أن يكون أيوب عليه الصلاة والسلام أخذ هذا المال حُبًّا للدنيا، وإنما أخذه كما أخبر هو عن نفسه لأنه بركة من ربه» اهـ.

فإذا كان حب الدنيا مستحيلًا عليهم، فكيف يُنسبُ بعد ذلك الزنى ليوسف أو أنه أراد الزنى أو أن داود أراد أن يقتل قائد جيشه ليتزوج امرأته بعده أو أن عيسى شرب الخمر أو أن إبراهيم أشرك بربه، أو أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى كل الأنبياء وسلم كان متعلق القلب بالنساء، أو كما يقول بعض الماجنين الساقطين بالعامية (شهنوجي) أو (نسونجي)، وهذا وأمثاله مما يُنسبُ للأنبياء مما لا يليق بمنصب النبوة ويكذبُ عصمتهم هو كفرٌ وخروج من الإسلام.

وقال المفسر فخر الدين الرازي في كتابه «عصمة الأنبياء» ما نصه^(١): «والدعوة تستلزم أن يكون للداعي من المهابة في النفوس والإجلال في القلوب والمنزلة الكريمة عند الناس وظهور الكمال الخُلقي والخُلقي حتى تخضع لها الفطر السليمة والقلوب المستقيمة. ومن أجل هذا بعث الله أنبياءه في أشرف أقوامهم نسبًا وبرأهم من العيوب الجسيمة المشوهة وأعطاهم أكمل صفات الرجولة من الشجاعة وصدق العزيمة وقوة الإرادة وشدة البأس وسعة الصدر وحدة الذهن وذكاء القلب وطلاقة اللسان وحلاوة المنطق، وما إلى ذلك مما يكون به المختار لرسالة ربه أكمل الرجال في قومه وقبيلته وأملأهم للأسماع والأبصار» اهـ.

وقال المفسر الرازي أيضًا في كتابه المسمى «النُبُوات» ما نصه^(٢): «يمتاز النبي عن سائر البشر بالعقل الراجح والخُلُق العظيم، من قبل النبوة ومن بعدها، لأن الناس لا يصدقون إلا من يثقون فيه» اهـ.

وقال أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن حُمَيْر في كتابه

(١) عصمة الأنبياء (دار الكتب العلمية ص ١٣).

(٢) النُبُوات (تحقيق أحمد حجازي السقا، ص ٨).

«تنزيه الأنبياء عما نَسَبَ إليهم خُثالة الأَغبياء» ما نصه^(١) : «وغرَضُ هؤلاء الفسقة في سرد تلك الحكايات المورَطةِ قائلها وناقِلها في سخط الله تعالى أن يَهَوَّنوا الفُسوق والمعاصي على بُلِّهِ العوامِّ» ويقول^(٢) : «والذي يُعَوَّل عليه في هذه القصة وما يُضاهيها من القصص، ما جاء به الكتاب العزيز، أو ما صحَّ عن الرسول - عليه السلام - من الخبر، وما سوى ذلك فيُطرحُ هو ومُختلِّفه وراويهِ إلى حيثُ أَلقت رَحَلها أُمَّ قَشْعَم» ويقول^(٣) : «فصل . تفصيلٌ في معنى (الهِمَّ) وتوضيح . فإن قيل : فما الحق الذي يُعَوَّل عليه في هذا الهمِّ؟ فنقول : أولاً : إن بعض الأئمة ذكروا أن الإجماع منعقد على عصمة بواطنهم من كل خاطر وقع فيه النهي» ويقول^(٤) : «وأما قولهم : نظر في الكوكب فقال : «هذا ربي»، مُعتقداً لذلك فباطل، فإن هذا القولُ كُفِّرَ صُراح، وما كُفِّرَ نبيُّ قطُّ ولا سَجَدَ لِوَثْنٍ قبل النبوة ولا بعدها، ولا تَفَوَّهَ أحدٌ من الأمة بذلك قطُّ» ويقول^(٥) : «فحاشاهم أن يكفروا اعتقاداً أو يتلفظوا بكلمة كُفِّرَ : صغاراً كانوا أو كباراً» اهـ.

قال المفسر محمد بن أحمد القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن قال ما نصه^(٦) في قصة سيدنا أيوب في تفسير قوله تعالى إخباراً عن سيدنا أيوب (مسنى الضر) : «السابع : أن دودة سقطت من لحمه فأخذها وردّها في موضعها فعقرته فصاح مسني الضر فقيل : أعلينا تتصبر . قال ابن العربي : وهذا بعيد جداً مع أنه يفتقر إلى نقل صحيح، ولا سبيل إلى وجوده . الثامن : أن الدود كان يتناول بدنه

(١) تنزيه الأنبياء عما نَسَبَ إليهم خُثالة الأَغبياء (دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية ص ٣٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٨).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٥٨).

(٤) المصدر نفسه، (ص ٩٨).

(٥) المصدر نفسه، (ص ٩٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (طبعة دار الفكر بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ المجلد ١١ ص ٣٢٣ - ٣٢٤).

فصبر حتى تناولت دودة قلبه وأخرى لسانه، فقال: مسني الضر لاشتغاله عن ذكر الله، قال ابن العربي: ليس له سند وهو دعوى عريضة - أي كذبة كبيرة - . انتهى بالمعنى . وما قيل من الكذب والافتراء والازدراء بنبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام من أن الشيطان تسلط عليه أو لعب به أو أنه عليه السلام خرج منه الدود أو ألقى على مزبلة بني إسرائيل أو أن الرائحة الكريهة خرجت منه أو أنه قال لزوجته عندما سألته أين أيوب إن الكلاب أخذته وما قيل إن صاحبه قال فيه إنه لو لم يذنب ذنبًا كبيرًا عظيمًا ما ابتلاه الله هذه المدة أو قولهم إن الله عاقبه بالأمراض البشعة لأنه ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو قولهم أن الله دنا من أيوب في غمامة فنودي أن أدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وغير هذا من دسائس اليهود على الأنبياء والأخبار الركيكة السخيفة المركبة التي ما أنزل الله بها من سلطان وعلى واضعها من الله ما يستحق من اللعنات والسخط والغضب .

وممن ردّ هذه الأكاذيب والأباطيل مروان سوار مدقق المصاحف في وزارة الأوقاف السورية في تحقيقه لكتاب تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) فقال ما نصه: «قصة إبليس هذه من وضع أحد تلاميذه ولا يصح في دين الله سبحانه أن نصدق أن الله سبحانه يسلط هذا اللعين الخبيث على أنبيائه، حاشا لله عز وجل وهو القائل في كتابه الكريم في سورة الإسراء والحجر: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ في معرض خطابه سبحانه لهذا اللعين، وقال سبحانه في سورة النحل ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ فمن هو الأولى بهذه الرعاية الإلهية؟ أليس الأنبياء والمرسلون ثم من بعدهم المؤمنون؟ اللهم بلى!! ويا ليت الإمام البغوي قد أغفل ذكر هذه الأباطيل وأراح منها الإيمان والإسلام» .

وقال عمّا يفترى على سيدنا أيوب من أن الدود يخرج منه ثم يعيده إلى جسده ما نصه: «هذا زعم باطل يتنافى مع عصمة الأنبياء وحفظهم من الله تعالى من كل الأمراض المنفرة، وذلك لتبليغ الدعوة، ولا يعقل أن الله تبارك وتعالى يشغل نبيه أيوب عليه السلام بألعيب إبليس اللعين عن أمور الدعوة والتبليغ والعبادة، نعم:

إنه صحيح أن الأنبياء أشد الناس بلاء كما قال رسول الله ﷺ، ولكن لم يكن الله سبحانه وتعالى ليبتلهم بتسليط إبليس عليهم وجعلهم أعبوبة بين يديه كما تصوره هذه الأخبار الباطلة المختلقة. ولا ندري كيف استساغ الإمام البغوي على جلالته قدره ذكر هذه الأخبار المنكرة ولم ينبه على بطلانها؟!».

وعلق أيضًا على القول الفاسد إن أيوب نودي بأن الله قد دنا منك فادل بعذرِكَ وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك... إلى آخر هذا الافتراء على الله وعلى نبيه، فقال مروان سوار ما نصه: «لا يخفى أن هذا الكلام مختلق مكذوب على الله تعالى وعلى نبيه أيوب عليه السلام وسبحانك ربي إن هذا لبهتان عظيم».

وقال في معرض رده على الافتراء الموجود في كتاب البغوي أن إبليس تسلط عليه ما نصه: «إن مما لا شك فيه أن هذه الأخبار التي تتضمن تسلط إبليس اللعين على أيوب عليه السلام لم تثبت عن صادق، وليس لها أصل في دين الله تعالى، وأنا لنبرأ إلى الله تعالى من كل أفك أثيم».

ثم قال أيضًا عن كذبهم على سيدنا أيوب من أنه لم يبق له إلا عيناه وأن إبليس قال أنا أداويه على أن يقول أنت شفيتني وغير ذلك من الكذب ما نصه: «هذا والله لتتقرز نفس البشرية من هذا الكلام الفاحش والبهتان المفترى على نبي الله أيوب عليه السلام، وأنا لنرى أن بلاء أيوب مستمر بعد وفاته حتى يأذن الله تعالى لمن يزيل هذه الأباطيل من كتب التفسير والله المستعان على ما يصفون وهذا على شاكلة ما سبق من البهتان».

وفي كتاب «مجادلة الأنبياء في التوحيد لأقوامهم على حسب ما جاء في القرآن» ما نصه^(١): «مرض أيوب عليه السلام ليس كما هو مذكور في التوراة المحرفة وبعض الكتب من أن أيوب عليه السلام نزل منه الدود وذكر أن مرضه منفر غير

(١) مجادلة الأنبياء في التوحيد لأقوامهم على حسب ما جاء في القرآن (للمؤلفين البروفسور نور الدين محمد سولماس والبروفسور إسماعيل لظفي شكان، طبع في اسطنبول في ١٠-٢-١٩٧٥ بتصديق وموافقة التعليم الدولي في تركيا بموافقة وزير التربية والتعليم ص ١٨٠).

صحيح، ولا نبي من أنبياء الله يصاب بمرض منفر للدعوة ولا بمرض يؤخره عن الدعوة إلى الحق، أيوب عليه السلام ذهب ماله ومات أولاده وأصيب بالمرض لكن هذا المرض ليس مرضًا منفردًا لكن بعض الناس يذكرون هذا الكلام المكذوب حتى يتأثروا به ويقولون قصدنا أن نظهر قوة صبر أيوب من هذه القصة ولكن قولهم هذا مناقض للإيمان في حق الأنبياء» اهـ.

وقال الشيخ محمد درويش الحوت في كتابه المسمى «أسنى المطالب» في ما افترى على سيدنا أيوب من أنه تناثر منه الدود^(١): «ما يذكره أهل القصص وبعض المفسرين من المنفردات طبعًا كل ذلك زور وكذب وافتراء محض ولا عبرة بمن نقل ذلك». ثم قال بعد ذكر القصة المفتراة على داود عليه السلام من أنه عشق امرأة قائد جيشه: «كل ذلك كذب من وضع اليهود ولا عبرة بمن نقله عنهم من المفسرين» اهـ.

تنبيه مهم: مما يجب التحذير منه كتاب (قصص الأنبياء) للشعالبي، ففيه مثل هذه المواضع وزيادة عليها من قصص أخرى مفتراة لا أصل لها، كالقصة التي تروى أن الدود كان يتناثر من جسد أيوب عليه السلام في مرضه فصار يردّها إلى جسده ويقول لها: «كلي فقد جعلني الله طعامك» وأن أيوب عليه السلام على زعمه تقطع لحمه وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشًا، نعوذ بالله تعالى من الضلال فقد أجمع علماء الإسلام على أن أنبياء الله هم صفوة خلق الله وهم علماء حكماء معصومون بعصمة الله لهم تبارك وتعالى فيستحيل على أحدهم أن يضر نفسه - لأن حفظ النفس مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء وأجمع عليه العقلاء -، ويستحيل عليهم أيضًا الأمراض المنفردة التي تنفّر الناس عنهم، وهذه القصة لا تجوز في حق نبي من الأنبياء وهي كذب، وهي مذكورة أيضًا في بعض التفاسير غير المعتمدة.

وإنما أيوب عليه السلام ابتلاه الله تبارك وتعالى بلاءً شديدًا استمر مرضه ثمانية عشر عامًا وفقد ماله وأهله ثم عافاه الله وأغناه ورزقه الكثير من الأولاد، وأما أن مرض أيوب طال ثمانية عشر عامًا فهو في صحيح ابن حبان. اهـ.

(١) أسنى المطالب (دار الكتاب العربي ص ٣٧٦).

براءة الأنبياء مما نُسب كذباً وزوراً للعلماء

براءة الحافظ ابن حبان من دَس المُحَرِّفِينَ: مما دَسُوا عليه في صحيحه^(١)، قولهم إن عددا من خيرة الأنبياء وهم آدم، نوح، إبراهيم، موسى وعيسى، يقولون يوم القيامة أنهم يخافون أن يُطْرَحُوا في النار.

والعياذ بالله من الافتراء على الأنبياء، فإذا كان الأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فكيف بالأنبياء؟! قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّوْنَهُم مَّلَٰئِكَةٌ هَدَاةٌ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، وهذه الآيات الكريمة صريحة بأن الأنبياء والأولياء محفوظون من العذاب ومن دخول النار بأي شكل من الأشكال، فمن نسب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأنهم يخافون من أن يطرحهم الله في النار فقد جعلهم كالعصاة الفاسقين الذين يخشى عليهم من العذاب في جهنم يوم القيامة، وجعلهم غير عارفين بمقامهم وبمرتبهم العظيمة كما قال الله عنهم في سورة الأنعام: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾﴾.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أحب الخلق إلى الله، والله لا يعذب أحبابه، وهم في أعلى مرتبة في الجنة، فمن قال إنهم يخشون على أنفسهم من عذاب النار في الآخرة فقد كذب صحيح المنقول وصريح المعقول، فهو كافر بالله غير عارف بعصمة الأنبياء.

والحافظ ابن حبان رحمه الله بريء من ذلك. براءة الإمام النووي من دَس

(١) (طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ، المجلد الثامن ص ١٣٠).

المُحَرِّفِينَ: مِمَّا دَسَّوْا عَلَيْهِ فِي كِتَابِ الْأَذْكَارِ^(١)، قَوْلِهِمْ^(٢) وَكَذَا^(٣)، إِنْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَصَابَ قَوْمَهُ بِالْعَيْنِ فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا.

والعياذ بالله من الافتراء على الأنبياء عليهم السلام، فقد عصمهم الله من ذلك، فإذا كان من المصالح العامة أن الذين يصيبون بالعين يحجزهم الخليفة عن الناس، فكيف يجوز ذلك على الأنبياء وقد أمرهم الله تعالى أن يخاطبوا الناس لتعليمهم مصالح دينهم ودنياهم، وهذا ينفي أن يكون نبي من الأنبياء يصيب الناس بالعين، ولو أصابوا بالعين لكان ذلك سببًا لنفور الناس وهربهم منهم، ثم إن الذي يصيب بالعين ويؤذي الناس ويقتلهم هو صاحب نفس خبيثة، وهذا مستحيل على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام فهم أزكى خلق الله نفوسًا وأطهر خلق الله باطنًا وظاهرًا، نقاءً وصفاءً، وأبعد خلق الله عن خبث النفس ورذالة الأعمال، فمن نسب إليهم غير ذلك فإنه منتقص لهم مكذب للإسلام يلزمه أن يتراجع عن ذلك وينطق بالشهادتين للرجوع إلى الإسلام.

والإمام النووي رحمه الله بريء من ذلك.

(١) الأذكار (طبعة دار المنهاج الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٥١٥).

(٣) المصدر نفسه، (طبعة مكتبة المتنبي - القاهرة ص ٢٨٤).

قال الله تعالى:

﴿ اَلْكَانَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ﴿٦٦﴾

[سورة الأنفال]

قول الله تعالى: ﴿ وَعَلِمَ ﴾ ليس راجعًا لقوله تعالى: {الآن}، بل المعنى أنه تعالى خَفَّفَ عنكم الآن لأنه عَلِمَ بعلمه السابق في الأزل أنه يكون فيكم ضعف. هذه الآية معناها أنه نُسِخَ ما كان واجبًا عليهم من مقاومةٍ واحدٍ من المسلمين لأضعافٍ كثيرةٍ من الكفار بإيجابٍ مقاومةٍ واحدٍ لاثنتين من الكفار رحمةً بهم للضعف الذي فيهم.

والدليل العقلي على صفة العلم هو أنه تعالى لو لم يكن عالمًا لكان جاهلًا والجهل نقصٌ والله منزّهٌ عن النقص، وأما من حيث الثقل فالنصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الحديد].

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة»^(١): «أمر - الله - بذلك مع علمه أن فيهم ضعفًا» اهـ.

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ [سورة محمد].

هذه الآية لا تعني أن الله يتجدد له علم، وليس معنى ذلك أنه سوف يعلم المجاهدين بعد أن لم يكن عالمًا بهم بالامتحان والاختبار، ويكفر من يقول إن الله تعالى يكتسب علمًا جديدًا، وهذا يستحيل على الله تعالى، بل معنى الآية حتى نُمَيِّز أي حتى نُظْهِرَ للعباد المجاهدين منكم والصابرين من غيرهم، الله يبتلي عباده حتى يُظْهِرَ وَيُمَيِّزَ لعباده من هو الصادق ومن هو غير الصادق، فالملائكة يعرفون أن هذا صادقٌ صابرٌ على طاعة الله وأن هذا ليس بصابرٍ، يَكشِفُ الله تعالى لهم ولمن شاء من خلقه من الذين يجاهدون في سبيل الله صابرين على المشقات، يُظْهِرُهم

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد الخامس ص ٢٥٤).

عباده من غيرهم الذين لا يصبرون، وهو عالم بعلمه الأزلي مَنْ هو الصَّابِرُ وَمَنْ هو غير الصَّابِرِ كما نقل ذلك البخاري في صحيحه عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ المَثْنَى وهذا شبيهٌ بقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (٣٧) [سورة الأنفال].

قال القاضي المفسر ابن عطية الأندلسي في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» في شرحه لقول الله تعالى: ﴿حَقَّقْنَا لَكُمْ الْعَمَلَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ ما نصه (٢): «وَعَلَّمَ اللَّهُ بِالْمُجَاهِدِينَ قَدِيمَ أَزْلِي» اهـ.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه (٣): «ويكون التغيّر في ذلك المعلوم لا في علمه تعالى، والله الموفق» اهـ. فلا يجوز اعتقاد أن الله تعالى يتجدّد له علمٌ لم يكن عِلْمَهُ في الأزَل، بل يكفّر من اعتقد ذلك. وكذلك يكفر من يقول «الله لا يعلم بالشيء إلا بعد حصوله»، ويجب التحذير من قول بعض أدياء التصوف ومن قول بعض المبتدعة من أهل الأهواء الزائغين عن الإسلام الذين كفروا وضلوا من أن الله لا يعلم ما سيفعل هذا الإنسان إلا بعد أن يفعله، وعلى زعمهم لم يعلم الله أن الكافر سيكفر إلا بعد أن يكفر، فهؤلاء من أشد الناس كفرًا.

قال الإمام الطحاوي في «العقيدة الطحاوية»: «وقد عَلِمَ اللهُ تعالى في ما لم يزل عدد مَنْ يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقصُ منه، وكذلك أفعالهم في ما عَلِمَ منهم أن يفعلوه، وكلُّ ميسّر لما خُلِقَ له» اهـ. قال الحافظ الحجة الشيخ عبد الله الهرري في «إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية» في شرحه لكلام الطحاوي، ما نصه (٤): «ويستحيل ألا يعلم ما يكون من

(١) فتح الباري (٨/ ٥١٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الجزء الخامس ص ١٢١).

(٣) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد التاسع ص ٢٨٣).

(٤) إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية (دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع،

مخلوقاته قبل وجودهم إذ ذاك جهل والجهل في حق القديم محال، فثبت سبق علمه في الأزل بما يكون من مخلوقاته» اهـ.

قال أبو بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي المتوفى سنة ٣٧٠هـ، في كتابه «أصول الجصاص المسمى الفصول في الأصول» ما نصه^(١): «ومن جَوَزَ النَّسْخَ فِي اعتقاد معاني خبر الله تعالى وخبر الرسول عليه السلام فقد وصَفَ اللهُ تعالى بالبداء، وأنه ظهر له في الثاني ما لم يكن علمه قبل، لأن البداء، معناه الظهور، قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدِدَ لَكُمْ سُؤُكُمْ﴾ [سورة المائدة]، يعني إن تظَهَّرَ لكم، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ﴾ [سورة البقرة]، ومن جَوَزَ البداء على الله تعالى فهو خارج عن ملة الإسلام» اهـ.

وهذا تكفير صريح لكل من قال أو اعتقد أنّ الله يتجدد له علم، أو لا يعلم شيئاً إلا بعد حصوله، أو لا يعلم الصابر أنه صابر إلا بعد صبره، أو أنه ظهر له شيء كان خافياً عليه، لأنه يكون قد نسب الجهل إلى الله، والله تعالى يقول ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ويكون شبهه بخلقه، والإمام الطحاوي يقول: ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر.

= الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ص ١٨٩).

(١) أصول الجصاص المسمى الفصول في الأصول (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ المجلد الأول ص ٣٥٨ و ٣٥٩).

قال الله تعالى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ ﴿٤٣﴾﴾

[سورة التوبة]

من البدع التي انتشرت قول القرضاوي في حلقة تلفزيونية على قناة الجزيرة (١٢/٩/١٩٩٩) إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْتَهِدُ أَحْيَانًا وَيَخْطِئُ فِي اجْتِهَادِهِ وَقَدْ اسْتَدَلَ بِحَدِيثٍ أَنَّ شَخْصًا سَأَلَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الشَّهَادَةِ فَقَالَ ﷺ يَغْفِرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى الرَّجُلَ نَادَاهُ فَقَالَ لَهُ إِلَّا الدِّينَ. فاعتبر القرضاوي أنه أخطأ بالأولى ونبهه جبريل إلى ذلك فاستثنى.

الرد: أَنَّ أَفْحَمَ مَا يَجَابُ بِهِ الْقُرْضَاوِيُّ وَأَمْثَالُهُ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾. وأما ما ادعاه القرضاوي فقد كان الكلام الأول بوحي والثاني بوحي وليس عن اجتهاد خاطئ كما ادعى القرضاوي وكذلك أخذه للفداء من أسارى بدر كان بتخيير من جبريل بين قتل الكفار وبين الفداء رواه ابن حبان، فلا حجة فيه لمن ادعوا أنه مجوز الخطأ عليه ﷺ في اجتهاده.

وأما ما جاء في قصة فداء أسرى بدر بالمال أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي غَدِ يَوْمِ الْفِدَاءِ (لَوْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَذَابٌ مَا نَجَا مِنْهُ إِلَّا عَمْرٌ) وكذلك قولهم بدعوى جواز الخطأ عليه في اجتهاده مستدلين بقوله ﷺ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنُّ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» رواه البخاري في صحيحه، فإنه يقضي في مثل ذلك بناء على ما أوحى إليه من الشرع ليس اجتهادا منه والله لم يكلفه أن يطلع على الغيب ويحكم بمقتضاه فتبين أنه لا يجوز الخطأ عليه ﷺ في الحكم الشرعي وأما الخطأ في غير التشريع فجائز عليه فإنه في الأمور الدنيوية مثل الذي ورد في تأبير النخل كذلك لا يجوز عليه الخطأ في إخباره بأن كذا فيه شفاء كقوله عليه السلام لرجل استطلق بطن أخيه (اسقه عسلا)

فإن تجويز الخطأ عليه في مثل ذلك فيه نسبة ما يضر الأمة إليه ﷺ والحاصل أن كل ما احتج به القائل بجواز الخطأ عليه في الأحكام الشرعية يدل على أنهم ليسوا على فهم بل عقولهم معكوسة وأفهامهم مطموسة وفي قول هؤلاء إيهام للجهال للشك في ما يقوله رسول الله هل هو موافق للحق أم لا، وهذا فيه سوق الناس إلى الإلحاد، قال بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع»^(١): «إذا جَوَزْنَا الاجتهاد على النبي ﷺ فالصواب أنه لا يخطئ اجتهاده، وهذا هو الحق» اهـ. هذا وقد قال العلامة ابن أمير الحاج في كتابه التقرير والتحبير ما نصه: «وقيل بامتناعه أي جواز الخطأ على اجتهاده نقله في الكشف وغيره عن أكثر العلماء وقال الإمام الرازي والصفى الهندي إنَّه الحق وجزم به الحلبي والبيضاوي وذكر السبكي أنَّه الصواب وأنَّ الشافعي نصَّ عليه في مواضع من الأم لأنه أولى بالعصمة من الخطأ من الإجماع لأنَّ عصمته - أي الإجماع - عن الخطأ لنسبته إليه أي إلى النبي ﷺ وللزوم جواز الأمر باتباع الخطأ لأننا مأمورون باتباعه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ إلى غير ذلك» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه: «وقيل كان له الاجتهاد في الأمور الدنيوية والحروب دون الأحكام الشرعية حكاة في شرح البديع وقيل كان له الاجتهاد في الحروب فقط وهو محكي عن القاضي والجبائي لقوله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ فعوتب على الإذن لما ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة تبوك ولا يكون العتاب في ما صدر عن وحي فيكون عن اجتهاد لامتناع الإذن فيه تشهيا ودفعه السبكي بأن غير واحد قال إنَّه ﷺ كان مخيرًا في الإذن وعدمه فما ارتكب إلا صوابًا فإن الله تعالى يقول ﴿ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من شرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدها وأنه لا حرج عليه في ما فعل ولا خطأ.

قال القشيري: ومن قال العفو لا يكون إلا عن ذنب فهو غير عارف بكلام العرب وإنما معنى (عفا الله عنك) لم يلزمك ذنبًا كما عفا عن صدقة الخيل ولم يجب

(١) تشنيف المسامع (مؤسسة قرطبة المكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ الجزء الرابع ص ٥٧٩).

عليهم ذلك قط» اهـ.

هذا وقد قام رئيس جامعة الأزهر الدكتور عمر أحمد هاشم بالرد على القرضاوي في قوله إن النبي يجتهد ويخطئ والرد كان من خلال خطبة الجمعة في جامع الأزهر في القاهرة وذلك بتاريخ ١٠/٧/١٩٩٩.

وأما رواية مسلم تلك الرواية التي انفرد بها فهي رواية معلولة لا يحتج بها، فيها مخالفة للأصول لأن ما وافق عليه الرسول أبا بكر مستحيل شرعاً أن يكون سبباً للعذاب فهذه الرواية خالفت القاعدة الدينية لأن الرسول خير جبريل بين أن يأخذ الفداء من الكفار وبين أن يقتلهم فاختار الفداء فكيف يترتب على أمر جاء به الإذن من الله عذاب في أمر وافق فيه الرسول فإن رسول الله ﷺ عمل برأي أبي بكر ولا بد أن يقع عمل رسول الله ﷺ إذا أقر عليه صواباً والله تعالى قرره عليه فقال وتأويل العتاب ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وكان لك كرامة خصصت بها رخصة ﴿ لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ بهذه الخصوصية ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لحكم العزيمة على ما قال عمر.

والوجه الآخر: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ قبل الإثخان وقد أثخت يوم بدر فكان لك الأسرى كما كان لسائر الأنبياء عليهم السلام ولكن كان الحكم في الأسرى المن أو القتل دون المفاداة فلولا الكتاب السابق في إباحة الفداء لك لمسكم العذاب. والمخلص على ما ذكره الكرمانى بحثاً وهو أنه أيضاً ترك الأولى ولو كان حكمه فيه خطأ لكان الأمر بالنقض مع أنه ليس فيه إلزام ذنب للنبي ﷺ بل فيه بيان ما خُصَّ به من بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك وتريدون الخطاب فيه لمن أراد منهم ذلك وليس المراد بالمريد النبي ﷺ لعصمته ثم الحاصل من هذا أنه ﷺ كان له العمل برأيهم عند عدم النص فبرأيه أولى لأنه أقوى.

وكلهم اتفقوا أن العمل يجوز له بالرأي في الحروب وأمور الدنيا: وتلك القصة المردودة التي ساقها مسلم في صحيحه من أنه قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأسارى)؟ فقال أبو بكر: هم بنو العم والعشيرة أرى أن

تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (ما ترى يا ابن الخطاب)، قال: قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو، قلت: فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تابكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء فقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة)، شجرة قريبة من رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنْخَفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ فأحل الله لهم الغنيمة.

وقال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر» رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، والمعنى مما يتعلق بغير الدين كالحرب.

ومن أقوى الردود على القرضاوي قوله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك غير رسول الله» وفي رواية «إلا النبي». أخرجه الطبراني في الأوسط وحسنه الحافظ زين الدين العراقي في تخريجه أحاديث إحياء علوم الدين، وهذا صريح في أن الرسول لا يخطئ في اجتهاده كما يخطئ أفراد الأمة، ويستثنى من ذلك إجماع الأمة فإنه لا يكون خطأً لدليل حديث آخر «لا تجتمع أمتي على ضلالة» رواه الترمذي في سننه وغيره. فبعد هذين الحديثين لا يجوز الالتفات إلى القول إنه يجوز على الرسول الخطأ في اجتهاده في أمور الدين لكن لا يقر على ذلك بل ينبه، ويؤيد هذا نص الإمام الشافعي في (الأم) وأما القول الذي يجيز الخطأ على الرسول في اجتهاده فلم يقل به مجتهد إنما قال به بعض الشافعية والحنفية هؤلاء قالوا من رأيهم ولا يوجد مجتهد فيهم، ولا قيمة لكلام هؤلاء لأن كلامهم عارض الحديث

وعارض كلام مجتهد فينبغي أن يضرب بكلامهم عرض الحائط.

قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ
عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ ﴾

[سورة التوبة]

هذه الآية نزلت لما صلى رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين في المدينة، فتصوّر بعض الناس أن النبي ﷺ، صلى على عبد الله بن أبي سلول وهو يعلم كفره، والحق فيها أن النبي صلوات ربي وسلامه عليه كان يظنه مسلمًا حين صلى عليه، خاصة أن عبد الله بن أبي المنافق لجأ إلى الخداع في مرض موته فطلب قميص النبي ﷺ ليكفن به، وأظهر الندم، وكان يخاطبه بـ يا نبي الله وهو عليه الصلاة والسلام مأمور بأن يقبل من الناس ظواهرهم، فأردنا أن نفصّل الكلام في مختلف جوانب هذه المسألة، فنكشف أولاً عن انقسام الناس في روايات هذه القصة ثم نورد التّقول عن المحققين من العلماء في توضيح ما أشكل منها ثم نبين خطورة هذا التصوّر الذي انتشر وذاع، ولا ندرى كيف انتشر مع ما بينه الحفاظ والمفسرون في كتبهم في شأنها؟!

فالناس في الأخبار الواردة في قصة عبد الله بن أبي كحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي، وقد قال يوم كذا، كذا وكذا، وكذا أعدد عليه قوله فتبسّم رسول الله عليه السلام وقال أخّر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت ولو أعلم أنني لو زدت على السبعين غفر له زدت عليها قال فصلّى عليه»، الناس افترقوا أربعة أقسام: القسم الأول: أنكروا صحة بعض ما ورد تنزيهاً للنبي ﷺ أن يُعتقد فيه ما لا يجوز، ومنهم:

١ - الغزالي في المستصفي قال: الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح.

٢ - إمام الحرمين في مختصره قال: هذا الحديث غير مخرج في الصحيح.
وقال في البرهان: لا يصححه أهل الحديث.

٣ - أبو بكر الباقلاني في التقريب قال: هذا الحديث من أخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها.

٤ - الداودي الشارح قال^(١): هذا الحديث غير محفوظ.
والسبب في إنكارهم صحته كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «ما تقرر عندهم مما قدمناه وهو الذي فهمه عمر رضي الله عنه من حمل أول على التسوية لما يقتضيه سياق القصة وحمل السبعين على المبالغة... الخ».
وفي حاشية العطار على شرح الجلال على جمع الجوامع / مسألة المفاهيم المخالفة ما نصه^(٢): «وقال الغزالي في المنحول إنَّ ما نقل في الاستغفار كذبٌ قطعاً إذ الغرض منه التناهي في تحقيق اليأس من المغفرة فكيف يُظنُّ برسول الله ﷺ ذهول عنه اهـ».

فهؤلاء ذهبوا إلى هذا بسبب ما أشكل عليهم في هذه الأخبار فلم يقولوا بصحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ، ولذلك ختم الحافظ بحثه هذا بقوله^(٣): «وإذا تأمل المتأمل المنصف وجد الحامل على من رد الحديث أو تعسف في التأويل ظنُّه بأن قوله (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) نزل مع قوله (استغفر لهم) أي نزلت الآية كاملة لأنه لو فرض نزولها كاملة لاقترن بالنهي العلة وهي صريحة - أي لو كان نزول الآيتين معا - في أن قليل الاستغفار وكثيره لا يجدي - لأنه يكون انكشف الغطاء وعلم النبي يقيناً بكفر ابن أبي بن سلول - وإلا فإذا فرض ما حررته أن هذا القدر نزل متراخيا عن صدر الآية ارتفع الإشكال» اهـ.

القسم الثاني: أخذوا الروايات الصحيحة وتنبهوا لتلك الإشكالات فقالوا:

(١) انظر فتح الباري (٨/ ٢٧٢).

(٢) مسألة المفاهيم المخالفة (٢/ ٣١٧).

(٣) المصدر نفسه، (٨/ ٢٧٣).

لا يجوز أن يكون النبي ﷺ عرف يقيناً كفر عبد الله بن أبي سلول ويستغفر له لأنه يستلزم مشروعية طلب المغفرة لمن تستحيل المغفرة له شرعاً وقد ورد إنكار ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [أهـ]. ما بين قوسين نقلاً عن الفتح من كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١) ثم نقل^(٢) منه عن ابن المنير وغيره: [لأن الله أخبر أنه لا يغفر للكفار وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل وطلب المستحيل لا يقع من النبي ﷺ ومنهم من قال إن النهي عن الاستغفار لمن مات مشركاً لا يستلزم النهي عن الاستغفار لمن مات مظهرًا للإسلام لاحتمال أن يكون معتقده صحيحًا وهذا جواب جيد] أهـ.

وقال في خاتمة البحث ما نصه^(٣): [فحجة المتمسك من القصة بمفهوم العدد صحيح وكون ذلك وقع من النبي ﷺ متمسكًا بالظاهر على ما هو المشروع في الأحكام إلى أن يقوم الدليل الصارف عن ذلك لا إشكال فيه فله الحمد على ما ألهم وعلم] أهـ.

ذلك أن الذي يمنع من الاستغفار للكافر الأصلي والمنافق (ولكل من علم موته على الكفر، حتى المرتد) إن علمنا نفاقه أي علمنا كفره علة واحدة وهي الكفر، فصار الاستغفار له بعد العلم بموته على الكفر والصلاة عليه مع ما فيها من الاستغفار كفر، لما في ذلك من التلاعب بالدين، حيث جاء النهي والمنع من الصلاة على الكفار وقد مات أبو طالب في مكة ولم يصل عليه رسول الله ﷺ لهذا المعنى فتنبه.

وربما ينبغي التذكير قبل أن تنتقل للقسم الثالث في هذه المسألة بأن معنى المنافق هو من كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فإذا انكشف لنا حاله حكمنا بكفره وامتنع على كل من علم بحاله معاملته معاملة المسلم، ويشمل ذلك منع الصلاة عليه. وهؤلاء الذين سيأتي ذكرهم في القسم الثالث كأنهم ذهلوا عن هذا المعنى.

(١) فتح الباري (٨/ ٢٧٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٧٣).

(٣) خاتمة البحث (٨/ ٢٧٣).

وكذا ذهلوا عن مقصود العلماء في قولهم إنه لم يتقدم النهي قبل قصة عبد الله ابن أبي بن سلول عن الصلاة على المنافقين، لأن مقصودهم والله أعلم هو أنه لم يكن أوحى لرسول الله ﷺ بتعيين أسماء هؤلاء المنافقين، بل كان يحمل أمرهم على الظاهر من لفظ إسلامهم، كما سيأتي موضحاً إن شاء الله في محله.

قال الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه تفسير الأسماء والصفات ما نصه^(١): «إن قيل: هلا جعلتم أهل الأهواء كالمنافقين الذين هم كفار وهم مع ذلك يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم شهادة الأئمة إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقرارهم في الظاهر بأحكام المسلمين. قيل: لو أظهر المنافق بدعته وضلالته التي اعتقدها كما أظهر المعتزلي وأهل الأهواء لحكمنا عليهم بحكم الكفار ولم نلتفت إلى حكم إقرارهم». اهـ.

القسم الثالث: قوم لم ينتبهوا لتلك المشكلات في الروايات الواردة وحملوها على ما يخالف القواعد الشرعية التي بينها رسول الله ﷺ فهلكوا أعاذنا الله من ذلك. فمن هؤلاء الزمخشري الذي نقل عنه الحافظ ابن حجر وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ما نصه: [إن قلت (هنا سؤال وجواب يفرضهما الزمخشري): كيف خفي على أفصح الخلق وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته أن المراد بهذا العدد الاستغفار ولو كثر لا يجدي ولا سيما وقد تلاه قوله (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) فبين الصارف عن المغفرة لهم، قلت (الزمخشري): لم يخف عليه ذلك ولكنه فعل ما فعل وقال ما قال إظهاراً لغاية رحمته... الخ.

وقد تعقبه ابن المنير وغيره وقالوا لا يجوز نسبة ما قاله إلى الرسول لأن الله أخبر أنه لا يغفر للكفار وإذا كان لا يغفر لهم فطلب المغفرة لهم مستحيل وطلب المستحيل لا يقع من النبي ﷺ] اهـ.

ولو علم رسول الله ﷺ موت ابن أبي بن سلول تلك الساعة على الكفر لما استغفر له.

(١) تفسير الأسماء والصفات (ص ١٩٣).

ولذلك يقول أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ما نصه^(١) : «وفي هذا السؤال والجواب - أي اللذين فرضهما الزمخشري - غض من منصب النبوة وسوء أدب على الأنبياء ونسبته إليهم ما لا يليق بهم وإذا كان ﷺ يقول: «لم يكن لنبي خائنة الأعين» أو كما قال، وهي الإشارة، فكيف يكون له النطق بشيء على سبيل التحجيل؟ حاشا لمنصب الأنبياء عن ذلك ولكن هذا الرجل مسرح الألفاظ في حق الأنبياء بما لا يليق بحالهم، ولقد تكلم عند تفسير قوله بكلام في حق رسول الله نزهت كتابي هذا أن أنقله فيه، والله تعالى يعصمنا من الزلل في القول والعمل». اهـ بحروفه.

وفي «روح المعاني» للألوسي ما نصه^(٢) : «وتعقب بأن ذكره للتمويه والتخيل بعد ما فهم عليه الصلاة والسلام منه الكثير لا يليق بمقامه الرفيع، وفهم المعنى الحقيقي من لفظ اشتهر مجازه لا ينافي الفصاحة والمعرفة باللسان فإنه لا خطأ فيه ولا بعد إذ هو الأصل، ورجحه عنده عليه الصلاة والسلام شغفه بهدايتهم ورأفته بهم واستعطاف من عداهم ولعل هذا أولى من القول بالتمويه بلا تمويه» اهـ.

وكان قال قبل ذلك محذراً^(٣) : «وقال بعضهم: إنه على تقدير وقوع الاستغفار منه عليه الصلاة والسلام والقول بتقديم النهي المفاد بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ لا إشكال فيه إذ النهي ليس للتحريم بل لبيان عدم الفائدة وهو كلام واه لأن قصارى ما تدل عليه الآية المنع من الاستغفار للكفار وهو لا يقتضي المنع عن الاستغفار لمن ظاهر حاله الإسلام، والقول إنه حيث لم يستجب يكون نقصاً في منصب النبوة ممنوع لأنه عليه الصلاة والسلام قد لا يجاب دعاؤه لحكمة كما لم يجب دعاء بعض إخوانه الأنبياء عليهم السلام ولا يعد ذلك نقصاً كما لا يخفى» اهـ.

(١) البحر المحيط (ج ٦).

(٢) روح المعاني (٧ / ٣١١).

(٣) المصدر نفسه، (٧ / ٣٠٩).

يؤكد ذلك أن الحافظ ابن حجر في أثناء بحثه قال^(١): «وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله - أي قول عمر - وصلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام كما تقدم تقريره استصحاباً لظاهر الحكم...» اهـ.

أما جزم عمر بأن عبد الله بن أبي ابن سلول منافق أي جزم بكفره فجرى على ما كان يطلع عليه من أحواله ولهذا استنكر إرادة الصلاة عليه مع ما عُرف به عمر من شدة صلابته في الدين وكثرة بغضه للكفار والمنافقين وهو القائل في حق حاطب ابن أبي بلتعة مع ما كان له من الفضل كشهوده بدرًا وغير ذلك لكونه كاتب قريشًا قبل الفتح: «دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقد نافق» فلذلك أقدم على كلامه للنبي ﷺ بما قال ولم يلتفت إلى احتمال إجراء الكلام على ظاهره لما غلب عليه من الصلابة المذكورة^(٢).

لاحظ قوله (ولهذا استنكر إرادة الصلاة عليه) وهو قول عمر لرسول الله ﷺ «تصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا أعدد عليه... الخ»، وفي رواية «يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه» لاحظ ذلك لتخلص إلى أن عمر جزم بموت ابن أبي بن سلول على الكفر ولذلك قال «وقد نهاك ربك أن تصلي عليه» وأما رسول الله ﷺ فقد صلى عليه إجراء له على ظاهر حكم الإسلام كما تقدم أعلاه.

ولم يكن ذلك من عمر اعتراضًا على رسول الله ﷺ وإنما كان من باب الاستفهام أي ماذا حدث حتى تصلي عليه هل نزل عليك وحى بشأنه؟ ولذلك قال ابن المنير: «وإنما قال ذلك عمر مشورة لا إلزامًا وله عوائد بذلك... إلى أن قال: ولهذا احتمل منه النبي ﷺ أخذُه بثوبه ومخاطبته له في مثل ذلك المقام حتى التفت إليه مبتسمًا كما في حديث ابن عباس^(٣). اهـ فتنبه. (عمر رضي الله عنه لم يفعل ما فعل ولم

(١) (٨/ ٢٧٠).

(٢) [بتصرف من الفتح (ج ٨/ ص ٢٦٩ - ٢٧٠)].

(٣) [من الفتح (ج ٨/ ص ٢٦٩)].

يقول ما قال اعتراضاً على رسول الله، بل سؤالاً وتعلماً واسترشاداً واستيضاحاً، فعمر رضي الله عنه يعرف أن رسول الله ﷺ معصوم من التلاعب بدين الله، ومن شك بعدم عصمة النبي من ذلك فهو كافر).

وممن هلك في هذه المسألة بسبب تهاونهم في ما نسبوه إلى رسول الله ﷺ من يقول: «إن النبي ﷺ علم بحال ابن أبي بن سلول قبل نزول الآية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقيئاً ومع ذلك صلى عليه واستغفر له» - وهذا تكذيب للقرآن وهو كفر - وهو للأسف كلام انتشر على لسان بعض المنتسبين للعلم اليوم فنسبوا إمكان اعتقاد المستحيل لرسول الله ﷺ وقد تقدم فأغنى عن إعادته هنا. وهذا مؤداه أن الرسول ﷺ متلاعب بالدين وسيأتي شرحه إن شاء الله وعليه فمن نسب ذلك إلى رسول الله ﷺ فإنه يلزمه التشهد للرجوع إلى الإسلام بسبب ما تورط به من سوء الأدب الشديد مع رسول الله ﷺ.

ثم هؤلاء كأنهم ما عرفوا ولا اطلعوا على ما بيناه من انقسام الناس في ما ورد في هذه الروايات والأخبار.

القسم الرابع: قوم ادعوا تصحيح إسلام عبد الله بن أبي لكون النبي ﷺ صلى عليه لأنهم لم يقفوا على جواب شاف في ذلك مع أنهم محجوجون بالإجماع. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح ما نصه^(١): «قلت) وقد مال بعض أهل الحديث إلى تصحيح إسلام عبد الله بن أبي لكون النبي ﷺ صلى عليه وذهل عن الوارد من الآيات والأحاديث المصرحة في حقه بما ينافي ذلك ولم يقف على جواب شاف في ذلك فأقدم على الدعوى المذكورة وهو محجوج بإجماع من قبل على نقيض ما قال وإطباقهم على ترك ذكره في كتب الصحابة مع شهرته وذكر من هو دونه في الشهرة بأضعاف مضاعفة» اهـ.

فتلخص أن الناس انقسموا أمام روايات هذه الحادثة إلى أربعة أقسام في ما يأتي:

(١) فتح الباري (٨/ ٢٧٠).

١ - قسم أنكروا صحة الحديث لأنه من طريق الآحاد وربما قالوا لا يضطرا به لأن هذا ما تدل عليه رواياته.

٢ - قسم بينوا وجهًا شافيًا يتناسب وسياق القصة والجمع بين الروايات وهو أن النبي ﷺ اعتقد إسلام ابن أبي سلول قبل وفاته ولذلك صلى عليه.

٣ - قسم غَلَوْا غُلُوءًا كبيرًا بعيدا فاعتقدوا أن النبي ﷺ صلى عليه وهو يعلم نفاقه أي كفره، وذهلوا عن معنى النفاق وهو إظهار الإسلام وإضمار الكفر.

٤ - قسم حكموا أن عبد الله بن أبي ابن سلول مسلم يقيئًا وذهلوا بذلك عن الآيات والأحاديث المصرحة في حقه بما ينافي ذلك.

فلولا أن في هذه القصة ما فيها من الإشكال لما احتاج الحافظ ابن حجر وغيره إلى هذا البحث المطول والمفصل مع سوق الروايات وكان اكتفى هو وغيره من الحفاظ والمفسرين بالقول إن النبي ﷺ صلى عليه مع علمه بنفاقه ثم نزل الوحي بالنهي عن الصلاة عليهم، فلا يكون هناك إشكال أبدًا وبالتالي ما كنا نرى هذا الجهد الكبير من أمثال الحافظ ابن حجر العسقلاني وكذا القسطلاني والعيني والسيوطي والقرطبي وابن عطية وغيرهم في استعراض هذا الأمر وتبيينه والخلوص إلى هذه النتائج التي نبهوا إليها. ومن ذلك أن الألويسي يقول في «روح المعاني»^(١) : «والأخبار في ما كان منه عليه الصلاة والسلام مع ابن أبي من الصلاة عليه وغيرها لا تخلو من التعارض وقد جمع بينهما حسبما أمكن علماء الحديث» ا.هـ.

قال الإمام العلامة الحجة المحدث الحافظ الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه «الشرح القويم» ما نصه^(٢) : «والمناقق هو الذي يبطن الكفر ويتظاهر بالإسلام كعبد الله بن أبي فإنه مع ما ظهر منه من النفاق كان يتشهد ويصلي خلف الرسول صورة ولما سئل أنت قلت كذا أي ليخرجن الأعز منها الأذل أنكروا قال لم أقل، ومراده بالأعز نفسه وبالأذل الرسول، لكن الرسول كان يُجري عليه

(١) روح المعاني (٧/٣١٩).

(٢) الشرح القويم (ص ٣٧٥ - ٣٧٦).

أحكام المسلم لأنه لم يعترف بل بقي متظاهراً بالإسلام فكان الرسول يُجري عليه في الظاهر أحكام المسلم، وعندما مات ظن الرسول أنه زال عنه النفاق وبناء على هذا الظن صلى عليه، هذا هو الصواب كما قال الحافظ وغيره، وأما من قال إن الرسول كان يعلم أنه بعد منافق كافر ثم صلى عليه فقد جعل الرسول متلاعباً بالدين، جعله كأنه يقول في صلاته عليه اللهم اغفر لمن لا تغفر له وذلك كفر». اهـ.

وقال أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المفسر في كتابه «المحرر الوجيز» ما نصه^(١): «وظاهر صلاته عليه أن كفره لم يكن يقيناً عنده - أي عند النبي -، ومحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكل سريره إلى الله عزّ وجل وعلى هذا كان ستر المنافقين من أجل عدم التعيين بالكفر... إلى أن قال: وصلى عليه رسول الله ﷺ لموضع إظهاره الإيمان، ومحال أن يصلي عليه وهو يتحقق كفره وبعد هذا والله أعلم عيّّن له من لا يصلي عليه» اهـ.

فلا يصح أن يقال إن رسول الله ﷺ صلى على ابن أبي أو غيره من المنافقين وهو يعلم كفرهم أي يعتقدهم كفاراً لأن ذلك صريح بأنه تلاعب بالدين، لأن الله نهى عن الصلاة عليهم ومع ذلك هذا القائل يزعم أن الرسول ﷺ يصلي أو يستغفر له، وقد قال أبو حنيفة فيمن صلى مُحدثاً - أي بلا وضوء - متعمداً إنه كافر وعلل ذلك بأنه تلاعب بالدين. نقل ذلك عنه صاحبي المحيط والفتاوى الهندية وقال: وبه أخذ الفقيه أبو الليث، قال الصدر الشهيد وبه نأخذ. اهـ. ذكره صاحب الفتاوى في الجزء الأول في الصحيفة الثالثة والستين بعد المائة.

قال النووي في شرح المذهب: «أجمع المسلمون على تحريم الصلاة على المحدث (حدثاً أكبر أو أصغر) وأجمعوا على أنها لا تصح منه سواء كان عالماً بحدثه أو جاهلاً أو ناسياً لكنه إن صلى ناسياً أو جاهلاً فلا إثم عليه، وإن كان عالماً بالحدث وتحريم الصلاة مع الحدث فقد ارتكب معصية عظيمة ولا يكفر عندنا بذلك إلا أن يستحله، وقال أبو حنيفة يكفر لاستهزائه». اهـ، قاله في الجزء الثاني في

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٢٩٠).

الصحيفة السابعة والستين.

فكيف بعد هذا يُظن برسول الله ﷺ أنه صلى على ابن أبي وهو يعتقد أنه كافر!! كيف وقد انعقد الإجماع على أن الأنبياء معصومون من الكبائر وإنما الخلاف في وقوع الصغائر منهم. (والصواب والحق الذي لا يصح غيره أن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الكفر والكبائر وصغائر الخسة). فإذا كانت صلاة المحدث حدثًا أصغر أو أكبر متعمدًا من الكبائر فكيف يُظن برسول الله ﷺ أنه صلى عليه وهو يعتقد أنه كافر مع أن علماء التوحيد وغيرهم صرحوا بتنزه الرسول ﷺ عن ذلك. وكيف يستسيغ مسلم القول إن النبي ﷺ صلى عليه مع اعتقاده أنه كافر عندما صلى عليه مراعاة لخاطر ابنه أو ليكون ذلك سببًا لإسلام قومه، فيكون معنى كلامهم الفاسد أن الرسول ارتكب كفرا والعياذ بالله، ويكون قولهم الفاسد تكفيرًا له بالنظر إلى نسبة الاستغفار للميت الكافر، لأن طلب المغفرة لمن مات على الكفر كفر، ولا شك أن تكفير الرسول ﷺ كفر وتفسيقه كفر فلا مخلص لمن ظن ذلك إلا بأن يتشهد بنية الرجوع إلى الإسلام.

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِءٌ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

[سورة يوسف].

قال أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خُمَيْر في كتابه «تنزيه الأنبياء عما نَسَبَ إليهم حُثالة الأغبياء» ما نصه^(١): «فصل. تفصيلٌ في معنى (الهمّ) وتوضيح. فإن قيل: فما الحق الذي يُعوّل عليه في هذا الهمّ؟ فنقول: أولاً: إن بعض الأئمة ذكروا أن الإجماع منعقد على عصمة بواطنهم من كل خاطر وقع فيه النهي» اهـ.

وقال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ما نصه^(٢): «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء» وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه». ثم قال: «ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك، فحينئذٍ لم يبق للمسلم توقّف في هذا الباب» اهـ.

وقال الشيخ حسن أفندي حميدان الحنفي في كتابه «العقود الفاخرة في ما يُنجي بالآخرة»^(٣): «وتحت هذا الأصل فروع كثيرة ذكرت وفي الفتاوى الهندية معزياً لليتيمة سئل عن من ينسب إلى الأنبياء الفواحش كعزمهم على الزنا ونحوه الذي يقوله الحشوية في يوسف عليه السلام قال يكفر لأنه شتم لهم واستخفاف بهم» اهـ.

(١) تنزيه الأنبياء عما نَسَبَ إليهم حُثالة الأغبياء (دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية ص ٥٨).

(٢) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد التاسع الجزء ١٨ ص ٩٣).

(٣) العقود الفاخرة في ما يُنجي بالآخرة (المطبعة الأدبية - بيروت ١٣٢٠ هـ ص ٤٧ - ٤٨).

قال الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ لِنَصِّرَفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ﴾ (٢٤)

[سورة يوسف]

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢) [سورة يوسف] ولقد قال رسول الله ﷺ مادحا يوسف عليه السلام بقوله: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» رواه البخاري، وأما قوله تعالى إخبارًا عن يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۗ﴾ [سورة يوسف] معنى ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أن جواب لولا محذوف يدل عليه ما قبله أي ولولا أن رأى برهان ربه لهمم بها فلم يحصل منه هم بالزنى لأن الله أراه برهانه. وقال بعض المفسرين من أهل الحق إن معنى ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي هم بدفعها، أي أن الله أعلمه بالبرهان أنك يا يوسف لو دفعتها لقاتل لزوجها دفعني ليجبرني على الفاحشة، فلم يدفعها بل أدار لها ظهره ذاهبا فشقت قميصه من خلف، فكان الدليل عليها. أما ما يروى من أن يوسف هم بالزنى وأنه حل إزاره وجلس منها مجلس الرجل من زوجته فإن هذا باطل لا يليق بنبي من أنبياء الله تعالى، قال الله تعالى في براءة يوسف: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَأَكُنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا وَرَدَّتُهُ ۖ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) [سورة يوسف].

قال المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري في كتابه «صريح البيان في الرد على من خالف القرآن» ما نصه^(١): «بيان. تبرئة يوسف عليه السلام من الهمم بالفاحشة. اعلم أن الأنبياء عليهم السلام تجب لهم العصمة من الكفر ومن المعصية الكبيرة وكذا الصغيرة التي فيها خسة ودناءة وكذا كل ما لا يليق بمنصبهم قبل النبوة وبعدها.

(١) صريح البيان في الرد على من خالف القرآن (طبع شركة دار المشاريع، الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ ص ٢٣٩).

وأما وصف القرءان ليوسف عليه السلام بالهَمّ فليس فيه دليل على همه بالفاحشة، والمقرر عند العلماء أن ظاهر الآية إذا كان يحتمل وجوهاً من التفسير منها ما يوافق الحق ومنها ما يخالفه يحمل على المعنى الذي ليس فيه محذور ولا يبطله نقل ولا عقل، لذا فإن القول بأن سيدنا يوسف عليه السلام همّ بالزنا بامرأة العزيز أي قصد ذلك فهو كفر لأن فيه طعنًا وقدحًا بنبي من أنبياء الله، وهي دعوى باطلة بالنقل والعقل. فإذا كان الأمر كذلك يحمل الهمُّ إما على أنه همّ بدفعها عنه وإما على أنه لم يحصل منه هم ألبتة على ما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى، فنقول وبالله التوفيق:

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي طلبت امرأة العزيز واسمها زليخا وهي ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ كان ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي سيدنا يوسف ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي بمصر ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي أن يواقعها بأن يعمل معها ما يفعله الرجل مع زوجته، فأبى ورفض ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي قالت له: هَلُمَّ وأقبل وتعال ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي رد عليها سيدنا يوسف عليه السلام بقوله ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ إليه مما دعوتني إليه، قاله إنكارًا لما طلبت منه ثم قال:

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد العزيز، قاله مجاهد وغيره، أي هو الذي صورة وأحسن مَثْوَايَ أي أحسن منزلي وأكرمني واتممني فلا أخونه في أهله.

الثاني: أن الضمير في ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يعود على الله تعالى، قاله أبو حيان والزجاج، أي أن الله خالقي تولاني في طول مقامي ونجاني من الجب. أما معنى قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي لا ينجح من ظلم ففعل ما ليس له فعله، وجازى الإحسان بالسوء.

قال المفسر أبو حيان في «النهر الماد» ما نصه^(١): «وما أحسن هذا التنصل من الوقوع في السوء استعاذ أولاً بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء ثم نبه على أن إحسان الله إليه لا يناسب أن يُجازى بالسوء، ثم نفى الفلاح عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغية، فلا يناسب أن أكون ظالمًا أضع الشيء غير موضعه» اهـ.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖهٗ ﴿٢٤﴾﴾ أي قصدت وأرادت وعزمت امرأة العزيز على المعصية والزنا.

قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»^(٢): «ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا لدل على العزم والأنبياء معصومون من العزم على الزنا» اهـ.

وقال فخر الدين في تفسيره «التفسير الكبير»^(٣): «إن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل والهم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه

(١) النهر الماد (٢/١١٣).

(٢) زاد المسير (٤/٢٠٥).

(٣) التفسير الكبير (١٨/١١٨).

نقول وعنه نذب» اهـ.

وقال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره «النهر الماد»^(١): «الذي نقوله: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يقع منه هم بها ألبتة بل هو منفي لوجود رواية البرهان كما تقول: قارنت لولا أن عصمك الله» اهـ.

قلنا: هذا هو الحق الذي يجب المصير إليه واعتقاده والذب عنه فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن الهم المحرم ومن تسلط الشيطان على قلوبهم فلا يحصل منهم الهم بالزنا ولا إرادة ذلك والقصد على فعله.

أي كذلك أريناه البرهان ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾^(٢٤) ﴿أَيِ الْإِثْمِ أَوْ مَقَدِمَاتِ الْفَحْشَاءِ﴾ ﴿وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢٤) ﴿أَيِ الزُّنَا﴾ ﴿وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢٤) ﴿أَيِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢٤) ﴿أَيِ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ أَيِ طَهَّرَهُمْ وَاخْتَارَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ لِلنَّبُوَّةِ.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٥) ﴿يَعْنِي يَوْسُفَ وَالْمَرْأَةَ تَسَابَقَا إِلَى الْبَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرِيدُ أَنْ يَسْبِقَ صَاحِبَهُ، وَأَرَادَ يَوْسُفَ أَنْ يَسْبِقَ لِيَفْتَحَ وَيَخْرُجَ وَأَرَادَتْ هِيَ أَنْ سَبَقَتْ إِمْسَاكَ الْبَابِ لئلا يخرج فأدرسته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته﴾ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٥) ﴿أَيِ قَطْعَتِهِ وَشَقَّتِهِ﴾ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٥) ﴿أَيِ مَنْ خَلْفَهُ لِأَنَّهُ كَانَ هُوَ الْأَسْبِقُ إِلَى الْبَابِ وَهِيَ الطَّالِبَةُ لَهُ﴾ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٥) ﴿أَيِ وَجَدًا وَصَادِفًا﴾ ﴿سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٥) ﴿أَيِ زَوْجَهَا﴾ ﴿سَيِّدَهَا

(١) «النهر الماد» (٢/ ١١٤).

لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ أي عند الباب فلما رأت زوجها طلبت وجهًا للحيلة وكادت - من الكيد - ف ﴿سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ يعني الفاحشة ﴿سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ أي يُحْبَس ﴿سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ أي مؤلم بأن يضرب.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي سيدنا يوسف متبرئًا مما رمته به من الخيانة ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي هي طلبت مني الفاحشة وأبیت ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي حكم حاكم من أهلها ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي من قدام ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ وإن كان قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي من خلف ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ فلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أي زوجها ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني قال لها زوجها ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني هذا الصنيع ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ فلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني من حيلكن ومكركن ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ فلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ إنَّهُ مِنْ كَاذِبِينَ إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ وذلك لعظم فتنتهن.

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني قال له زوجها: يا يوسف ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٦﴾﴾

الْحَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ أَي اِكْتَمَهُ وَلَا تَخْبِرْ بِهِ أَحَدًا لثَلَا يَشِيْعُ، ثُمَّ قَالَ لَزَوْجَتِهِ ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكُ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْحَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أَي تَوْبِي مِنْ ذَنْبِكُ ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكُ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْحَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يَعْنِي مِنَ الْمَذْنِبِينَ. قَالَ الْمَفْسُرُونَ: ثُمَّ شَاعَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ فِي مِصْرَ حَتَّى تَحَدَّثَ بِذَلِكَ النِّسَاءَ.

يتبين من سياق الآيات أن يوسف عليه السلام بريء من قصد الزنا والهمل بفعله، ويُستدل لذلك بأمور منها:

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴿٥٤﴾﴾، قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١): «ذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه» اهـ. وقال أيضًا^(٢): «إن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندم والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف عليه السلام أقدم هاهنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال ألا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة لا ذنب ولا معصية». وقال أيضًا: «واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة: يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته وإبليس أقر ببراءته أيضًا عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك، فحينئذ لم يبق للمسلم توقّف في هذا الباب. أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام: ﴿قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ وقوله عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يوسف] وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة يوسف] وأيضًا قالت: ﴿الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة يوسف].

(١) التفسير الكبير (١٨/١١٨).

(٢) المصدر نفسه، (١٨/١١٩).

وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ، مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لَذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (سورة يوسف) ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لَذُنُوبِكِ﴾ (سورة يوسف) وأما الشهود، فقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة يوسف) وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات: أولها: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا﴾ واللام للتأكيد والمبالغة.

والثاني: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء.

والثالث: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا﴾ مع أنه تعالى قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان).

والرابع: قوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول، فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص، ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه إليه. وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٨٢) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فكان هذا إقرارا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى.

وقال أيضًا^(١): «إلا أنا نقول: إن قوله: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره

(١) التفسير الكبير (١٨ / ١٢٠ - ١٢١).

لأن تعليق الهم بذات المرأة محال ؛ لأن الهم من جنس القصد، والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية، فثبت أنه لا بد من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أن ذلك المضمرة هو إيقاع الفاحشة بها ونحن نضمرة شيئاً آخر يغير ما ذكره، وبيانه من وجوه:

الأول: المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللذة والتنعم والتمتع، واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة؟ قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو هم بدفعها لقتلته أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من دفعها أولى صوتاً للنفس عن الهلاك.

والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلق به، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن، ولو كان ثوبه ممزقاً من خلف لكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى عنها، حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية» انتهى باختصار.

فيتلخص مما ذكرناه أن الله عصم الأنبياء عن الرذائل ونزههم عنها، ويوسف عليه السلام لم تشتهيها نفسه ولا أراد أن يواقعها ولم يهم بذلك، هذا هو اللائق بالنبى وهذا ما نعتقده وهو اعتقاد المسلمين.

أما سيد قطب فقد قال في كتابه المسمى «التصوير الفني في القرآن» عن سيدنا

يوسف عليه السلام ما نصه^(١): «فها هو ذا يلقي الفتنة من مرارة امرأة العزيز له فيأبى
إنه في بيت رجل يؤويه فليحذر مواقع الحرج جميعاً، ومع ذلك يكاد يضعف». اهـ.
أي جوز على يوسف أن يقع في زليخة.

(١) التصوير الفني في القرآن (ص ١٦٦).

قال الله تعالى:

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

[سورة يوسف].

فما يجب اعتقاده أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من السرقة قبل النبوة وبعدها، لأن هذا الفعل من المحرمات، ويدل على خسة النفس ودناءتها، وهذا معارض لمنصب النبوة وعصمة الأنبياء، ومن لا يؤتمن على أموال الناس ومتاعهم كيف يأتونه الناس على أمور دينهم؟! فهذا يُنقِر الناس من الأنبياء ويبعدهم عنهم، ولا يقبل الناس الدعوة من سارق ولص.

قال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ في كتابه «تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي» ما نصه^(١): «ونعلم أنهم كذبوا في قولهم ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وأرادوا أن يتبرؤوا منه، وينفوا ذلك عن أنفسهم، ليعلم أنه ليس منهم»، ثم قال: «وقد ذكر في بعض الحروف (أي القراءات): ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ بالتشديد - أي نسب إلى السرقة - فإن ثبت؛ فالتأويل هو لقولهم - أي لأصحاب القراءة هذه وهم: أحمد بن جبير الأنطاكي، وابن أبي شريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب في آخرين -»، ثم قال: «﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ من الكذب إنه سرق أخ له من قبل». اهـ.

(١) تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي (طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ في المجلد السادس ص ٢٧٠ - ٢٧١).

وقال المفسر أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ في تفسيره المسمى «معالم التنزيل» ما نصه^(١) : «قال سعيد بن جبير: كان لجدته من أمه صنم يعبد - أي جده - فأخذه سرًّا - أي يوسف - وكسره وألقاه في الطريق لئلاً يُعبد». اهـ

ومثله قال المفسر فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ في كتابه «التفسير الكبير»^(٢) والمفسر ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في كتابه «زاد المسير»^(٣) ، وزاد أيضًا ما نصه: «قال ابن الأنباري: وليس في هذا الفعل ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعيرته إخوته بذلك عند الغضب. والسابع: أنهم كذبوا عليه في ما نسبوه إليه، قاله الحسن. وقرأ أبو رزين وابن أبي علبه: (فقد سُرق) بضم السين وكسر الراء وتشديدها». اهـ

وليعلم أن من نسب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما يقدر في دينهم وشرفهم وأمانتهم وعفتهم فهو مكذب للقرءان كافر لا يكون من المسلمين. ويكفي في عصمتهم وبراءتهم وحفظهم من السرقة ومن كل ما يقدر بمنصبهم وبِعصمتهم الإجماع الذي نقلناه قبل الآن، ونعيد ذكره هنا لأهميته في هذا البحث. قال الشيخ التلمساني في «شرح لمع الأدلة» ما نصه^(٤) : «لا يجوز عليهم الكبيرة ألبة ويجوز تعمد الصغيرة بشرط عدم الإصرار، ولا يجوز منهم صغيرة تدل على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطيف حبة وسرقة باقة بقل» اهـ، ثم قال^(٥) : «وأما عصمتهم عن الكبائر والإصرار على الصغائر وعن كل صغيرة تؤذن بقللة الاكتراث

(١) معالم التنزيل (طبعة دار المعرفة الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ الجزء الثاني ص ٤٤١).

(٢) التفسير الكبير» طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ المجلد التاسع الجزء ١٨ ص ١٤٧).

(٣) زاد المسير (طبعة ما يسمى المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧ هـ الجزء الرابع ص ٢٦٣ و ٢٦٤).

(٤) شرح لمع الأدلة (ص ١٩٧، مخطوط).

(٥) المصدر نفسه، (ص ١٩٨).

بالدين فمستند إلى الإجماع القاطع، فإن السلف رضي الله عنهم لم يزالوا يحتاجون بالنبي بأفعاله وأقواله ومتبادرون إلى التأسّي به، وجميع الظواهر التي اعتمد عليها الحشوية قابلة التأويل».

فإذا كان التطفيف في حبة عنب أو سرقة حبة عنب أو باقة بقل مستحيل عليهم بالإجماع فكيف بما هو أكبر من ذلك؟!

قال الحافظ زين الدين العراقي في كتابه «طرح التثريب في شرح التقريب»^(١): «قال القاضي عياض: الأنبياء منزّهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من المعايب ولا يلتفت إلى ما قاله من لا تحقيق عنده في هذا الباب من أصحاب التاريخ في صفات بعضهم وإضافته بعض العاهات إليهم - المنقّرة - فالله تعالى نزّههم عن ذلك ورفعهم عن كل ما هو عيب ونقص مما يغض العيون وينفر القلوب، وكذا ذكر النووي والقرطبي هذا». اهـ

وفيه^(٢) عند شرحه لحديث «خرّ عليه جراداً من ذهب فجعل أيوبُ يحتشي في ثوبه» يقول الحافظ زين الدين العراقي: «الرابعة: فيه أنه لا يُحكّم على الإنسان بالشّرهِ وحبّ الدنيا بمجرد أخذه لها والإقبال عليها، بل ذلك يختلف باختلاف المقاصد وإنما الأعمال بالنيات، فمُحالٌ أن يكون أيوب عليه الصلاة والسلام أخذ هذا المال حبّاً للدنيا، وإنما أخذه كما أخبر هو عن نفسه لأنه بركة من ربه» اهـ.

فإن كان حبّ المال والدنيا مستحيلاً على الأنبياء فكيف يجوز عليهم أن يسرق أحد منهم شيئاً؟!

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (دار الكتب العلمية، الجزء الثاني ص ٢٠١).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٢٠٥ و ٢٠٦).

قال الله تعالى :

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

[سورة النحل].

هذه الآية مُفسَّرةً بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ﴿١٨﴾ [سورة الأنعام]، أي أنه تعالى موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة ومنزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة، وتعني فوقية القهر دون المكان والجهة أي ليس فوقية المكان والجهة. وقوله تعالى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿١٦﴾ [سورة الملك]، قال إمام الحرمين والرازي «الملائكة» وقيل «جبريل»، وانظر التفصيل لهذا عند الكلام في سورة الملك من هذا الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ ﴿٨٤﴾ [سورة الزخرف]، أي المعبود في السماء من أهل السماء وهم الملائكة، والمعبود من قبل أهل الأرض المؤمنين من إنس وجن.

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ما نصه^(١): «المسألة الثانية: قالت المشبهة: قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ هذا يدل على أن الإله تعالى فوقهم بالذات. واعلم أننا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، والذي نريده ههنا أن قوله ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ معناه يخافون ربهم من أن يُنزل عليهم العذاب من فوقهم». وقال^(٢): «وقد بيَّنا بالدليل أن هذه الفوقية عبارة عن الفوقية بالرتبة والشرف والقدرة والقوة» اهـ.

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١١هـ، المجلد العاشر الجزء ٢٠ ص ٣٧ -

٣٨).

(٢) التفسير الكبير (ص ٣٩).

قال الله تعالى:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦)

[سورة النحل].

مما اتفق عليه أهل الإسلام أنه يجب على كل مسلم مكلف حفظ إسلامه وصونه عما يفسده ويُبطله ويقطعه وهو الردة والعياذ بالله تعالى، ومن تكلم بكلمة الكفر الصريحة في الكفر وهو يفهم معنى ما يقول، كفر وخرج من الإسلام ولا يُسأل عن نيته وعن قصده، ولا يُشترط للوقوع في الكفر أن يكون شارحاً صدره ولا ناويًا الكفر ولا عالمًا بحكم هذه الكلمة أنها تُخرجه من الإسلام، ولا يُشترط أن ينوي الخروج من الإسلام والدخول في دين آخر، ومن جعل ذلك أو شيئًا منه شرطًا للوقوع في الكفر فقد جاء ببهتان عظيم ودين جديد وفتح باب الكفر على مصراعيه للناس، وكأنه يقول (يا أيها الناس قولوا ما شئتم من الكفر ثم قولوا «ما نوبنا»، «ما قصدنا») وهذا لا يقوله مؤمن.

قال الشيخ المحدث الحافظ عبد الله الهرري رحمة الله واسعة، في كتابه «التعاون على النهي عن المنكر»^(١):

الحذر الحذر من كتاب سيد سابق المسمى «فقه السنة» لما يحتوي عليه من عدم تكفير من كفر إلا إذا قصد الانتقال إلى دين آخر غير الإسلام، فهو لاء أهلكتهم الوهم فظنوا بأنفسهم أنهم صاروا أئمة مجتهدين لا يرون التقيد بالأئمة المجتهدين.

(١) التعاون على النهي عن المنكر (طبع شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ من ص ٩٠ إلى ص ٩٩).

ومما يؤيد ردنا أن أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما بعثهما الرسول ﷺ إلى اليمن وكان أحدهما يعمل في الأراضي المنخفضة والآخر في الأراضي العالية وكانا يجتمعان كل مدة للتشاور وحصل مرة أن أبا موسى قيّد رجلاً أسلم ثم ارتد فجاء معاذ بن جبل فرأى الرجل وكان راكباً بغلة فقال: ما هذا؟ قيل له: هذا رجل أسلم ثم ارتد، فقيل له: انزل فقال: لا أنزل حتى يُقتل فقتل فنزل عن دابته. ووجه الدليل أنه لم يقل هل سألتموه أكان قاصداً الانتقال من الإسلام الذي كان عليه إلى دين آخر بدل دين الإسلام أم لا. وهذا الحديث رواه البخاري وغيره. هذا دين الله خلاف ما قاله الشوكاني في «السيل الجرار على حدائق الأزهار» محرراً كلام صاحب متن حدائق الأزهار الذي قال^(١): «أو لفظ كفري وإن لم يعتقد معناه إلا حاكياً أو مكرهاً»، وسيد سابق والهضيبي والألباني كما في كتابه المسمى «الانتصار لأهل التوحيد والرد على من جادل عن الطواغيت»^(٢) ورجل آخر يسمى حسن قاطرجي البيروتي داعٍ من دعاة الوهابية يعتمدون عليه لنشر دعوتهم حتى قيل إنهم أجروا له خمسة آلاف دولار كل شهر يقبضها من السفارة ونص عبارته: «أما الكفر لا يوجّه إلا لمن اختار الكفر ديناً وارتضى غير دين الله سبحانه وتعالى». قال ذلك في جامع النور في صيدا. وقال ذلك في مجلة الهداية^(٣) من العدد الواحد والعشرين. وقوله هذا زاعماً أنه كلام السبكي مردود لأن ما قاله يخالف ما جرى عليه العمل عند الحكام وذلك لأن حكّام المسلمين إذا أُتي إليهم بالشخص الذي نطق بالكفر لا يقولون له هل أردت لما قلت هذا الكلام الخروج من دين الإسلام والانتقال إلى غيره.

هذا عمل حكّام المسلمين سلفاً وخلفاً، فما خالف فهو مردود إنما كانوا يعتمدون لإجراء حكم المرتد على أمرين إما باعترافه وإما بيمينه أي شاهدين

(١) السيل الجرار على حدائق الأزهار في (٤/٥٧٨).

(٢) الانتصار لأهل التوحيد والرد على من جادل عن الطواغيت (ص ١١٤ - ١١٦).

(٣) مجلة الهداية (ص ١٠).

بأنه نطق بهذه الكلمة، ثم إن المالكية زادوا تأكيدًا فقالوا: فإن ادعى أنه سبق لسان ليس بإرادة منه لا يأخذ القاضي بكلامه بل لزمه الرجوع بالنطق بالشهادة وإلا أجرى عليه حكم المرتد.

ومما ينقض أيضًا ما أتى به هؤلاء الثلاثة الذين هم ليسوا فقهاء ولا محدثين ما قاله الحافظ الكبير أبو عوانة الذي عمل مستخرجًا على البخاري وكان معاصرًا للبخاري قال في ما نقله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ما نصه^(١): «وفيه أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه ومن غير أن يختار دينًا على دين الإسلام» اهـ.

وصنيع هؤلاء السبعة الذين قالوا مثل هذه المقالة سيد سابق وحسن الهضيبي وحسن قاطرجي والدكتور محمد علوي والدكتور عمر كامل ومأمون حموش وهو من رؤوس الوهابية مخالف لما اتفق عليه الفقهاء من تقسيم الكفر إلى ثلاثة أنواع: كفر قولي وكفر فعلي وكفر اعتقادي، على أن كل واحد كفر بمفرده فخالف كلام هؤلاء ذلك فإنهم جعلوا الكفر القولي يُشترط أن يكون معه الاعتقاد وقصد الخروج من الإسلام إلى دين آخر، وهذا أمر انفرد به هؤلاء السبعة مخالفين بكلامهم علماء الإسلام الذين سبقوهم من السلف والخلف. ثم هؤلاء ليس فيهم أحد وصل إلى حد المفتي ولا إلى نصفه ولا إلى عشره لأن المفتي شرطه أن يكون حافظًا لأغلب مسائل المذهب الذي ينتسب إليه.

ومما ينقض ما أتى به هؤلاء الذين هم ليسوا فقهاء ولا محدثين قول رسول الله ﷺ «إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا» وفي رواية «لا يلقي لها بالاً» وفي رواية أخرى «ما يتبين فيها»، وفي رواية أنه ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها أبعد مما بين المشرق والمغرب»، فلم يشترط رسول الله ﷺ في حديثه هذا أن يكون الشخص ناويًا ومعتقدًا وقاصدًا الانتقال من الإسلام إلى غيره، ومع ذلك قال بأنه ينزل بهذه

(١) فتح الباري (١٢/٣٠١ - ٣٠٢).

الكلمة إلى قعر جهنم، ولا يصل إلى قعر جهنم إلا الكفار. فقوله ﷺ «يهوي بها في النار سبعين خريفًا» دليل على أن الإنسان قد يعتقد اعتقادًا أو يفعل فعلًا أو يقول قولًا هو كفرٌ ولا يرى بذلك بأسًا أي لا يرى فيه معصية وهو في الحقيقة كفرٌ فيكون في جهنم في مكان لا يكون فيه عصاة المسلمين بل الكفار، لأن المسلم العاصي لا يصل إلى ذلك الحد. فما أبعد كلام هؤلاء من هذا الحديث.

وقال البدر الرشيد الحنفي في رسالة له في بيان الألفاظ الكفرية: «من كفر بلسانه طائغًا - أي غير مكره - وقلبه مطمئن بالإيمان إنه كافر ولا ينفعه ما في قلبه ولا يكون عند الله مؤمنًا لأن الكافر إنما يُعرف من المؤمن بما ينطق به فإن نطق بالكفر كان كفرًا عندنا وعند الله». وقال: «من تكلم بكلمة توجب الكفر وأضحك به غيره كفرًا اهـ».

ولم يشترط أحد من علماء المسلمين اعتقاد معنى لفظ الكفر في غير المكره. والإمام المجتهد المطلق محمد بن جرير الطبري في «تهذيب الآثار» يقول: «فيه الرد على من قال لا يخرج أحد من الإسلام من أهل القبلة بعد استحقاقه حكمه إلا بقصد الخروج منه عالمًا فإنه مبطل لقوله في الحديث: يقولون الحق ويقرؤون القرآن ويمرقون من الإسلام ولا يتعلقون منه بشيء، ومن المعلوم أنهم لم يرتكبوا استحلال دماء المسلمين، وأموالهم إلا بخطأ منهم فيما تأولوا من أي القرآن على غير المراد منه» فنسف افتراءات سيد سابق والشوكاني وحموش وحسن الهضيبي وحسن قاطرجي ومعهم محمد بن علوي المالكي المكي وعمر عبد الله كامل حيث قال في كتابه «التحذير من المجازفة بالتكفير»^(١): «فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب وسكون النفس إليه فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر. ولا اعتبار بلفظ يتلفظ به المسلم يدل على

(١) التحذير من المجازفة بالتكفير (ص ١١ - ١٢).

الكفر ولا يعتقد معناه». وقال^(١) والعياذ بالله: «وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقده في عبارة فكيف يحزر اعتقاد غيره من عبارته فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر واختاره دينًا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الإسلام وهذا نادر وقوعه فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع» اهـ.

قاعدة جليلة: قال الفقهاء من تلفظ بكلام كفر أو فعل فعلاً كفرًا وجهل أن ما حصل منه كفر لا يُعذر بل يُحكم بكفره قاله القاضي عياض المالكي والشيخ ابن حجر الهيتمي الشافعي وكذلك عدد من فقهاء الحنفية. ومن المتفق عليه أن القول الكفري كفر بمفرده ولو لم ينضم إليه اعتقاد ذلك الكفر بالقلب ولا عمل بالبدن، وكذلك الكفر الفعلي كفرٌ وردة من فاعله لو لم يقترن به قول أو اعتقاد، وكذلك الاعتقادي كفر بمفرده من غير أن ينضم إليه قولٌ باللسان أو فعل وهذا مجمع عليه عند الفقهاء. وقد اشتهر في كتب الفقه تقسيم الكفر إلى ثلاثة قول أو فعل أو اعتقاد. وكلام من مر ذكرهم فيه تهوين أمر الكفر للجها ل لأن من اطلع على كلام هؤلاء يرى أنه لا بأس إذا تكلم الشخص بكلمات الكفر بجميع أنواعها فيقول: «أنا أقول هذه الكلمات ولا أقصد الخروج من الإسلام فلا أكفر»، فعلى قول هؤلاء إذا قال إنسان كفرًا أو فعل كفرًا فأتي به إلى حكام الشريعة لا يجري عليه أحكام الردة حتى يقال له «هل كنت قاصدًا الخروج من الإسلام واخترت دينًا غير الإسلام» وهذا لم يُنقل عن حكام المسلمين في أثناء التاريخ الإسلامي من الخلفاء وغيرهم، وقتل المرتد حكم ديني أنزل على محمد كما نزل على موسى عليهما السلام فإن موسى قَتَلَ المرتدين الذين ارتدوا إلى عبادة العجل في غيبته إلى الطور وكانوا سبعين ألفًا، وشرائع الأنبياء لا ترد بالرأي وهي حقٌّ في حياتهم وبعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا الإمام المجتهد الأوزاعي ناظر غيلان الدمشقي في أول القرن الثاني من الهجرة لكونه قدريًا فقطعه بالحجة ثم قال للخليفة هشام بن عبد الملك: «كافرٌ

(١) التحذير من المجازفة بالتكفير (ص ٥٢ - ٥٣).

وربّ الكعبة يا أمير المؤمنين». فقطع يديه ورجليه وعلقه بباب دمشق ولم يُذكر عن الأوزاعي ولا هشام أنهما سألا غيلان «هل قلت هذا الكلام وأنت قاصد الخروج من الإسلام واستبدال دينٍ غيره عنه»، فليراجع تاريخ دمشق الجزء الثامن والأربعون من ترجمة غيلان أبي مروان، وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه كان من موالى سيدنا عثمان وكان يقص في المسجد النبوي.

انتهى كلام الحافظ المحدث الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله.

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

[سورة الإسراء]

انظر إلى «الدكتور» في كتابه المسمى «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» كيف يحرف معنى هذه الآية ويقول ما نصه: «اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان أيًا كان دينه أو جنسه أو لونه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء] وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية» اهـ.

الرد:

استمع إلى كلامه هذا وقارنه بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الأنفال] الآية، ثم سل نفسك أي احترام هذا هو الذي يتكلم عنه القرضاوي!!
وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء] فهو بالنسبة لأصلهم فقد جعل الله أصلهم وهو المنى طاهرًا وإلا فهل يعتقد مؤمن أن أبا لهب مُكْرَمٌ عند الله أو أن أبا جهل كان يستحق الاحترام من المسلمين أو أن عابد البقر أو الشيطان أو الفأر أو الخشب يستحق ويستوجب الاحترام على المسلمين بحيث إن من لم يحترمه ويعظمه يكون عاصيًا؟! حاشا، بل هذه من تخيلات القرضاوي المبنية على المداهنة في الدين، والله حسيبه.

قال الله تعالى :

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩)

[سورة الإسراء]

قال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه^(١) : «فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس - أي للمسلمين فالكفار لا أحد من الشفعاء يشفع لهم - ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم»، ثم قال: «حدثنا سليمان بن عمرو ابن خالد الرقي، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن رشدين بن كريب، عن أبيه عن ابن عباس، قوله ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة»، ثم قال الطبري بعد أن نقل قولاً لم يصح عن مجاهد ما نصه: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله وذلك ما حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن داود بن يزيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ سئل عنها، قال: (هي الشفاعة)» اهـ.

قال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره في هذه الآية^(٢) : «المقام المحمود هو: مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون» اهـ. وليس تفسير هذه الآية كما تقول الوهابية وسلفهم المجسمة المشبهة أن الله تعالى يُقعد النبي محمداً عليه الصلاة والسلام معه على العرش، وكذب وافترى من نسب هذا التشبيه والتجسيم لصحابي كالعباس وابنه أو عائشة أو ابن مسعود أو تابعي كمجاهد أو لأحد من السلف الصالح.

(١) (طبعة دار الجيل بيروت المجلد الثامن الجزء الخامس عشر ص ٩٧).

(٢) (طبعة دار المعرفة الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ الجزء الثالث ص ١٣٠).

وقد قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه «أخبار الصفات» المشهور باسم «الباز الأشهب المنقّص على مخالفي المذهب» ما نصه^(١): «الحديث التاسع والثلاثون: رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود قال: وعدني ربي بالقعود على العرش.

قلتُ - أي ابن الجوزي - : هذا حديث مكذوب لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال ابن حامد (المجسم): يجب الإيمان بما ورد من المماساة والقرب من الحق لنبية في إقعاده على العرش. قال: وقال ابن عمر: (وإن له عندنا لزلفى)، وقال: ذكر الله الدنو منه حتى يمس بعضه.

قلت - أي ابن الجوزي - : وهذا كذب على ابن عمر ومن ذكر تبعض الذات كفر بالإجماع.

قال القاضي (أبو يعلى المجسم): يقعد نبيه على عرشه بمعنى يدنيه من ذاته ويقربه منها ويشهد له قوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وقال ابن عباس: كان بينه وبينه مقدار قوسين.

قلت - أي ابن الجوزي - : هذا عن جبريل لا عن الله سبحانه ومن أجاز القرب من الذات أجاز الملاصقة وما ذهب إليه القاضي صريح في التجسيم». اهـ. قال الإمام جمال الدين المتولي الذي هو من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي: «من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالمًا قادرًا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع، كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال، كان كافرًا» اهـ. نقله عنه الحافظ النووي في كتابه «روضة الطالبين»^(٢).

وأما ما ينسب لمجاهد كما في تفسير الطبري وغيره أنه يقول: «يقعده ربه معه على العرش»، فهذا كذب ولم يصح عن مجاهد، فالطبري لم يصح القول عن

(١) أخبار الصفات (طبعة دار الجنان الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ).

(٢) روضة الطالبين (الجزء العاشر طبعة المكتب المسمى الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ص ٦٤).

مجاهد الذي رواه عن ليث بن أبي سليم، بل هو قال إن القول الصواب هو ما ثبت صحته عن الرسول أنه قال في المقام المحمود أي الشفاعة.

فالطبري روى عن مجاهد هذا القول بهذا السند: «حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد...» إلى آخر كلامه، فعباد بن يعقوب قال فيه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في كتابه «لسان الميزان» ما نصه^(١): «عباد بن يعقوب الأسدي الرواجني أبو سعيد الكوفي الرافضي»، وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ما نصه^(٢): «عباد بن يعقوب الرواجني أبو سعيد الكوفي يروي عن شريك، قال ابن حبان كان رافضيا داعيا يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك وقال ابن عدي روى أحاديث أنكرت عليه في فضائل أهل البيت وما له غيرهم». اهـ.

وأما الليث بن سليم هذا فقد قال فيه الحافظ العُقيلي في كتابه «الضعفاء الكبير» في باب حرف اللام ما نصه: «كَانَ ابْنُ عِيْنَةَ يُضَعِّفُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سُلَيْمٍ»، وقال أيضًا: «حدثنا عبد الله ابن أحمد، قال: سمعت عثمان بن أبي شيبة، قال: سألت جريرا عن الليث، وعن عطاء بن السائب، وعن يزيد بن أبي زياد، فقال: كان يزيد أحسنهم استقامة في الحديث، ثم عطاء، وكان ليث أكثر تخليطا قال: وسألت أبي عن هذا، فقال: أقول كما قال جرير.

حدثنا عبد الله، قال: سمعت أبي، يقول: ليث بن أبي سليم مضطرب الحديث ولكن حَدَّثَ عَنْهُ النَّاسُ». اهـ.

وقد غلط وخبط واخلط وأبعد حسن السقاف عندما ادعى على مجاهد أنه قال بهذا القول الفاسد، كما في تعليقه على كتاب الذهبي المسمى «العلو للعلي الغفار»، فهذا لم يقله مجاهد ولا غيره من السلف الصالح.

وقال الإمام ابن الجوزي الحنبلي أيضًا في كتابه «الباز الأشهب» في الرد على ما

(١) لسان الميزان (المجلد السابع ص ٢٦٣).

(٢) الضعفاء والمتروكين (طبعة دار الكتب العلمية الجزء الثاني ص ٧٧).

يفترى على رسول الله ﷺ ما نصه^(١): «حديث العباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك. قلت: هذا حديث لا يصح تفرد به يحيى بن العلاء، قال أحمد: هو كذاب يضع الحديث وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي: أحاديثه موضوعة». وقال ابن الجوزي بعد كلام: «أما لفظة القعود فقد رواها عن ابن عباس ولا يصح وأما القيام فيروها عيسى عن جابر عن عمر بن الصبح. قال البخاري: قال عمر بن الصبح: أنا وضعت - أي اختلقها من عند نفسي - خطبة رسول الله.

وقال ابن حبان: وكان يضع الحديث على الثقات لا يصح كُتِبَ حديثه إلا على التعجب - أي لإنكارها والتحذير منه -، ثم قال: قلت وبمثل هذه يثبت لله صفة، أين العقول؟! تعالى الحق أن يوصف بقيام وهو انتصاب القامة ولا يوصف بالقعود لأنها حالة الجسماني» اهـ.

ومما يجب التحذير منه، وهو كفر صريح ما كُذِبَ على ابن مسعود أنه نقل عن رسول الله ﷺ أنه قال في المقام المحمود كما في مستدرك الحاكم على الصحيحين ويليه تضمينات الذهبي في التلخيص والميزان^(٢): «يوم ينزل الله فيه على كرسيه يئط به كما يئط الرجل من تضايقه كسعة ما بين السماء والأرض»، وهو كذب معارض لصريح القرءان والسنة النبوية وإجماع الأمة، فالله ليس كمثل شيء منزه عن القعود والجلوس والحركة والسكون والحجم والكمية وما كان من صفات المخلوقين. وهذا لا يصح عن ابن مسعود ولا عن رسول الله ﷺ ففي سنده أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف قال الذهبي فيه: «ضعيف ضعفه الدراقطني»، وضعفه الإمام أحمد وغيره.

وإن كان في المستدرك على الصحيحين فإن المستدرك فيه الصحيح وغير

(١) الباز الأشهب (ص ١٥٩).

(٢) طبعة دار الكتب العلمية الجزء الثاني الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ ص ٣٩٦.

الصحيح كما هو معروف عند الحفاظ والمحدثين، بل قال بعضهم: «إن مستدرک الحاكم فيه تساهل».

ومما يجب التحذير منه أيضًا ما يفترى على ابن مسعود رضي الله عنه أنه نقل عن رسول الله ﷺ أنه قال في تفسير المقام المحمود: «يجلسني على العرش»، فقد قال الذهبي المتناقض في كتابه المسمى «العلو للعلي الغفار» ما نصه^(١): «هذا حديث منكر لا يُفرح به، وسلمة هذا - وهو أحد رواة هذا الحديث المكذوب - متروك الحديث، وأشعث - أيضًا من رواة الحديث - لم يلحق ابن مسعود». اهـ. وكذلك ضعفه الوهابي المتناقض الألباني في سلسلته الضعيفة (٨٦٥/٢٥٥/٢) حيث حكم عليه بقوله «باطل»، وقال أيضًا: «ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائرًا أن يفتي بعض العلماء من المتقدمين - يقصد أئمتهم المجسمة منتقداً عليهم - بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي عن غير واحد منهم». اهـ. ومن تناقضات الوهابية وزعمائها في هذه المسألة:

قول إمام المشبهة والمجسمة ابن تيمية الحراني في كتابه المسمى «مجموع الفتاوى»^(٢) واصفًا الله بالجلوس ومشبهًا له بخلقه كاذبًا ومفتريًا على الأولياء والعلماء، نعوذ بالله من الكفر وأهله ما نصه: «فقد حدّث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون أن محمدًا رسول الله يُجلسه ربه على العرش معه» اهـ. وابن تيمية أيضًا أثبت قول المجسم عثمان الدارمي في كتابه المسمى «الرد على بشر المريسي» وأثنى عليه ونقله هو وأثبتته محتجا به أيضًا في كتابه المسمى «بيان تلبيس الجهمية» المجلد الأول ص ٥٦٨: «ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات والأرض» اهـ. نعوذ بالله من مقت القلوب.

(١) العلو للعلي الغفار (طبعة دار الإمام النووي الأردن الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤ هـ ص ٣٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (المجلد الرابع، ص ٣٧٤).

وفي كتاب «مجموع الفتاوى»^(١) ، وكتاب «شرح حديث النزول» يقول ابن تيمية^(٢) : «فما جاءت به الآثار عن النبي من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب وحديث عمر». اهـ.

وفي الصحيفة نفسها يقول: «إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمِع له أطيظ كأطيظ الرَّحَل الجديد» اهـ.

وتلميذه ابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «القصيدة النونية»^(٣) مع شرحها للمجسم الوهابي العنيد - وكلهم كذلك عنيد - محمد خليل هراس، يُثبِت في أول كلامه أن المقام المحمود أي الشفاعة، ثم يناقض نفسه بعد ذلك فيقول بنسبة الجلوس إلى الله والعياذ بالله تعالى ناقلاً بصيغة الجزم مُفْتَرِيًّا على مجاهد، يقول: «وروى ابن جرير وغيره في تفسير ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، وذكر عن مجاهد أن المقام المحمود هو أن الله يُجلس رسوله معه على العرش» اهـ. وفي كتابه المسمى «بدائع الفوائد»^(٤) لابن قيم الجوزية يقول: «ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعد» اهـ. وقد كذب على الدارقطني في نسبة هذا البيت له.

بينما يقول إمام الوهابية المجسم الألباني رادًّا على أسياده، في كتابه المسمى «مختصر العلو للعلي الغفار»^(٥) : «فكنْتُ -أي الألباني - أُحِبُّ له - أي للذهبي - ألاَّ يتردد في إنكار نسبة القعود إلى الله تعالى وإقاعده محمَّدًا على عرشه ما دام أنه لم يأت نص ملزم عن النبي ﷺ، ومعناه ليس له شاهد في السنة، ومعناه ولفظه لم يتوارد على ألسنة الأئمة». ثم قال: «ومن العجيب حقًا أن يعتمد هذا الأثر ابن القيم». وفي

(١) مجموع الفتاوى (المجلد الخامس ص ٥٢٧).

(٢) شرح حديث النزول (طبع دار العاصمة ص / ٤٠٠).

(٣) القصيدة النونية (مطبعة الإمام - القاهرة، ص ٢٥٦).

(٤) بدائع الفوائد (طبعة دار الكتاب العربي / ٤ / ٤٠).

(٥) مختصر العلو للعلي الغفار (طبعة المكتب المسمى الإسلامي لزهير الشاويش الوهابي، ص ١٩).

ص ٢٠ يقول: «قال ابن القيم: ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يُقَعِدُهُ! قلتُ - أي الألباني - : وقد عرفتُ أن ذلك لم يثبت عن مجاهد، بل صح عنه ما يُخالفه كما تقدم. وما عزاه للدارقطني لا يصح إسناده كما بيناه في الأحاديث الضعيفة».

ثم قال: «وجعل ذلك قولاً لابن جرير فيه نظر» اهـ.

فيا لفضيحة الوهابية الذين يتيهون في كل وادٍ يُناقضون أنفسهم وزعماءهم ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم.

وقد نقل ابن المعلم القرشي المتوفى سنة ٧٢٥هـ في «نجم المهتدي»^(١) عن «كفاية النبيه في شرح التنبيه» ما حكاه القاضي حسين عن نص الإمام الشافعي رضي الله عنه: «من اعتقد أن الله جالس على العرش فهو كافر».

وقال الإمام الأشعري رضي الله عنه: «من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به». كما في كتابه النوادر.

قاعدة مهمة ومفيدة لها تعلق بهذا البحث:

قال الإمام الحافظ الفقيه العالم شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الهرري الحبشي رضي الله عنه في كتابه «الدليل القويم على الصراط المستقيم» ما نصه^(٢): «وقد احتاط العلماء في الاحتجاج بالأخبار الواردة في الصفات حتى إن بعضهم اشترط للاحتجاج بالأخبار الواردة في الصفات أن يكون الحديث القطعي الثبوت يعني المتواتر وعلى ذلك كثير من الأشاعرة.

وتوسط بعضهم وهم الماتريدية أصحاب أبي حنيفة وبعض الأشاعرة فشرطوا للاحتجاج بالحديث أن يكون مشهوراً مستفيضاً وهو أقل من المتواتر إذ لا يراعى فيه إلا أن يكون من رواية ثلاثة فأكثر.

وقد اشترط الحافظ ابن حجر أن يكون الحديث الوارد في الصفات متفقاً على ثقة

(١) نجم المهتدي (ص ٥٥١).

(٢) الدليل القويم على الصراط المستقيم (طبعة شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثالثة سنة ١٤٣٠هـ ص ١٦٤).

رواته، ومثل ذلك ذكر الذهبي فلا سبيل إلى الاحتجاج بالخبر المختلف في رواته، وكثيرًا ما تحتج الحشوية والمشبهة بالخبر الذي هو دون ذلك.

ولا دليل لمن أثبتوا لله التحيز في جهة فوق ولا حجة لهم في حديث الجارية لأن هذا الحديث من الآحاد، ظاهره معارض للحديث المتواتر. وقد قرر علماء الأصول وعلماء الحديث كما في كتاب «تشنيف المسامع»^(١) وكتاب «الفقيه والمتفقه»^(٢) أن الحديث إذا خالف النص القرآني أو الحديث المتواتر أو صريح العقل ولم يقبل تأويلًا فهو باطل موضوع كذب على الرسول.

وعبارة الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه» ما نصه^(٣): «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الإسناد رُدَّ بأمور: أحدها أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا، والثاني أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل [له] أو منسوخ، والثالث أن يخالف الإجماع فيُستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه»، ثم قال: «والرابع أن ينفرد الواحد برواية ما يجب على كافة الخلق علمه فيدل ذلك على أنه لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون له أصل وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم، والخامس أن ينفرد برواية ما جرت العادة بأن ينقله أهل التواتر فلا يقبل لأنه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية، وأما إذا ورد مخالفًا للقياس أو انفرد الواحد برواية ما تعم به البلوى لم يُرد. وقال قوم ممن ينتحل مذهب مالك بن أنس إذا كان مخالفًا للقياس لم يجز العمل به - أي القياس مقدم عندهم - . وقال قوم ممن ينتسبون إلى مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت لا يجوز العمل بخبر الواحد في ما تعم به البلوى». اهـ.

فكيف تحتج الوهابية أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وابن قيم الجوزية

(١) تشنيف المسامع (٢/ ٣٧٤).

(٢) الفقيه والمتفقه (ص ١٣٢).

(٣) المصدر نفسه، (ص ١٣٢ - ١٣٣).

بهذا الأثر غير الثابت عن مجاهد والمُتَكَلِّم في رُؤَايِهِ، وكيف يحتجّون بهذا الحديث
المكذوب على عائشة رضي الله عنها وقد بيّن أنه موضوع ومكذوبُ الحافظ ابن
الجوزي وقد مرَّ آنفًا.

ونختم بقاعدة أصولية في العقيدة وهي «لا تثبت لله صفة بقول صحابي أو
تابعي»، كما هو معلوم عند أئمة الإسلام.

قال الله تعالى :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾

[سورة الكهف]

قال المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) «قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾، الحق رفع على خبر الابتداء المضمرة؛ أي قل هو الحق. وقيل: هو رفع على الابتداء، وخبره في قوله من ربكم. ومعنى الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس من ربكم الحق فإنه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر؛ ليس إلي من ذلك شيء، فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفاً، ويحرمه من يشاء وإن كان قوياً غنياً، ولست بطارد المؤمنين لهواكم؛ فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا. وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر، وإنما هو وعيد وتهديد. أي إن كفرتم فقد أعد لكم النار، وإن آمنتم فلکم الجنة إنا أعدنا أي أعدنا للظالمين أي للكافرين الجاحدين ناراً أحاط بهم سرادقها». اهـ وهذا تهديد ووعيد صريح لا خفاء فيه.

وقال المفسر أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى سنة ٥١٦هـ في تفسيره المسمى «معالم التنزيل» ما نصه^(٢) : «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [سورة فصلت]، وقال: فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها وإن آمنتم فلکم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته، ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا ﴾ أعدنا وهيأنا من الإعداد

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٩٣).

(٢) معالم التنزيل (المجلد الثالث ص ١٥٩ طبعة دار المعرفة بيروت سنة ١٤١٣هـ).

وهو العدة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين». اهـ

وقال أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨ هـ في كتابه الوسيط في تفسير القرآن المجيد ما نصه^(١): ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، قال مجاهد والسدي: هذا وعيد من الله وإنذار وقد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ أي هيأنا وأعدنا لمن عبد غير الله نارا ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ السرادق كل ما أحاط بالشئ واشتمل عليه من ثوب أو حائط». اهـ

وقال المفسر الحافظ المشهور أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في كتابه «زاد المسير في علم التفسير» ما نصه^(٢): «قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ والثاني أنه وعيد وإنذار وليس بأمر، قاله الزجاج». اهـ

وقال القاضي المفسر أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ما نصه^(٣): «الآية توعده وتهديده، أي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غداً عند الله عز وجل». اهـ

وقال الفقيه المفسر المشهور فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ في كتابه «التفسير الكبير» أو مفاتيح الغيب بعد ذكره فوائد في تفسير هذه الآية ما نصه^(٤): ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، الفائدة الثانية: نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست بتخيير. الفائدة الثالثة: أنها تدل على أنه تعالى لا ينتفع بإيمان المؤمنين ولا ينضر بكفر الكافرين، بل نفع الإيمان يعود عليهم، وضرر الكفر يعود عليهم، كما قال

(١) تفسير القرآن المجيد (طبعة دار الكتب العلمية بيروت الجزء الثالث ص ١٤٦).

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٠ الجزء الخامس طبعة المكتب المسمى الإسلامي ص ١٣٤).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (الجزء الثالث طبعة دار الكتب العلمية ص ٥١٣).

(٤) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (في المجلد الحادي عشر طبعة دار الكتب العلمية ص ١٠٢).

تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ واعلم أنه تعالى لما وصف الكفر والإيمان والباطل والحق أتبعه بذكر الوعيد على الكفر والأعمال الباطلة وبذكر الوعد على الإيمان والعمل الصالح. أما الوعيد فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ يقول أعتدنا لمن ظلم نفسه ووضع العبادة في غير موضعها والأنفة في غير محلها فعندما استحسّن بهواه وأنف عن قبول الحق لأجل أن الذين قبلوه فقراء ومساكين، فهذا كله ظلم ووضع للشئ في غير موضعه. فأخبر تعالى أنه أعد لهؤلاء الأقسام نارا وهي الجحيم». اهـ

فتبين من مجموع نقول علماء التفسير أن هذه الآية الكريمة تهديد ووعيد لمن كفر بالنار، وليس إذناً وتخييراً لهم بالكفر، كما قال كثير من المارقين في هذا العصر محرفين لمعنى هذه الآية الكريمة محتجين بها لزعمهم الفاسد بأن الله أعطى الحرية للكافرين بالألّا يؤمنوا ولا يسلموا وأن يختاروا الكفر والضلالة وهذا كفر بواح صراح. وقد نقل الفقهاء عن الأئمة كأبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: «الرضا بالكفر كفر».

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ، وقال: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾، والكفر بأنواعه هو رأس الظلم والفساد والبغي والمنكر، فكيف يأذن الله ويأمر به؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. وآيات التهديد والوعيد لمن كفر بالله كثيرة جداً، فلينظر إليها من شاء في المصحف الشريف.

ومن أشنع الفضائح وأبشعها طلوع النائب المصري الوهابي في شهر اذار ٢٠١٢ في شريط مسجلاً بصوته وصورته فقال: «يحق للمسيحيين أن يسبوا سيدنا محمداً بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وتوقف من توقف من أسلافه المتسلقين على كراسي النيابة ومثلهم كمن قرأ: فويل للمصلين، وتوقف وكمن قرأ: ولا تقربوا الصلاة، وتوقف، سكتوا فسقطوا...

قال الله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

[سورة طه]

اعلم أن هذه الآية من الآيات المتشابهة التي لا يجوز حملها على ما يخطر للبشر من الاستقرار والجلوس ونحوه ويكفر من يعتقد ذلك.

الذي يعتقد أن معنى قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ جلس أو استقر أو حاذى العرش يكفر.

فيجب ترك الحمل على الظاهر بل يحمل على محمل مستقيم في العقول فتحمل لفظة الاستواء على القهر في لغة العرب يقال استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب.

ومعنى «استعلى على الرقاب» أي استولى على الأشخاص أي على أهل البلد. تحمل آية الاستواء على القهر، أو يقال استوى استواءً يليق به أو يقال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ بلا كيف، أما من أراد التأويل التفصيلي فيقول «قهر» ويجوز ان يقول «استولى».

ومعنى قهر الله للعرش الذي هو أعظم المخلوقات أن العرش تحت تصرف الله وهو خلقه وهو يحفظه، يحفظ عليه وجوده ولولا حفظ الله تعالى له لهُوى إلى الأسفل فتحطم، فالله تعالى هو أوجده ثم هو حفظه وأبقاه، هذا معنى قهر العرش، هو سبحانه قاهر العالم كله، هذه الشمس والقمر والنجوم لولا أن الله يحفظها على هذا النظام الذي هي قائمة عليه لكانت تهاوت وحطم بعضها بعضاً، واختل نظام العالم.

والإنسان قهره الله بالموت، أي ملك وأي إنسان رزق عمراً طويلاً لا يملك لنفسه أن يحمي نفسه من الموت فلا بد أن يموت.

وليعلم أن الاستواء في لغة العرب له خمسة عشر معنى كما قال الحافظ أبو بكر بن العربي ومن معانيه: الاستقرار والتمام والاعتدال والاستعلاء والعلو والاستيلاء وغير

ذلك، ثم هذه المعاني يليق بالله وبعضها لا يليق بالله. فما كان من صفات الأجسام فلا يليق بالله.

يقول الشيخ حسن البنا في كتاب العقائد الإسلامية: «السلف والخلف ليس بينهم خلاف أنه لا يجوز حمل آية الاستواء على المعنى المتبادر» وهذا الكلام من جواهر العلم.

فإن قال المجسم: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (٥)، «على» أي فوق، يقال لهم: فماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، هل يفهمون من هذه الآية أن العباد فوق الله؟! فإن «على» تأتي لعلو القدر وللعلو الحسي، وقد قال الله تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٤) أراد علو القهر بقوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٤) [سورة النازعات].

بيان أن الأئمة الأربعة على التنزيه في مسألة الاستواء

قد ورد قرآنًا وصف الله بأنه مستوٍ على العرش^(١)، فيجب الإيمان بذلك بلا كيف، فليس بمعنى الجلوس أو الاستقرار أو المحاذاة للعرش، لأن ذلك كَيْفٌ، والله منزّه عن الاستواء بالكيف، لأنه من صفات الأجسام، بل نقول: استوى على العرش استواء يليق به هو أعلم بذلك الاستواء، وهذا موافق ومنسجم مع الآية المحكمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

* وقد سئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر»^(٢)، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا ومن توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه. اهـ وهذا القول ثابت عن الإمام أبي حنيفة نقله من لا يحصى كالإمام أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) في شرحه على الفقه الأكبر^(٣) والإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»^(٤) والعز بن عبد السلام في حل الرموز^(٥) والشيخ تقي الدين الحصني في «دفع شبهه من شبه وتمرد»^(٦) وشمس الدين

(١) وذلك في سور سبع إحداها في سورة الأعراف وثانيها في سورة يونس وثالثها في سورة الرعد ورابعها في سورة طه وخامسها في سورة الفرقان وسادسها في سورة السجدة وسابعها في سورة الحديد. قال الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٦٥): وأقوايل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسّم، خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبّدهم بتعظيمه والطواف (به) كما خلق في الأرض بيتًا وأمر بني آدم بالطواف (به) واستقباله في الصلاة. اهـ

(٢) انظر «الفقه الأبسط» (ص ٤٩) لأبي حنيفة.

(٣) انظر شرحه على الفقه الأكبر (ص ٢٥)

(٤) البرهان المؤيد (ص / ١٨).

(٥) انظر كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز (ص ٤٤).

(٦) دفع شبهه من شبهه وتمرد (ص ٣١).

الرملي في فتاويه^(١) والنفراوي في الفواكه الدواني^(٢) وغيرهم.
وأما ما قاله المجسم ابن القيم في نونيته^(٣) :

وكذلك النعمان قال وبعده يعقوب والألفاظ للنعمان
من لم يقرب عرشه سبحانه فوق السماء وفوق كل مكان
ويقر أن الله فوق العرش لا يخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شك في تكفيره لله درك من إمام زمان
هو الذي في الفقه الأكبر عندهم وله شروح عدده لبيان

أقول: إن هذا المجسم يريد أن يروِّج بدعته هذه بالكذب على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه^(٤). وهذا الفقه الأكبر بين أيدينا فليراجعه من شاء، وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنه مبتدع داعية إلى بدعته غال فيها كل الغلو، وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته، فهذا «الفقه الأكبر»^(٥) فيه:

«والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) اللَّهُ الصَّمَدُ^(٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤)» [سورة الإخلاص] لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه».

(١) فتاوى شمس الدين محمد الرملي بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (٢٦٧/٤).

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٢/١).

(٣) (ص ٦٨ - ٦٩).

(٤) مع أن المجسم في كتابهم المسمى بالسنة (المنسوب) لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١٩٧/١) - (٢١١) ساقوا جملة من اتهامات وشتائم تصف أبا حنيفة بأنه: (كافر، زنديق، مات جهميًا، كان مرجئا، ينقض الإسلام عروة عروة، ما ولد في الإسلام أشأم ولا أضر على الأمة منه، وأنه يكيد الدين!! وأنه أبو جيفة!! استتيب من الكفر مرتين). اهد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ٦٠ - ٦٤).

وفيه^(١) : «وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو توقّف فيها أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى».

وفيه^(٢) : «وهو شيء لا كالأشياء. ومعنى الشيء^(٣) إثباته بلا جسم ولا عَرَض ولا حد له^(٤) ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له»

وفيه أيضًا^(٥) : «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة».

وفي «الوصية»^(٦) للإمام أبي حنيفة: «ولقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة».

وفي «الوصية»^(٧) للإمام: «نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. اهـ

(١) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ٩١).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١١٧ - ١٢٠).

(٣) الشيء له إطلاقان: الأول الموجود وهو المراد بقولهم: الله شيء لا كالأشياء، والثاني: ما تعلق به مشيئة الله أي ما خلق وحدث بمشيئة الله. وبمعنى الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ ۖ وَبِمَعْنَى الثَّانِي قَوْلُهُ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٤) وهذه عقيدة السلف الصالح تنزيه الله عن الحد، فقد روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٣/١) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من زعم أن إلها محدود فقد جهل الخالق المعبود» اهـ وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) في جامع البيان عن تأويل آي القرآن في تفسير سورة الحديد (٢٧/٢١٥): هو الأول قبل كل شيء بغير حد. اهـ

(٥) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ٢٤٥ - ٢٤٦)، وإشارات المرام للقاضي كمال الدين البياضي الحنفي (ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٦) انظر شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ٢٤٦)، وإشارات المرام للبياضي (ص ٢٠١)، وشرح وصية الإمام أبي حنيفة لأكمل الدين البابرتي الحنفي (ص ١٤٢)

(٧) انظر شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ١٢٦ - ١٢٧)، وإشارات المرام للبياضي (ص ١٩٥)، وشرح وصية الإمام أبي حنيفة لأكمل الدين البابرتي الحنفي (ص ٩٧)

وفي «الفقه الأيسر»^(١) للإمام: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فهو كافر»^(٢)، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض» اهـ وقال أيضًا^(٣): «كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء» اهـ.

وإنما كَفَّرَ الإمام قائل هاتين العبارتين^(٤) لأنه جعل الله مختصًا بجهة وحيز، وكل ما هو مختص بالجهة والتحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله - وقد نقلنا ذلك -، ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان» اهـ. ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله كما قال العلامة

(١) الفقه الأيسر للإمام (ص ٤٩)، وإشارات المرام للبياضي (ص ٢٠٠).

(٢) قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تعليقه على الفقه الأيسر (ص ٤٩): ولم يذكر في المتن وجه كفره فبينه الشارح أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ) بقوله: «لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له تعالى: مكان فكان مشرکًا» اهـ ويدل على ذلك ما سيجيء في المتن: قلت: رأيت لو قيل أين الله تعالى؟ يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء» اهـ يعني فلا تتصور الأينية إلا في حادث. ومما يدل على ذلك أيضًا قول الطحاوي في كتابه بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله: ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية. تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ولا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات» اهـ وهذا جلي واضح مستغن عن الايضاح. اهـ كلام الكوثري

(٣) الفقه الأيسر (ص ٥٧)، وإشارات المرام (ص ١٩٧).

(٤) أي من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض. اهـ

البَيَاضِي الحنفي في «إشارات المرام»^(١) والشيخ الكوثري في «تكملته»^(٢) وغيرهما. وفي «شرح الفقه الأكبر»^(٣) لملا علي القاري: «ثم قال^(٤): ومنه ما روي عن أبي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله عن قال: لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض، فقال: قد كفر لأن الله تعالى يقول، وعرشه فوق سبع سمواته، قلت: فإن قال إنه على العرش ولا أدري العرش في السماء أم في الأرض، قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر لأن الله تعالى في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل» اهـ.

والجواب أنه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتاب «حل الرموز»^(٥) أنه قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر، لأن هذا القول بوجه أن للحق مكاناً ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه» اهـ ولا شك أن ابن عبد السلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح^(٦)، مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به

(١) إشارات المرام (ص ٢٠٠) وعبارته: فقال فيه: (فمن قال لا أعرف ربي أفي السماء أم في الأرض فهو كافر) لكونه قائلًا باختصاص الباري بجهة وحيز وكل ما هو مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة فهو قول بالنقص الصريح في حقه تعالى: (كذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض) لاستلزامه القول باختصاصه تعالى: بالجهة والحيز والنقص الصريح في شأنه. ثم قال البياضي: وفيه إشارات: الثانية: إكفار من أطلق التشبيه والتحيز، وإليه أشار بالحكم المذكور لمن أطلقه واختاره الإمام الأشعري فقال في النواذر: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر بربه كما في شرح الإرشاد لأبي قاسم الأنصاري اهـ

(٢) تكملة الرد على النونية (ص ١٤٣)

(٣) شرح الفقه الأكبر (ص ٣٣٣ - ٣٣٤)

(٤) أي ابن أبي العز الحنفي الدمشقي (٧٩٢هـ) وقد حشا شرحه بعبارات التجسيم والتشبيه، وقد طبع كتابه عدة مرات، وءاخرها مع تعليق محمد ناصر الدين الألباني الوهابي، فزاد الكتاب بعبارات التجسيم.

(٥) انظر كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز (ص ٤٤)

(٦) شارح عقيدة الطحاوي وهو ابن أبي العز الحنفي.

غير واحد^(١) « انتهى كلام ملا علي القاري.

أقول: والعجب من ابن أبي العز أنه اعتمد على هذه الرواية، مع أنه في موضع آخر من شرحه يضعف أبا مطيع البلخي، وينقل تضعيفه عن أحمد والبخاري وغيرهما^(٢).
اهـ

قال الشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي في كتابه «غوث العباد ببيان الرشاد»^(٣) بعد أن نقل كلام ملا علي القاري: «ومنه يعلم أمور: الأمر الأول: أن تلك المقالة ليست في «الفقه الأكبر»، وإنما نقلها عن أبي حنيفة ناقل فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذباً يراد به ترويح البدعة.

الأمر الثاني: أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع لا يحل الاعتماد عليه في نقل يبني عليه حكم فرعيّ فضلاً عن أصلي فالاعتماد عليه وحاله ما ذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروّج بدعته.

الأمر الثالث: أن هذا النقل صرّح إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبي حنيفة بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام الأعظم رضي الله عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أن الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق

(١) أبو مطيع البلخي هذا: مترجم في ميزان الاعتدال (٣٣٩/٢ - ٣٤٠)، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين (٣٠٤/١).

(٢) وعبارته هناك (ص ٤٨٠) نقلاً عن ابن كثير: وأما أبو مطيع، فهو: الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم. اهـ ابن أبي العز الحنفي المجسم تلميذ ابن قيم الجوزية تبع شيخه وشيخه ابن تيمية في التجسيم والتشبيه وهو خائن يجب التحذير منه راجع كتابنا البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف فقد كفى وشفى في الرد عليه وعلى جماعته المجسمة دعاة الكفر والزندقه.

(٣) غوث العباد (ص ١١٩ - ١٢٠)

بين نقل ونقل، فإذا ثبت خيانتة في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» انتهى كلام الحمامي.

ولهذا قال الشيخ العلامة الفقيه أبو المحاسن محمد القواقجي الطرابلسي الحنفي (١٣٠٥هـ) في كتابه الاعتماد في الاعتقاد ما نصه: «ولا يقال لا يعلم مكانه إلا هو، ومن قال لا أعرف الله في السماء أم في الأرض كفر، لأنه جعل أحدهما له مكانًا. فإن قال لك: ما دليلك على ذلك؟ فقل لأنه لو كان له جهة أو هو في جهة لكان متحيزًا، وكل متحيز حادث (مخلوق)، والحدوث عليه محال»^(١) اهـ.

وقال ملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»^(٢): «فمن أظلم ممن كذب على الله أو ادعى ادعاء معينًا مشتملاً على إثبات المكان والهيئة والجهة من مقابلة وثبوت مسافة وأمثال تلك الحالة، فيصير كافرًا لا محالة. اهـ

وقال: «البدعة لا تزيل الإيمان والمعرفة». ثم استثنى منها فقال: إلا التجسيم وإنكار علم الله سبحانه بالجزئيات فإنه يكفر بهما بالإجماع من غير نزاع.^(٣) اهـ
وقال ملا علي القاري في شرحه على الفقه الأكبر^(٤): ثم قال القونوي: وفي قوله (يعني الإمام أبا حنيفة) «بذنب» إشارة إلى تكفيره بفساد اعتقاده كفساد اعتقاد المجسمة والمشبهة والقدرية ونحوهم. اهـ

وقال ملا علي القاري ما نصه^(٥): نعم من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل حصولها فهو كافر وإن عد قائله من أهل البدع، وكذا من قال بأنه سبحانه جسم وله مكان ويمر عليه زمان ونحو ذلك فإنه كافر حيث لم تثبت له حقيقة الإيمان. اهـ
وأما ما نسبته المجسم ابن القيم إلى يعقوب وهو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام

(١) الاعتماد في الاعتقاد (ص ٢١)

(٢) شرح الفقه الأكبر (ص ٣٥٥)

(٣) المصدر نفسه، (ص ٢١٢ - ٢١٣) طبعة دار البشائر.

(٤) المصدر نفسه، (ص ٢١٩)

(٥) المصدر نفسه، (ص ٤٤٩)

أبي حنيفة رضي الله عنهما، قال الشيخ مصطفى الحمامي الذي هو أحد علماء الأزهر^(١): «لا شك في أنه كذب يروج به هذا الرجل بدعته» اهـ وكذا قال الكوثري في «تكملته»^(٢) اهـ. فبهذا ينتسف ما قاله المجسم ابن القيم.

وكذلك ما تنسبه الوهابية إلى أبي حنيفة أنه قال: «الله في السماء» فغير ثابت ففي سنده أبو محمد بن حيّان ونعيم بن حماد^(٣) ونوح بن أبي مريم أبو عصمة^(٤)، فالأول ضعفه بلديه الحافظ العسال. ونعيم بن حماد مجسم. وكذا زوج أمه نوح ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة. فنوح أفسده زوج أمه ونعيم أفسده زوج أمه، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة^(٥)، فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟!، قال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه»^(٦) عن نعيم بن حماد: «قال ابن عدي: كان يضع الأحاديث^(٧)، وسئل عنه الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديثه منكر مجهول. اهـ

فإن قالت الوهابية: ذكره الذهبي نقلاً عن البيهقي في «الأسماء والصفات». قلنا: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»^(٨) وقال: «إن صحت الحكاية»، فهذا يدل على عدم أمانة الذهبي في النقل حيث أغفل هذا القيد ليوهم القارئ أن القول بأن الله في السماء كلام إمام مثل أبي حنيفة.

قال الشيخ الكوثري في «تكملته»^(٩): «وقد أشار البيهقي بقوله: «إن صحت الحكاية

(١) غوث العباد (ص ١٢٠)

(٢) تكملة الرد على النونية (ص ٩١ و ١٤٣)

(٣) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٦١ - ٤٦٣)

(٤) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٨٦ - ٤٨٩)

(٥) تكملة الرد على النونية (ص ١٤٣)

(٦) دفع شبه التشبيه (٣٣ - ٣٤)

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٧/ ٢٤٨٢)

(٨) الأسماء والصفات (ص ٣٩٧)

(٩) تكملة الرد على النونية (ص ١٤٣).

«إلى ما في الرواية من وجوه الخلل» اهـ. على أن الإمام البيهقي ذكر في «الأسماء والصفات» في كثير من المواضع أن الله منزّه عن المكان والحد ومن ذلك قوله^(١) : «وما تفرد به الكلبى وأمثاله يوجب الحد، والحد يوجب الحدث لحاجة الحد إلى حد خصه به، والبارئ قديم لم يزل» اهـ. وقوله^(٢) : «وأن الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء» اهـ

وقوله^(٣) : «والمجيء والنزول صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيهه، جل الله تعالى عما يقول المعطلة لصفاته والمشبّهة بها علوًا كبيرًا» اهـ.

فوضح بعد هذا البيان الشافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذًا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل .

* وقد ثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ما رواه الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»^(٤) ، بإسناد جيد كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح»^(٥) من طريق عبد الله ابن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرجل. اهـ

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفاً أي

(١) الأسماء والصفات (ص ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٤١٤).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٤٢١).

(٤) المصدر نفسه، (ص ٣٧٩).

(٥) فتح الباري (١٣/٤١٧)، وصححه سننه الذهبي في كتابه العلو (ص ١٣٨ - ١٣٩).

هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله: «أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه»، وذلك لأن الرجل سأله بقوله كيف استواؤه، ولو كان الذي حصل مجرد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعتراض عليه. قال المحدث الشيخ سلامة القضاعي العزامي^(١) (١٣٧٦هـ) - من علماء الأزهر - عن قول مالك لذاك الرجل «صاحب بدعة»: لأن سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي الذي هو من قبيل تمكن جسم على جسم واستقراره عليه، وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار. فسأل عنها، وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة. اهـ

وروى الحافظ البيهقي^(٢) من طريق يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرخصاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يخرج. اهـ

قوله: «الاستواء غير مجهول» أي أنه معلوم وروده في القرآن^(٣)، ولا يعني أنه بمعنى الجلوس ولكن كيفية الجلوس مجهولة، كما زعم بعض المجسمة، وقوله: «والكيف غير معقول» معناه أن الاستواء بمعنى الكيف أي الهيئة كالجلوس لا يعقل أي لا يقبله العقل، لكونه من صفات الخلق، لأن الجلوس لا يصح إلا من ذي أعضاء أي كآلية وركبة، وتعالى الله عن ذلك، فلا معنى لقول المشبهة: الاستواء معلوم

(١) فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص ١٦)

(٢) الأسماء والصفات (ص ٣٧٩)

(٣) قال المحدث الشيخ سلامة العزامي في فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص ١٧): يعني أن الاستواء معلوم الورود في الكتاب. اهـ قلت: وهذا معنى ما رواه اللالكائي في شرح السنة (٤٤١/٣ - ٤٤٢) عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وربيعه بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك أنهما قالوا: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول». اهـ

والكيفية مجهولة^(١)، يقصدون بذلك أن الاستواء الجلوس لكن كيفية جلوسه غير معلومة، لأن الجلوس كيفما كان لا يكون إلا بأعضاء، وهؤلاء يوهمون الناس أن هذا مراد مالك رضي الله عنه. فلا يُعْتَرّ بتمويهاتهم.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح «الإحياء» ما نصه^(٢): «وقال ابن اللبان^(٣) في تفسير قول مالك، قوله: «كيف غير معقول» أي كيف من صفات الحوادث، وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل، فيجزم بنفسه عن الله تعالى، قوله: «والاستواء غير مجهول» أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، «والإيمان به» على الوجه اللائق به تعالى: «واجب» لأنه من الإيمان بالله وبكتبه» اهـ.

فنفي كيف عن الله تعالى أي الهيئة وكل ما كان من صفات الخلق، كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وما شابه ذلك، محل اتفاق بين علماء أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا.

قال الإمام الترمذي (٢٧٩هـ) في سننه^(٤): «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفیان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذا الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف. اهـ وروى الحافظ البيهقي في كتابه الاعتقاد^(٥) عن الوليد بن مسلم، قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث^(٦) فقالوا: أمرها كما جاءت بلا كيفية. اهـ

(١) هذا اللفظ لم يثبت عن مالك ولا عن غيره من الأئمة رواية فلا اعتداد به.

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٨٢).

(٣) في كتابه إزالة الشبهات (ص/ ١٥) لابن اللبان (ت ٧٤٩هـ).

(٤) سنن الترمذي، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (٤/ ٦٩٢).

(٥) الاعتقاد (ص ٤٤).

(٦) أي الأحاديث المتشابهة في الصفات.

ونقل الحافظ البيهقي^(١) في الأسماء والصفات عن الأئمة الأربعة والسفيانيين والحمدادين والأوزاعي والليث وشعبة وشريك وأبي عوانة وغيرهم، أنهم نَفَوْا عن الله تعالى الكيف. اهـ

أي ليس كما تدعي المجسمة^(٢) أن السلف يثبتون لله كيفية أي هيئة لكن غير معلومة لنا. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي (٣٨٨هـ) في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» ما نصه^(٣): «وليس معنى قول المسلمين: إن الله على العرش هو أنه مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته، لكنه بائن من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به، ونفينا عنه التكيف، إذ ليس كمثل شئ وهو السميع البصير. اهـ

وقوله: «بائن من جميع خلقه» أي غير مشابه للخلق، لا بمعنى أنه متباعد عن الخلق بالمسافة، وينبغي أن يُتَنَبَّه لمراد من قال من الأئمة: إنه بائن من الأشياء، ومن قال منهم: إنه تعالى غير مباين، فإنه ليس خلافًا حقيقيًا، بل مراد من قال: بائن، أنه لا يشبهها ولا يماسها، ومراد من قال: ليس مباينًا، نُفِيَّ المباينة الحسية المسافية. فمن نقل كلام من قال: منهم إنه بائن، وحمله على المباينة المسافية والمحاذة كابن تيمية فقد باين الصواب وَقَوْلَ أئمة أهل الحق ما لم يقولوه، فَحَدَّارِ حَدَّارِ ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح

(١) الأسماء والصفات (٣٨٠ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٤١٨ و ٤٢١) وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣٠/٣).

(٢) انظر قول الوهابية في شرح العقيدة الواسطية (١/٩٩): إن معنى قولنا «بدون تكيف» ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية بل نعتقد لها كيفية لكن المنفي علمنا بالكيفية. اهـ

(٣) أعلام الحديث، (١٤٧٤/٢)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ (٢٧)، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٣٦٩) وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، باب وكان عرشه على الماء (٤٢٤/١٣).

البخاري» ما نصه^(١) : فإن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن نعلم أن ربنا عز وجل ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية، وهي عن الله وعن صفاته منفية. اهـ

وفي «الأسماء والصفات» للبيهقي^(٢) عن أبي الحسن علي بن محمد الطبري، وجماعة آخرين من أهل النظر ما نصه: والقديم سبحانه عال^(٣) على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش، يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسمة والمباينة التي هي ضدها والقيام والقعود من صفات الأجسام، والله عز وجل أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى.

وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك هذه الطريقة عن بعض أصحابنا أنه قال: استوى بمعنى علا، ثم قال ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتحيز والكون في مكان متمكناً فيه. اهـ. إلى أن قال البيهقي^(٤) نقلاً عن بعض أهل العلم: وجوابي هو الأول وهو أن الله مستو على عرشه وأنه فوق^(٥) الأشياء بائن منها بمعنى أنها لا تحله ولا يحلها ولا

(١) أعلام الحديث (١/ ٥٢٩)، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٨٢).

(٢) الأسماء والصفات (ص ٣٨٠ - ٣٨١).

(٣) عال على عرشه علو قدر وفضل كما يتضح من السياق، لا علو جهة ومكان. قال اللغوي إبراهيم ابن السري الزجاج أحد مشاهير اللغويين (٣١١هـ) في كتاب تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٦٠) ما نصه: «والله تعالى عال على كل شيء، وليس المراد بالعلو: ارتفاع المحل، لأن الله تعالى: يجل عن المحل والمكان، وإنما العلو علو الشأن وارتفاع السلطان» اهـ. وقد أصدرت مجلة الأزهر، وهي مجلة دينية علمية تصدرها مشيخة الأزهر، في المحرم سنة ١٣٥٧هـ في تفسير سورة الأعلى، (ص ١٦): «والأعلى صفة الرب، والمراد بالعلو العلو بالقهر والاقتران، لا بالمكان والجهة، لتنزهه عن ذلك» وفي (ص ١٧): «واعلم أن السلف قائلون باستحالة العلو المكاني عليه تعالى خلافاً لبعض الجهلة الذين يخبطون خبط عشواء في هذا المقام فإن السلف والخلف متفقان على التنزيه» انتهى.

(٤) الأسماء والصفات (ص ٣٨١ - ٣٨٢).

(٥) فوقية القهر والقدرة، قال القرطبي في تفسيره للآية: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (١٨) ﴿٣٣٦/٨﴾: ومعنى «فوق عباده» فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم أي هم تحت تسخيرها لا فوقية مكان =

يمسها ولا يشبهها، وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والتماسة علوًا كبيرًا. انتهى كلام البيهقي بنصه.

قال الإمام أبو المظفر الأسفرايني (٤٧١هـ) في كتابه «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة^(١): «وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو، ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو، ومن لا أول له لا يقال له مم كان، ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان، وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ونفي الابتداء والأولية، وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي^(٢) رضي الله عنه أشفى البيان حين قيل له: أين الله؟ فقال: إن الذي أين الأين لا يقال له أين. فقيل له: كيف الله؟ فقال: إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف» اهـ.

فتبين أن مراد السلف بلا كيفية نفي الجلوس والاستقرار والحركة والأعضاء ونحو ذلك مما هو من صفات الأجسام. ولا يقصدون أن استواءه على العرش وإتيانه له

= كما تقول: السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة. وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد. اهـ وقال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص ٣٣٢): وأما علوه على خلقه المستفاد من نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(١٨) ففعلو مكانة ومرتبة لا علو مكان كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة. اهـ

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص ١٦١ - ١٦٢). وفي منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ محمد أحمد عليش مفتي الديار المصرية الأسبق (ت ١٢٩٩هـ) (٢/ ٣٤٠) ما نصه: قال علي كرم الله تعالى وجهه حين قيل له أين الله: الذي أين الأين لا يقال فيه أين. اهـ فبين للسائل فساد سؤاله بأن الأينية مخلوقة، والذي خلقها كان موجودًا قبل خلقها لا محالة، ولا أينية له، وصفاته تعالى لا تتغير فهو بعد أن خلق الأينية على ما كان قبل خلقها. اهـ

(٢) وفي تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر (٢٣٧/٧) وكنز العمال للمتقي الهندي (٤٠٧/١) وغيرهما: أن يهوديًا أتى عليًا رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين متى كان الله، فقال له سيدنا علي: إنما يقال متى كان لمن لم يكن ثم كان، فأما من يزل بلا كيف يكون كان بلا كينونة، كائن لم يزل قبل القيل وبعد البعد لا يزال بلا كيف، فأسلم. اهـ

كيفية لا نعلمها نحن، والله يعلمها، بل المراد نفي الكيفية عنه البتة. وليعلم العاقل أن الجلوس كيفما كان افتراضاً أو تريخاً أو غيرهما فهو كيفية لأنه لا يخرج عن كونه من صفات الأجسام. وهكذا التحيز في المكان كيفيةً من كفيات الأجسام، واللون والتماسة لجسم من الأجسام كيفية فهي منفية عن الله تعالى.

وقال القاضي عياض المالكي (٥٤٤هـ) في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم^(١):
ويا ليت شعري! ما الذي جمع آراء كافة أهل السنّة، والحقّ على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكير في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك وسلموا، وأطبقوا على تحريم التّكليف والتّخييل والتّشكيل، وأنّ ذلك من وقوفهم وحيرتهم، غير شكّ في الوجود أو جهل بالوجود، وغير قادح في التّوحيد بل هو حقيقة عندهم. اهـ ونقله عنه النووي (٦٧٦هـ) في شرح مسلم^(٢) وأقره.

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي (٤٢٢هـ)^(٣): «واعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء إتباع للنص، وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به، ولا يجوز أن يثبت له كيفية، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سأله الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقل والتحول وإشغال الحيز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤوّل إلى التجسيم، وإلى قدم الأجسام، وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام، وقد أجمل مالك رحمه الله الجواب عن سؤال من سأله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، كيف استوى؟ فقال: الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، ثم أمر بإخراج السائل» اهـ
أقول: وهذا فيمن سأل كيف استوى فما بالكم بالذي فسره بالجلوس والقعود والاستقرار؟! و

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/٤٦٥)

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٢٥)

(٣) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (ص ٢٨).

ثم إن الإمام مالكًا عالم المدينة وإمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث رضي الله عنه ينفي عن الله الجهة كسائر أئمة الهدى، فقد ذكر الإمام العلامة قاضي قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير المالكي (٦٨٣هـ) الفقيه المفسر النحوي الأصولي الخطيب الأديب البارع في علوم كثيرة في كتابه «المقتفى في شرف المصطفى» لما تكلم عن الجهة وقرر نفيها، قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله في قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى»، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبية على التنزيه لأنه ﷺ رُفِعَ على العرش ويونس عليه السلام هُبط إلى قابوس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكانًا، ولما نهى عن ذلك، ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبين أن الفضل بالمكان لا بالمكان» اهـ.

ونقل ذلك عنه أيضًا الإمام الحافظ تقي الدين السبكي الشافعي في كتابه «السيف الصقيل»^(١) والإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي في «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»^(٢) وغيرهما.

وأما ما يرويه سريج بن النعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»، فغير ثابت. قال الإمام أحمد: عبد الله ابن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفًا فيه. وقال أبو حاتم: ليس بالحافظ هو لين في حفظه وكتابه أصح، وقال البخاري: يعرف حفظه وينكر وكتابه أصح، قال ابن عدي: يروي غرائب عن مالك، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان صحيح الكتاب وإذا حدث من حفظه ربما أخطأ، وقال ابن فرحون: كان أصم أميا لا يكتب. وراجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء، وبمثل هذا

(١) السيف الصقيل (ص ٤١ - ٤٢).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٥).

السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا^(١). فبان مما ذكرناه أن ما تنسبه المشبهة للإمام مالك تقول عليه بما لم يقل.

* وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: «ءامنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك». ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»^(٢) والعز بن عبد السلام في «حل الرموز»^(٣) والشيخ تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد»^(٤) والرمل في فتاويه^(٥) والنفراوي في «الفواكه الدواني»^(٦) وغيرهم.

وقال أيضًا: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». اهـ ذكره شيخنا المحدث عبد الله الهرري في كتابه «الصراط المستقيم»^(٧) والشيخ الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد»^(٨) وغيرهما كثير، ومعناه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية والجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

ولما سئل عن صفات الله تعالى قال: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحد وعلى الظنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكر وعلى الضمائر أن تعمق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه - أي الله - على لسان نبيه ﷺ» اهـ.

(١) انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي (ت ٧٤٢هـ) (١٦ / ٢١٠)، وتكملة الرد على نونية ابن القيم، للشيخ محمد زاهد الكوثري، المطبوع بهامش السيف الصقيل (ص ٩٥) وكتاب إيضاح الدليل للقاضي ابن جماعة (ص ١٠٧).

(٢) البرهان المؤيد (ص ١٨)

(٣) حل الرموز (ص ٤٤)

(٤) دفع شبه من شبه وتمرد (ص ٣١).

(٥) فتاوى الرمل في المطبوع بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤ / ٢٦٧).

(٦)

(٧) الصراط المستقيم (ص ٧٧).

(٨) دفع شبه من شبه وتمرد (ص ٨٦).

ذكره الشيخ ابن جهبل في رسالته في نفي الجهة عن الله التي رد فيها على المجسم ابن تيمية^(١).

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه أيضًا جامعًا جميع ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن اطمأن إلى عدم الصرف فهو معطل، وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد». اهـ ذكر ذلك عنه الإمام أحمد الرفاعي في البرهان المؤيد^(٢)، والإمام بدر الدين الزركشي [٧٩٤هـ] في تشنيف المسامع^(٣)، والحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي في الغيث الهامع^(٤)، وملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر^(٥) وغيرهم^(٦).

قلت: ما أدقها من عبارة وما أوسع معناها شفى فيها صدور قوم مؤمنين، فرضي الله عنه وجزاه عنا وعن الإسلام خيرًا وقد أخذها من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى]، ومن قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَصْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل]. ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم]، ومن قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم]. وكل هذا يدل على أن الإمام الشافعي

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي: (٤٠ / ٩)، خلال رسالة أحمد بن يحيى بن إسماعيل الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلابي الحلبي الأصل والتي أولها في (٣٤ / ٩).

(٢) البرهان المؤيد للإمام الرفاعي (ص ١٧)

(٣) تشنيف المسامع للزركشي (٨٠ / ٤) ثم قال الزركشي: وهو معنى قول الصديق الأكبر رضي الله عنه: «العجز عن درك الإدراك إدراك» ثم قال (٨٢ / ٤) وفي هذا المقام قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: «سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته» اهـ. قلت: أي لا يُعرف معرفة إحاطة. اهـ

(٤) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع (٩١٤ / ٣)

(٥) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص ٢٦٧).

(٦) وممن قالها بعده إمام الحرمين أبو المعالي الجويني في كتابه العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية (ص ٢٣) ونصه: من انتهض لطلب مدبره، فإن اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد، وهو معنى قول الصديق رضي الله عنه، إذ قال: العجز عن درك الإدراك إدراك. اهـ

رضي الله عنه على تنزيه الله عما يخطر في الأذهان من معاني الجسمية وصفاتها كالجلوس والتحيز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه أيضًا ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته»^(١) اهـ.

وروى الحافظ السيوطي في الأشباه والنظائر^(٢) أن الإمام الشافعي كَفَّرَ المجسم. اهـ وقال الشيخ الإمام أفضى القضاة نجم الدين ابن الرفعة في كتابه «كفاية النبيه في شرح التنبيه»^(٣) في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: «ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يقتدى به: «وهذا ينظم مَنْ كَفَّرَهُ مجمَعٌ عليه ومن كَفَّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرآن وبأنه لا يعلم المعدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نص الشافعي». اهـ وذكره كذلك الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه «نجم المهتدي»^(٤) . اهـ

وأما ما ترويه المشبهة عن الشافعي مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٤)

(٢) الأشباه والنظائر (٢/ ٢٤٥)، وقال السيوطي في تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (ص/ ٣٨٣) شارحًا كلام النووي: من كَفَّرَ ببدعته لم يحتج به: وهو كما في شرح المذهب للمصنف: المجسم، ومنكر علم الجزئيات، قيل: وقائل خلق القرآن. فقد نص عليه الشافعي واختاره البلقيني، ومنع تأويل البيهقي له بكفران النعمة، بأن الشافعي قال ذلك في حق حفص الفرد لما أفتى بضرب عنقه، وهذا رادٌّ للتأويل. اهـ ومثله في كتاب منهج ذوي النظر للشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي (١٣٣٨هـ) (ص/ ١٢٩).

(٣) كفاية النبيه شرح التنبيه (٤/ ٢٤)

(٤) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص ٥٥١). وذكر ابن المعلم القرشي أيضًا في كتابه نجم المهتدي (ص/ ٥٨٨) أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا، قال رجل: يا أمير المؤمنين كفرهم بماذا أبالاحداث أم بالانكار، فقال: بل بالانكار ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء». اهـ

العشارى وابن كادش. أما ابن كادش فهو أبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله [٥٢٦هـ] من أصحاب العشارى اعترف بالوضع، راجع الميزان^(١) وحكم مثله عند أهل النقد معروف. وأما العشارى فهو أبو طالب محمد بن علي العشارى [٤٥٢هـ] مغفل وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبًا وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان^(٢) وغيره، وكذلك ما ينسب للشافعي «وصية الشافعي» فهو رواية أبي الحسن الهكاري المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل^(٣)، فليحذر تمويهات المجسمة فإن هذا دأبهم ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبًا وباطلاً.

* وسئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» اهـ. ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»^(٤) والعز بن عبد السلام في «حل الرموز»^(٥) والشيخ الحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد»^(٦)، والرمل في فتاويه^(٧) والنفراوي في «الفواكه الدواني»^(٨) غيرهم^(٩).

(١) ميزان الاعتدال (١/٢٥٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٦/٢٦٧).

(٣) انظر «ميزان الاعتدال» (٥/١٣٨)، و«ذيل تاريخ بغداد» (٣/١٧٣) لابن النجار. قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تكملة (ص ٩١): ومالك قائل بالاستواء بلا كيف، وكذا الشافعي وأبو حنيفة وأبو يوسف وأحمد وابن المبارك، وهم براء مما يوجد في روايات عبد الله بن نافع الصائغ والعشاري والهكاري وابن أبي مريم ونعيم بن حماد والأصطخري وأمثالهم. و(اعتقاد الشافعي) المذكور في ثبت الكوراني كذب الموضوع مروى بطريق العشاري وابن كادش. اهـ

(٤) البرهان المؤيد (ص ١٨).

(٥) حل الرموز (ص ٤٤).

(٦) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد (ص ٢٩ - ٣٠).

(٧) فتاوى شمس الدين الرمل المطبوع بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي (٤/٢٦٦).

(٨) الفواكه الدواني (ص ٨٢).

(٩) ونقل مرعي الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء =

فانظر رحمك الله بتوفيقه إلى هذه العبارة ما أتقنها، فهي اعتقاد قويم ومنهاج سليم، إذ فيها تنزيه استواء الله على العرش عما يخطر للبشر من جلوس واستقرار ومحاذاة ونحو ذلك، أما المجسمة المشبهة ففسروا الاستواء بما يخطر في أذهانهم من جلوس وقعود ونحو ذلك، فهذا فيه دليل على تبرئة الإمام أحمد رضي الله عنه من المنتسبين إليه زورًا الذين يحرفون كلمة [استوى] فيقولون جلس، قعد، استقر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا كالمجسم ابن تيمية حيث صرح في «مجموع الفتاوى»^(١) فقال: «إن محمدًا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه» اهـ وقال فيما رآه الإمام أبو حيان الأندلسي بخطه: «إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانًا يقعد معه فيه رسول الله» اهـ كما في «النهر الماد»^(٢) إلى غير ذلك من تحريفاته وتحريفاته.

والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من أبعد الناس عن نسبة الجسم والجهة والحد والحركة والسكون إلى الله تعالى، فقد نقل الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (٤١٠ هـ) رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد»^(٣) عن الإمام أحمد أنه قال: «وأنكر - يعني أحمد - على من يقول بالجسم، وقال: إنَّ الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجز في الشريعة ذلك فبطل» اهـ ونقله الحافظ البيهقي عنه في «مناقب أحمد» وغيره^(٤).

= والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص ١٢١): عن أحمد أنه قال: استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر. اهـ

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) وقد مر.

(٢) النهر الماد (١/ ٢٥٤) وقد مر.

(٣) اعتقاد الإمام أحمد (ص/ ٤٥)، وغيره.

(٤) انظر تكملة السيف الصقيل (ص ٧٢)

ونقل أبو الفضل التميمي في كتاب «اعتقاد الإمام أحمد»^(١) عن الإمام أنه قال: «ولا يجوز أن يقال استوى بمماسة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان يُنكر - الإمام أحمد - على من يقول: إن الله في كل مكان بذاته، لأنَّ الأمكنة كلها محدودة». اهـ

وبيّن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في كتابه «الباز الأشهب»^(٢) براءة أهل السنة عامة والإمام أحمد خاصة من مذهب المشبهة وقال: «وكان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ». انتهى بحروفه.

وقال القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل»^(٣) عن الإمام أحمد: كان لا يقول بالجهة للبارئ تعالى. اهـ.^(٤)
وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في فتاويه^(٥): عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلّبه ومأواه وأفاض علينا وعليه من سوابغ إمتنانه وبوآه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً من الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص، بل وعن كل وَصْف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد

(١) اعتقاد الإمام أحمد (ص ٣٨ - ٣٩)، وغيره.

(٢) الباز الأشهب (ص ٥٦) طبع دار الجنان.

(٣) إيضاح الدليل (ص ١٣٧).

(٤) قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تكلمته (ص ٨٧): ولم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة وأتحدى من يدعي خلاف ذلك أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذلك سبيلاً فضلاً عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة. اهـ

(٥) الفتاوى الحديثية (ص ١٤٨).

من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبُهتان وافتراء عليه، فلعن الله من نسب ذلك إليه، أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برأه الله منها، وقد بيّن الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزي من أئمة مذهبه المبرّئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة، أنّ كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك، وتنزيه الله تعالى عنه فاعلم ذلك فإنه مهم. وإياك أن تصغى إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود، وتعدوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة، فظنوا بذلك أنهم على هدى من ربهم وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضلال وأقبح الخصال وأبلغ المَقْت والخسران وأنهى الكذب والبهتان فخذل الله متبّعهم وطهر الأرض من أمثالهم. اهـ

وقال الشيخ محمد بن علان الصديقي [١٠٥٧هـ] في الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية ما نصّه^(١) : وأتته تعالى منزّه عن الجهة والمكان والجسم وسائر أوصاف الحدوث، وهذا معتقد أهل الحقّ ومنهم الإمام أحمد، وما نسبه إليه بعضهم من القول بالجهة أو نحوها كذب صراح عليه وعلى أصحابه المتقدمين كما أفاده ابن الجوزي من أكابر الحنابلة، وما وقع في كلام بعض المحدّثين والفقهاء ممّا يوهم الجهة أو التجسيم أوّل العلماء، وقالوا: إنّ ظاهره غير مراد، فعليك بحفظ هذا الاعتقاد، واحذر زيغ المجسّمة والجهمية أرباب الفساد. اهـ

وقال الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري^(٢) : ابن شاهين يقول: رجلان صالحان بُلّيا بأصحاب سوء، جعفر ابن محمد، وأحمد بن حنبل. اهـ

(١) الفتوحات الربّانية على الأذكار النووية، باب الحثّ على الدعاء والإستغفار في النصف الثاني من كلّ ليلة (٣/١٩٦).

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص ١٦٤).

وقال ابن الحفيد التفتازاني في الدرّ النّضيد^(١): المفهوم من تاريخ الإمام الياضي في ذكر مشايخ سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أن الإمام الزاهد أحمد بن حنبل قدّس سرّه، لم يقل بأنّ كلامه تعالى صوت وحرف، وأنه تعالى في جهة، فكأنّ الحنابلة القائلين بأنّ كلامه قديم من جنس الأصوات، قوم آخرون لا متّبعوه. اهـ

هذا وقد نقل الإمام الحافظ العراقي والإمام القرافي والشيخ ابن حجر الهيتمي وملا علي القاري ومحمد زاهد الكوثري وغيرهم^(٢) عن الأئمة الأربعة هداة الأمة الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم. اهـ بل وقال الإمام بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع^(٣): «ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال: من قال: جسم لا كأجسام كفر، ونقل عن الأشعرية أنه يفسق، وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح» اهـ.

وروى الحافظ البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل عن أحمد بن حنبل تأول قول الله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد لا غبار عليه». نقل ذلك ابن كثير في تاريخه وأقره^(٤).

وقال الحافظ البيهقي أيضًا في «مناقب أحمد»: «أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله - يعني أحمد - يقول: «احتجوا علي يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا: تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال

(١) الدرّ النّضيد من مجموعة الحفيد لأحمد بن يحيى بن محمد الحفيد (٩٠٦هـ) (ص ١٤٨).

(٢) انظر كفاية النبيه شرح التنبيه لابن الرفعة (٢٤/٤)، والأشباه والنظائر للسيوطي (٢٤٥/٢)، ونجم المهتدي ورجم المعتدي لابن المعلم القرشي (ص ٥٥١)، المنهاج القويم على المقدمة الحضرمية لابن حجر الهيتمي (ص ٦٩)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري (١٣٧/٢)، ومقالات الكوثري (ص ٢٦٩)، وقد مر.

(٣) تشنيف المسامع شرح جمع الجوامع (٨٥/٤).

(٤) البداية والنهاية (٣٨٦/١٤).

الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ﴾ [سورة الفجر] إنما يأتي قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواعظ. اهـ.

قال الحافظ البيهقي: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان، فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياه بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحدائق من أهل العلم المنزهون عن التشبيه^(١). اهـ.

وقال شيخنا الإمام المحدث الشيخ عبد الله الهرري في كتابه المقالات السننية^(٢): «وهذا دليل على أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل آيات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أن الله متحيز في مكان أو أن له حركةً وسكوناً وانتقالاً من علو إلى سفلى على ظواهرها كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبون اعتقاداً التحيز لله في المكان والجسمية ويقولون لفظاً ما يموهون به على الناس ليظن بهم أنهم منزهون لله عن مشابهة المخلوق فتارة يقولون: بلا كيف، كما قالت الأئمة، وتارة يقولون: على ما يليق بالله، نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون

(١) انظر تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري (ص ١٠٠)، ثم نقل الكوثري عن الياضي: ويوضحه قوله تعالى: ﴿فَأَنبَأَ اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ﴾ ليس المراد الإتيان بذاته بالاتفاق، وإنما هو أمره، ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾. اهـ.

(٢) المقالات السننية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية (ص ١٩٤)، وقال الإمام المقدم أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٣٣٣): وأجمعوا (أهل السنة) على نفي الآفات والغموم والآلام واللذات عنه، وعلى نفي الحركة والسكون عنه. اهـ وقال الإمام أبو المظفر الأسفرايني في التبصير في الدين، في الباب الخامس عشر في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة، (ص ٦١): وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد والنهائية والمكان والجهة والسكون والحركة فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى. اهـ وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري (٧/ ١٢٤): فمعتقد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثل شيء. اهـ.

والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على المجيء بمعنى التنقل من علو وسفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل». انتهى بحروفه.

وقال الحافظ الكبير أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في دفع شبه التشبيه^(١): وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (٢٢)، ذكر القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة]، قال: المراد به: قدرته وأمره، قال: وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ (٣٣)، ومثل هذا في التوراة، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (٢٢)، قال: إنما هو قدرته. اهـ

وقال^(٢): والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام: جسم عالي وهو مكان لسكانه، وجسم سافل، وجسم منتقل من علو إلى سفلى وهذا لا يجوز على الله عز وجل. اهـ ثم قال: ومنهم من قال يتحرك إذا نزل، وما يدرى أن الحركة لا تجوز على الله تعالى، وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه^(٣). اهـ

وقال الشيخ تقي الدين الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد^(٤): وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فجوراً منهم بل هو كذب محض على هذا السيد الجليل السلفي المنزه. اهـ

وقال الفخر الرازي في أساس التقديس^(٥): نقل الشيخ الغزالي رحمه الله عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أقرّ بالتأويل في ثلاثة أحاديث. اهـ ثم قال الرازي^(٦): روي عنه عليه السلام أنه تأتي سورة البقرة وآل عمران كذا وكذا يوم القيامة كأنهما

(١) دفع شبه التشبيه (ص ٢٦ - ٢٧)

(٢) دفع شبه التشبيه في شرح الحديث التاسع عشر (ص ٤٩ - ٥٠)

(٣) قال محقق الكتاب الشيخ محمد زاهد الكوثري معلقاً: حكى ذلك أبو يعلى في طبقاته عن أحمد بطريق أبي العباس الأصبخري وهو كما قال المصنف نقل مفترى. اهـ

(٤) دفع شبه من شبه وتمرد (ص ٢٥)

(٥) أساس التقديس (ص ١٠٧)

(٦) المصدر نفسه، (ص ١٠٨)

غمامتان. فأجاب أحمد بن حنبل رحمه الله، وقال: يعني ثواب قارئهما، وهذا تصريح منه بالتأويل. اهـ

وذكر الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن^(١): وممن نُقل عنه التأويل عليّ وابن مسعود وابن عباس وغيرهم. وقال الغزالي في كتاب «التفرقة بين الإسلام والزندقة»: «إنّ الإمام أحمد أوّل في ثلاثة مواضع». وأنكر ذلك عليه بعض المتأخرين، قلت: وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾^(١٥٨)، قال: وهل هو إلا أمره، بدليل قوله ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾^(٣٣). اهـ

فائدة قاصمة: إلى هؤلاء المجسمة أقول:

قال ابن حمدان الحنبلي (٦٩٥ هـ) في كتابه نهاية المبتدئين في أصول الدين^(٢): «وأن الله تعالى ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه». إلى أن قال: «هو الغني عن كل شيء، ولا يستغني عنه شيء، وأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، ومن شبّهه بخلقه فقد كفر، نص عليه أحمد، وكذا من جسّم، أو قال: إنه جسم لا كالأجسام، ذكره القاضي^(٣)». اهـ ثم قال: ومن قال إنه بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر». اهـ

وقال^(٤): «وقال التميمي في اعتقاد أحمد في حديث النزول: «ولا يجوز عليه الانتقال، ولا الحلول في الأمكنة، قال فيه ابن البناء في اعتقاد أحمد: ولا يقال بحركة ولا انتقال» اهـ

(١) البرهان في علوم القرآن، النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات (٧٩/٢)

(٢) الباب الأول من نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص ٣٠ - ٣١) وهو باب معرفة الله تعالى.

(٣) القاضي هو أبو يعلى الفراء الحنبلي (٤٥٨ هـ)، وهذا أحد المجسمة الذين رد عليهم الحافظ ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه. اهـ فيا لها من فضيحة عليهم.

(٤) نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص ٣٢).

وقال^(١): واختار ابن الجوزي نفي الجهة، وحكاه عن أحمد من رواية حنبل، وإليه ميل ابن عقيل. اهـ

وقال^(٢): «وقد تأول أحمد آيات وأحاديث كآية النجوى وقوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ وقال: قدرته وأمره^(٣). وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: قدرته. ذكرهما ابن الجوزي في «المنهاج» واختار هو إمرار الآيات كما جاءت من غير تفسير وتأول ابن عقيل كثيراً من الآي والأخبار. وتأول أحمد قول النبي ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الارض» ونحوه على أن بعض الحفاظ ضعفوا هذا الحديث فلا يحتج به في العقائد. اهـ

وقال مرعي الكزعي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات^(٤):

قال المازري^(٥): وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث (حديث فإن الله خلق آدم على صورته^(٦)) فأجراه على ظاهره وقال: الله صورة لا كالصور. قال: وهذا كقول المجسمة: جسم لا كالأجسام، لما رأوا أهل السنة يقولون: الله تعالى شيء لا كالأشياء. والفرق أن لفظة شيء لا تفيد الحدوث ولا تتضمن ما يقتضيه، وأما جسم

(١) نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص ٣٣).

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (ص ٣٥).

(٣) وقد قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦ / ٤٠٥): وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال [في قول الله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾]: المراد به قدرته وأمره. قال: وقد بينه في قوله ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرَ رَبِّكَ﴾ اهـ.

(٤) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص ١٦٨)

(٥) هو الإمام أبو عبد الله المازري [٥٣٧هـ] ذكر ذلك في كتابه المُعَلِّمُ بفوائد مسلم (٨ / ٨٧)، ونقله عن المازري الحافظ النووي في شرح مسلم (١٦ / ١٦٦) وأقره.

(٦) قال النووي في شرح مسلم (١٦ / ١٦٦): واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة: الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم. وقالت طائفة: يعود إلى آدم، وفيه ضعف. وقالت طائفة: يعود إلى الله تعالى ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس] وكما يقال في الكعبة: بيت الله ونظائره. اهـ

وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث. اهـ

تحذير واجب من كتاب الوهابية المجسمة المسمى بإثبات الحد لله وبأنه قاعد وجالس على العرش والعياذ بالله من هذا الكفر الصريح.

بعدهما بيّنا وأوضحنا معنى قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بنصوص أهل السنة والجماعة من الأئمة الأربعة وغيرهم ونقلنا الإجماع على تنزيه الله عن الحدِّ والكمية والشكل والصورة والهيئة والأعضاء والقيود والجلوس ويجب علينا التحذير من كتاب عملته وطبعته ووزعته الفئة الضّالة الشاذة المنحرفة الخارجة عن الدين والإسلام والمكذبة للقرءان والأنبياء الداعية إلى الكفر والإلحاد والزندقة وتكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم وهتك أعراضهم وما هذا المنهج التكفيري التنفيري التخريبي إلا بسبب شؤم عقيدتهم التي أخذوها من اليهود والنصارى والكتاب الذي نحذر منه الآن هو ما أسموه بزعمهم إثبات الحد لله وبأنه قاعدٌ وجالسٌ على عرشه تصنيف الكافر المشرك عدو الله والإسلام محمود بن أبي القاسم الدّشتي المتوفى ٦٦٥هـ وبذيله الكتاب المسمى الرد على منكر الحد من كلام إمام المجسمة وشيخ المشبهة ومُنظّر الجماعات التكفيرية الداعي إلى تكذيب الله وشتمه وتكفير المسلمين واحتقار النبيين ابن تيمية الحرّاني المارق من كتابه المسمى بيان تليس الجهمية قدّم له وعلق عليه أبو معاذ مُسلّط بن بندر العثبي وأبو عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان عليهم جميعاً لعائن الله والنبيين والملائكة والناس أجمعين والكتاب الذي بين أيدينا الطبعة الثانية جُدّة ١٤٣٦هـ ويقولون فيه ص ٩٠- إذا جلس الربُّ على الكرسي ويقولون الله ثقيل ص ٩٢

ويقولون الله يقعد على الكرسي ويقولون إذا جلس الربُّ على الكرسي ص ٩٥ -
ويقولون ثم يجلس الله على كرسيه ص ٩٩- ويقولون الله جالس الله قاعد ص ١٠٠ -
ويقولون انعقد الإجماع على أن الله جالس ص ١٠٢ - ويقولون الله مُستَقَرٌّ وجالسٌ -
على العرش ص ١٠٩ - ويقولون الله على العرش بحد ص ١٢٧ - ويقولون إنه بذاته

فوق العرشه حقيقةً وليس مجاز ص ١٢٨ - ويقولون إن الآيات والأحاديث تدل على أن الله حدًّا ولا دين لمن لا يرى الله الحد ص ١٥٩ - ويقولون الله له حدٌّ ونهاية ص ١٦٠ - ويقولون من لم يعترف أن الله على العرش بحدٍ وقعودٍ وجلوس فقد كفر والرتد عن دين الإسلام ص ١٧٠ - ويقولون من لم يعتقد أن الله على العرش بحد وأنه يتحرك وأنه في جهةٍ فقد ارتد عن دين الإسلام ولحق بدين المشركين وكفر بالله وآياته وبما جاء به رسوله ص ١٨٥ - ويقولون إن الله ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون حتى إذا قام المسبحون خُفَّ عن حملة العرش ص ٢٢٥ - ويقولون إن الله لمَّا قضى خلقه استلقى ووضع إحدى رجليه فوق الأخرى ص ٢٤٦ - ويقولون إن الله فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى ص ٢٤٨ - ويقولون الأشاعرة ضلالاً زنادقةً إخوان المشركين كفروا بربهم جهاراً ص ٢٦٨ - .

عرفتم الآن بعد كل هذه الكفريات والحماقات الوضعيات والترهات والسفاهات والسفاحات والبلية التي جاء بها دين الوهابية وفراغة مذهبهم لأجل كل هذا العبارات الصريحات الواضحات في طعنهم والتحذير منهم فلا تستغربوا ولا تتعجبوا ممَّا وصفناهم به بعد كل الذي قدمناه عنهم.

رد مختصر

قال الإمام منصور البغدادي وهو أحد رؤوس ورؤساء أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتردية في كتابه الفرق بين الفرق^(١) وقالوا أي أهل السنة مجتمعين - بنفي النهاية الحد عن صانع العالم على خلاف قول هشام بن الحكم الرافضي دعواه أن معبوده سبعة اشبار بشبر نفسه، وخلاف قول من زعم من الكراميه أنه ذو نهاية من الجهة التي يلاقي منها العرش، ولا نهاية وله خمس جهات سواها اهـ.

(١) الفرق بين الفرق (دار المعرفة - بيروت، ص ٣٣٢).

وقال الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه أصول الدين^(١) ما نصه: وأما مجسمة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم: بأن الله له حد ونهاية من جهة السفلى ومنها يماس عرشه، لقولهم بأن الله محل للحوادث اهـ.
قال الشافعي في كتاب الفقه الأكبر صحيفة ٨ ما نصه:
واعلموا أن الحد والنهاية لا يجوز على الله تعالى اهـ.
وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر (ص ٧٥ من شرحه): ولا حد له ولا ضد له اهـ.

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة التي ذكر في مقدمتها أنها عقيدة الإمام أبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبو يوسف ما نصه وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات اهـ.
وكذلك الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤١٠-٤١١ منزهًا الله تعالى عن مشابهة الاجسام نافيًا الحد عن المولى تبارك وتعالى (من الطبعة التي مع كتاب فرقان القرءان فلتراجع).

وأبطل الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ١١٤/٥ قول من قال بالحد وبين أن قول من قال لمن نفى الحد: (ساويت ربك بالشئ المعدوم اذا المعدوم لا حد له) نازل اهـ أي ساقط لا عبرة به باطل.
وكذا قال الإمام الحافظ ابن دقيق العيد في كتابه الاقتراح والإمام الحافظ العلائي كما ذكر ذلك الإمام السبكي في كتابه (قاعدة في الجرح والتعديل ص ٣٠-٣١).
وكذلك نزه الله عن الحد الإمام الحافظ ابن حبان انظر ترجمته في لسان الميزان (١١٢-١١٤/٥)

قال الإمام الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات^(٢): وما نفرد به الكلبي وأمثاله يوجب الحد، والحد يوجب الحدث لحاجة الحد الى حاد خصه به، والباري قديم

(١) أصول الدين، (دار الآفاق - بيروت، ص ٣٣٧).

(٢) الأسماء والصفات، (دار إحياء التراث العربي - بيروت، ص ٤١٥).

لم يزل اهـ.

وقد توافق بعض متأخري الحشوية الى حد أن ألف جزءاً في إثبات الحد والجلوس لله سبحانه، كما سبق، وهو محفوظ بظاهرة دمشق وعليه خطواط أناس من متأخريهم بالتسميع، وما هو إلا رجوع الى الوثنية الأولى اهـ.
أما تكفيرهم للأشاعرة واستباحة دماء المسلمين فيكفي في الرد عليهم فيه القاعدة المتفق عليها عند علماء الإسلام.

من قال قولاً يتوصل به الى تضليل امة محمد فهو مقطوع بكفره وممن ذكر هذه القاعدة الحافظ ابن حجر العسقلاني وابن دقيق العيد والنووي والسيوطي وابن حجر الهيتمي وكثير غيرهم وتكفير مسلم بلا تأويل كفر فكيف بتكفير أمة محمد جمعاء فهذا تكفير راجع على الوهابية هم كفروا الأمة بغير حقٍ والحقُّ أنهم كفَّار.

قال الله تعالى :

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ (٦٧)

[سورة طه]

قال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» في شرحه لهذه الآية ما نصه^(١) : «فأوجس في نفسه خيفة موسى أي أضمّر. وقيل: وجد. وقيل: أحس. أي من الحيات وذلك على ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم» اهـ.

قال الحافظ الإمام المجتهد الحجة شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الهري الحبشي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه «عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب» ما نصه^(٢) : «وكذلك يستحيل على الأنبياء الجبن أما الخوف الطبيعي فلا يستحيل عليهم بل الخوف الطبيعي موجود فيهم وذلك مثل النفور من الحية فإن طبيعة الإنسان تقتضي النفور من الحية وما أشبه ذلك. ولا يقال عن النبي ﷺ هرب لأن هرب يشعر بالجبن أما فرّ من أذى الكفار فهذا جائز ما فيه نقص وعلى هذا المعنى قول الله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ ، قال القشيري في تفسيره لقوله تعالى: { فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ } «يجوز حمله على الظاهر وأنه خاف منهم على نفسه»، وقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام ﴿ قَالَ

خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ (٦٧) اهـ

وهذا هو اللاتق بعصمة الأنبياء لأن الله عزّ وجلّ حكيم عليم لا يختار للنبوّة والرسالة جباناً، إذ الجبن صفة نقص وذم وعادة الناس أنهم يعيبون من كان فيه شيء من ذلك.

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد ١١ ص ٢٢٢ طبعة دار الفكر بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ).

(٢) عمدة الراغب في مختصر بغية الطالب (طبعة دار المشاريع الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ص ٧٤).

ويجب الحذر أيضًا مما خلط وخبط وخبط عشواء فيه «الدكتور وهبة الزحيلي» في كتابه المسمى «الموسوعة القرائية الميسرة» فقال ما نصه^(١) : «فأحس موسى بالخوف من أن يغلب وأن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به لأن سحرهم من جنس معجزته». اهـ

وهذه وقاحة عجيبة ومجازفة غريبة وتضليل للناس عن عقيدة أهل السنة والجماعة، فكيف يجوز بزعمه على نبي أو على رسول من أولي العزم أن يظن بربه هذا الظن وأن يلتبس أمره على الناس بحيث يغلبه السحرة والعياذ بالله تعالى، وهل يستطيع كل سحرة الأرض أن يغلبوا نبيًا واحدًا! حاشى وكلا.

وكيف يجوز على موسى عليه السلام أن يظن بنفسه أن يُكسّر ويُغلب من قِبَلِ السحرة وهو مؤيد من الله لا يشك، في ذلك طرفة عين.

وكيف يشبه سحر السحرة أو يقارن بمعجزة موسى عليه السلام وبأنه من جنسها؟! فليتعلم هذا الرجل معنى المعجزة ومعنى العصمة قبل أن يتكلم.

ويجب الحذر أيضًا مما قاله «محمد متولي الشعراوي» المصري في كتابه المسمى «المنتخب في تفسير القرآن الكريم»^(٢) : «سيدنا موسى جاء بمعجزة من نوع السحر» ويقول: «بدليل أن ربنا سبحانه وتعالى لما أحب يعمل بروفة لسيدنا موسى في العصا، بروفة أمامه لأنه سيذهب يواجه فرعون وهو لا يعرف شيئًا عن السحر قال له اعمل البروفة امامي مثل ما تجيء بفريق الكرة وتظل تمرّنه». اهـ.

وما أبعد هذا الكلام عن مارس دراسة عقيدة الإسلام أو تعلّمها أو تعليمها، وكم في هذه الكلمات القليلة من مخالفات وإساءات كثيرة، أليس الله عز وجل قال في القرآن الكريم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أليس الله عالمًا في الأزل بما يكون من موسى من كسر السحرة وفضحهم، وهل الله تعالى يتجدد له علم؟ وهل مشيئته تتغير؟

(١) الموسوعة القرائية الميسرة (دار الفكر دمشق سوريا ودار الفكر المعاصر بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ ص ٣١٧).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (الجزء الثالث طبعة دار العودة بيروت ١٩٨١ ر ص ٢٠٠).

وهل الله تعالى يُشَبَّه بمدرب فريق كرة القدم؟ وهل يُقال عن معجزة موسى عليه السلام من نوع السحر؟ معاذ الله حاشى لله وحاشى لرسوله. فما أبعد هذا الكلام عن العقيدة الإسلامية وآداب القرءان وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. اللهم ارزقنا الأدب الكامل مع أنبيائك وأوليائك والثبات على عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال الله تعالى :
﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾

[سورة طه]

يقول الدكتور السوري في كتابه المسمى: «الإنسان مسير أم مخير» تحت عنوان وأحاديث من كلام رسول الله ﷺ قد توهم الجبر ما نصه^(١): «الحديث الثالث: ما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داود من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحجّ آدم موسى فحجّ آدم موسى». ثم قال الدكتور السوري في الهامش: «ومن المعلوم أنّ هذه المحاجة بين موسى وآدم إنما كانت في عالم الأرواح أو في الحياة البرزخية، وقد يستشكل أحدنا قول آدم: قدّره الله قبل أن يخلقني بأربعين سنة، إذ أن قدر الله ثابت من الأزل والجواب كما قال المحقق المازري أن المعنى: أثبت قدر الله هذا في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق بأربعين عامًا يدل عليه اطلاع الله الملائكة على هذا القدر الذي قضى به منذ الأزل، ولعله كان قبل تنفيذ الخلق بأربعين عامًا» اهـ.

الرد: من المستغرب أشد الاستغراب أن يقول إمام كبير كالمازري «منذ الأزل» وهي عبارة لا يخفى فسادها على طلبة العلم الصغار فضلًا عن أئمتهم لأن هذه العبارة تفيد أن الأزل محكوم بالزمن ومنذ تفيد الابتداء، وهذا فساد واضح. ثم لو أننا راجعنا كلام المازري لوجدنا أن الدكتور تقول عليه كلامًا لم يقله أصلًا، ولا وجود لهذه العبارة مطلقًا في كلام المازري بل الموجود ما نقله عنه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري المسمى فتح الباري ونصه^(٢): «وقال المازري: الأظهر أن

(١) الإنسان مسير أم مخير (ص ١٢٩).

(٢) فتح الباري (١١/٥٠٩).

المراد أنه كتبه قبل خلق آدم بأربعين عامًا، ويحتمل أن يكون المراد أظهره للملائكة أو فعل فعلاً ما أضاف إليه هذا التاريخ وإلا فمشيئة الله وتقديره قديم» اهـ. فانظر رحمك الله إلى تحريف الدكتور لكلام المازري.

وأما ما ذكره الدكتور في كلامه عن الحديث^(١): «احتج آدم وموسى» فقد قال ما نصه: «والإشكال في هذا الحديث يتلخص في أن آدم تبرأ من أي حول له وقوة أمام ما قد قدره الله وقضاه من أكله من الشجرة التي حذره الله من الأكل منها، وفي هذا يدل على أن أقدار الله في حق عباده تفقدهم الحرية والقدرة على الاختيار والكسب فضلاً عن المباشرة والفعل» اهـ. ثم قال: «والجواب عن هذا الإشكال يتمثل في عدة نقاط: أولها وأهمها بل هي العمود الفقري في حل الإشكال أن تعلم بأن آدم عندما أكل من الشجرة التي حذره الله من الأكل منها لم يكن يملك اختياراً إذ لم يكن في حاله يستوعب فيها أمر الله ونهيه بل كان ذاهلاً عن ذلك كله بسبب النسيان الذي أطبق عليه، يدل على ذلك صريح قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُحِذْ لَهُ عَزْماً﴾ [سورة طه] قال ابن عباس: نسي هنا من السهو والنسيان، أي فالكلمة بمعناها الحقيقي وليست مؤولة بمعنى الترك مجازاً كما قال البعض^(٢) اهـ.

ثم قال الدكتور: «جنح الرازي في تفسيره إلى ما ذكره ابن عباس، وروي عن الحسن أنه قال: والله ما عصى آدم قط إلا بالنسيان»^(٣) اهـ

الرد: أولاً: قوله: «إن آدم إنما أكل من الشجرة التي حذره الله من الأكل منها لم يكن يملك اختياراً» هو كلام مردود، فإذا لم يكن يملك اختياراً يعني أنه كان مجبراً، وإذا كان كذلك فلماذا خوطب بالتكليف.

ثانياً: قول الدكتور: «إذا لم يكن في حالة يستوعب فيها أمر الله ونهيه»، أقول: إذا كان آدم بهذه الحالة من الغيبوبة التي يزعمها الدكتور فمعنى ذلك أنه لم يبلغه

(١) (ص ١٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢ / ٢٥١).

(٣) مفاتيح الغيب (٦ / ١١٢ ط استانبول).

التكليف أصلاً فكيف ينسب الله إليه معصية.

ثالثاً: قال الدكتور: «بل كان ذاهلاً عن ذلك كله بسبب النسيان الذي أطبق عليه»، فإذا كان قد نسي فالناسي لا يؤخذ شرعاً بسبب نسيانه. ثم يقول الدكتور: «قال ابن عباس (نسي) هنا من السهو والنسيان، أي فالكلمة بمعناها الحقيقي وليست مؤولة بمعنى الترك مجازاً كما قال البعض»^(١) اهـ. الرد: أولاً: ما نقله عن القرطبي هو في الجزء الحادي عشر وليس في الثاني عشر، ولعل هذا وقع منه إما عن سهو أو عن خطأ مطبعي.

ثانياً: الذي ورد في القرطبي هو هذه العبارة: «قال ابن عباس: (نسي) هنا من السهو والنسيان»، وأما بقية الكلام الذي نسبته للقرطبي فلا أساس له هناك. ثالثاً: أما قوله: «قال ابن عباس: نسي هنا من السهو والنسيان»، فالجواب: نعم هذا ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس، لكن لا ندري لماذا يتجاهل الدكتور الرواية الثانية التي وردت عن ابن عباس، قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ما نصه^(٢) «وفي هذا النسيان قولان أحدهما: إنه الترك، قاله ابن عباس ومجاهد، والمعنى ترك ما أمر به». اهـ.

وقال الألويسي في «روح المعاني» ما نصه^(٣): «وعن ابن عباس والحسن أن المراد فترك ما وصى به من الاحتراس عن أكل ثمرتها». اهـ. وقال الطبري في تفسيره ما نصه^(٤): «حدثنا أبو صالح فقال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتْنَىٰ﴾ [سورة طه] يقول: فترك». اهـ.

ونعود إلى تفسير ابن عباس عينه وليس ذلك المنسوب له المسمى «تنوير المقبس»

(١) وينسب البوطي هذا الكلام للجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٥١).

(٢) زاد المسير (٥/٣٢٨).

(٣) روح المعاني (٦/٢٦٩).

(٤) (١٦٠/١٦).

بل المسمى «صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس» وفي هذه الصحيفة قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا» اهـ. قال ابن عباس: «قوله (فنسي) فترك»، وقد ذكر الطبري تفسير ابن عباس للنسي بالترك بإسناده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كما ورد ءانفا.

ثم الذين فسروا الآية بالترك هم الأغلب.

فبعد أن بينا الرواية الواردة عن ابن عباس بالسند المتصل إليك ما يلي: أولًا: قال القرطبي في تفسيره ما نصه: «قال فنسي وله معنيان أحدهما ترك أي ترك الامر والعهد، وهذا قول مجاهد وأكثر المفسرين» اهـ.

فلا أدري لماذا قفز الدكتور عن هذا الكلام وتركه إلى ذلك القول المنسوب لابن عباس.

ثم قال القرطبي: «قال ابن زيد: نسي ما عهد الله إليه في ذلك ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس». اهـ. فهل الأمانة العلمية تقتضي يا دكتور أن تقطف من الأقوال ما تشتهي نفسك وتشيح بطرفك عن سائرهما.

ثانيًا: قال الإمام اللغوي المحدث السيد محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس في مادة (نسي) ما نصه: «وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتْنَىٰ إِبْلِيسَ﴾ (١١٥) معناه أيضًا ترك لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه». اهـ.

ثالثًا: قال الفراء في معاني القراءان ما نصه: «قوله فنسي: ترك ما أمر به».

رابعًا: قال ابن كثير في تفسير الآية ما نصه: «قال مجاهد والحسن: ترك».

خامسًا: قال الرازي في تفسيره ما نصه: «وفي النسيان قولان أحدهما: المراد ما هو نقيض الذكر، وإنما عوتب على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان، وكان الحسن رحمه الله يقول: والله ما عصى قط إلا بالنسيان، والثاني: أن المراد بالنسيان الترك وأنه ترك ما عهد إليه من الاحتراز من الشجرة وأكل ثمرتها».

أما قول الدكتور: «وجنح الرازي في تفسيره إلى ما ذكره ابن عباس وروي عن

الحسن البصري قوله والله ما عصى ءادم قط إلا بالنسيان» اهـ.

فالجواب: أولاً: إن الرازي لم ينقل قول ابن عباس الذي ذكره القرطبي عنه.

ثانياً: قوله «جنح» الواقع لم يجنح حيث قال الرازي كلاماً كثيراً يدافع فيه عن

القول إن «نسي» بمعنى «ترك» وإن المعصية حقيقية وليست لغوية كما قال الدكتور.

يقول الرازي في تفسيره ما نصه^(١): «وذلك يدل على أن لفظ العصيان لا يجوز

إطلاقه إلا عند تحقق الإيجاب، لكننا أجمعنا على أن الإيجاب من الله تعالى يقتضي

الوجوب فيلزم أن يكون إطلاق لفظ العصيان على ءادم عليه السلام إنما كان لكونه

تارگًا للواجب» اهـ. وقال الشيخ محمد الحامد رحمه الله في كتاب «ردود على

أباطيل» ما نصه^(٢): «والإمام فخر الدين الرازي لم يسلم بأن الأكل من الشجرة كان

عن النسيان بمعنى السهو فهو إذا موافق للقرطبي في اعتماده معنى الترك، وإليك

كلام الفخر الرازي في كتابه عصمة الأنبياء: «لا نسلم أنه ارتكبه ناسياً والدليل

عليه قوله تعالى أي في ما حكاه عن إبليس: ﴿ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ

تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا

لِمَنْ أَلْتَصِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف]، وكل ذلك يدل على أنه ما نسي النهي حال

الإقدام على ذلك الفعل، وأيضاً فلأنه لو كان ناسياً لما عوتب على ذلك الفعل ولما

سمي بالعاصي فحيث عوتب عليه دل على أنه ما كان ناسياً» اهـ.

ثالثاً: إن كلام الحسن يفيد أن ءادم عصى وهو المراد من البحث.

ثم يقول الدكتور في كتابه المسمى «الإنسان مسير أم مخير»^(٣): «فإذا ثبت أن

أكل ءادم من الشجرة تصرف إلزامي لا اختيار له فيه لأنه لم يصدر منه إلا نتيجة

نسيان كما نصت الآية، فقد ثبت إذا أنه لم يكن مؤاخذاً فيه ولم يكن عليه أي لوم

في ما صدر منه، إذ مما لا نعلم خلافاً فيه أن حال النسيان خارجة عن الوسع» اهـ.

(١) تفسير الرازي (٢٢/١٢٨).

(٢) ردود على أباطيل (١/٣٠٤).

(٣) الإنسان مسير أم مخير (ص ١٣٢).

نقول: لماذا هذا التكلف والتعسف في مثل هذا الإخراج الواهي، ألم يقرأ الدكتور قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ﴾، بعد ذلك ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ ۗ﴾، وقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۗ﴾، وقولهما: ﴿ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ فبعد ثبوت المعصية والظلم والغواية ثم التوبة عليهما، فبعد كل ذلك يعتبر أن الأمر مجرد نسيان. وليس الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۗ﴾ [سورة البقرة] للندب، نعم قد يكون الأمر في القرءان والسنة للندب وليس للوجوب، ولكن هنا هل يكون الأمر ندبًا بعد قوله (فتكونا من الظالمين)، فهل من ترك مندوبًا يكون ظالمًا؟.

ثم يعتبر الدكتور في المصدر ذاته^(١) أن المعصية في قوله تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى) هي معصية لغوية.

الرد: أولاً: نقول: إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل، فإذا اعتبرت أن المعصية هنا لغوية فماذا تعتبر الغواية في قوله ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ﴾ فهل تعتبرها غواية لغوية، وماذا تعتبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۗ﴾ فهل هو ظلم لغوي، وماذا تعتبر قوله تعالى: (فتاب عليه) فهل تعتبرها توبة لغوية.

لا أدري لماذا هذا التكلف وابتداع أشياء لم يسبق إليها هذا الرجل.

ثم إن الدكتور يقسم الأمر إلى تكليفي وءاخر إرشادي ويعتبر أن معصية آدم لأمر إرشادي فيقول في المصدر ذاته^(٢): «ومثاله أن ينصح أحدنا صديقًا عزم على عقد نكاح ابنته على شاب فيقول له: أنصحك أن تسجل العقد الشرعي في المحكمة، فهذا أمر إرشادي لا علاقة له بالأحكام الدينية، أي فهو ليس أمرًا تكليفيًا، ولنفرض أن صديقنا هذا خالف هذه النصيحة» إلى أن يقول: «إن مخالفته هذه تسمى بدون ريب عصيًّا» اهـ.

الرد: قال الرازي في تفسيره ما نصه^(٣): «والأمر قد يكون بالواجب والندب، فإنهم

(١) الإنسان مسير أم مخير (ص ١٣٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٣٦).

(٣) تفسير الرازي (٢٢/١٢٧).

يقولون: أشرت عليه في أمر ولده في كذا فعصاني، وأمرته بشرب الدواء فعصاني، وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم لا لكونه تاركًا الواجب بل لكونه تاركًا المندوب. فأجاب المستدل عن هذا الاعتراض بأننا بيننا أن ظاهر القرآن يدل على أن العصي مستحق للعقاب، والعرف يدل على أنه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العصي بترك الواجب، ولأنه لو كان تارك المندوب عاصيًا لوجب وصف الأنبياء بأسرهم عصاة في كل حال لأنهم لا ينفكون من ترك المندوب. فإن قيل وصف تارك المندوب بأنه عاصٍ مجازٌ والمجاز لا يطرد، قلنا: لما سلمت كونه مجازًا فالأصل عدمه. وأما قوله أشرت عليه في أمر ولده في كذا فعصاني، وأمرته بشرب الدواء فعصاني قلنا: لا نسلم أن هذا الاستعمال مروى عن العرب» اهـ.

ثم قال الدكتور في المصدر ذاته^(١): «والجواب عن هذا الإشكال أن إخبار الله عن توبته على آدم إنما هو من قبيل المشاكلة التي اقتضتها بلاغة المناسبة مع ندم آدم وزوجته على ما بدر منهما من مخالفة أمر الله الإرشادي، والذي عبر عنه بيان الله عز وجل بقوله: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) [سورة الأعراف] اهـ، إلى أن يقول: «والمشاكلة لون من أبرز ألوان المجاز البليغ الذي يفيض به كتاب الله عز وجل من مثل قوله عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾ (٥٤) [سورة آل عمران]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥) [سورة البقرة] اهـ.

الرد: الآية الأولى: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ لا خلاف بين المفسرين أنها محكمة. وأما الآية ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ فإنها متشابهة تُحمل أو تؤوّل على ما يليق بالله تعالى وتنزيهه عن صفات المخلوقين، فقد قال أهل العلم في تأويلها إن الله يُجازي الماكرين على مكرهم.

فالعجب العجاب كيف يقيس الدكتور المحكم على المتشابه من أجل أن يقيم

(١) الإنسان مسير أم مخير (ص ١٣٧).

فكرة واهية بمقاييس هاوية.

وليعلم الدكتور أنه جاء في الفتاوى الهندية^(١) نص في باب الردة أنه لو قال: «لم يعصوا - أي الأنبياء - حال النبوة ولا قبلها كفر لأنه رد المنصوص».

ثم اعلم أنه لم يحتج سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام بالقدر إلا بعد أن تاب، فقد أخبر الله تعالى عنه أنه قال: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢٣)، وقال في حقه: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢٣)، فالمذموم إنما هو احتجاج العاصي بالقدر مع الإصرار على الذنب.

(١) الفتاوى الهندية (٢/٢٦٣).

قال الله تعالى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكادى في الظُّلُماتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء].

قوله تعالى: يعني يونس بن متى عليه السلام، و«النون» أي الحوت وأضيف عليه السلام إليه لابتلاعه إياه، وقوله تعالى: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا﴾ أي ذهب مغاضبًا لقومه أهل نينوى - في العراق - لأنهم كذبوه ولم يؤمنوا بدعوته وأصروا على كفرهم وشركهم وأبطؤوا عن تلبية دعوته والإيمان به وبما جاء به من عند الله.

قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» مانصه^(١): «غضب على قومه، قاله ابن عباس، والضحاك». ويقول^(٢): «ظن أن لن نضيّق عليه، قاله عطاء» اهـ.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(٣): «قال بعضهم (ظن أن لن نقدر عليه) أي: لن نضيّق عليه، ولا نبتليه بالضيق الشديد لما خرج من عندهم، فيقال: فلان مقدر عليه، ومقتر، ومضيّق عليه الأمر، وهو كقوله ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الإسراء]، أي: يضيّق، وقوله ﴿فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [سورة الفجر]، أي: ضيّق عليه رزقه». ثم قال في قوله تعالى حكاية عن يونس عليه السلام ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ما نصه: «ثم اعترف بذلته وذنبه» اهـ.

ومما أجمعت عليه الأمة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون محفوظون

(١) تفسير زاد المسير زاد المسير (طبعة المسمى المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ الجزء الخامس ص ٣٨١).

(٢) زاد المسير (ص ٣٨٣).

(٣) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد السابع ص ٣٧٠).

من طفولتهم إلى مماتهم من الكفر وكبائر الذنوب وصغائر الخسة، فيونس عليه السلام لم يكن ذنبه من هذا القبيل بل كان معصية صغيرة لا خسة ولا دناءة فيها، ثم تاب فوراً وتاب الله عليه.

وقوله «من الظالمين» ليس الظلم الذي هو من الكبائر لأنه لم يأكل مال إنسان ظلماً ولا تصرف في حقوق الناس بالباطل، إنما قال ذلك في معرض مناجاته لربه في مقام التضرع والدعاء واللجوء إلى الله، ومن نسب إليه الظلم الذي هو كبيرة من الكبائر فقد كذب دين الله وافترى على أنبيائه.

فلا يجوز اعتقاد أن نبي الله يونس عليه السلام ذهب مُغاضباً لربه فإن هذا كفر وضلال ولا يجوز في حق أنبياء الله الذين عصمهم الله وجعلهم هداةً مُهتدين عارفين بربهم، فمن نسب إلى يونس عليه السلام أنه ذهب مغاضباً لله فقد افترى على نبي الله ونسب إليه الجهل بالله والكفر به، وهذا يستحيل على الأنبياء لأنهم معصومون من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ۗ ﴾ [سورة الأنبياء]، أي ظنَّ أن الله تعالى لن يُضيق عليه بتركه لقومه قبل أن يؤمر بذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۗ ﴾ [سورة الفجر]، أي ضَيَّقَ عليه رِزْقَهُ. فلا يجوز أيضاً أن يُعتقد أن نبيَّ الله يونس عليه السلام ظن أن الله تعالى لا يستطيع عليه لأن هذا مما لا يُعذر فيه أحد العوامِّ فضلاً عن نبي كريم. فأنبياء الله تعالى جميعهم عارفون بالله وهم أفضل خلق الله وقد عصمهم الله تعالى من الجهل به ومن كل فعل وقول واعتقاد ينافي العصمة، ومن نسب إلى نبي من أنبياء الله أنه ظن أن الله تعالى لا يستطيع عليه فقد نسب إليه الكفر والجهل بالله، وهذا لا يجوز في حق الأنبياء للعصمة الواجبة في حقهم. فجميع الأنبياء منذ نشأتهم كانوا عارفين بالله، وقد أفاض الله تبارك وتعالى على قلوبهم معرفته، فكانوا مؤمنين مسلمين معصومين من الكفر والضلال، فهم لا يعتقدون ما ينافي العقيدة الصحيحة التي أمرهم باتباعها وتعليمها للناس.

نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»^(١)،
عن الحافظ ابن الجوزي الحنبلي أنه قال: «جحدُه صفة القدرة كفر إِتِّفَاقًا» اهـ.
ويدخل في هذا أيضًا من شك في قدرة الله تعالى على كل شيء.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (طبعة دار الريان سنة ١٤٠٧ ر الطبعة الأولى الجزء السادس ص ٦٠٤).

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

[سورة الأنبياء]

قال المفسر ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن» ما نصه^(١): «{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}*» يعني بذلك أن أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ﴾ - أي - العاملون بطاعته المنتهون إلى أمره ونهيه»، ثم قال^(٢): «وقد ذكرنا قول من قال أن الأرض يرثها عبادي الصالحون أنها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة» اهـ.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(٣): «قال عامة أهل التأويل: هي الجنة، أخبر أن الجنة إنما ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وهو ما ذكر في آية أخرى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(١١)﴾ [سورة المؤمنون]، فيكون هذا تفسيراً لذلك» اهـ.

وقال المحدث أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني في كتابه «بدع التفاسير» في تفسيره لهذه الآية ما نصه^(٤): «أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون المتقون، وحكى عنهم قولهم حين دخولها ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ دَشَاءُ﴾^(٧٤) [سورة الزمر].

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (دار الجيل - بيروت، المجلد التاسع الجزء ١٧ ص ٨١).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٨٢).

(٣) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد السابع ص ٣٨٢ - ٣٨٣).

(٤) بدع التفاسير (مكتبة القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ ص ٧٣).

ومن بدع التفاسير: قول بعض المعاصرين: أن الأرض يعني أرض الدنيا (يرثها عبادي الصالحون) لعماريتها والغرض بهذا التأويل تأييد الاستعمار الأوروبي، والحض على عدم مقاومته، حيث إن القرءان أخبر بأن لهم وراثه أرض الدنيا. وهذا إلهاد في القرءان، وكذب على الله، وخروج على دينه، وحض على ترك فريضة الجهاد وإني أبرأ الى الله من هذا التأويل ومن صاحبه اهـ.

فهذه الآية معناها أن أرض الجنة يرثها عباد الله الصالحين، وليس كما ادعى أحد المشايخ المصريين وهو محمد بخيت أن معنى هذه الآية هو في الأوروبيين الذين قاموا بعمارة الأرض وزراعتها، وهذا تحريف لمعنى الآية وليس تفسيراً لها، وما أجرأه على مداهنتهم والتملق إليهم بما لم يقله قبله أحد في تفسير هذه الآية.

ثم إن الآية فيها رد عليه وعلى من حرّف معناها وحملها على غير المسلمين، فهل يقول الله عزّ وجل عمّن كفر به ولم يعبده ولم يوحدّه ولم يؤمن بمحمد ولا بالقرءان، عبادي الصالحون؟! والصالحون جمع صالح، والصالح هو المسلم الذي أدى الواجبات واجتنب المحرمات، هذا الذي هو محبوب عند الله تعالى ممدوح في القرءان، ونعوذ بالله من الجرأة على تحريف معاني آيات الله وكتابه.

قال الله تعالى :

﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي ﴾

[سورة الحج].

قال المفسر محمد بن جرير الطبري في «تفسير الطبري» ما نصه^(١) : «وقوله ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي ﴾ يقول تعالى ذكره: سماكم - أي الله - يا معشر من ءامن بمحمد ﷺ المسلمين من قبل .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ يقول الله سماكم .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء بن أبي رباح، أنه سمع ابن عباس يقول: الله سماكم المسلمين من قبل .
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعاً؛ عن معمر، عن قتادة ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قال: الله سماكم المسلمين من قبل .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قال: الله سماكم .

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ يقول: الله سماكم المسلمين». اهـ

(١) تفسير الطبري (دار الجيل - بيروت، المجلد التاسع الجزء ١٧ ص ١٤٤).

ومثل ذلك نقل الحافظ المفسر عبد الرزاق الصنعاني عن قتادة في تفسيره.
 قال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام
 القرآن» ما نصه^(١): ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال ابن زيد والحسن: ﴿هُوَ
 سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ راجع إلى إبراهيم؛ والمعنى: هو سماكم المسلمين من
 قبل النبي ﷺ، قال النحاس: وهذا القول مخالف لقول عظماء الأمة. روى علي ابن
 أبي طلحة، عن ابن عباس قال: سماكم الله - عز وجل - المسلمين من قبل، أي في
 الكتب المتقدمة وفي هذا القرآن؛ وقاله مجاهد، وغيره» اهـ.

وقال المفسر أبو حيان الأندلسي في كتابه «التفسير الكبير البحر المحيط» في
 تفسيره لهذه الآية من نصه: «قيل: يعود ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ إلى الله،
 وهو قول ابن عباس وقتادة، ومجاهد، والضحاك. وعن ابن عباس: إن الله ﴿هُوَ
 سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في كل الكتب، ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي القرآن، ويدل على
 أن الضمير لله قراءة أبي: الله سماكم. قال ابن عطية: وهذه اللفظة - يعني قوله:
 ﴿وَفِي هَذَا﴾ - تضعيف قول من قال الضمير لإبراهيم». اهـ.

قال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ما نصه: «قوله تعالى: ﴿هُوَ
 سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أن الله تعالى سماكم ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ
 مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في
 الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين». اهـ.

فالصحيح والمعتمد في تفسير هذه الآية ما نقله الأئمة الكبار عن الصحابة ومن
 بعدهم من التابعين، ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي الله، وليس إبراهيم عليه
 الصلاة والسلام، فالأنبياء الذين كانوا قبل إبراهيم ومن اتبعهم على الإسلام كانوا
 مسلمين مؤمنين، وليس إبراهيم هو أول من جاء بالإسلام وليس هو أو من سمي
 المسلمين مسلمين بل الله سماهم بذلك.

فما شاع بين كثير من العامة أن إبراهيم هو الذي سمي المسلمين بهذا الاسم غير

(١) الجامع لأحكام القرآن (دار الفكر، الطبعة الأولى المجلد الثاني عشر ص ١٠١).

صحيح وهو قول باطل مردود.

قال الله تعالى: ﴿ قُلُوا ءَاْمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنزِلَ اِلَىٰٓ اٰبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِیلَ وَاِسْحٰقَ وَاٰیۡمٰنًاۗ ؕ وَمَا اُوْتِيَ مٰوسٰی وَعِیۡسٰی وَمَا اُوْتِيَ النَّبِیُّوۡنَ مِنْ رَبِّهٖمۡ لَا نُفَرِّقُ بَیۡنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُوۡنَ ﴿۱۳۶﴾ [سورة البقرة].

قال الله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة النور]

معنى هذه الآية أن الله تعالى هادي أهل السماوات والأرض لنور الإيمان، رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتابه «الأسماء والصفات»^(١)، وقال الحلبي الشافعي كما نقل عنه تلميذه الحافظ البيهقي في نفس الكتاب والصحيفة ما نصه: «وهو الهادي لا يعلم العباد إلا ما علمهم ولا يدركون إلا ما يسر لهم إدراكه فالحواس والعقل فطرته وخلقه وعطيته»، فالله تعالى ليس نورًا بمعنى الضوء، بل هو الذي خلق النور، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي خلق الظلمات والنور، فكيف يُمكن أن يكون نورًا كخلقه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وحكم من يعتقد أن الله تعالى نور أي ضوء التكفير قطعًا. وهذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أصرح دليل على أن الله ليس حجمًا كثيفًا كالسماوات والأرض وليس حجمًا لطيفًا كالظلمات والنور، فمن اعتقد أن الله حجم كثيف أو لطيف فقد شبه الله بخلقه والآية شاهدة على ذلك. أكثر المشبهة يعتقدون أن الله حجم كثيف وبعضهم يعتقد أنه حجم لطيف حيث قالوا إنه نور يتلألأ، فهذه الآية وحدها تكفي للرد على الفريقين.

وهناك العديد من العقائد الكفرية كاعتقاد أن الله تعالى ذو لون أو ذو شكل فليحذر الإنسان من ذلك جهده على أي حال.

ويقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فبقوله في آخر الآية ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يفسر أول الآية، ويبين لنا أن الله تعالى عنى بقوله ﴿اللَّهُ نُورٌ

(١) الأسماء والصفات (طبعة المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة الأولى ص ٨٤ - ٨٥).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ أنه أعطى الإيمان لأهل السماوات وهم الملائكة ولمن شاء من أهل الأرض من الإنس والجن. الإيمان هو نور الله هذا معنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وبعضهم قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي منير السماوات والأرض. وأما الحديث الذي رواه مسلم وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «نور أنى أراه». فقد نقل الحافظ العراقي أن أحمد استنكره، ولو صحَّ لكان معناه منعني نور مخلوق من رؤية الله بعيني رأسي، والتقدير فاعل لفعل محذوف. ومن فسّر هذا الحديث بالنور الذي هو ضد الظلمة فقد كذب هذه الآية ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة»^(١): «ألا ترى أنه قال في آخره ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أنه لم يرد بالنور ما فهموا، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ دل أنه ليس على ما فهموه به أنه نور كسائر الأنوار التي عاينوها ويشاهدونها وهم المشبهة، وعلى هذا يُخرَج تأويل ابن عباس» اهـ.

وقال الفقيه الحنفي الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كتابه «أسرار الشريعة» ما نصه: «من اعتقد أن الله ضوءٌ ملاً السماوات والأرض فهو كافر وإن زعم أنه مسلم» اهـ.

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد السابع ص ٥٦٤).

قال الله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ فَسَّئَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان]

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه «تأويلات أهل السنة»^(١): «وقوله ﴿فَسَّئَلُ بِهِ﴾، قال بعضهم: بالله» اهـ.

قال المفسر أبو عبد الله القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»^(٢): «قلت: قول الزجاج يخرج على وجه حسن، وهو أن يكون الخبير غير الله، أي فاسأل عنه خبيرًا، أي عالمًا به، أي بصفاته وأسمائه» اهـ.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»^(٣): «وفي (الخبير) أربعة أقوال، أحدها أنه جبريل قاله ابن عباس، والثاني أنه الله، والمعنى (سلني فأنا الخبير) قاله مجاهد، والثالث أنه القرآن قاله شمر، والرابع مُسَلِّمَةٌ أهل الكتاب» اهـ.

وليس معنى الآية كما زعم بعض الجهال من أنه إذا تعطلت سيارته يقول (فاسأل به خبيرًا)، يريد بالخبير من يعرف كيف يُصَلِّحُهَا، هذا إيراد للآية في غير موضعها، فالخبير هنا ليس الخبير في إصلاح السيارات أو الأدوات الكهربائية ونحوها، أو الطبيب أو المهندس أو التاجر كما شاع بين بعض الجهال، فليَتَنَبَّه.

(١) تأويلات أهل السنة (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد الثامن ص ٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الثالث عشر ص ٦٣).

(٣) زاد المسير (الجزء السادس الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ طبع المكتب المسمى الإسلامي، ص ٩٨ - ٩٩).

قال الله تعالى :

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ
يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ﴾

[سورة الفرقان].

إن بعض الناس توهموا منها وهمًا لم يتلقوه بطريق التعلم والسماع من أهل المعرفة، فصدق فيهم قول رسول الله ﷺ «أفتوتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» رواه البخاري، فقد تصوروا أن معنى الآية أن الكافر الأصلي إن دخل في دين الإسلام والمؤمن المذنب إن تاب من ذنوبه تحولت سيئاتهم إلى حسنات أو أنهم يثابون بهذه السيئات حسنات ولا يقول بذلك ذو فهم، وهي دعوة خطيرة للاستكثار من المعاصي وردَّ صريح لما دلت عليه النصوص المحكمة، وقد قال النسفي: «وردَّ النصوص كفر»، وهاك نقولاً عن بعض العلماء في تفسير الآية:

روى علي بن أبي طلحة في صحيفته التي ضمنها تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن عباس: «هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم إلى الحسنات «قوله فحولهم أي وفقهم» وقد ذكر هذه الرواية عن ابن عباس كثيرون منهم الطبري وابن كثير والفخر الرازي والسيوطي وغيرهم. وقال الحسن البصري: «أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك إخلاصًا وأبدلهم بالفجور إحصانًا وبالكفر إسلامًا» وهذا قول أبي العالية وقتادة وجماعة آخرين وهو تفسير حسن جدًا.

وقال الألويسي: «يبدل الله في الدنيا سيئاتهم حسنات» بأن يمحو سوابق معاصيهم ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كما يشير إلى ذلك كلام كثير من السلف». وقال النسفي في تفسيره^(١): «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات، الإيمان والطاعة،

(١) (دار الكتاب العربي ١٤٠٢ هـ الجزء الثالث ص ١٧٦).

ولم يرد أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا» اهـ.

وقال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١): «قال الزجاج: السيئة بعينها لا تصير

حسنة، ولكن التأويل أن السيئة تُمحي وتكتب الحسنة مع التوبة» اهـ.

وقال أبو جعفر ابن جرير الطبري في «جامع البيان في تفسير القرآن»^(٢) وبعد سرد

طويل: «وأولى التأويلين بالصواب تأويل من تأوله ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾

أعمالهم في الشرك ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ في الإسلام بنقلهم عما

يسخط الله من الأعمال إلى ما يرضى، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لأن الأعمال

السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح، وغير جائز تغيير عين قد

مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه من صفتها في حال أخرى فيلزم إن فعل

ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركاً في الكفر بعينه إيماناً يوم القيامة

بالإسلام أو معاصيه كلها بأعيانها طاعة وذلك ما لا يقوله ذو حجا» اهـ.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ إخبار عن فضل الله

عليهم وتوفيقه إياهم أن نقلهم من حال الكفر والشرك إلى الإيمان والإسلام ومن حال

المعصية إلى الطاعة، وأنه سبحانه يفضل عليهم بإثابتهم على حسنة التوبة والإيمان

ولو احق الطاعات.

تنبيه مهم جداً: لا يثبت «ما روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ

ليأتين ناس يوم القيامة ودّوا أنهم استكثروا من السيئات قيل من هم؟ قال الذين

يبدل الله سيئاتهم حسنات». قال الأوسي عن هذا الحديث: وفي كلام أبي العالية

ما هو ظاهر في إنكار تمني الاستكثار من السيئات، فقد أخرج عبد بن حميد عنه

أنه قيل له: إن أناساً يزعمون أنهم يتمنون أن يستكثروا من الذنوب فقال: ولم ذلك؟

فقيل يتأولون هذه الآية: «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» وكان أبو العالية إذا

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣١١هـ، المجلد الثاني عشر الجزء ٢٤

ص ٩٨).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (دار الجيل - بيروت، المجلد التاسع الجزء ١٩ ص ٣٠).

أخبر بما لا يعلم قال: ءامنت بما أنزل الله في كتابه، فقال ذلك ثم تلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [سورة ال عمران، ٣٠] وهو يريد أن ما تلاه مناف لما زعموه من التمني بل لا يود أحد يوم القيامة أنه استكثر من السيئات لا يصير هذا.

وهذه الآية: ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ تكفي حجة على المخالفين، وذلك دليل ءاخر على عدم صحة الحديث المروي أعلاه عن أبي هريرة رضي الله عنه لما فيه من التناقض مع الآية الكريمة وعلى عدم صحة ما يُنسب إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للصحابه «أنا أكثركم حسنات لأني أكثركم سيئات في الجاهلية» ففي الآية ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ما يرُدُّه، ولا يجوز أن يقول رسول الله ﷺ أو الصحابي كلامًا معارضا لهذه الآية كهذا الحديث المزعوم «ودّوا أنهم استكثروا من السيئات». ولا يُلتفت إلى إيراده في بعض الكتب فليس كل ما في الكتب صحيحًا، ولا تخفى القاعدة أن ما عارض المتواتر يُردُّ إن لم يقبل تأويلًا كما قال بذلك الأصوليون.

وفي «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي^(١): «بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم. وفي ص ١٥٨ يقول عن الحديث الموضوع «ليأتين ناس يوم القيامة ودّوا أنهم استكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين بدل الله سيئاتهم حسنات»: «لم أره، وأمارة الوضع لائحة عليه، فتمني السيئات شيء سيء» اهـ.

ثم لا يخفى ما ورد في الشريعة من عظم جرم الإصرار على الذنوب وهو معنى الاستكثار من السيئات حتى تزيد على الحسنات، ولذلك نقل القرطبي في التذكرة عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال «الفقيه من لم يَقْنِطِ الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معصية الله عز وجل». وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»^(٢)

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (ج٧ ص١٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ / ص٧٨).

: «قال الحسن: قوم يقولون التبديل في الآخرة، وليس كذلك، إنما التبديل في الدنيا، يبدلهم الله إيمانًا من الشرك، وإخلاصًا من الشرك، وإحصاءًا من الفجور. وقال الزجاج: ليس بجعل مكان السيئة الحسنة، ولكن بجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة».

وقال الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» عن ابن عباس أنه قال^(١): «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» فأبدلهم الله بالكفر الإسلام، وبالمعصية الطاعة، وبالإنكار المعرفة، وبالجهالة العلم». وقال^(٢): «عن الحسن قال: التبديل في الدنيا يبدل الله بالعمل السيئ العمل الصالح وبالشرك إخلاصًا وبالفجور عفافًا ونحو ذلك. وعن مجاهد قال: الإيمان بعد الشرك».

وقال الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب»^(٣): «قال الزجاج: السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن التأويل أن السيئة تُمحي بالتوبة وتُكتب الحسنة مع التوبة».

وقال الطبري في تفسيره^(٤): «فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالًا مع المسلمين للمشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات. وعن ابن عباس قال: بالشرك إيمانًا، وبالقتل إمساكًا، وبالزنا إحصاءًا».

وفي كتاب تفسير ابن زمنين^(٥): «فأما التبديل في الدنيا فطاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه».

وفي كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»^(٦): «قال ابن عباس وابن جبير

(١) الدر المنثور (ج ١١ / ص ٢١٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص / ٢٢١).

(٣) مفاتيح الغيب (ج ٢٤ / ص ٩٨).

(٤) تفسير الطبري ٣١٠ (دار هجر المجلد ١٢ ج ١٧ ص ٥١٧).

(٥) تفسير ابن زمنين (١ / ٤٨٣).

(٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧ / ١٥٠).

والضَّحَاكُ وابن زيد: يعني فأولئك يبدّلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدّلهم بالشرك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانًا».

وفي كتاب الحاوي^(١): «قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة: إن التبديل إنما يكون في الدنيا، فيبدل الله تعالى قبائح أعمالهم في الشرك بمحاسن الأعمال في الإسلام فيبدلهم بالشرك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانًا، فكانه تعالى يبشرهم بأنه يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة فيستوجبوا بها الثواب. قال الزجاج: السيئة بعينها لا تصير حسنة، ولكن التأويل أن السيئة تُمحي وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يُحبط الله عمله ويثبت عليه السيئات». وقال^(٢): «قال النحاس: من أحسن ما قيل فيه أنه يكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاصٍ مطيع. قال مجاهد والضَّحَاك: أن يبدلهم الله من الشرك الإيمان وروي نحوه عن الحسن.

وفي كتاب «الهداية إلى بلوغ النهاية»^(٣): «قال ابن عباس معناه: كانوا قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحولهم إلى الحسنات، فأبدلهم الله مكان السيئات حسنات. أي مكان عمل السيئات عمل الحسنات. وعن ابن عباس أنه قال: يبدل بكل مكان سيئة عملها حسنة يعملها في الدنيا».

وفي كتاب «الأنوار الساطعات لآيات جامعات»^(٤): «عن ابن عباس قال: هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحولهم إلى الحسنات، فأبدلهم الله مكان السيئات حسنات. وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا، وأبدلهم بالفجور إحصانًا،

(١) الحاوي (١٤ / ٥٦٤).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٢٩).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٨ / ٥٢٦٠).

(٤) الأنوار الساطعات لآيات جامعات (١ / ٤٤٤).

وبالكفر إسلامًا، وهذا قول أبي العالية، وقتادة، وجماعة آخرين». وفي كتاب تفسير الشيخ المراغي^(١) : «لكن مَنْ رجع عن هذه الآثام مع إيمانه وعمل الصالحات فأولئك يمحو الله سوابق معاصيه بالتوبة ويثبت له لواحق طاعته. والخاصة، أنه يعفو عن عقابه، ويتفضل بثوابه، والله واسع المغفرة لعباده، فيثيب من أناب إليه بجزيل الثواب، ويبعد عنه شديد العقاب».

وفي تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات للقشيري النيسابوري^(٢) : «ويقال يبدل الله سيئاتهم حسنات فيغفر لهم ويثيبهم على توبتهم» اهـ. أي بعد إسلامهم. وفي تفسير الخازن لعلاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن^(٣) : «قال ابن عباس: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانًا».

وفي تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير للشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني^(٤) : «قال ابن عباس ومجاهد: هذا التبديل في الدنيا فيبدل الله تعالى قبائح أعمالهم في الشرك بمحاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا إحصانًا وعفة، فكأنه تعالى يبشرهم بتوفيقهم لهذه الأعمال الصالحة فيثبت له الثواب. وقال الزجاج: إن السيئة بعينها لا تصير حسنة فالتأويل أن السيئة تُمحى بالتوبة، وتُكتب مع التوبة حسنة».

فتبين من مجموع هذه الأدلة والنقول أن ما افتراه عمرو خالد المصري وبعض المعاصرين في هذا الزمان من أذعياء المشيخة والعلم في سوريا ولبنان ومصر وتركيا من أن المسلم العاصي إذا تاب عين معاصيه تنقلب حسنات، هو قول ساقط مردود لا يُعبأ به ولا بقاءه، وهو تكذيب للإسلام وتشجيع للفسقة على الإكثار من الزنا

(١) تفسير الشيخ المراغي (١٩/٤٠).

(٢) لطائف الإشارات (٢/٣٩٤).

(٣) تفسير الخازن (٣/٣١٩).

(٤) تفسير الخطيب الشربيني (٣/٣٦).

واللواط والقتل والغصب وأكل أموال الناس بالباطل، ثم يقولون «نتوب فتنقلب
معاصينا حسنات»، ولا يقول بهذا ذو لُبٍِّ وتحصيل.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
 اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٥٦)

[سورة القصص].

إن الله تعالى يهدي من يشاء من عباده إلى طاعته، ويعصمه أي يحفظه عن معاصيه، ويعافيه في دينه ونفسه فضلاً منه تعالى لا لأنه ملزم بذلك، ويضل من يشاء من عباده، ويخذله أي يترك حفظه ونصرته ويبتليه في نفسه ودينه عدلاً منه تعالى لا ظلمًا وجورًا، فعلم بذلك بطلان مذهب المعتزلة وهو قولهم: إنه ملزم بما هو الأصح للعباد. لأن مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة أن الله له أن يتصرف فيهم كيف يشاء، لأن العالم ملكه وهو المالك الحقيقي له، فله أن يتصرف في مملوكه كيفما يريد. ومن أدلة أهل الحق قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٥٦)، هذه الآية نزلت في أبي طالب لما مات كافرًا وكان الرسول ﷺ دخل عليه في مرض وفاته، فعرض عليه الإسلام فأبى أن يقول: لا إله إلا الله، بل قال: إني على ملة عبد المطلب.

فمعنى الآية: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت الالتهاء له وهو عمه لأنه كان يحب له أن يهتدي وإن كان لا يحب شخصه لكفره، وإنما الله تعالى يهدي من شاء له أن يهتدي وإن كان لا يحب شخصه لكفره، وإنما الله تعالى يهدي من شاء في الأزل له أن يهتدي، فالضمير في ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ عائد إلى الله.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن»، طبع دار الجيل، المجلد العاشر الجزء ٢٠ ص ٥٨: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ إنك يا محمد لا تهدي من أحببت هدايته ولكن

الله يهدي من يشاء أن يهديه من خلقه بتوفيقه للإيمان به ورسوله» اهـ.
وقال المفسر البغوي في تفسيره المسمى «معالم التنزيل»^(١): «قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ
لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي أحببت هدايته» اهـ.

فتبين أن معنى هذه الآية الكريمة، أن النبي ﷺ كان يحب الاهتداء لعمه الكافر
بأن يُسَلِّمَ ويخرِّجَ من كُفْرِهِ، وليس معناها أنه يحبه لكفره بل هو يكرهه لأنه كافر،
قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٣٢)، فإن
كان الله لا يحبهم فكيف للرسول أن يحبهم، ثم إن عمه لما مات على الكفر، النبي
ﷺ لم يُصَلِّ عليه بدليل ما سيأتي من الأحاديث، فالحق أنه ﷺ كان يحب له
الاهتداء وليس كما ادعى بعض الجهلة في هذا العصر من أنه كان يحبه لشخصه أو
لمجرد قرابته لكفره، فهذا مستحيل على رسول الله ﷺ.

وأقل الإسلام شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقل الإيمان التصديق
القلبي بمعنى الشهادتين.

فالإسلام والإيمان متلازمان فلا يصح كل منهما بدون الآخر، فالنطق بالشهادتين
لا يقبل عند الله دون التصديق بالقلب، والتصديق القلبي لا يقبل عند الله بدون
النطق، قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه كما نقل الفقيه ملا علي القاري الحنفي
في شرح الفقه الأكبر ما نصه: «فهما كالظهر مع البطن».

وقال النووي في شرح صحيح ما نصه^(٢): «من صدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو
كافر مخلد في النار بالإجماع»، وخالف بعضهم وهو قول شاذ مردود لا يُعْمَلُ به،
وهو مخالف للإجماع فقال: من صدَّق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو مؤمن عند الله
إذا لم يُعرض عليه النطق بالشهادتين فيأبى كأبي طالب فقد عرض عليه الرسول أن
يقول لا إله إلا الله فأبى، رواه البخاري في صحيحه. فلم يختلف اثنان من العلماء
في كفر الآبي الممتنع.

(١) معالم التنزيل (طبع دار المعرفة الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ، الجزء الثالث ص ٤٥٠).

(٢) شرح صحيح (١/١٤٩).

وقد روى أبو داود في سننه في كتاب الجنائز والبيهقي في سننه^(١) أن علياً جاء إلى النبي ﷺ فقال (يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات، فقال عليه الصلاة والسلام: «اذهب فواره»)، وفي رواية (إن عمك الشيخ الكافر)، فلذلك لم يختلفوا في كفر الآبي. هذا في غير من ولد في الإسلام فإنه لا يشترط لصحة إيمانه وإسلامه النطق بل يكفي الاعتقاد. وأما الكتاب المنسوب لأحمد بن زيني دحلان: (أسنى المطالب في نجات أبي طالب) فهذا الكتاب لم يثبت عنه وعلى من أثبته فليأت بالمخطوطة.

(١) الجنائز (١/ ٣٠٤).

قال الله تعالى :
**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ**

[سورة العنكبوت].

قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) : «قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، قال معناه ابن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وأبو قرة وسلمان والحسن؛ وهو اختيار الطبري وروي مرفوعاً من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» اهـ.

قال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه^(٢) : «وقوله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، عن مجاهد وعكرمة قالاً: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه» اهـ.

وقال الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» عند شرحه لهذه الآية ما نصه^(٣) : «ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ وبه قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد» اهـ. نقول: وما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ، ذكره السيوطي في الدر المنثور.

قال الحجة شيخ الإسلام الحافظ المحدث الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله،

(١) الجامع لأحكام القرآن (/).

(٢) الطبري في تفسيره (طبعة دار الجيل - بيروت، المجلد العاشر الجزء ٢٠ ص ١٠٠).

(٣) زاد المسير (٦/ ٢٧٤ - ٢٧٥).

في كتابه «بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب»^(١) : «قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ وَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذِكْرُ اللَّهِ» أي الصلاة، ومعناه أن أفضل الواجبات بعد الإيمان بالله ورسوله الصلوات الخمس، والورق أي الفضة. وحمل هذا الحديث على الذكر المطلق تحريفاً للحديث. وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت]، فليس معناه أن اشتغال المرء بالتسبيح والتحميد بلسانه ونحو ذلك من الأذكار أفضل من الصلوات الخمس بل المعنى أن ذَكَرَ الله لعبده أكبر من ذَكَرَ العبد ربّه. وقد نبغت طائفة تنتسب للطريقة النقشبندية تفضل طريقتها على الصلوات الخمس حملاً للذكر الوارد في الآية على ما يفعلونه من ذكرهم الاسم المفرد «الله» في قلوبهم عددًا معينًا، وحصل مثل ذلك في بعض الشاذلية وهذا ضد الدين وتكذيب لقواعده المنصوص عليها» اهـ.

وليس كما قال بعض ملاحدة هذا العصر من زنادقة المتصوفة كأمثال رجب ديب الدمشقي تلميذ أحمد كفتارو، فإنه حرّف وزيف معنى هذه الآية وزعم أن مطلق الذكر كحضور حلقات الذكر أفضل من الصلوات الخمس، فقال والعياذ بالله «الصلاة في المرتبة الرابعة والذكر في المرتبة الأولى»، وهذا تكذيب لنصوص القران والسنة الثابتة وإجماع الأمة، وهو دين جديد أتبعه رجب ديب ومن كان على شاكلته من متصوفة الرّجس الذين ضلّوا وأضلّوا، والتصوف الإسلامي الحقيقي بريء منهم.

(١) بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب (طبع شركة دار المشاريع، الطبعة السابعة ١٤٢٦هـ الجزء الأول ص ١٥١).

قال الله تعالى :
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

[سورة الأحزاب]

ظهر منذ ما يزيد على مائة وثلاث عشرة سنة تقريباً من بلدة قاديان في الباكستان رجل من الذين ختمَ الله على قلوبهم بالضلالة، يُسمى غلام أحمد القادياني، ادَّعى النبوة وصار أتباعه يُسمَّون بالقاديانية أو الأحمدية، وادَّعى هو وأتباعه مع ذلك الانتساب إلى الإسلام بل ادَّعوا أنهم صفةُ المسلمين، ومنذ ذلك الوقت وهم يحاولون نشر عقائدهم بين المسلمين ليخدعوا السُّدَّجَ ضعافَ العلم والإيمان، وهم يدَّعون في كل ذلك الالتزام بالدين الإسلامي والشريعة المحمدية مكرًا وزورًا، فرأينا أنه لا بد من بيان حالهم دفعًا لشُرِّهم ودرءًا لفتنتهم وقيامًا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولسنا أول من حدَّر من من هذه الطائفة المنحرفة، وإنما سبقنا من علماء المسلمين لا سيما في بلاد الشام مصر والهند والباكستان، فقد قام العلماءُ المعتبرون بالرد على ادِّعاءات هؤلاء الباطلة وقطعوههم بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

وقد أجمع مفسرو أهل السنة والجماعة على أن «أحمد» الذي بشر به عيسى عليهما السلام هو محمد رسول الله وليس غلام أحمد القادياني عليه اللعنة، بدليل قوله ﷺ «وبشارة عيسى بي» رواه أحمد وغيره، قال القرطبي في تفسيره^(١) في قوله تعالى: ﴿ وَمَبَشِّرًا رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾: «وأحمد اسم نبينا ﷺ».

وممن نقل الإجماع في أن النبي محمدًا ﷺ هو آخر الأنبياء، عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور البغدادي التميمي المتوفى سنة ٤٢٩هـ في كتابه

(١) تفسير القرطبي (١٨ / ٨٣).

«أصول الدين» حيث يقول^(١) «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ» اهـ. وقال في كتابه «الفرق بين الفرق»^(٢) في الفصل الثالث تحت عنوان: «بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة: «قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين، كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته». وذكر منها في الركن السابع قوله^(٣): «وقالوا - يعني أهل السنة - : إن الأنبياء كثير والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وأول الرسل أبو جميع البشر وهو آدم عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ» وقال: «على خلاف قول من زعم من الخرمية أن الرسل تثنى لا آخر لهم» اهـ. قال القرطبي في تفسيره^(٤) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ «ومعنى تترا تتواتر ويتبع بعضهم بعضًا ترغيبًا وترهيبًا اهـ.

ونقله النووي في «شرحه على صحيح مسلم»^(٥) نقلًا عن القاضي عياض رحمه الله تعالى قال: «ويأجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تُنسخ» اهـ.

ونقل الإجماع كذلك ابن عاشور المالكي في تفسيره بقوله^(٦): «وقد أجمع الصحابة على أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل والأنبياء وعرف ذلك وتواتر بينهم وفي الأجيال من بعدهم ولذلك لم يترددوا في تكفير مسيلمة والأسود العنسي فصار معلومًا من الدين بالضرورة، فمن أنكره فهو كافر خارج عن الإسلام ولو كان معترفًا بأن محمدًا ﷺ رسول الله للناس كلهم، وهذا النوع من الإجماع موجب العلم الضروري كما أشار

(١) أصول الدين (ص ١٥٩).

(٢) الفرق بين الفرق (ص ٣٢٣).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٣٢٣).

(٤) تفسير القرطبي (١٢/١٢٥).

(٥) شرحه على صحيح مسلم (١٧/٧٥).

(٦) ابن عاشور المالكي (٢٢/٤٥).

إليه جميع علمائنا» اهـ.

وكذلك الشيخ حقي البروسري في تفسيره حيث قال^(١) : «وقال أهل السنة والجماعة: لا نبي بعد نبينا لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وقوله عليه السلام «لا نبي بعدي»، ومن قال: بعد نبينا نبيٌّ يكفر لأنه أنكر النص، وكذلك لو شك فيه، لأن الحجة تبين الحق من الباطل، ومن ادعى النبوة بعد موت محمد لا يكون دعواه إلا باطلا» اهـ.

وقال يوسف بن جنيد التوقادي الرومي الحنفي المتوفى سنة ٩٠٢هـ في كتابه «هدية المهديين» في ألفاظ الكفر^(٢) : «أما القسم الأول ففي بيان عقائد أهل السنة والجماعة» وتحت هذا القسم يقول^(٣) : «وأول الأنبياء آدم عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره^(٤) : «وقال ابن عطية: هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفاً وسلماً متلقاة على العموم التام مقتضية نصاً أنه لا نبي بعده ﷺ» اهـ.
قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ في تفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»^(٥) : «ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة. وقال: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» أي آخرهم».

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ في كتابه «النكت والعيون»^(٦) : «﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني آخرهم

(١) (١٨٨/٧).

(٢) هدية المهديين (ص ٣).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/١٩٦).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/١٦).

(٦) النكت والعيون (٤/٤٠٩).

وينزل عيسى فيكون حكمًا عدلاً وإمامًا مقسطاً فيقتل الدجال ويكسر الصليب وقد روى أبو نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يخرج دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولا نبيَّ بعدي» قال مقاتل بن سليمان ولم يجعل محمدًا أبا أحد من الرجال لأنه لو جعل له ابناً لجعله نبياً وليس بعده نبي، قال الله ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١)

وقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٠هـ في كتابه «معالم التنزيل في التفسير والتأويل»^(١): «﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ختم الله به النبوة وقرأ ابن عامر وعاصم (خاتم) بفتح التاء على الاسم أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم، قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً، وروي عن عطاء وعن ابن عباس أن الله تعالى لما حكم ألا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً». اهـ.

وقال الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي رحمه الله المتوفى سنة ٥٩٧هـ في تفسيره «زاد المسير في علم التفسير» ما نصه^(٢): «ومن قرأ (خاتم) بكسر التاء فمعناه وختَمَ النبيين، ومن فَتَحَهَا فالمعنى آخِر النبيين. قال ابن عباس: يريد لو لم أختِم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً. اهـ.

وقال العلامة الشيخ سليمان الجمل في تفسيره «الفتوحات الإلهية»^(٣): «﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فإنه يدل على أنه لا يكون أباً لواحد من رجال نفسه أيضاً لأنه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق به أن يكون نبياً بعده فلا يكون هو خاتم النبيين». اهـ.

وقال الحافظ الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل (٤/ ٤٧١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٦/ ٢١٢).

(٣) الفتوحات الإلهية (٣/ ٤٦٣).

في تفسيره «الدر المنثور في التفسير المأثور»^(١) : «وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ قال: آخر نبي، وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ قال: ختم الله النبيين بمحمد ﷺ وكان آخر من بُعثَ. اهـ. وذكر أحاديث عديدة في هذا الخصوص فمن شاء فليراجع.

وقال القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المتوفى سنة ٩٨٢هـ في تفسيره «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» ما نصه^(٢) : «﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي كان آخرهم الذين خُتموا به، وفُرئ بكسر التاء أي كان خاتمهم ويؤيدُه قراءة ابن مسعود (ولكن نبياً ختم النبيين)، وأياً كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبياً ولم يكن هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين كما يُروى أنه قال في إبراهيم حين توفي (لو عاش لكان نبياً)). اهـ.

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي المالكي في تفسيره «التحرير والتنوير»^(٣) : والآية نص في أن محمداً ﷺ خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده في البشر لأن النبيين عام فخاتم النبيين هو خاتمهم في صفة النبوة». وقال^(٤) : «وقرأ الجمهور ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بكسر التاء (خاتم) على أنه اسم فاعل من ختم، وقرأ عاصم بفتح التاء على تشبيهه بالخاتم الذي يختم به المكتوب في أن ظهوره كان غلقاً للنبوة». اهـ.

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور (٥ / ٣٨٥ - ٣٨٦).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥ / ٢٢٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢ / ٤٥).

(٤) (ص ٤٧).

قال الله تعالى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾

[سورة الأحزاب]

معنى الصلاة على النبي والسلام عليه، الدعاء بأن يزيد الله تعالى النبي تعظيمًا وأن يؤمنه الله مما يخاف على أمته، فالله تعالى أمر المؤمنين بأن يعتنوا بإظهار شرفه وتعظيم شأنه، وقد رغب النبي ﷺ بالصلاة عليه في يوم الجمعة فقال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضةً عليّ»، قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرضُ صلاتنا عليك وقد أرمت؟ (أي بليت) قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». رواه أبو داود.

ومعنى الحديث أن الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة فيها نمو للثواب لشرف الزمان وكونها معروضة عليه يعرضها عليه ملائكة موكلون بذلك فيمن يصلي عليه من بُعدٍ وأما من صلى عند قبره الشريف فيسمعه ﷺ لأن الأنبياء حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم فهم أحياء في قبورهم يُصلون.

وحكم الصلاة على النبي ﷺ أنها سنة إذا ذُكر عليه الصلاة والسلام إلا في الصلاة المفروضة فإنها ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونها، وموضع وجوبها في الصلاة في الجلوس الأخير بعد التشهد.

قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» في شرحه لهذه الآية ما نصه^(١): «هذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته، وذكر منزلته منه، وظهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره» اهـ.

فمعنى اللهم صل على محمد اللهم زده شرفا وتعظيمًا والنبي ﷺ هو أعلى خلق

(١) الجامع لأحكام القرآن (دار الفكر الطبعة الأولى، لمجلد الرابع عشر ص ٢٣٢).

الله وأفضل العالمين رتبة ومنزلة ومع ذلك يزداد رفعة بصلاة المصلين عليه وليس معناها الله يصلي بقيام وركوع وسجود أو يقف إمامًا والملائكة خلفه نعوذ بالله من هذا الكفر فالله لا شبيه له ولا مثيل ولله المثل الأعلى وكذلك قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم أي ينزل الرحمة الخاصة على أتقياء أمة محمد وأما معنى وسلم أي سلمه يا رب مما يخاف على أمته ويكره.

وليس كما زعم بعض جهلة هذا العصر ممن لا حظ ولا نصيب له في العلم وهو مفتي دولة عربية كبيرة قال والعياذ بالله: «طوبى لك أيها المصلي فأنت تصلي والله يصلي والملائكة يصلون فأنت في صف الله» ثم زعم هذا الأخرق أن النبي ﷺ وصل في ليلة المعراج الى مكان في السماء وأراد أن يدخل فقبل له قف فإن ربك يصلي الآن وهذا الدكتور لم يعرف الخالق من المخلوق فشبه الله تعالى بالإنس والجن المؤمنين وبالملائكة ووصف الله تعالى بالقيام والركوع والاعتدال والسجود والجلوس بين السجدين والجلوس للتشهد والتحيات وبالحركات والسكنات والانتقال فضلًا عن نسبة المكان له والله منزه عن كل ذلك. قال الإمام أحمد بن سلامة أبو جعفر الوراق الطحاوي في عقيدته المشهورة وهي العقيدة الطحاوية التي أجمع على قبولها واستحسانها المسلمون سلفًا وخلقًا في الشرق والغرب والشمال والجنوب وتلقوها بالقبول الحسن وأقبلوا عليها حفظًا وفهمًا وتعلمًا وتعليمًا وذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وصاحبيه: «تعالى - يعني الله - عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» ثم قال: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وقد قال أبو حنيفة رضي الله عنه وأرضاه: من قال بحدوث صفة من صفات الله أو شك أو توقف فقد كفر. وهذا اجماع لا خلاف فيه ونصيحتنا لكل من يشبه الله بخلقه أو ينسب له الاعضاء أو الجهة أو المكان أو التطور أو التغير أو الحركة والسكون والجلوس والاتصال والانفصال والتطور والتغير أن يرجع عن هذه العقيدة إلى عقيدة أهل الإسلام كما قال الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾

شَيْءٌ ^ط . مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك . الله موجود بلا جهة ولا مكان
وينطق بالشهادتين للرجوع الى الإسلام .

قال الله تعالى :

﴿ فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾

[سورة فاطر]

قال المفسر القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) : «قال ابن السكيت وأبو حاتم: الغرور، الشيطان». ثم قال: «وهو الشيطان، أي لا يغرنكم بوساوسه» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره ما نصه^(٢) : «عن علي عن ابن عباس في قوله ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ يقول: الشيطان» اهـ.
وقال البغوي في تفسيره ما نصه^(٣) : «وهو الشيطان» اهـ.

فالبعض كان يظن أن الغرور صفة من صفات الله والعياذ بالله وقد قال تعالى:
﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

وليس معنى الغرور كما قال بعض الناس من كبار السن في بيروت وفي بعض قرى البقاع اللبناني من أن معنى الغرور أي الحيض ومتاعها خرقة حيضتها مستشهادين بقصة حصلت مع الأصمعي من أنه سمع جارية تقول لأمها يا أمي هات المتاع فقد جاء الغرور وهذه القصة لا أساس لها في كتب اللغة، وهؤلاء تجرأوا على تفسير كتاب الله بغير علم، فارتكبوا إثماً عظيماً وذنباً جسيماً، فيشملهم قول النبي ﷺ «من قال في القرآن برأيه فقد ضل»، فما أبعد كلام هؤلاء الجهال عن معنى هذه الآية الكريمة وما أشد جهل من يقول به.

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الرابع عشر ص ٣٢٣).

(٢) تفسير الطبري (المجلد العاشر الجزء ٢٢ ص ٧٨).

(٣) (دار المعرفة-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الجزء الثالث ص ٥٦٥).

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢٨)

[سورة فاطر]

قال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري في كتابه «تفسير الطبري» ما نصه^(١) : «وقوله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ يقول - تعالى ذكره - إنما يخافُ اللهَ فيتقي عقابَهُ بطاعته العلماءُ، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشيةً منه أن يعاقبه» اهـ.

وذكر مثل ذلك المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»، والمفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره المسمى «معالم التنزيل»، والمفسر الإمام أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في تفسيره «زاد المسير»، والخازن في تفسيره، والرازي في «التفسير الكبير».

وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» ما نصه^(٢) : «قوله - أي البخاري - باب الخوف من الله عز وجل : هو من المقامات العلية وهو من لوازم الإيمان، قال الله - تعالى - ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال - تعالى - ﴿ فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ ﴾ وقال - تعالى - ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وتقدم حديث «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» وكلما كان العبد أقرب إلى ربه (القرب المعنوي) كان أشد له خشية ممن دونه، وقد وصف الله - تعالى - الملائكة بقوله ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ - فوقية القهر والغلبة فالله موجود بلا مكان -، والأنبياء بقوله ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [سورة الأحزاب، ٣٩]» اهـ.

(١) تفسير الطبري (طبعة دار الجيل - بيروت، المجلد العاشر الجزء ٢٢ ص ٨٧).

(٢) فتح الباري (طبعة دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ في كتاب الرقاق، باب الخوف من الله، الجزء الحادي عشر ص ٣١٩).

وقال الحافظ يحيى بن شرف أبو زكريا النووي في شرحه على صحيح مسلم ما نصه^(١) : «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم، وقيل: المراد متوكلون. والله أعلم». اهـ.

وهذا هو الصحيح الذي لا محيد عنه، وهو أن العلماء الأتقياء هم أشد خشية لله من غيرهم، وليس كما حرّف معنى هذه الآية بعض الزنادقة من أدعياء الولاية والتصوف من أمثال رجب ديب الدمشقي الذي قال «إن الله يعتذر من العلماء يوم القيامة» وافترى على رسول الله ﷺ فنسب إليه ما لم يقله، وهو قوله والعياذ بالله «إن الله يستحي من العلماء»، وهذا وأمثاله من التحريفات خروج عن الحق ومروق من الدين، فالله أزلي أبدي وصفاته أزلية أبدية، فلا يستحي من أحد ولا يخاف أحداً، ألا له الخلق والأمر فعال لما يريد والله على كل شيء قدير.

(١) صحيح مسلم (طبعة دار الكتاب العربي، سنة ١٤٠٧ هـ بيروت، المجلد التاسع الجزء السابع عشر ص ١٧٧، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في باب «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»).

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ (٣٦)

[سورة فاطر]

أبو لهب لا يُخَفَّفُ عنه العذاب

يجب الحذر من بعض المفتريات التي تخالف الشرع الشريف، والتي انتشرت بين بعض العوام ممن لا تحقيق له في العلم ولا باع، والتي مع شهرتها وانتشارها بين العوام فهي قبيحة مردودة ولا يُتمسك بها، لأن ما خالف القرآن والسنة وإجماع الأمة فهو ضلال، وهل بعد كلام الله كلام؟!!

ومن ذلك ما يقوله بعض مدّعي حب النبي والتصوف، حيث يذكرون في مؤلفات وأوراق أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار لعتقه جاريتة ثوية، ولا يصح هذا ولا يعول عليه.

ذكر البخاري عن عروة ما نصه [قَالَ عُرْوَةُ: وَثَوْبِيَّةٌ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أَرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حَيَّةٍ قَالَ لَهُ مَاذَا لَقِيتَ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بَعْتَاقَتِي ثَوْبِيَّةَ]. اهـ.

كما هو واضح وجلي أن هذا ليس حديثاً نبوياً، وإنما خبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، لأنها ليست رؤيا نبي، ولأن العباس لم يعرض رؤياه على الرسول ﷺ، فلا يُبنى على ذلك حكم شرعي. ثم إنه ليس في النص المذكور الكلام عن التخفيف في نار جهنم، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ (سورة فاطر).

قال القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم^(١) : [وقد انعقد الإجماع

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٩٧).

على أن الكفار لا تتفعم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشد عذاباً من بعض [أهـ].

وكيف يزعم بعض الجهلة أن أبا لهب «يسقى في النار ماءً من بين إصبعيه كل يوم اثنين»، والله تعالى يقول ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (سورة الكهف)، كيف يقولون هذا عن أبي لهب وهو الذي سب النبي ﷺ وءأذاه وهو الذي نزلت سورة قرائنية كاملة في ذمه، وهذا دليل على شدة كفره وعذابه، ولم يحصل أن نزلت سورة كاملة من أولها إلى آخرها في ذم كافر إلا فيه. بعد هذا لا يقبل من أحد أن يترك كلام الله وكلام رسوله ثم يتبع رؤيا منامية لا يبني عليها حكم شرعي أصلاً.

ويكفيينا في ردّ هذا التخريف والتخريف آيات بيّنات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ﴾ (سورة البقرة)، وكقوله تعالى: ﴿يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ (سورة الفرقان)، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (سورة الزخرف)، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ﴾ (سورة البقرة)، وقوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ (سورة آل عمران)، وقوله سبحانه ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (سورة النساء)، وقوله جل جلاله ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (سورة المائدة)، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ (سورة هود)، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (سورة الحج)، وقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (سورة فاطر)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (سورة غافر)، وقوله تعالى: ﴿فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (سورة النبأ)، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ

أُخْرِدْهُمْ لِأَوْلِيَّتِهِمْ رَبَّنَا هَتُّوْلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴿٣٨﴾ [سورة الأعراف]،
 وقوله تعالى: ﴿عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [سورة ص]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة
 النحل]، وقوله تعالى: ﴿سُقِيَ مِنْ عَيْنٍ آٰنِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة الغاشية]، وقوله تعالى: ﴿لَا
 يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النبأ]، وقوله تعالى: ﴿مِن
 وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ
 مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيَّتٍ مِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة إبراهيم]،
 وقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة محمد]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن
 يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة
 الكهف]، وقوله تعالى: ﴿وَأَدَّى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ
 مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأعراف].

وممن رد هذه القصة الواهية الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري حيث
 يقول^(١) [لكنه مخالف لظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ
 فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان]، وأجيب أولاً بأن الخبر مرسل أرسله عروة
 ولم يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذي في الخبر رؤيا منام فلا
 حجة فيه ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به] اهـ، ثم نقل عن
 القاضي عياض [الإجماع على أن أعمال الكفار لا تنفعهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا
 تخفيف عذاب وإن كان بعضهم أشد عذاباً من بعض] اهـ.

وفي كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري^(٢) للقسطلاني، مبيناً أن الكافر
 لا ينتفع بالعمل الصالح في الآخرة، يقول: «واستدل بهذا على أن الكافر قد ينفعه
 العمل الصالح في الآخرة وهو مردود بظاهر، قوله - تعالى - ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ

(١) شرح البخاري (المجلد التاسع كتاب النكاح باب الرضاع).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ الجزء ١١
 كتاب النكاح ص ٣٧٩).

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [سورة الفرقان]، لا سيما والخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدّثه به وعلى تقدير أن يكون موصولاً فلا يحتج به إذ هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعي».

وبعد آيات الله البينات الواضحات في بيان أن الكافر لا يخفف عنه العذاب بل يضاعف له العذاب وبعد كلام العسقلاني والقسطلاني الذي مرّ آنفاً والإجماع الذي نقله القاضي عياض فلا يلتفت بعد كل هذا إلى هذه القصة المخالفة للقرءان مخالفة ظاهرة وواضحة لا تشكل إلا على جاهل ولا يهولنك يا طالب الحق أن تراها في أي كتاب كان أو تسمعها من أي شخص كان وإن تزيا بزّي أهل العلم.

وإذا قيل لك هذه القصة صحيحة أو رواها فلان أو هي موجودة في بعض كتب الحديث فاثبت على الحق ولا تحد عنه واذكر ما قاله الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه، ما نصه [وإذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الأسناد رد بأمورٍ، أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يردّ بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا، والثاني: أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ، والثالث أن يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحاً غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه] اهـ.

وقد ذكر علماء الحديث أن الحديث إذا خالف صريح العقل أو النص القرءاني أو الحديث المتواتر ولم يقبل تأويلاً فهو باطل، وذكره الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع وغيره، والخطيب والبغدادي أحد حفاظ الحديث السبعة الذين نوّه علماء الحديث في كتب المصطلح بهم وهم أصحاب الكتب الخمسة والبيهقي وهذا الخطيب البغدادي وهو مذكور في كتاب تدريب الراوي وغيره» اهـ.

قال الحافظ البيهقي والإمام الحافظ ابن الصلاح وجمهور علماء المصطلح أنّ الحديث الضعيف يروى في فضائل الأعمال والسير والمغازي والتفسير، أما في

العقائد والأحكام فلا، وقال الإمام أحمد: «إذا روينا الضعيف في الفضائل تساهلنا وأما في الأحكام فنتشدد».

وإذا قال قائل هذا الحديث إنما في فضائل الأعمال ومنها الاحتفال بذكرى مولد الرسول فنقول ما قاله الشيخ عبد الله الغماري في هذا الغمار: «ما يوجد في كتب المولد النبوي من أحاديث لا خطام لها ولا زمام هي من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه فتحرم قراءة تلك الكتب ولا يقبل الاعتذار عنها بأنها في الفضائل لأن الفضائل يتساهل فيها برواية الضعيف أما الحديث المكذوب فلا يقبل في الفضائل إجمالاً بل تحرم قراءته وروايته» اهـ، وهذا في الضعيف فكيف بالكلام المخالف لصريح القرآن وصحيح السنة وإجماع الأمة. فليتق الله امرؤ يحاول نشر هذه القصة ونحن ننصح كل من اعتقدها أو صدقها أن يرجع عن هذا الضلال المبين للحق والصرط المستقيم بالشهادتين لأنه كذب الله تعالى بكلامه هذا.

نسأل الله تعالى الثبات على الحق إلى الممات والدفاع عن دين الله تعالى فكم هو جميل منهج العدل والاعتدال والدفاع عن الإسلام ورد مفتريات الكائدين والجاهلين والمحرفين. وإنما قمنا بهذه النصيحة لوجه الله تعالى وخوفاً على المسلمين من أن يقعوا في ما يخالف شرع الله. وفي الأثر: «إذا ظهرت البدع (أي العقائد الفاسدة) وسكت العالم لعنه الله»، وقال أبو علي الدقاق: «الساكت عن الحق شيطان أخرس» رواه القشيري في الرسالة.

وليعلم أن فرح أبي لهب بمولد سيدنا محمد فليس لكونه يكون رسولاً بل لكون أن العشيرة زادت واحداً فلما صار نبياً سبه وكذبه.

فلو قال شخص لجهلة المتصوفة إذا كان هذا حال أبي لهب لعتاقته ثوية ألا يستحق فرعون الفردوس الأعلى بسبب تربيته لسيدنا موسى عليه السلام السنوات الطوال ولقي منه العناية العظيمة حتى صار شاباً؟! فبماذا يجيب؟! وقد قال أحد جهلة المتصوفة مخالفاً للقرآن الكريم:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه وتبت يده وفي الجحيم مخلداً

أتى في يوم الاثنين أنه دائماً يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي طول عمره بأحمد مسرورا ومات موحدا
فرد عليه أحد مشايخ أهل السنة والجماعة وهو فضيلة الشيخ الأستاذ الداعية
أسامة محمد السيد فقال:

(تبت يدا) من سبّ حبي أحمدا فغدا يرى وفي الجحيم مخلدا
فاقرأ هديت (فلا يخفف عنهم) حتى ولو سُرّ الشقي بأحمدا
فالدين لا يؤخذ من رؤيا ولا من قول شخص للمهمن عاندا
أما المنام قضية مشبوهة مجهولة الرائي لما قد وردا
ما جاء ذلك عن النبي لعمه حتى ولا رؤيا رأى كي تسندا
هيّا احتفل يا صاح في يوم الذي أبداً بنصره الله كان مؤيدا
صلى الإله على النبي وسلما ما أنشد الشادي وحادٍ غردا

قصة مكذوبة مفتراة على أبي بكر الصديق:

شاع وانتشر بين الكثير من الجهلة ولا سيما في تركيا ومنهم فتح الله غولان
يقولون والعياذ بالله تعالى كاذبين مفترين محرفين ومزورين على سيدنا أبي بكر
الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين أفضل البشر بعد
الانبياء رضي الله عنه وأرضاه أنه قال على زعمهم يا ليت جسدي بملئ جهنم لأن لا
يدخلها أحد من أمة محمد والعياذ بالله من هذا الكفر المركب وهذه القصة مكذوبة
متهاففة لعنة الله على واضعها.

وأولاً ليس لها إسناد صحيح يعتد فلا يوجد حافظ من حفاظ الإسلام كأصحاب
الكتب السبعة رواها وصححها.

ثانياً هي مكذبة للقرآن يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ ويقول تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ فإن قال الكذاب المفتري من أمة محمد المسلمين العصاة ويقال له وهذا أيضاً تكذيب للقرآن لأن الله تعالى قال : ﴿ وَيَعْفُرُ مَا دُونَهُ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَىٰ ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم من النار من أمة محمد بشفاعة محمد ويدخلون الجنة يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ . » رواه البخاري والبيهقي وفي هذا الحديث دليل على أن من المسلمين العصاة من أهل الكبائر من أمة محمد سيدخلون النار لا بد ويؤكد ذلك قوله يخرج قوم من النار والكفار لا يخرجون منها وقوله بشفاعة محمد والكفار لا شافع لهم وقوله ويدخلون الجنة والكفار لا يدخلون الجنة وهذا دليل واضح صريح صحيح قطعي بدخول بعض المسلمين النار ثم يخرجون منها وفتح الله غولان يكذب الرسول والقرءان والإجماع بهذه القصة مكذوبة

ثالثاً الأولياء لا يدخلون النار ولا يعذبون وليس عليهم خوف من العذاب في المستقبل لا في القبر ولا في مواقف يوم القيامة ولا في جهنم فكيف يزعم غولان بأن الصديق قال يا ليت جسدي بملئ جهنم وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ ٦٣ ﴾ ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ ﴿ ١٠٢ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ فيجب التحذير من هذه القصة الملفقة على ابي بكر الصديق ومن قائلها.

وكان قائل هذه هذه القصة يستدرك الله على رسوله فالله ارحم الراحمين والرسول ارحم خلق الله بعباد الله فليتنبه لذلك.

قال الله تعالى :
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

[سورة يس]

لأهل السنة في شرح هذه الآية تفسيران أما الأول وهو ما قال به إمام الهدى أبو منصور الماتريدي: أن الله تعالى يوجد الأشياء بدون تعب ومشقة وبدون ممانعة أحد له، أي أنه يخلق الأشياء التي شاء أن يخلقها بسرعة بلا تأخر عن الوقت الذي شاء وجودها فيه، فمعنى ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يدل على سرعة الإيجاد وليس معناه كل ما أراد الله خلق شيء يقول كن كن كن، وإلا لكان معنى ذلك أن الله كل الوقت يقول «كن كن كن» وهذا محال لأن الله عز وجل يخلق في اللحظة الواحدة ما لا يدخل تحت الحصر.

ثم «كن» لغة عربية والله تعالى كان قبل اللغات كلها وقبل أصناف المخلوقات فعلى قول المشبهة يلزم أن يكون الله ساكنًا قبل ثم صار متكلمًا وهذا محال لأن هذا شأن البشر وغيرهم، وقد قال أهل السنة: الحرف والصوت عرضان، فلو كان يجوز على الله أن يتكلم بالحرف والصوت لجاز عليه كل الأعراض من الحركة والسكون والبرودة واليبوسة والألوان والروائح والطعوم وغير ذلك وهذا محال، وقال أهل السنة أن الله تعالى خلق بعض العالم متحركًا دائمًا كالنجوم وخلق بعض العالم ساكنًا دائمًا كالسماوات، وخلق بعض العالم متحركًا في وقت وساكنًا في وقت ومنهم الإنس والجن والملائكة والبهائم والرياح والنور والظلام والظلال، وهو سبحانه وتعالى لا يشبه شيئًا من هذه العوالم كلها.

قال أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) في «الإنصاف» ما نصه^(١): «ويدل عليه قول شيخ طبقة التصوف الجنيد رحمه الله، فإنه قال: جلت ذاته عن الحدود، وجل

(١) الإنصاف (عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ص ١٥٢).

كلامه عن الحروف، فلا حد لذاته، ولا حروف لكلامه» اهـ.

وأما التفسير الثاني لأهل السنة فهو قول الأشاعرة كالبيهقي فإنه يقول: إن الله يخلق الخلق بكن أي بالحكم الأزلي بوجوده فالآية عندهم عبارة عن أن الله تعالى يخلق العالم بحكمه الأزلي، وحكمه سبحانه كلامه الأزلي ليس كلامًا مركبًا من حروف ولا صوت.

وأما ما ذهبت إليه المجسمة من أن الله ينطق بالكاف والنون عند خلق كل فرد من أفراد المخلوقات فهو سفه لا يقول به عاقل لأنهم قالوا قبل إيجاد المخلوق ينطق الله بهذه الكلمة المركبة من كاف ونون فيكون خطابًا للمعدوم، وإن قالوا إنه يقول ذلك بعد إيجاد الشيء قلنا لا معنى لإيجاد الموجود.

وأما التفسيران اللذان ذهب إليهما أهل السنة فإنهما موافقان للعقل والنقل، ثم إنه يلزم على قول المجسمة بشاعة كبيرة وهي أن الله تبارك وتعالى لا يفرغ من النطق بـ «كن» وليس له فعل إلا ذلك، لأنه في كل لحظة يخلق ما لا يدخل تحت الحصر. فكيف يصح في العقل أن يخاطب الله كل فرد من أفراد المخلوقات بهذا الحرف. كيف يُعقل أن ينطق الله تعالى بالكاف والنون بعدد كل مخلوق يخلقه فإن هذا ظاهر الفساد لأنه يلزم عليه أن يكون الله ليس له كلام إلا الكاف والنون. فما أبشع هذا الاعتقاد المؤدّي إلى هذه البشاعة.

ثم إن الله ما وصف نفسه بالنطق إنما وصف نفسه بالكلام أي بأنه متكلم فلو كان كلام الله نطقًا لجاءت بذلك آية من القرآن.

والموجود في القرآن الكلام والقول وهما عبارة عن معنّى قائم بذات الله أي ثابت له معناه الذكر والإخبار وليس نطقًا بالحروف والصوت. وقد ألّف الحافظ أبو المكارم المقدسي - وقيل أبو الحسن - جزءا في تضعيف أحاديث الصوت على وجه التحقيق، والبيهقي رحمه الله قد صرح بأنه لا يصح حديث في نسبة الصوت إلى الله.

وأما ما في كتاب فتح الباري في كتاب التوحيد من القول بصحة أحاديث الصوت

فهو مردود، وابن حجر نفسه في كتاب العلم ذكر خلاف ما ذكره في كتاب التوحيد، على أن ما ذكره في كتاب التوحيد من إثبات الصوت قال إنه صوت قديم ولم يحمله على الظاهر الذي تقوله المشبهة أنه صوت حادث يحدث شيئاً فشيئاً يتخلله سكوت كما قال زعيم المشبهة ابن تيمية إن كلامه تعالى قديم النوع حادث الأفراد، ومثل ذلك قال في إرادة الله وكلا الأمرين باطل. (والحافظ ابن حجر العسقلاني) لا يعتقد قيام الحادث بذات الله، فشرحه هذا مشحون بذكر نفي الحركة والانتقال ونحو ذلك عن الله تعالى في مواضع كثيرة، فهو يؤول الأحاديث التي ظاهرها قيام صفة حادثه بذات الله على غير الظاهر. على طريقة أهل السنة.

ثم إنه يلزم من قول المشبهة إن الله يخلق بلفظ كن الذي هو لفظ مركب من حرفين يوجدان بعد عدم ويسبق أحدهما الآخر خَلَقُ المخلوق بالمخلوق وهذا محال، إنما يخلق الله المخلوقات بقدرته القديمة ومشيئته القديمة وعلمه القديم. ولأهمية هذا الموضوع نقل بحثاً نفيساً وجوهراً ثميناً للمحدث الشيخ الإمام المفسر القدوة المرجع الحجة المجدد المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين ورأس المحققين والمدققين في هذا العصر أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن يوسف ابن جامع بن عبد الله الهرري الحبشي الشيبني العبدري رضي الله تعالى عنه وأرضاه من كتابه المقالات السنوية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية يبين أن ابن تيمية متورطٌ بأحوال التشبيه والتجسيم قائل بحلول الحوادث في ذات الله وينسب إلى الله أنه يتكلم بحرف وصوت والعياذ بالله من الزيغ والكفر والضللال مع رده عليه ردًا متقنًا موثقًا مبينًا تنزيه الله عن ذلك بإراد عقيدة أهل السنة والجماعة المؤيدة بالقرءان والحديث والإجماع، قال العلامة الهرري ما نصه:

المقالة الرابعة

زعمه (أي ابن تيمية) أن الله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ وأنه يتكلم إذا شاء
ويسكت إذا شاء

ومن جملة افتراءات ابن تيمية على أئمة الحديث وأهل السنة والجماعة نقله عنهم أن الله متكلم بصوت نوعه قديم أي يحدث في ذات الله شيئاً بعد شيء قال في كتابه رسالة في صفة الكلام^(١) ما نصه: «وحيثُذ فكلامه قديم مع أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وإن قيل إنه ينادي ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والإنجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديماً لم يستلزم أن يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين» اهـ.

وقال في موضع^(٢) آخر منه: «وقال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سَمَّاه الفصول في الأصول: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرايني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي نتلوه نحن مقروء بالسنننا وفي ما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومقروءاً وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» اهـ.

وقال في المنهاج^(٣) «وسابعا قول من يقول إنه لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به وهو متكلم بصوت يسمع وإن نوع الكلام قديم وإن لم يجعل نفس الصوت المعين

(١) انظر الكتاب (ص ٥١).

(٢) انظر الكتاب (ص ٥٤).

(٣) المصدر نفسه، (١ / ٢٢١).

قديمًا وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسُّنة وبالجملة أهل السنة والجماعة أهل الحديث» اهـ.

وقال في الموافقة ما نصه^(١): «وإذا قال السلف والأئمة إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء فقد أثبتوا أنه لم يتجدد له كونه متكلمًا، بل نفس تكلمه بمشيئته قديم وإن كان يتكلم شيئًا بعد شيء، فتعاقب الكلام لا يقتضي حدوث نوعه إلا إذا وجب تناهي المقدورات المرادات» اهـ.

ثم قال فيه ما نصه^(٢): «فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك فقال: سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم، قالوا: فشبّهه، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله» اهـ. وقال في الموافقة ما نصه^(٣): «وحيئنذ فيكون الحق هو القول الآخر وهو أنه لم يزل متكلمًا بحروف متعاقبة لا مجتمعة» اهـ.

وقال في فتاويه ما نصه^(٤): «فعلم أن قدمه عنده أنه لم يزل إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت، لم يتجدد له وصف القدرة على الكلام التي هي صفة كمال، كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة، وإن كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء» اهـ.

وقال فيه أيضًا ما نصّه^(٥): «وفي الصحيح: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان»، فقوله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع» يدل على أنه يتكلم به حين يسمعونه، وذلك ينفي كونه أزلّيًا، وأيضًا فما يكون كجر السلسلة على الصفا، يكون شيئًا بعد شيء والمسبوق بغيره لا يكون أزلّيًا» اهـ.

(١) انظر الموافقة (٢/ ١٤٣).

(٢) انظر الموافقة (٢/ ١٥١).

(٣) انظر الموافقة (٤/ ١٠٧).

(٤) مجموع فتاوى (٦/ ١٦٠).

(٥) مجموع فتاوى (٦/ ٢٣٤).

وقال أيضًا ما نصه^(١): «وجمهور المسلمين يقولون: إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إن الحروف والأصوات قديمة الأعيان، أو الحروف بلا أصوات، وإن الباء والسين والميم مع تعاقبها في ذاتها فهي أزلية الأعيان لم تزَلْ ولا تزال كما بسطت الكلام على أقوال الناس في القرآن في موضع آخر» اهـ.

وقال في مجموعة تفسير ما نصه^(٢): «وقولهم: «إن المحدث يفتقر إلى إحداث وهلم جرا» هذا يستلزم التسلسل في الآثار مثل كونه متكلمًا بكلام بعد كلام، وكلمات الله لا نهاية لها، وأن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، وهذا قول أئمة السنة، وهو الحق الذي يدل عليه النقل والعقل» اهـ.

أقول: فلا يغتر مطالع كتبه بنسبة هذا (الرأي الفاسد إلى أئمة أهل السنة وذلك دأبه أن ينسب رأيه الذي يراه ويهواه إلى أئمة أهل السنة، وليعلم الناظر في مؤلفاته أن هذا تلبيس وتمويه محض يريد أن يروجه على ضعفاء العقول الذين لا يوقفون بين العقل والنقل، وقد قال الموفقون من أهل الحديث وغيرهم إن ما يحيله العقل فلا يصح أن يكون هو شرع الله كما قال ذلك الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: إن الشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، وبهذا يردّ الخبر الصحيح الإسناد أي إذا لم يقبل التأويل كما قاله علماء المصطلح في بيان ما يعلم به كون الحديث موضوعًا، وأيدوا ذلك بأن العقل شاهد الشرع فكيف يرد الشرع بما يكذبه شاهده.

فمن قال: إن الله يتكلم بصوت، وقال: إنه صوت أزلي أبدي ليس فيه تعاقب الحروف فلا يُكفَّر إن كان نيته كما يقول، وإلا فهو كافر كسائر المشبهة. وأما أحاديث الصوت فليس فيها ما يحتج به في العقائد، وقد ورد حديث مختلف في بعض رواته

(١) مجموع فتاوى (٥/ ٥٥٦ - ٥٥٧).

(٢) مجموعة تفسير ست سور (ص ٣١١).

وهو عبد الله بن محمد بن عقيل^(١)، روى حديثه البخاري^(٢) بصيغة التمریض، قال: ويذكر، وفيه: (فينادى بصوت فيسمعه من بُعد كما يسمعه من قَرَب، أنا الملك أنا الديان)، وإنما ذكره البخاري بصيغة التمریض من أجل راويه هذا، قال الحافظ ابن حجر^(٣): «ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به لأن الإِسناد حسن وقد اعتضد، وحيث ذكر طرفاً من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف - فيها ولو اعتضدت^(٤) - أي لا يكفي ذلك في مسائل الاعتقاد وإن كان البخاري ذكر أوله في كتاب العلم^(٥) بصيغة الجزم لأنه ليس - فيه ذكر الصوت، إنما فيه ذكر رحيل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس من المدينة إلى مصر.

والحديث الآخر^(٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار»، هذا اللفظ رواه رواة

(١) راجع ترجمته في: الضعفاء الكبير (٢/ ٢٩٨)، الكامل (٤/ ١٤٤٦)، المجروحين (٣/ ٢)،
سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني (ص ٨٨)، أحوال الرجال (ص ١٣٨)، الضعفاء
والمتروكين لابن الجوزي (٢/ ١٤٠)، الجرح والتعديل (٥/ ١٥٣)، المغني (١/ ٣٥٤)،
تهذيب التهذيب (٦/ ١٣)، الكاشف (٢/ ١١٣)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٨٤)، التاريخ
الكبير (٥/ ١٨٣).

(٢) أخرجه عن ابن عقيل البخاري في الأدب المفرد: باب المعانقة، وأخرجه البخاري بي صحيحه:
كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ الآية ذكره تعليقا
بغير إسناد.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ١٧٤ - ١٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا: كتاب العلم: باب الخروج في طلب العلم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (١٣) [سورة سبأ].

البخاري على وجهين، بعضهم رواه بكسر الدال وبعضهم رواه بفتح الدال. قال الحافظ ابن حجر^(١): «ووقع فينادي مضبوطاً للأكثر بكسر الدال، وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول، ولا محذور في رواية الجمهور، فإن قرينة قوله: إن الله يأمرك، تدل ظاهراً على أن المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك» اهـ. وهذا الحديث رواه البخاري موصولاً مسنداً، لكنه ليس صريحاً في إثبات الصوت صفة لله فلا حجة فيه لذلك للصوتية.

قال الحافظ ابن حجر^(٢): «قال البيهقي: اختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح عن النبي غير حديثه، فإن كان ثابتاً فإنه يرجع إلى غيره في حديث ابن مسعود^(٣) وفي حديث أبي هريرة أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحي صوتاً، فيحتمل أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتي بالوحي أو لأجنحة الملائكة، وإذا احتتمل ذلك لم يكن نصاً في المسألة، وأشار - يعني البيهقي - في موضع آخر إلى أن الراوي أراد فينادي نداء فعبر عنه بصوت» انتهى.

قال الكوثري في مقالاته^(٤) ما نصه: «ولم يصح في نسبة الصوت إلى الله حديث» اهـ.

أقول: وكذا قال البيهقي في الأسماء والصفات^(٥) فليس فيها ما يصح الاحتجاج

(١) فتح الباري (١٣ / ٤٦٠).

(٢) أنظر فتح الباري (١٣ / ٤٥٨).

(٣) يعني به قوله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق» - رواه البخاري - وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير» - رواه البخاري -.

(٤) أنظر المقالات (ص ٣٣).

(٥) الأسماء والصفات (ص ٢٧٣).

به لإثبات الصفات لأن حديث الصفات لا يقبل إلا أن يكون رواه كلهم متفقاً على توثيقهم، وهذه الروايات المذكورة في فتح الباري في كتاب التوحيد ليست على هذا الشرط الذي لا بدّ من حصوله لأحاديث الصفات كما ذكره صاحب الفتح في كتاب العلم. لكنه خالف في موضع بما أورده في كتاب التوحيد من قوله: بعد صحة الأحاديث يتعين القول بإثبات الصوت له ويؤول على أنه صوت لا يستلزم المخارج. ثم قال الكوثري: «وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحراني^(١) تبعاً لابن ملكاً اليهودي الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أن اللفظ حادث شخصاً قديماً نوعاً، يعني أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثاً حتماً، لكن ما من لفظ إلا وقبله لفظ صدر منه إلى ما لا أول له فيكون قديماً بالنوع، ويكون قدمه بهذا الاعتبار في نظر هذا المخرف، تعالى الله عن إفك الأفاكين، ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث في الله جل شأنه وأن القول بحوادث لا أول لها هذيان، لأن الحركة انتقال من حالة إلى حالة، فهي تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير، والأزل ينافي كونه مسبوقاً بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالاً، ولأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفرادها، فادعاء قدم النوع مع الاعتراف بحدوث الأفراد يكون ظاهر البطلان. وقد أجاد الرد عليه العلامة قاسم في كلامه على المسامرة». ا.هـ.

قلت: وقد ذكر الفقيه المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي ورجم المعتدي أثناء ترجمة الحافظ ناصر السنة أبي الحسن علي بن أبي المكارم المقدسي المالكي ما نصه^(٢): «كان صحيح الاعتقاد مخالفاً للطائفة التي تزعم أنها أثرية، صنف كتابه المعروف بكتاب الأصوات أظهر فيه تضعيف رواة أحاديث الأصوات

(١) يعني ابن تيمية، نسبة إلى حران.

(٢) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص ٢٤٩)، مخطوط.

وأوهاهم، وحكى الشيخ تقي الدين شرف الحفاظ عن والده مجد الدين قال بأنه بلغ رتبة المجتهدين! اهـ.

فلا يصحُّ حمل ما ورد في النصّ من النداء المضافِ إلى الله تعالى في حديث «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت...» على معنى خروج الصوت من الله، فتمسُّك المشبهة بالظاهر لا اعتقاد ذلك تمويه لا يروج إلا عند سُخفاء العقول الذين حُرِّموا منفعة العقل الذي جعل الشرع له اعتبارًا، وهل عُرِفَت المعجزة أنها دليل على صحة نبوة من أتى بها من الأنبياء إلا بالعقل؟

وقال - أي الكوثري - في تعليقه على السيف الصقيل ما نصه^(١): «وحدِيث جابر المعلق في صحيح البخاري مع ضعفه في سياق ما بعده من حديث أبي سعيد ما يدل على أن المنادي غير الله حيث يقول (... فينادى بصوت إن الله يأمرك...» فيكون الإسناد مجازيًا، على أن الناظم يعني ابن زفيل وهو ابن قيم الجوزية. ساق في «حادي الأرواح» بطريق الدارقطني حديثًا فيه: «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت...» وهذا نص من النبي (ﷺ) على أن الإسناد في الحديث السابق مجازي، وهكذا يخرب الناظم بيته بيده وبأيدي المسلمين، وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبين وجوه الضعف في أحاديث الصوت فليراجع ثمة» اهـ.

وهناك حديث آخر^(٢): (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا)، ورواه أبو داود^(٣) بلفظ: «سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان»، وهذا قد يحتج به المشبهة، وليس لهم فيه حجة لأن الصوت خارج من السماء، فالحديث فسر الحديث بأن الصوت للسماء، فتبين أن قول الحافظ ابن حجر في موضع من الشرح: إن إسناد الصوت إلى الله ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة فيه نظر

(١) أنظر الكتاب (ص ٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، الآية.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في القرءان.

فليُتأمل .

قال الشيباني في شرح الطحاوية^(١) ما نصه: «والحرف والصوت مخلوق، خلق الله تعالى ليحصل به التفاهم والتخاطب لحاجة العباد إلى ذلك أي الحروف والأصوات، والبارئ سبحانه وتعالى وكلامه مستغن عن ذلك أي عن الحروف والأصوات، وهو معنى قوله: «ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر» اهـ.

فإذا قال قائل إن بعض اللغويين قال: النداء الصوت، قلنا ليس مراد من قال ذلك أن النداء لا يكون في لغة العرب في جميع الموارد إلا بالصوت، وإنما المراد أنه في غالب الاستعمال يكون بالصوت، وقد قال آخرون من اللغويين: النداء طلب الإقبال، فليعلم المغفلون الآن ما جهلوه من أن قول السلف عند ذكر هذه الآيات والأحاديث المتشابهة بلا كيف معناه ليس على ما المعنى الظاهر المتبادر من صفات المخلوقين، ولو كان يصح أن يكون المجيء وفي قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر]، المجيء المعهود من الخلق، فقال الإمام أحمد في هذه الآية: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [٢٢] إنما جاءت قدرته.

قال القرطبي في التذكرة ما نصه^(٢) : فصل: قوله في الحديث: «فيناديهم بصوت»: استدل به من قال بالحرف والصوت وأن الله يتكلم بذلك، تعالى عما يقول المجسمون والجاحدون علواً كبيراً، إنما يُحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره، ومثل ذلك سائغ في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل: نادى الأمير، وبلغني نداء الأمير، كما قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ [سورة الزخرف]، وإنما المراد نادى المنادي عن أمره، وأصدر نداءه عن إذنه، وهو كقولهم أيضاً قتل الأمير فلاناً، وضرب فلاناً، وليس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال، ولكن المقصود صدورها عن أمره. وقد ورد في صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد

(١) شرح الطحاوية (ص ١٤)، مخطوط.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمرر الآخرة (ص ٣٣٨ - ٣٣٩).

فيخاطبون أهل التقى والرشاد: ألا إن فلان ابن فلان كما تقدم.

ومثله ما جاء في حديث النزول مفسراً في ما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد قالاً: قال رسول الله: «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً. يقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى صححه أبو محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه، وأن ذلك من باب حذف المضاف، والدليل على ذلك ما ثبت من قديم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتب الديانات.

فإن قال بعض الأغبياء: لا وجه لحمل الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه: «أنا الديان»، وليس يصدر هذا الكلام حقاً وصدقاً إلا من رب العالمين؟ قيل له: إن المَلَكَ إذا كان يقول عن الله تعالى وَيُنْبِئُ عَنْهُ فَالْحَكْمُ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [سورة طه]، فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكرك لكلام الله تعالى ودأل عليه بأصواته وهذا بَيِّنٌ» اهـ.

قلت: وهذا له أيضاً دليل قوي في الصحيح^(١) في حديث المعراج الذي ذكر فيه تخفيف الخمسين صلاة إلى خمس قوله (ﷺ): «فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»، فما أراد رسول الله بقوله: «ناداني» إلا المَلَك. فإذا ثبت هذا النداء من المَلَك مبلغاً عن الله فلا يمتنع أن ينادي المَلَك بتلك الجمل الثلاث: (هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى)، فبطل استنكار أن يكون هذا اللفظ من المَلَك في حديث النزول، فأين تذهب المشبهة.

قال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه^(٢): «وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني زورت في نفسي كلاماً».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج.

(٢) شرح لمع الأدلة (ص ٧١)، مخطوط.

الطرف الثالث: إذا أطلق الكلام على المعنى القائم بالذات وعلى الألفاظ الدالة عليه فهل هو حقيقة فيهما معاً أو حقيقة في اللفظ مجاز في القائم بالذات أو بالعكس اختلفوا في ذلك، فنقل عن الشيخ أبي الحسن قولان أحدهما: إنه حقيقة في المعنى القائم بالذات مجاز في العبارات من مجاز إطلاق الدليل على المدلول، والقول الثاني: إنه حقيقة فيهما لاستعماله فيهما جميعاً. والأصل في الإطلاق الحقيقة وصار غيره إلى أنه حقيقة في العبارات لتبادرها إلى الفهم عند الإطلاق وعدم القرائن، ومجاز في المعنى القائم بالذات ولا يبعد أن يكون حقيقة لغوية في المعنى القائم بالذات، ومجازاً في الألفاظ» اهـ.

ثم قال أيضاً ما نصه^(١): «الفرقة الثانية: وهم الكرامية زعموا أن البارئ تعالى تقوم به الأقوال المركبة من الحروف والأصوات، قالوا: ولا يكون قائلاً بها وإنما هو قابل للقابلية، وفسروا القابلية بالقدرة على القول، وكذلك أثبتوا له مشيئة قديمة وإراداتٍ حادثة تقوم به، قالوا: وإذا أراد الله تعالى إحداثٍ محدثٍ في الوجود خلق بذاته كافاً ونوناً وإرادة يوجب بها ما هو خارج عن ذاته أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس]، وما ذكره من قيام الحوادث بذاته يلزم منه حدوثه، فإن كل ما قبل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث حادث، وأما الآية فهي إشارة إلى سرعة وقوع المراد فعبر عن القصد إلى الإيقاع بالأمر، وعن الوقوع بصورة الامتثال» اهـ.

وتبع ابن تيمية الكرامية في ذلك في قوله إن الله تقوم به كلمات تحدث في ذاته من وقت بعده وقت وهكذا على الاستمرار، يقول: فكلامه تعالى قديم النوع حادث الأفراد كما قالت الكرامية، وينسب هذا المذهب الرديء الذي أخذه من الكرامية إلى أئمة أهل الحديث، وأئمة أهل الحديث على خلاف ما يدعيه وما يقول، فإن معتقدهم أن ذات الله تعالى لا تحدث فيه صفة تتجدد من وقت إلى وقت، تتجدد في مرور الأوقات، ويكفي في ذلك ما ذكره الحافظ الطحاوي الشهير بقوله «ومن

(١) شرح لمع الأدلة (ص ٦٤ - ٦٥)، مخطوط.

وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، ناسبًا ذلك إلى معتقد أبي حنيفة وصاحبيه ومن كان في تلك العصور من الأئمة، لأنه ألف عقيدته هذه المشهورة لبيان ما عليه أهل السنة وليس لبيان ما هو معتقده الخاص.

وأما ما احتج به ابن تيمية موهماً أن أئمة الحديث على ذلك فإنما هو قول بعض المشبهة من الحنابلة وغيرهم، وليس هؤلاء الذين يعتمد عليهم من أصحاب المنزلة العالية في الحديث لأنه يعتمد على مثل أبي إسماعيل الهروي السجزي وعثمان ابن سعيد الدارمي، وأما ما يذكره عن ابن المبارك فهو - غير ثابت إسنادًا، وقد نص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن الله تعالى متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا، وكل الحفاظ المنتسبين إلى مذهبه على هذا، وكذا الحفاظ المشاهير المنتسبون إلى الشافعي على هذا، وكذلك حفاظ المالكية ومتقدمو الحنابلة، فكيف يتجرأ ابن تيمية على نسبة هذا إلى أئمة الحديث موهماً أن هذا مما أجمعوا عليه، وكثيرًا ما ينقل اتفاق العلماء على أشياء انفرد هو بها.

ويكفي أهل السنة دليلاً على أن الله تعالى لا يتكلم بالحرف والصوت قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [سورة التكويد]، يعني أن القراءان الذي هو اللفظ المنزل مقروء جبريل ليس مقروء الله ولو كان اللفظ المنزل هو الصفة القائمة بذات الله لكان جبريل متصفا بصفة الله وهذا محال لأن صفات الخالق لا يجوز أن تقوم بالمخلوق، والى هذا أشار الطحاوي في عقيدته بقوله: «وأن القراءان كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً»، والمراد بقوله: «بلا كيفية قولاً»، نفي أن يكون الله تعالى يتكلم بالحرف والصوت كما يتكلم العباد لأنه هو الذي نفاه بقوله «بلا كيفية»، وإلا فلو كان الله قرأ القراءان على جبريل بالحرف والصوت لم يقل «بلا كيفية» لأن الحروف كصفات، سبحانه الله الذي يقفل قلوب من شاء من عباده عن فهم الحق.

وأما قول الطحاوي: «منه بدا»، فليس معناه أن الله أحدثه في ذاته بعد أن لم يكن يتكلم به، إنما معناه منزل من عنده، أي نزل به جبريل بأمر الله.

وأما قول الله تعالى: ﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة لقمان]، فالجمع ليس

لأن كلام الله حروف متعاقبة، إنما ذكر بالجمع في الآية للتعظيم أي لتعظيم كلامه كما قال البيهقي في الأسماء والصفات^(١) مع كونه في الحقيقة واحدًا لا تعدد فيه، شامل لكل متعلقاته من الواجب والجائز والمستحيل، لأن الكلام معناه الإخبار والذكر، ولا يُقاس صفة من صفات الله بصفات غيره، فمن قاس كلام الله الأزلي على كلام العباد فقد شبهه بخلقه. ومنشأ ضلالة المشبهة أنهم قاسوا ذاته الذي ليس حجمًا وجسمًا بذوات الخلق فأثبتوا له الحيز والشكل، وقاسوا صفاته بصفات خلقه فجعلوها حادثة وهذا يشهد عليهم بأنهم لم يفهموا قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١١).

فائدة جليلة: الدليل على أن كلام الله ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة ما ثبت أن الله تعالى يكلم كل فرد من أفراد العباد يوم القيامة ويفرغ من حسابهم في وقت قصير، فلو كان الله تبارك وتعالى يكلمهم بصوت وحرف لم يكن حسابه لعباده سريعًا، والله تبارك وتعالى وصف نفسه بأنه سريع الحساب.

ولو كان كلام الله تعالى بحرف وأصوات لكان أبطأ الحاسبين، وهذا ضد الآية: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [سورة الانعام]، فلا يتحقق معنى أسرع الحاسبين إلا على مذهب أهل السنة أن الله متكلم بكلام أزلي بغير حرف ولا صوت.

وذلك لأن عدد الجن والإنس كثير لا يحصيهم إلا الله، ومن الجن من يعيش آلافًا من السنين، ومن الإنس من عاش ألف سنة فأكثر، فقد عاش ذو القرنين في ملكه ألفي عام كما قال الشاعر العربي:

الصَّعْبُ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَمْسَى مَلِكُهُ أَلْفَيْنِ عَامًا ثُمَّ صَارَ رَمِيمًا
ومن الإنس أيضًا يأجوج ومأجوج كما ورد في الحديث أنهم من ولد آدم، وورد أنهم أكثر أهل النار كما روى البخاري، وورد أنه لا يموت أحدهم حتى يلد ألفًا

(١) الأسماء والصفات (ص ٣١٣).

لصلبه كما رواه ابن حبان والنسائي^(١)، وهؤلاء يحاسبهم الله على أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم مع كثرتهم الكثيرة ويكلم كل فرد منهم تكليماً بلا ترجمان، ويحاسبهم على عقائدهم ونواياهم وأفعالهم، فلا بد أن يأخذ حسابهم على موجب قول المشبهة الذين يقولون كلام الله حرف وصوت يتكلم من وقت إلى وقت ثم من وقت إلى وقت مدة واسعة جداً، فعلى موجب كلامهم يستغرق ذلك جملة مدة القيامة التي هي خمسون ألف سنة، وعلى قولهم هذا لم يكن الله أسرع الحاسبين وهو وصف نفسه بأنه أسرع الحاسبين كما تقدم، فقول المشبهة يؤدي إلى خلاف القرآن وذلك محال، وما أدى إلى المحال محال.

وأما أهل السنة فإنهم يقولون إن كلام الله ليس متجزئاً فيسمع الناس يوم القيامة كلامه الذي ليس بحرف وصوت وغير متجزئ في ساعة واحدة ويفهم كل واحد منهم ما شاء الله له أن يفهمه^(٢)، فيتحقق على ذلك أنه أسرع الحاسبين.

فائدة أخرى: قال الشيخ الإمام المتكلم ابن المعلم القرشي في كتابه نجم المهتدي^(٣) ما نصه: «قال الشيخ الإمام أبو علي الحسن بن عطاء في أثناء جواب عن سؤال وجه إليه سنة إحدى وثمانين وأربعمائة: الحروف مسبوقة بعضها ببعض، والمسبوقة لا يتقرر في العقول أنه قديم، فإن القديم لا ابتداء لوجوده وما من حرف وصوت إلا وله ابتداء، وصفات البارئ جلّ جلاله قديمة لا ابتداء لوجودها، ومن تكلم بالحروف يترتب كلامه ومن ترتب كلامه يشغله كلام عن كلام، والله تبارك وتعالى لا يشغله كلام عن كلام، وهو سبحانه يحاسب الخلق يوم القيامة في ساعة واحدة، فدفعة واحدة يسمع كل واحد من كلامه خطابه إياه، ولو كان كلامه بحرف ما لم يتفرغ عن يا إبراهيم ولا يقدر أن يقول يا محمد فيكون الخلق محبوسين ينتظرون فراغه من واحد إلى واحد وهذا محال» اهـ.

(١) أنظر الإحسان (١ / ٢٩٢)، والسنن الكبرى: كتاب التفسير: تفسير سورة الأنبياء.

(٢) والمراد بها جزء قليل لا الساعة الزمنية المعتادة في محاورات الناس اليوم.

(٣) نجم المهتدي ورجم المعندي (ص ٥٥٩)، مخطوط.

قال الإمام الإسفراييني ذاكراً عقيدة أهل السنة والجماعة ما نصه^(١) : «وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه» اهـ.

وقال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر ما نصه^(٢) : «ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم، وبالغ بعضهم جهلاً حتى قال: الجلد والقرطاس قديمان فضلاً عن الصحف، وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للإحساس بتقدم الباء على السين في بسم الله ونحوه» اهـ.

وقال أيضاً ما نصه^(٣) : «وقد ذكر المشايخ رحمهم الله تعالى أنه يقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم كما ذهب إليه بعض جهلة الحنابلة». انتهى كلام الإمام الهري.

(١) التبصير في الدين (ص ١٠٢).

(٢) شرح الفقه الأكبر (ص ٢٩ - ٣٥).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٤١).

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ
أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (٣٣)

[سورة ص]

قد تكني العرب بالنعاج عن النساء، لكن لا يجوز تفسير النعاج في هذه الآية بالنساء كما فعل بعض المفسرين، فقد أساءوا بتفسيرهم لهذه الآية بما هو مشهور من أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، وأن قائداً كان له واحدة جميلة فأعجب بها داود، فأرسل هذا القائد إلى المعركة ليموت فيها ويتزوجها هو من بعده، فهذا فاسد لأنه لا يليق ما ذكر فيه بنبي من أنبياء الله.

قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»^(١) بعد ذكر هذه القصة المكذوبة عن سيدنا داود: «وهذا لا يصح من طريق النقل ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزهون عنه» اهـ. وأما استغفار داود ربّه، فهذا لأنه حكم بين الاثنين بسماعه من أحدهما قبل أن يسمع من الآخر.

وقال أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن خُمير في كتابه «تنزيه الأنبياء»^(٢): «فمن شنيع تخرُّصهم في قصته - داود عليه السلام -» اهـ. ثم سرد القصة المكذوبة.

وقال الشيخ محمد بن درويش الحوت في كتابه «أسنى المطالب»^(٣): «قصة سيدنا داود عليه السلام - المكذوبة عليه -» ثم سرد القصة المكذوبة وقال: «كل ذلك كذب من وضع اليهود ولا عبرة بمن نقله عنهم من المفسرين لأن ذلك غفلة وذهول عن عصمة الرسل صلوات

(١) زاد المسير (طبع المكتب المسمى الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ الجزء السابع ص ١١٥).

(٢) تنزيه الأنبياء (طبع دار الفكر المعاصر - بيروت ودار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ص ٣٧).

(٣) أسنى المطالب (طبع دار الكتاب العربي، ص ٣٧٦).

الله وسلامه عليهم، واليهود لم يجعلوا داود وسليمان من الرسل بل جعلوهما من الملوك فلا يجوز النقل عنهم» اهـ.

ومما لا أصل له ما في كتاب تفسير الجلالين في الجزء الثاني، ونحن لا نعتقد أنه من كلام السيوطي بل هو مما دُسَّ عليه، في تفسير سورة ص آية ٢٣ في تفسير النعجة المذكورة في الآية ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَّلِيَ نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول الكاتب: (لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها).

ثم فسر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ «فقال: (أوقعناه في بلية بمحبته تلك المرأة). أساء الكاتب بقوله: إن النعجة هي امرأة شخص أعجب بها داود فعمل حيلة فأرسل زوجها للغزو ليقتل هناك ثم يأخذها داود، وهذا لا يليق بمنصب النبوة.

فائدة: لو فعل ذلك ملك من ملوك الأرض بصديقه أو قائد من قادة جيشه ذلك إعجابًا بزوجة هذا القائد ليستأثر بها إذا قتل لنفرت منه النفوس، فما لبعض الناس يقولون في حق أنبياء الله ما لا يليق بهم، فهم أي الأنبياء قدوة للناس وقد جملهم الله بالصفات الحميدة وعصمهم عن الصفات الذميمة.

قال الله تعالى :

﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ۗ ﴾ (٧٥)

[سورة ص]

يجوز أن يقال المراد باليدين العناية والحفظ، كما في فتح الباري^(١) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

وهذا تأويل تفصيلي ذهب إليه بعض الخلف، فدلَّ قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ۗ ﴾ على أن آدم خُلِقَ مُشْرَفًا مَكْرَمًا بخلاف إبليس، ولا يجوز أن نحمل كلمة بيديَّ على معنى الجارحة، لو كانت له جارحة لكان مثلنا ولو كان مثلنا لما استطاع أن يخلقنا، لذلك نقول كما قال بعض الخلف أي خلقته بعناتي بحفظي، معناه على وجه الإكرام والتعظيم له، أي على وجه الخصوصية خلق آدم، أي أراد له المقام العالي والخير العظيم. أما إبليس ما خلقه بعناتيه، لأنَّ الله عالمٌ في الأزل أنه خبيثٌ.

قال شافعي زمانه ورفاعي أوانه الحافظ المحدث الشيخ عبد الله الهرري في كتابه «الصرط المستقيم»^(٢): «مثل قوله تعالى في توبيخ إبليس ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ۗ ﴾ فيجوز أن يقال المراد باليدين العناية والحفظ» اهـ.

ومن التحريفات لمعنى هذه الآية ما قاله يوسف القرضاوي في كتابه المسمى «الإسلام والغرب»: «بل أعجب من هذا من أعداء أعدائه إبليس فيسأل الله إبليس أن يحاوره قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ۗ ﴾ أَتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۗ ﴾ (٧٥) [سورة ص]، فهذا يدلنا أن للحوار مجالاً رحباً ومجالاً واسعاً في الفكر الإسلامي» اهـ.

الرد:

أولاً: قال القرضاوي «فيسأل الله إبليس أن يحاوره» أي أن الله طلب من إبليس

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٩٤).

(٢) الصراط المستقيم (طبع شركة دار المشاريع، الطبعة الثانية عشرة ١٤٣١ هـ ص ٧٨).

الحوار وهذا كذب وافتراء ومن تليس إبليس عليه.

ثانيًا: إن هذا الحوار المزعوم لم يحصل إنما بكت الله الله إبليس وقرعه بما ورد في القرآن وهل يعتبر محاكمة القاضي للمجرم حوار بينهما فهذا لا يعتبر حوارًا فمن باب أولى أن لا يعتبر الذم واللعن من الله لإبليس وأمره بالخروج من الجنة بقوله: ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة ص].

والحوار عادة يكون بين شخصين حول فكرة أو قضية وكل من الطرفين يحاول إثبات الحق إلى جانبه ومن أصول الحوار أن يتمسك صاحب الحق بحقه وأن يتراجع صاحب الباطل عن باطله وليس كما قال القرضاوي في كتابه «الإسلام والغرب» ما نصه^(١): «من صفات هذا الحوار الذي ندعو إليه نحن نتحاور وكل منا يتمسك بمنهجه»، إذا كان كل من الفريقين يتمسك بمنهجه إذاً فماذا قيمة الحوار ولماذا؟ إذاً هو للمجاملة الفاسدة والتدجيل.

(١) الإسلام والغرب (ص ٨٦).

قال الله تعالى :
 ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ ﴾ (٣٦)

[سورة الزمر]

قال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» عند تفسيره لهذه الآية ما نصه^(١): «وقراءة العامة ﴿عَبْدَهُ ۗ﴾ بالتوحيد يعني محمداً - ﷺ - يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم. وقرأ حمزة والكسائي (عباده) وهم الأنبياء، أو الأنبياء والمؤمنون بهم. واختار أبو عبيد قراءة الجماعة لقوله عقيبته: ويخوفونك بالذين من دونه. ويحتمل أن يكون العبد لفظ الجنس، كقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ۗ﴾ وعلى هذا تكون القراءة الأولى راجعة إلى الثانية. والكفاية شر الأصنام، فإنهم كانوا يخوفون المؤمنين بالأصنام، حتى قال إبراهيم عليه السلام: وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله.

قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك أنهم خوفوا النبي - ﷺ - مصرة الأوثان، فقالوا: أتسب آلهتنا؟ لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلك أو تصيبك بسوء وقال قتادة: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس. فقال له سادنها: أحذرکها يا خالد فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس. وتخويفهم لخالد تخويف للنبي ﷺ؛ لأنه الذي وجه خالد. ويدخل في الآية تخويفهم النبي - ﷺ - بكثرة جمعهم وقوتهم، كما قال: أم يقولون نحن جميع منتصر». اهـ.

وقال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن»، في شرحه لهذه الآية ما نصه^(٢): «اختلفت القراء في قراءة: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ ﴾ فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء أهل الكوفة:

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الخامس عشر ص ٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (دار الجيل، المجلد الحادي عشر الجزء ٢٤ ص ٥).

(أليس الله بكاف عباده) على الجمع، بمعنى: أليس الله بكاف محمدًا وأنبياءه من قبله - ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم - بزعمهم - بسوء، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٣٦) على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمدًا.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار. فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. اهـ.

وقال المفسر الحسين بن مسعود البغوي المشهور في تفسيره «المسمى معالم التنزيل»^(١) في شرحه لهذه الآية: «قوله عز وجل: (أليس الله بكاف عبده) يعني: محمدًا - ﷺ - وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: (عباده) بالجمع يعني: الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [سورة غافر] فكفاهم الله شر من عاداهم، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (٣٦) وذلك أنهم خوفوا النبي - ﷺ - معرفة الأوثان. وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣) اهـ. أما المجسمة الوهابية فيوردون هذه الآية في غير محلها، يفترون على المسلمين فيرمونهم بالشرك ويتهمونهم بعبادة الأولياء والصالحين، فهذا المدعو سالم بن سعد الطويل في موقعه على الإنترنت المسمى شبكة شباب السنة بتاريخ ٣١ - ٧ - ٢٠٠٨ عند شرحه للآية ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، يقول: «وهذا كما أنه في المشركين السابقين كذلك حال المشركين اللاحقين فلا يكاد ينكر الموحد على عبّاد القبور والأولياء إلا قالوا: امسك عن هذا وإلا فعلوا بك كذا وكذا» اهـ. ومثله المدعو صالح الفوزان في كتابه المسمى «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» ص ٥٠ يقول: «والآن عباد القبور يهددون الناس بهذه الأضرحة».

فليس في هذه الآية الكريمة دليل على تحريم التوسل والتبرك بالأنبياء والأولياء

(١) المسمى معالم التنزيل (دار المعرفة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الجزء الرابع ص ٧٩ - ٨٠).

كما ادعى عبد الرحمن دمشقية في شريط فيديو مسجل له بالصوت والصورة، ذكرها محتجاً بها في تحريم التوسل ولا تعطي ذلك المعنى الذي أرادوه، والآية ليس فيها ذلك المعنى لا بالتصريح ولا بالتلميح، وهذا دأبهم مع المسلمين يحكمون عليهم بالشرك والتكفير محتجين بزعمهم بما ورد من آيات نزلت في المشركين، فيحملونها على المسلمين كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في الخوارج: «انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين فحملوها على المسلمين».

فاحذر أخي المسلم من تحريف الوهابية لمعاني كتاب الله، ومن وضعهم الآيات في غير موضعها لينصروا مذهبهم الباطل.

وتأكيداً على جواز التوسل والتبرك بالأنبياء والأولياء وبآثارهم، وتبييناً للحق ورداً لزيغ الوهابية المُبطلين المزيفين ننقل بحثاً نفيساً في هذا الموضوع لصدر العلماء العاملين وعمدة المفتين ولسان المناظرين حامي حمى الملة والدين الإمام الهمام شيخ الإسلام البحر الحبر عبد الله بن محمد الهرري الحبشي، في كتابه «الصراف المستقيم»^(١):

«إثبات أن التوسل بالأنبياء والأولياء جائز، وأنه ليس شركاً كما تقول

الوهابية»

اعلم أنه لا دليل حقيقي يدل على عدم جواز التوسل بالأنبياء والأولياء في حال الغيبة أو بعد وفاتهم بدعوى أن ذلك عبادة لغير الله لأنه ليس عبادة لغير الله مجرد النداء لحي أو ميت ولا مجرد التعظيم ولا مجرد الاستغاثة بغير الله ولا مجرد قصد قبر ولي للتبرك ولا مجرد طلب ما لم تجر به العادة بين الناس ولا مجرد صيغة الاستعانة بغير الله تعالى أي ليس ذلك شركاً لأنه لا ينطبق عليه تعريف العبادة عند اللغويين

(١) الصراف المستقيم (طبع شركة دار المشاريع، الطبعة الثانية عشرة ١٤٣١هـ من ص ١٣٦ إلى ص ١٤٧).

لأن العبادة عندهم الطاعة مع الخضوع.

وقال بعض: نهاية التذلل. وهذا الذي يستقيم لغةً وعرفاً، وليس مجرد التذلل عبادةً لغير الله وإلا لكفر كل من يتذلل للملوك والعظماء. وقد ثبت أن مُعَاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد لرسول الله، فقال الرسول: ما هذا، فقال: يا رسول الله إني رأيتُ أهل الشام يسجدون لبطارتهم وأساقفتهم وأنت أولى بذلك، فقال: [لا تفعل لو كنتُ أمرُ أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها] فهؤلاء الذين يكفرون الشخص لأنه قصد قبر الرسول أو غيره من الأولياء للتبرك فهم جهلوا معنى العبادة وخالفوا ما عليه المسلمون لأن المسلمين سلفًا وخلفًا لم يزالوا يزورون قبر النبي، وليس معنى الزيارة للتبرك ان الرسول يخلق لهم البركة بل المعنى أنهم يرجون ان يخلق الله لهم البركة بزيارتهم لقبره.

والدليل على ذلك ما رواه البيهقي بإسناد صحيح عن مالك الدار، وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل الى قبر النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتي الرجل في المنام فقيل له: أقرئ عمر السلام وأخبره أنهم يُسقون، وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر وقال: يا رب ما ءالو إلا ما عجزتُ. وقد جاء في تفسير هذا الرجل أنه بلال بن الحرث المُزني فبطل دعوى ابن تيمية ان هذه الزيارة شركية.

وقد قال الحافظ ولي الدين العراقي في حديث أبي هريرة ان موسى قال: رب أدني من الأرض المقدسه رميةً بحجر وأن النبي (ﷺ) قال: [والله لو أني عنده لأريتكم قبره الى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر]: فيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها اهـ.

وأخرج أحمد في المسند بإسنادٍ حسن كما قال الحافظ ان الحرث بن حسان البكري، قال لرسول الله (ﷺ): أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. الحديث بطوله.

قال المؤلف رحمه الله: وعن ابن عباس ان رسول الله (ﷺ) قال: [إن لله ملائكةً

في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله] رواه الطبراني، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات. وقال رسول الله (ﷺ): [حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تُحدثون ويُحدث لكم ووفاتي خير لكم تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيتُ من خيرٍ حمِدْتُ الله عليه وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ لكم] رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني في معجميه الكبير والصغير عن عثمان بن حنيف ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان، فكان عثمان لا يلتفتُ إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، وقال: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ثم رُح حتى أروح معك. فانطلق الرجل ففعل ما قال، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه على طنفته، فقال: ما حاجتك؟ فذكر له حاجته، فقضى له حاجته. وقال: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه الساعة ثم خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفتُ إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدتُ رسول الله (ﷺ) وقد أتاه ضير فشكى إليه ذهاب بصره، فقال: إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك. قال: يا رسول الله إنه شق علي ذهاب بصري وإنه ليس لي قائد. فقال له: ائت الميضأة فتوضأ وصل ركعتين ثم قال هؤلاء الكلمات، ففعل الرجل ما قال، فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر كأنه لم يكن به ضر قط. قال الطبراني في معجمه: والحدث صحيح. ففيه دليل ان الأعمى توسل بالنبي في غير حضرته بدليل قول عثمان بن حنيف: حتى دخل علينا الرجل، وفيه ان التوسل بالنبي جائز في حالة حياته وبعد مماته فبطل قول ابن تيمية: لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط.

وأما توسل عمر بالعباس بعد موت النبي (ﷺ) فليس لأن الرسول قد مات بل

كان لأجل رعاية حق قرابته من النبي (ﷺ) بدليل قول العباس حين قدمه عمر: اللهم إن القوم توجهوا بي إليك لمكاني من نبيك، فتبين بطلان رأي ابن تيمية ومن تبعه من منكري التوسل. روى هذا الأثر الزبير بن بكار.

ويستأنس له أيضًا بما رواه الحاكم في المستدرک ان عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: أيها الناس، إن رسول الله (ﷺ) كان يرى للعباس مثل ما يرى الولد لوالده فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلةً الى الله. فهذا يوضح سبب توسل عمر بالعباس.

فلا التفات بعد هذا الى دعوى بعض هؤلاء المشوشين ان الحديث المذكور في إسناده أبو جعفر وهو رجل مجهول، وليس كما زعموا بل أبو جعفر هذا هو أبو جعفر الخطمي ثقةً وكذلك دعوى بعضهم وهو ناصر الدين الألباني ان مراد الطبراني بقوله: والحديث صحيح، القدر الأصلي وهو ما فعله الرجل الأعمى في حياة رسول الله فقط وليس مراده ما فعله الرجل أيام عثمان بن عفان بعد وفاة الرسول لأن علماء المصطلح قالوا: الحديث يطلق على المرفوع الى النبي وعلى الموقوف على الصحابة اي ان كلام الرسول يُسمى حديثًا وقول الصحابي يسمى حديثًا وليس لفظ الحديث مقصورًا على كلام النبي فقط، وهذا المُموه كلامه لا يوافق المقرر في علم المصطلح فلينظر من شاء في كتاب تدريب الراوي والإفصاح وغيرهما من كتب المصطلح.

أما حديث ابن عباس ان النبي (ﷺ) قال له: [إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله] فليس فيه دليل أيضًا على منع التوسل بالأنبياء والأولياء لأن الحديث معناه ان الأولى بأن يُسأل ويُستعان به الله تعالى وليس معناه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله. نظير ذلك قوله (ﷺ): [لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيًا]، فكما لا يُفهم من هذا الحديث عدم جواز صحبة غير المؤمن وإطعام غير التقي وإنما يُفهم منه ان الأولى في الصحبة المؤمن وأن الأولى بالإطعام هو التقي كذلك حديث ابن عباس لا يُفهم منه إلا الأولويه وأما التحريم فليس في هذا الحديث. ولا فرق بين التوسل والاستغاثة، فالتوسل يُسمى استغاثة كما جاء في

حديث البخاري ان النبي (ﷺ) قال: [إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد (ﷺ)] فسمى الرسول (ﷺ) هذا الطلب من آدم ان يشفع لهم الى ربهم استغاثة.

ثم الرسول سمى المطر مُغيثًا فقد روى أبو داود وغيره بالإسناد الصحيح ان الرسول قال: [اللهم اسقنا غيثًا مُغيثًا مريئًا مريعًا نافعا غير ضار عاجلاً غير آجل] فهذا الرسول سمى المطر مُغيثًا لأنه يُنقذ من الشدة بإذن الله، كذلك النبي والولي ينقذ من الشدة بإذن الله تعالى.

التبرك بآثار النبي: اعلم ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون بآثار النبي (ﷺ) في حياته وبعد مماته ولا زال المسلمون بعدهم الى يومنا هذا على ذلك، وجواز هذا الأمر يُعرف من فعل النبي (ﷺ) وذلك أنه (ﷺ) قسم شعره حين حلق في حجة الوداع وأظفاره. أما اقتسام الشعر فأخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس، ففي لفظ مسلم عنه قال: لما رمى (ﷺ) الجمرة ونحر نُسُكَه وحلق ناول الحائق شقّه الأيمن فحلق ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه ثم ناوله الشق الأيسر فقال: احلق. فحلق فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس. وفي رواية: فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس. ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك ثم قال: ههنا أبا طلحة فدفعه الى أبي طلحة. وفي رواية: أنه عليه الصلاة والسلام قال للحلاق: ها، وأشار بيده الى الجانب الأيمن قسّم شعره بين من يليه ثم أشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلقه فأعطاه أم سليم، فمعنى الحديث أنه وزّع بنفسه بعضًا بين الناس الذين يلونه وأعطى بعضًا لأبي طلحة ليوزعه في سائرهم وأعطى بعضًا أم سليم. ففيه التبرك بآثار الرسول، فقد قسم (ﷺ) شعره ليتبركوا به وليستشفعوا الى الله بما هو منه ويتقربوا بذلك إليه، قسم بينهم ليكون بركة باقية بينهم تذكيرة لهم. ثم تبع الصحابة في خطتهم في التبرك بآثاره (ﷺ) من أسعده الله. وتوارد ذلك الخلف عن السلف. وأما اقتسام الأظفار فأخرج الإمام أحمد في مُسنده ان النبي (ﷺ) قلم أظفاره وقسمها بين الناس. أما جبته (ﷺ) فقد أخرج مسلم في الصحيح

عن مولى أسماء بنت أبي بكر قال: أخرجت إلينا جُبّة طيالية كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان، وقالت: هذه جُبّة رسول الله (ﷺ) كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها وكان النبي (ﷺ) يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها. وفي رواية: نغسلها للمريض منا.

وعن حنظلة بن حذيم قال: وفدت مع جدي حذيم الى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله إن لي بنين ذوي لحي وغيرهم وهذا أصغرهم فأدناني رسول الله ومسح رأسي، وقال: بارك الله فيك، قال الذيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها، فيقول: بسم الله على موضع كف رسول الله (ﷺ) فيمسحه فيذهب الورم. رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وأحمد في حديث طويل ورجال أحمد ثقات.

وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكاني فأدخل عليه فأخذ بيديه فأقبلهما وأقول بأبي هاتان اليدان اللتان مستتا رسول الله (ﷺ) وأقبل عينيه وأقول بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله (ﷺ). رواه أبو يعلى ورجال الصحيح غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة.

وعن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم جئت رسول الله ولم آت الحجر سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله. رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط.

فائدة: ابن تيمية له كتاب يُسمى الوسيلة يذكر فيه يقول: من كان سفره لأجل زيارة القبر هذا السفر محرّم، ويقول: من زار القبر طلباً للبركة فهذا آثم. وفي غير ذلك الكتاب يقول مثل ذلك. له ثلاثة رسائل مشهورة بالرسائل الثلاث واحده منها اسمها التوحيد هذا من الكتب أول من يتعلمها الذي يريد أخذ مذهبهم. ابن عبد الوهاب قال مرةً لإنسان: مشايخي ومشايخك الى ستمائه سنة كلهم كفار، واحد

منهم أيضًا له كتاب مشهور اسمه فتح المجيد يقول فيه: أهل مصر كفار لأنهم يزورون قبر الحسين، أهل الشام كفار لأنهم يزورون قبر مُحي الدين بن عربي، أهل اليمن كفار لأنهم يزورون قبر بن علوان، وكذلك غيرهم، يعني عنده الكل كفار إلا هم ومن تبعهم. الله يُريح المسلمين من فتنتهم.

قال المؤلف رحمه الله: فلا التفات بعد هذا الى دعوى منكري التوسّل والتبرك بأثاره الشريفه (ﷺ). روى البيهقي وغيره بالإسناد ان خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: اطلبوها. فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها فإذا هي قلنسوة، فقال خالد: اعتمر رسول الله (ﷺ) فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقتُ النصر.

قال الله تعالى:

﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦)

[سورة غافر]

قال المفسر القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»^(١): «وعن النحاس: وأصح ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود قال: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله جل وعز عليها، فيؤمر منادٍ ينادي ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ﴾ ثم قال: «والقول صحيحٌ عن ابن مسعودٍ وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل» اهـ.

وقد قال الفقيه المفسر فخر الدين الرازي في كتابه «التفسير الكبير»^(٢) في الرد على من قال إن الله تعالى يسأل ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه وهو تعالى يجيب نفسه ويبين أنه باطل لا أصل له: «الأول: قال المفسرون إذا هلك كل من السموات ومن في الأرض فيقول الرب تعالى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ﴾؟ يعني يوم القيامة فلا يجيبه أحد فهو تعالى يجيب نفسه فيقول ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ قال أهل الأصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه الأول: أنه تعالى بين أن هذا النداء إنما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت، والناس في ذلك الوقت أحياء، فبطل قولهم إن الله تعالى إنما ينادي بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والأرض والثاني: أن الكلام لا بد فيه من فائدة لأن الكلام إما أن يذكر حال حضور الغير، أو حال ما لا يحضر الغير، والأول: باطل ههنا لأن القوم قالوا إنه تعالى إنما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل، والثاني: أيضًا باطل لأن الرجل إنما يحسن تكلمه حال كونه وحده إما لأنه يحفظ به شيئًا كالذي يكرر على الدرس وذلك على الله

(١) الجامع لأحكام القرآن في المجلد الخامس عشر ص ٣٠٠، دار المعرفة الطبعة الثانية).

(٢) التفسير الكبير (المجلد الرابع عشر في الجزء السابع والعشرين ص ٤١، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى).

محال، أو لأجل أنه يحصل سرور بما يقوله وذلك أيضًا على الله محال، أو لأجل أن يعبد الله بذلك الذكر وذلك أيضًا على الله محال، فثبت أن قول من يقول إن الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لا أصل له» اهـ.

وقال أيضًا: «إن في يوم التلاق إذا حضر الأولون والآخرون وبرزوا نادى منادٍ ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ انتهى كلام الرازي.

ومثل هذا الكلام ذكر محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي في كتابه حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي^(١): «من أنه إذا حضر الأولون والآخرون يوم التلاق وبرزوا لله جميعًا نادى منادٍ ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ اهـ. وقال القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي في كتابه «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المجلد السابع»^(٢): «أي ينادي منادٍ لمن الملك اليوم» ثم قال: «لما روي أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي منادٍ ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ﴾ اهـ. قال معلقًا أخرجه ابن المبارك في الزهد^(٣) وابن أبي الدنيا في الأهوال^(٤) عن ابن مسعودٍ موقوفًا اهـ.

فقد تبين واتضح أن القول الصحيح المعتمد الموافق لعقيدة المسلمين أن الملك هو الذي ينادي في موقف القيامة بأمر من الله والملك نفسه يجيب وليس الله كما زعم أهل التشبيه والتجسيم الذين وصفوا الله بصفات حادثة واعتقدوا أن كلامه ككلام خلقه يتكلم بعد سكوت ويسكت بعد كلام وأن كلامه يتخلله انقطاع وهذا تشبيه لله بخلقه وتكذيب لقول الله تعالى: «فلا تضربوا لله الأمثال».

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (في الجزء السابع ص ٣٠٧ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (المجلد السابع ص ٢٣٠ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى).

(٣) الزهد (٢/ ١١٥).

(٤) الأهوال (١/ ١٤٦).

فلا حجة للمشبهة الصوتية في ما قيل من أن الله تعالى يقول بعد أن يقبض عزرائيل أرواح الخلق والملائكة فيقبض الله روح عزرائيل ﴿لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ﴾ فيجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾، لأنه حديث ضعيف رواه الطبراني.

يقال لهم: أليس الله تعالى كان موجودًا قبل هذه الحروف فهي محدثة أحدثها هو، فكيف يتصف الله بشيء محدث. بل قولهم فيه نسبة الحدوث إلى ذات الله لأن ما يتصف بالحدث فهو حادث وإنما تأويل ما ورد في القرآن من هذه الألفاظ أنها عبارة عن كلامه الأزلي الأبدي. فالكلام الأزلي يُعَبَّرُ عنه باللفظ الماضي وبلفظ المضارع وبلفظ الأمر، فكلام الله القائم بذاته غير مجتزأ ولا متبعض كما أن حياته صفة قائمة بذاته أي ثابتة له لا تتجزأ ولا يتخللها انقطاع.

وأحسن منه من حيث الإسناد ما رواه أبو بكر عبد الله بن أبي داود في كتابه «البعث» قال^(١): «حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سليم بن أخضر عن التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ينادي مناد بين يدي الصيحة يا أيها الناس أتتكم الساعة - ومدّ بها التيمي صوته - قال فيسمعه الأحياء والأموات وينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا ثم ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار». (وإضافة النزول إلى الله ليس على حقيقته ولا على ظاهره بل هو متأولٌ عند جميع أهل السنة والجماعة وقد قال الإمام مالك: «نزول رحمة لا نزول نُقْلَة» رواه الزرقاني في شرحه على موطأ مالك، لأن الله موجود بلا مكان منزّه عن الحركة والسكون والانتقال) أخرج هذا الحديث الديلمي في فردوس الأخبار وعزاه السيوطي لابن أبي الدنيا في البعث مرفوعًا ولعبد بن حميد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه في المستدرک وأبي نعيم في الحلية عن ابن عباس موقوفًا عليه. وهذا سالم من نسبة النطق بالصوت إلى الله وهو عقيدة أهل التنزيه والإثبات، يثبتون لله ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له نبيه مع تجنب حمل النصوص على ظواهر المتشابه، بل يعتقدون للمتشابه معاني تليق بالله ليس فيها

(١) البعث (ص ٢٦).

إثبات صفة حادثة لله كما أنهم ينزهون ذاته عن الحجمية والجسمية فينبغي ألا يلتفت إلى ما يذكر في كثير من التفاسير من أن الله تعالى هو الذي يقول بعد فناء الخلق كلهم سوى الجن والملائكة مجيباً لنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فإنه يتبادر إلى ذهن المطالع لهذا الكلام أن الله ينطق بالصوت في ذلك الوقت وهذا مما لا يجوز اعتقاده وهو تشبيه وكفر.

ويجب الحذر مما قاله «الدكتور وهبة الزحيلي السوري» في كتابه المسمى «الموسوعة القرآنية الميسرة»^(١) : «ويقول الله حينئذ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْمَطْلُوقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب الله سبحانه نفسه قائلاً: لله الواحد الأحد، القهار لَخَلَقَهُ». ويقول ما نصه^(٢) : «فلما أتى النار، نودي بصوت: يا موسى، إني أنا الله ربك» اهـ. والعياذ بالله تعالى من هذا الكفر.

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» ونسبة الصوت إلى الله أو أنه يتكلم بكلام حادث أو بحروف أو أنه تحدث له صفة لم تكن في الأزل فهو تكذيب للقرآن الكريم قال الله تعالى: «ليس كمثله شيء، وكم تكون فرحت الوهابية المجسمة بكلام الزحيلي هذا لأنه عين عقيدتهم وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية في شيء».

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة (دار الفكر - دمشق سوريا ودار الفكر المعاصر - بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ ص ٤٦٩).

(٢) الموسوعة القرآنية الميسرة (ص ٣١٣).

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ

الْأَسْبَبَ ﴿٣٦﴾

[سورة غافر]

القواعد الإيمانية في نفس عقائد الوهابية

الفرعونية

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾... وقال تعالى عن فرعون: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ ﴾...

ومن أعجب العجائب أن الوهابية وأئمتهم في التجسيم والتشبيه، كابن تيمية في كتابه المسمى «مجموع الفتاوى» وابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «القصيدة النونية» وابن باز في «موقعه الإلكتروني» وابن عثيمين في كتابه المسمى «فتاوى في العقيدة» وابن جبرين في كتابه المسمى «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية» وعلي بن يحيى بن حضرم وأحمد بن يحيى النجمي في رسالة لهما اسمها «الاعتقاد أن الله تعالى في كل مكان من أفسد المعتقدات وأخبثها» ومحمد خليل هراس في «شرحه على نونية ابن قيم» وعبد الرحمن دمشقية في «كثير من كتاباته» وعبد الهادي وهبي في كتابه المسمى «غاية البيان في اثبات علو الرحمن» وأضرابهم من الذين أنكروا قيمة البرهان النقلي والعقلي ولجأوا لإثبات عقيدتهم الفاسدة المكذبة للقرآن التي هي نسبة الحيز والمكان إلى الله، وتعالى الله وتقدس عن ذلك لأنه سبحانه قال: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [سورة الحديد]، وقال عليه الصلاة والسلام: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» رواه مسلم...

ومن كان كذلك كان موجودًا بلا مكان.

وقال الحافظ البيهقي في كتابه الأسماء والصفات: «استدل بعض أصحابنا - يعني العلماء من أهل السنة والجماعة - من هذا الحديث على نفي المكان عن الله تعالى...»

وقال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره»... رواه البخاري والبيهقي وابن الجارود، والمكان العلوي والسفلي وأمام وخلف ويمين وشمال والعالم بأسره غير الله، معناه في الأزل لم يكن عرش ولا سماء ولا مكان، يعني كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان لأنه لا يجوز عليه التغير ولأن التغير أكبر علامات الحدوث، فوجب شرعًا وعقلًا أن يكون الله تعالى بلا مكان وإلا لكان مثل خلقه. وبعد هذه الأدلة القرآنية والحديثية لم يستح هؤلاء الوهابية لا من الله ولا من الناس، ولجأوا إلى فرعون الكذاب المفتري الذي ادعى الألوهية لنفسه واحتجوا به في عقيدتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت، فقال داعية فسادهم المدعو عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين في كتابه المسمى «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية» ما نصه: «الآية الرابعة: وهي قصة فرعون، حكى الله عنه أنه قال: «يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب»، الصرح هو البناء الرفيع والأسباب هي الحبال، «أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى»، أي حبال السماء فأصعد فيها حتى أصل إلى السماء فأطلع إلى إله موسى الذي يقول إنه في السماء هل هو صادق أم لا «وإني لأظنه كاذبًا». هكذا ذكره الله تعالى في سورة مؤمن وغانر، وقال في سورة القصص: ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنَّ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾. لعلي أتخذ بناء رفيعا أصعد اليه حتى أصل إلى السماء لأنظر هل في السماء إله كما يقول موسى أم لا، فأنا أظن أنه من الكاذبين ليس في السماء إله، هذا دليل على أن موسى أخبر فرعون أن إلهه في السماء... إلى آخره

وبعد هذه الترهات والسخافات والأكاذيب المفضوحات من الوهابية وزعمائها كما رأيتم ما قاله ابن جبرين، نحن أهل السنة والجماعة نقول: إن الوهابية تستبيح

الكذب على الله وعلى أنبيائه وعلى دينه فلا يستبعد منهم ولا يستغرب هذا التحريف العريض والجرأة الهوجاء على نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وتحدى كل جماعة الوهابية أن يثبتوا بزعمهم ما قاله ابن جبرين في افتراءه هذا على موسى ولن يستطيعوا. وانظروا إلى قوله إن موسى قال لفرعون بأن إلهه في السماء، وأن هذا مذكور في القرآن، سورة غافر مؤمن والقصص. وهذا لا وجود له في هذه السورة ولا في غيرها إلا إذا زعمت الوهابية أنهم يحتفظون بمصحف خاص بزعمهم غير المصحف الذي مع المسلمين، ففي أي موضع أيها الوقحون بزعمكم، موسى قال لفرعون إن الله في السماء؟!!

بل الذي قاله موسى كما في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ... فلاحظوا إلى قول الله عن موسى ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وما قال «الله في السموات» كما كذبت الوهابية على القرآن وعلى موسى. وانظروا إلى ما أخبر الله تعالى عن فرعون قال ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ لأنه في الأصل هو لا يؤمن بالله ولا يعتقد بوجوده فلم يقل «أين الله» لأنه لا يعترف بوجوده، فكيف يسأل عن مكانه كما افترى ابن جبرين وقال: «لا بد أن يكون فرعون سأل موسى أين إلهك، وأن موسى قال له في السماء...؟؟؟!!!»

انظروا أيها الوهابية إلى تفسير حبيبكم ابن كثير لقول فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال ابن كثير في تفسيره ما نصه: «يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وطغيانه وجحوده في قوله: ؟ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ، ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ ﴾، وكانوا يجحدون الصانع - تعالى - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال موسى «إني رسول رب العالمين»، قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ . ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان

جاحدًا له بالكلية في ما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى عندما سأله عن رب العالمين: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي خالق جميع هذا ومالكة... إلى آخره.

فأين يا وهابية الرجس سؤال فرعون لموسى عن مكان الله تعالى بزعمكم؟ وأين قول موسى كما كذبتم عليه وافتريتتم أنه قال إن الله في السماء؟ فهذا لا وجود له في كل آيات القرآن، لا في منطوقها ولا في مفهومها وإنما هو محض تقول منكم على موسى وفي حقيقة الأمر، افتريتتم أيضًا على إمامكم فرعون في هذه الكفرية وقتلتتم إنه أنكرها على موسى فأنتم أخذتم هذا من موسى لأنه قاله لفرعون وأنكره فرعون على موسى وفي حقيقة الأمر، لا فرعون سأله عن هذا ولا موسى قاله، بل الذي قاله موسى عن الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يقل إن الله بذاته في السماء، فما أوقفكم في الكذب على الله وعلى موسى وعلى كتاب الله تعالى.

ومن تلفيقاتهم وخيالاتهم السخيفة الساقطة ما قاله ابن جبرين في نفس الموضوع: «ثم إن المعتزلة والأشعرية ونحوهم قالوا إن هذا من ظن فرعون وإن من اعتقد أن الله في السماء فقد تشبه بفرعون فهم عكسوا القضية وقالوا: أنتم أيها المشبهة يا من اعتقدتم أن ربكم في السماء قدوتكم فرعون الذي قال: إن إله موسى في السماء، فكيف نجيب وكيف نرد عليهم؟ نقول لهم فرعون جاحد منكر أن يكون هناك إله بل يدعي أنه هو فقط، فهو منكر أن يكون له رب لا في السماء ولا في الأرض، فلما جاءه موسى وأخبره بأن هنالك الها، فلا بد أنه قد سأله أين هذا الإله الذي تزعم يا موسى، ولا بد أن موسى أخبره أن إلهه في السماء»... إلى آخره...

وهنا كأن ابن جبرين نسي أن هذه الأمة فيها عقلاء وأذكياء وفطناء يحفظون العقيدة الإسلامية السنية ويحافظون عليها ويدفعون عنها تموهيات المموهين وكذب الكاذبين وتشكيك المشككين حتى ألصق بموسى عليه السلام أنه لا بد أن يكون قال لفرعون إن الله في السماء بزعمه، وكيف يستطيع أن يثبت هذا؟ فلو انتظر إلى آخر الدنيا هو وزمرة الوهابية، لن يستطيعوا أن يثبتوا هذا على موسى من كتاب

الله عزّ وجل .

أما إن قالوا: هذا يفهم من الآيات، يقال لهم: فهمكم معكوس وعقلكم منكوس وقلوبكم مطموس فلا عبرة بوهمكم ولا بفهمكم السقيم لأنكم كما قال ابن عثيمين في كتابه المسمى «شرح رياض الصالحين»: «إن الحشرات والبهائم إبان الزلزلة في القاهرة هاجت وضجت ورفعت رؤوسها الى السماء» وقال: «حتى البهائم بالفطرة تعرف ان الله في السماء»... فاعجبوا من هذا واضحكوا من حشرات نجد وبقرها!!! فإذا كنتم اخذتم دينكم وعقيدتكم عن الحشرات والبهائم كيف يؤخذ بفهمكم. وأما ما في بعض كتب التفسير مما يتعلق بهذا الموضوع فكلنا يعرف أن كتب التفاسير فيها الغث والسمين، فإن قلتم في تفسير كذا أو فلان قال كذا أي أن فرعون بنى الصرح ليصل إلى الله، لأنه فهم ذلك من موسى، وهو ينكره عليه ويريد أن يكذبه، فماذا تقولون في ما جاء في بعض الكتب أنه لما بنى لفرعون الصرح ارتقى فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي متلخخة دما، فقال قد قتلت إله موسى، تعالى الله عما يقول؟ فماذا تقولون أيها الوهابية إن زعمتم أن موسى قال إن الله في السماء وإن فرعون صعد وارتقى فوق الصرح ليصل إليه ليتأكد من كذب موسى بزعمه ثم يقول إنه ضرب الله بنشابة فقتله فعلى زعمكم إن أقرتم بهذه العقيدة وأخذتم بكلام فرعون الذي افتريتم فيه على موسى تقولون إن الله قتل وإن فرعون وصل إليه وإن الله تعالى جرح ومات كما زعم فرعون لعنكم الله واياه.

تنزه الله عن كل ذلك فهو القائل: «وتوكل على الحي الذي لا يموت» وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾...

وأما قولكم أيها الوهابية إن الأشاعرة أنكروا أن يكون الله في السماء بذاته وبذلك هم موافقون لفرعون الذي كذب موسى في هذه المسألة فنقول: قد بان كذبكم وانفضح بأن موسى عليه السلام لم يقل إن الله في السماء بذاته كما افتريتم وإن الأشاعرة موافقون لموسى ولكل الأنبياء في تنزيه الله عما لا يليق به كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾... اي ليس له شبيها أحد وليس له مثيلا أحد..

وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾... فالأشاعرة والماتريدية هم مجموع أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم موافقون لما في القرآن ولما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ولإجماع الأمة، وأما انتم أيها الوهابية فقد خرقتم وخالفتم الإجماع وهل بعد الإجماع إلا الضلال؟!!

قال الإمام الأستاذ الكبير الأصولي أبو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: «وأجمعوا - أي أهل السنة - على أنه - تعالى - لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان»... انتهى

وأما افتراؤكم على أبي الحسن الأشعري وعلى أبي محمد الجويني وبعض أئمة أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية أنهم قالوا بهذا الذي افتريتم به على موسى، فنقول لكم: أبو الحسن يكفر من يقول إن الله جسم، وهو يقول إن الله موجود بلا مكان، وأنتم تكفرون من يقول ذلك، فكيف تحتجون به بعد هذا؟!!

وكذبكم على الله وعلى الأنبياء والقرءان والأئمة الأعلام معروف مشهور، فلا يستغرب منكم أن تكذبوا على الأئمة لتموهوا على الناس أنهم على عقيدتكم الكفرية، وهذا مفتيكم ابن باز يقول في فتوى له نشرت في مجلة الحجاز الكبرى: «إن الله يجوز أن يخلف وعده»... وبهذا تنسبون الكذب الى الله فهو الذي قال: «قل صدق الله»، والله لا يخلف وعده، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [سورة آل عمران] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [سورة إبراهيم] ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [سورة الحج]، فإذا أجزتم الكذب على الله كيف يوثق بنقلكم بعد ذلك؟! أفيقوا من غفلتكم، أيها الجهوية الفرعونية.

وفي كتاب براءة الأشعريين من عقائد المخالفين تأليف ابي حامد المرزوقي ما نصه^(١): «وقد احتج ابن تيمية على اثبات الجهة لله تعالى مقلدا سلفه المجسمة بقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [٣٦] أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ

(١) براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/٨٣).

زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وقد ذكر ذلك في رسالته التي نقضها عصره احمد بن يحيى الكلابي مجملا فقال العلامة المذكور راداً عليه: ليت شعري كيف فهم من كلام فرعون ان الله تعالى فوق السموات وفوق العرش، أما ان إله موسى في السموات فما ذكره، وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون مع اخبار الله تعالى عنه بأنه زين له سوء عمله وانه حاد عن سبيل الله وان كيده في ضلال، مع أنه لما سأل موسى عليه السلام بقوله: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [لم يتعرض موسى للجهة بل لم يذكر إلا أخص الصفات وهي القدرة على الاختراع ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها أولى لأن الإشارة الحسية من اقوى المعارف حساً وعرفاً، وفرعون سأل بلفظ «ما» فكان الجواب بالتحيز أولى من الصفة، وغاية ما فهمه من هذه الآية واستدل به فهم فرعون فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها وهو مشيدها، فليت شعري لما ذكر النسبة إليه كما ذكر إن عقيدة سادات أمة محمد ﷺ الذين نبذهم بالجهمية لمخالفتهم هواه متلقاة من لبيد بن الأعصم اليهودي. إهـ

وقد بين عقيدته فارا من شناعة مشيخة فرعون عليه وعلى أسلافه محاولة إصاقتها بموسى، برأه الله تعالى من ذلك، وصلى عليه في رسالته المسماة: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» قال^(١): «فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال: ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهَةِ مُوسَىٰ﴾، ومنها قال^(٢): «وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون»، وثرثر إلى أن قال: «وكان ينكر أنّ يكون الله كلّم موسى أو لا يكون لموسى إله فوق السموات». وقال في رسالته المسماة: «صفات الله وعلوه على خلقه»^(٣): «كذب فرعون موسى في قوله: إن الله فوق السموات»، والمفسرون متفقون على ان معنى ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ في ان له إلهها غيري بدليل قوله: انتهى.

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٣٤).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٤٤).

(٣) صفات الله وعلوه على خلقه (ص ٢١١).

ولمزيد الفائدة والبيان نذكر لكم بعض ما قاله علماء التفسير في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ...

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ ... الى آخر الآية ما نصه: «يقول تعالى مخبرا عن فرعون عن عتوه وتمرده وتكذيبه لموسى عليه السلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا.. ثم قال: قوله تعالى: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾ وهذا من كفره، وتمرده أنه كذب موسى في أن الله تعالى أرسله إليه...

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ أي: في قوله إن ثم ربا غيري لأنه كذبه في أن الله أرسله لأنه ما كان يعترف بوجود الصانع... قال المفسر البغوي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ما نصه: وإني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه في زعمه أن للأرض إلها غيري وأنه رسوله...

وفي كتاب البحر المحيط قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ما نصه: وهو الكاذب في انتفاء علمه بآله غيري... وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ ما نصه: أوهم قومه إن إله موسى يمكن الوصول إليه والقضاء عليه وهو عالم متيقن أن ذلك لا يمكن له، وقومه لجهلهم وغبائهم وإفراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم... وقال أيضًا في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾ ما نصه: أي في ادعاء الإلهية...

وقال الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» المجلد ١٥ ص ٣١٥، لقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾ ما نصه: اي وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه إلها دوني...

والحمد لله الذي نصر وأيد أهل السنة والجماعة بالأدلة الباهرة والبراهين
الساطعة لرد شبه المفترين على الله وعلى دينه.

قال أحد مشايخ وأدباء أهل السنة والجماعة : وهو الاستاذ أسامة بن محمد
السيد البقاعي .

زعم المجسم أنه	الله يسكن في العلى
فرعون صار إمامه	ذاك المكفن بالبلى
إذ قال فرعون ابن لي	هامان صرحا في العلا
نسب المكان لرينا	بغبائه لما غلا
كذا فراعنة الزما	ن تتبعوا أثر الألى
ظهر الولاء بطبعهم	والبدر في الحق انجلى
لوقيل عنهم إنهم	شرُّ البلية والبللا
أو ليس باد كفرهم	فجوابنا طبعاً بلى

قال الله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[سورة الشورى]

اعلم أن هذا العالم بما فيه من حركةٍ وسكونٍ واختلافٍ وتغيّرٍ دليلٌ على وجود خالقٍ خلقه ومدبّرٍ يُدبّره، مُتَّصِفٍ بصفاتٍ ليست كصفات المخلوقين، لأنه لو كان موصوفًا بصفات خلقه لكان مثلها محتاجًا مثل المخلوقات، لأن المتماثلات والمتشابهات يجوز عليها جميعًا ما يجوز على بعضها، فالله لا يُشبه الخلق بأي وجهٍ من الوجوه، فهو سبحانه وتعالى متعالٍ عن كل صفات المخلوقين، موجودٌ لا كالموجودات حيٌّ لا كالأحياء، ليس بجسمٍ مصوّرٍ ولا جوهرٍ محدودٍ مقدّرٍ، لا تحويه الجهات الست بل هو سبحانه لا يُشبه شيئًا ولا يشبهه شيء. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) ﴿فمن زاغ عن التنزيه ووقع في التشبيه وعبد صورةً تخيلها في خياله يكون بذلك من الكافرين، لأنه ما عبد رب العالمين، إنما عبد صورةً متوهمةً في مُتَخَيِّلِهِ، كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة، ناقلًا إجماع أهل السنة والجماعة: ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر.

فالآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) هي أصرح آية في القرآن في تنزيه الله تعالى التنزيه الكلي وتفسيرها أن الله لا يشبهه شيء بأي وجه من الوجوه، والكاف في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) لتأكيد النفي، ففي الآية نفي ما لا يليق بالله عن الله. وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ففيه إثبات ما يليق بالله، السمعُ صفةٌ لا ثقة بالله والبصر كذلك وإنما قدّم الله تعالى في هذه الآية التنزيه حتى لا يُتوهّم أن سمعه وبصره كسمع وبصر غيره، فالله تعالى موصوفٌ بأنه ليس كمثل شيء من اللطائف كالنور والروح والهواء، ومن الكثائف كالشجر والإنسان. والجسم اللطيف ما لا يُضبط باليد والجسم الكثيف ما يُضبط باليد أي ما يُجسُّ باليد، والله تعالى لا يُشبه العلويات ولا السفليات.

الله تعالى نصب لنا الدليلين: دليلاً شرعياً قرآنياً ينزه الله تعالى عن كل شيء يقتضي مشابهة الله لخلقه بوجه ما وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١)، هذا تنزيه كلي، هذه الآية تُنزه الله عن اللون وعن الحركة والسكون وعن الأعضاء وعن التحيز في مكان أو في جهة من الجهات الست أو في جميع الجهات الست والتأثر والتطور والانفعال، والزيادة أو النقصان عن كل هذا، هذه الآية تنزه الله. ثم أيضاً نصب لنا دليلاً عقلياً وهو: أن صانع العالم، خالق العالم لا يشبه مخلوقه، هذان الدليلان كافيان، دليل نقلي قرآني ودليل عقلي وهو استحالة أن يشبه الصانع أي خالق العالم مصنوعه أي مخلوقه..

قال الحافظ العراقي في «الغيث الهامع شرح جمع الجوامع» في كتاب الاجتهاد: «وقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) تتمته في التنزيل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) فأول هذه الآية تنزيه وءاخرها إثبات وصدورها رد على المجسمة وعجزها رد على المعطلة والنكته في نفي التشبيه أولاً أنه لو بدأ بذكر السميع والبصير لأوهم التشبيه فاستفيد من الابتداء بنفي التشبيه أنه لا يشابهه في السمع والبصر غيره» اهـ. فمن شبه الله بخلقه يكون مجسماً والمجسم كافر كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «المجسم كافر»، نقله عنه السيوطي في «الأشباه والنظائر» ثم قال السيوطي: «الأول: ما نكفره قطعاً» وعدّ منهم «المجسمة والقائل بقدم العالم» اهـ. وقد أطلق النووي في «المجموع» تكفير المجسمة وذلك في كتاب الصلاة في باب صفة الأئمة. وقال ابن حجر في المنهاج القويم: واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك». أي جديرون بالحكم عليهم بالكفر.

وقد قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي في «شرح عقيدة مالك الصغير»^(١): «ولا يجوز أن يُثبت له الكيفية - أي لله -، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي عليه السلام فيه بشيء، ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى

(١) شرح عقيدة مالك الصغير (ص ٢٨).

التنقل والتحول وإشغال الحيِّز والافتقار إلى الأماكن، وذلك يؤوِّل إلى التجسيم، وإلى قدم الأجسام، وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام» اهـ.

ونقل ملاً علي القاري في كتابه «المرقاة في شرح المشكاة» الإجماع على تكفير من وصف الله بصفة من صفات خلقه، فقال: «وتعالى عن صفات المخلوقين من الطلوع والنزول». ثم قال: «(كل ليلة إلى السماء الدنيا) قال ابن حجر أي ينزل أمره ورحمته أو ملائكته وهذا تأويل الإمام مالك وغيره». ثم قال بعد ذكر مذهب السلف والمتكلمين: «يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره». ثم قال: «وقد علمت أن مالكا والأوزاعي وهما من كبار السلف أولاً الحديث تأويلاً تفصيلاً». ثم قال: «بل قال جمع معهم - أي مع السلف - ومن الخلف أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ اهـ.

وقال الشيخ تقي الدين الحصني في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد»^(١): «الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزه عنه فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة» اهـ.

وقال الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»^(٢): «وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والأعراض كلها الحدوث، فإذا العالم كله حادث. وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفته الإجماع القطعي» اهـ. يتضح لك أن من قال

(١) دفع شبه من شبه وتمرد (ص ١٨).

(٢) إتحاف السادة المتقين (دار الكتب العلمية، كتاب قواعد العقائد، الجزء الثاني ص ١٥٣).

بأزلية شيء من العالم فهو كافر بالإجماع القطعي، وهذا ينطبق على المجسم لأن الجسم حادث مخلوق، فمن قال أو اعتقد الجسمية في الله فقد قال بأزلية الأجسام أي بأزلية الحوادث وبحدوث الأزلي، وهذا جمع بين كفريتين، لأن من قال بأزلية الأجسام يكون جعل لله شريكًا، ومن قال بأن الله جسم جعل هذا الجسم هو الله وقال إن هذا الجسم أزلي.

ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن الإمام أحمد أنه قال بتكفير من قال: «الله جسم لا كالأجسام» ذكر ذلك المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في «تشنيف المسامع» وقال: ونقل عن الأشعرية أنه يفسق، وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح» اهـ.

وعلى هذا إمام أهل السنة الإمام أبو الحسن الأشعري فقد قال في «النوادر»: من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به» اهـ.

الشيخ مصطفى الحمامي أحد علماء الأزهر وخطيب المسجد الزيني سابقًا في كتابه «غوث العباد ببيان الرشاد»، وهو مقررّ من علماء ومشايخ الأزهر: يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء، محمد البلاوي خطيب المسجد الحسيني ونقيب الأشراف بالديار المصرية، محمود أبو دقيقة مدرس بتخصص الأزهر، محمد عبد الفتاح العناني المدرس بكلية الشريعة الإسلامية، محمد محمد البحيري من علماء الأزهر الشافعية بالقسم الثانوي، السيد محمد بن محمد زباره اليمني أمير القصر السعيد بصنعاء اليمن، محمد حبيب الله الشنقيطي خادم العلم بالحرمين الشريفين، دسوقي عبد الله العربي من هيئة العلماء، محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية بالآستانة سابقًا، محمد حفني بلال وكيل مسجد السيدة زينب في القاهرة وأحد علماء المالكية، في ص ٩٤ في شرحه للآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) يقول: «تعالى ربنا أن يكون جسمًا: قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) ذلك قوله تعالى عن نفسه في كتابه الكريم، وهو نفي عام ينطق في صراحة ليس بعدها صراحة أنه تعالى لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو تعالى

شيئاً من هذا العالم علويه وسفليه»، ثم قال: «إذن هو عز وجل منزه عن المادة وكل خصائص المادة. ومن هنا أخذ القول المعروف (كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك). إذن العقول معقولة عقلاً تاماً عن أن تحوم حول هذا الحمى المقدس بأكثر مما وصف تعالى به نفسه، الذي منه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) هذا أصل قاطع لا نزاع فيه يرجع إليه كل نص جاء في شريعتنا يوهم ظاهره خلاف ذلك. إذن للاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) معنى يليق بربنا عز وجل خلاف ما يوهمه ظاهر اللفظ، وهو مما لا خلاف فيه بين أئمة الهدى من أول هذه الأمة إلى اليوم». ثم قال: «ذكر الشيخ العزّ بن عبد السلام (٦٦٠هـ) في كتاب «حلّ الرموز»، أنه قال الإمام أبو حنيفة: من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكاناً، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مُشَبَّهٌ اهـ.

وقال الشيخ شرف الدين بن التلمساني في «شرح لمع الأدلة» ما نصه^(١): «قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) [سورة الشورى]، نفى عن نفسه مشابهة العالم إياه، ففي التحيز بجهة من الجهات مشابهة الأجسام والجواهر، وفي التمكن في مكان مماثلة للجواهر المتمكنة في الأمكنة، ففي وصفه بالجهات قول بالانحصار فيها، وفي القول بالتمكن في المكان إثبات الحاجة إلى المكان، وفي كل ذلك إيجاب حدوته وإزالة قِدمه، وذلك كله محال في حق القديم. ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [سورة الإخلاص] والكفو: المساوي والمماثل، فنفى عن نفسه المماثلة والمساواة، ومنها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١١) [سورة المؤمنون] فوجب تنزيهه عن صفات الخلق. ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (٣٨) [سورة محمد] فوجب إثبات تعاليه عن كل ما يفتقر إليه الخلق من الاتصاف بالمكان والجهة. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦) [سورة العنكبوت] فأثبت لنفسه الاستغناء عن جميع العالمين

(١) شرح لمع الأدلة (ص ٧٠، مخطوط).

والجهات والأمكنة من أجزاء العالم، فوجب إثبات تعاليه واستغناؤه عن العالمين وعن كل وصف من صفات المحدثين» اهـ.

روى الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناده إلى الجنيد بن محمد البغدادي رضي الله عنه وهو سيد الطائفة الصوفية أنه قال: «التوحيد أفراد القديم من المحدث». أي تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين.

وروى الحافظ ابن عساكر في كتابه «تاريخ دمشق» عن ذي النون المصري إبراهيم بن ثوبان المتوفى سنة ٢٤٥هـ أنه قال: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك»، أي لا يشبه ذلك، وهو مأخوذ من معنى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

قال المفسر الرازي في «التفسير الكبير» ما نصه^(١): «ثم قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) وهذه الآية فيها مسائل: المسألة الأولى: احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسمًا مركبًا من الأعضاء والأجزاء وحاصلاً في المكان والجهة، وقالوا لو كان جسمًا لكان مثلاً لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه له، وذلك باطل بصريح قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١). ثم قال: «واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه «بالتوحيد»، وهو في الحقيقة كتاب الشرك، واعترض عليها، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لأنه كان رجلاً مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل» اهـ.

وهو الذي تحبه الوهابية كثيراً وتنقل من كتابه لأنه وافق هواهم في حمل الآيات والأحاديث المتشابهات على ظواهرها، فشبّه الله بخلقه وكذب قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١)، وقد أصاب وصدق الرازي حيث قال عن كتاب ابن خزيمة المسمى بـ «كتاب التوحيد» كذبًا وزورًا، أنه كتاب الشرك، لأن المجسمة المشبّهة أشركوا

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ المجلد الرابع عشر الجزء ٢٧ ص ١٢٩ - ١٣٠).

بربهم، عبدوا جسمًا تخيلوه قاعدًا فوق العرش لا وجود له، ولم يعبدوا الله. أما إمام
المجسمة ابن تيمية ففي كتابه المسمى «بيان تلبيس الجهمية» يقول^(١) : «من
المتشابه، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾» اهـ.

ففي كتابه^(٢) هذا المسمى «بيان تلبيس الجهمية» يفترى ابن تيمية على الله
وعلى سيدنا موسى وعلى ابن عباس، ويتناقض ويكذب الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ﴾، وينسب لله الصورة فيقول: «وقول ابن عباس في ما يذكره عن الله
تعالى - أنه قال لموسى - تعمد إلى خلق من خلقي، خلقتهم على صورتي فتقول
لهم: اشربوا يا حمير» اهـ. والعياذ بالله من مسخ القلوب.

وأيضًا يقول ابن تيمية مستشهدًا بكلام اليهود في التوراة المحرّفة^(٣) : «فهذا
المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالنوراة فإن في السفر الأول
منها (سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهها)»، ثم يقول «ثم إن هذا مما لا غرض لأهل
الكتاب في افتراءه على الأنبياء». اهـ. انظروا كيف يحتج بكفر أهل الكتاب الصريح
ويدافع عنهم لأنه وافقهم في نفس العقيدة من نسبة الصورة والأعضاء والجوارح
والجسم إلى الله.

ويقول ابن تيمية^(٤) : «عُلِمَ أن نفي التشبيه من كل وجه هو التعطيل والجحود
لرب العالمين، كما عليه المسلمون متفقون» اهـ. والعياذ بالله من الكذب على الله
وعلى المسلمين، لا يستحي من الله ولا من الناس، ومراده أن الله تعالى يُشبه خلقه
من بعض الوجوه ليؤيد عقيدته الكفرية من وصف الله بالجسمية والقعود والجلوس،
ولذلك قال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ «إنها آية متشابهة»، لأنه

(١) بيان تلبيس الجهمية (المطبوع في المدينة المنورة في مطبعة الملك فهد للمصحف الشريف،
في المجلد الثالث ص ٤٥٥، وفي المجلد الرابع ص ٣٢١، وفي المجلد الخامس ص ٣٧١، وفي
المجلد السادس ص ٤٩١).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (المجلد السادس ص ٤٤١ - ٤٤٢).

(٣) (المجلد السادس ص ٤٥١).

(٤) (ص/٤٨٤).

أراد أن يُقَرَّرَ تشبيهَ اللهِ بخلقه من بعض الوجوه، وقد تغافل ابن تيمية أنه إذا جَوَّزَ على الله تعالى الشَّبهَ من بعض الوجوه فقد جَوَّزَ عليه الشَّبهَ من كل الوجوه، وأجاز عليه الجوع والمرض والفناء والزوال، وتعالى الله وتنزهه وتقدس عن كفر ابن تيمية وأتباعه، ويقول^(١): «ما لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه لا شيء». ويقول^(٢) في معرض ذمِّه لعقيدة المسلمين المنزَّهين لله عن مشابهته لمخلوقاته: «وأنكروا أن يشبه الأشياء بوجه من الوجوه، فأنكروا وجوده». وأيضًا يفترى على دين الله فيقول^(٣): «ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين، ولا الأكابر من أتباع التابعين، ذم المشبهة، وذم التشبيه، أو نفي مذهب التشبيه ونحو ذلك» اهـ. والعياذ بالله من التشبيه والتجسيم ومن موافقة اليهود في المعتقد.

أما قوله بالجسمية في حق الله تعالى فقد ذكر ذلك في كتابه «شرح حديث النزول» يقول^(٤): «وأما الشرع فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة أن الله جسم أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع» اهـ.

وقال في الموافقة ما نصه^(٥): «وكذلك قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى]، وقوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم]، ونحو ذلك فإنه لا يدل على نفي الصفات بوجه من الوجوه بل ولا على نفي ما يسميه أهل الاصطلاح جسمًا بوجه من الوجوه» اهـ.

وقال في الموافقة أيضًا مفتريًا على الإمام أحمد ما نصه^(٦): «وأما ذكر التجسيم

(١) (ص/٤٩٥).

(٢) (ص/٤٩٦).

(٣) (المجلد السادس ص٤٩٨).

(٤) شرح حديث النزول (ص٨٠).

(٥) الموافقة (١/٦٢).

(٦) الموافقة (١/١٤٨).

وذم المجسمة فهذا لا يُعرف في كلام أحد من السلف والأئمة كما لا يُعرف في كلامهم أيضًا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم كما ذكره أحمد في كتاب الرد على الجهمية» اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه^(١): «أما ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك فإن هذا اللفظ لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم لا أهل البيت ولا غيرهم» اهـ.

وقال في «مجموع الفتاوى» ما نصه^(٢): «ثم لفظ التجسيم لا يوجد في كلام أحد من السلف لا نفيًا ولا إثباتًا، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته» اهـ.

وقال في كتابه المسمى «بيان تلبيس الجهمية» ما نصه^(٣): «وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم، وأن صفاته ليست أجسامًا وأعراضًا، فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل جهل وضلال» اهـ.

ويكفي في تبرئة أئمة الحديث ما نقله أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد»^(٤)، عن أحمد قال: «وأنكر أحمد على من يقول بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليفٍ والله تعالى خارج عن ذلك كله - أي منزّه عن ذلك كله -، فلم يجز أن يُسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجز في الشريعة ذلك فبطل». اهـ، ونقله الحافظ البيهقي عنه في مناقب أحمد وغيره.

(١) المنهاج (١/١٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٥٢).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/١٠١).

(٤) اعتقاد الإمام أحمد (ص ٧ - ٨، مخطوط).

وهذا الذي صرح به أحمد من تنزيهه الله عن هذه الأشياء الستة هو ما قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السنة الموافقون لأحمد وغيره من السلف في أصول المعتقد، فليعلم الفاهم أن نفي الجسم عن الله جاء به السلف، فظهر أن ما ادعاه ابن تيمية أن السلف لم يتكلموا في نفي الجسم عن الله غير صحيح، وأنه كذب محض والكذب ديدنه، فينبغي استحضار ما قاله الإمام أحمد فإنه ينفذ في نفي تمويه ابن تيمية وغيره ممن يدعون السلفية والحديث.

وهذا البيهقي من رؤوس أهل الحديث يقول في كتاب «الأسماء والصفات»^(١)، في باب ما جاء في العرش والكرسي عقب إيراده حديث: «أتدرون ما هذه التي فوقكم» ما نصه: «والذي روي في آخر هذا الحديث إشارة إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان في القرب والبعد من الله تعالى سواء، وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة والباطن فلا يصح كونه في مكان، واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي: (أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ.

وقال أبو الثناء اللامشي في «التمهيد لقواعد التوحيد» ما نصه^(٢): «وإذا ثبت أنه تعالى ليس بجوهر فلا يتصور أن يكون جسمًا أيضًا لأن الجسم اسم للمتركب عن الأجزاء، يقال: «هذا أجسمٌ من ذلك» أي أكثر تركبًا منه، وتركب الجسم بدون الجوهرية وهي الأجزاء التي لا تتجزأ لا تتصور، ولأن الجسم لا يتصور إلا على شكل من الأشكال، ووجوده على جميع الأشكال لا يتصور أن يكون إذ الفرد لا يتصور أن يكون مطوّلًا ومدورًا ومثلثًا ومربعًا، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواة غيره إياه في صفات المدح والذم لا يكون إلا بتخصيص مخصص، وذلك من أمارات الحدث، ولأنه لو كان جسمًا لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام في الجسمية، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى] اهـ.

(١) الأسماء والصفات (ص ٤٠٠).

(٢) التمهيد لقواعد التوحيد (ص ٥٦).

لقد صرَّح إمام المجسمة ابن تيمية بالدفاع عن عقيدة التجسيم وبموافقة اليهود في معتقداتهم، وافترى على دين الله وعلى رسول الله ﷺ وعلى الصحابة والأل، فقد نسي ابن تيمية أو تناسى أنه كَفَّر المشبَّهة في كتابه المسمى «رسالة الفتوى الحموية الكبرى» تليها «الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى» مطبعة المدني، الطبعة السادسة ص ٤ بقوله أن المشبَّهة والمجسِّمة كفار، فلماذا هذا التناقض والتذبذب والكذب على الناس؟! ما أبعده عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعن منهج السلف الصالح الذين كانوا حربًا على فرق الضلال أمثال ابن تيمية وأتباعه.

قال الله تعالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

[سورة الدخان]

قال الإمام المفسر السلفي محمد بن جرير الطبري في تفسيره ما نصه^(١) :
«والصواب من القول في ذلك قول من قال عنى بها ليلة القدر» اهـ.

قال الإمام المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(٢) : «قال ابن عباس: يُحَكِّمُ اللهُ أَمْرَ الدُّنْيَا إِلَى قَابِلٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا كَانَ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ رِزْقٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ. وَقِيلَ: إِلَّا الشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ فَإِنَّهُمَا لَا يَتَّغَيَّرَانِ، قَالَ ابْنُ عَمْرٍو. قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ أَمْرُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمَلَائِكَةَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ» اهـ.

قال الإمام المفسر النخوي اللغوي الأصولي الفقيه المحدث المحقق المدقق الجليل النبيه النبيل الشيخ عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في الفردوس الأعلى في كتابه الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم: «تقدير الله لا يتغير

اعلم ان تقدير الله تعالى الأزلي لا يُغيَّرُ شيء لا دعوة داعٍ ولا صدقة متصدق ولا صلاة مصل ولا غير ذلك من الحسنات بل لا بد ان يكون الخلق على ما قدر لهم من غير ان يتغير ذلك. وأما قول الله تعالى: ﴿يَمَحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣٩) فليس معناه ان المحو والإثبات في تقدير الله، بل المعنى في هذا ان الله جل ثناؤه قد كتب ما يصيب العبد من عباده من البلاء والحرمان والموت وغير ذلك وأنه إن دعا الله تعالى او أطاعه في صلة الرحم وغيرها لم يُصبه ذلك

(١) طبعة دار الجيل - بيروت، المجلد الحادي عشر الجزء ٢٥ ص ٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن» دار الفكر، الطبعة الأولى ص ١٢٦.

البلاء ورزقه كثيراً أو عمّره طويلاً، وكتب في أم الكتاب ما هو كائن من الأمرين فالمحو والإثبات راجع الى أحد الكتابين كما أشار إليه ابن عباس، فقد روى البيهقي عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٣٩﴾ قال: يمحو الله ما يشاء من احد الكتابين، هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت وعنده أم الكتاب.

والمحو يكون في غير الشقاوة والسعادة، فقد روى البيهقي ايضاً عن مجاهد أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أنه قال يُفْرَقُ في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق او مصيبة، فأما كتاب الشقاء والسعادة فإنه ثابت لا يغيّر.

فلذلك لا يصح عن رسول الله (ﷺ) الدعاء الذي فيه: إن كنت كتبتني في أم الكتاب عندك شقياً فامح عني اسم الشقاء وأثبتني عندك سعيداً، وإن كنت كتبتني في أم الكتاب محروماً مقتراً علي رزقي فامح عني حرمانني وتقتير رزقي وأثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير، فإنك تقول في كتابك ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٣٩﴾ ولا ما أشبهه، ولم يصح هذا الدعاء ايضاً عن عمر ولا عن مجاهد ولا عن غيرهما من السلف. كما يُعلم ذلك من كتاب «القدر» للبيهقي.

بعض الناس يعتقدون انه إذا تصدق من مالٍ من حلال الله يغيّر مشيئته وبعضهم يظن ان الدعاء يغيّر مشيئة الله وهذا غير صحيح بل اعتقاده كفر لأن فيه نسبة التغيير الى الله، والتغيير هو أكبر أدلة الحدوث، أكبر الأدلة انّ هذا الشيء حادث. الحسنات لا تغيّر مشيئة الله، بل لا بد ان يحصل من الخلق ما شاء الله حصوله منهم من غير ان يتغيّر ذلك. من شاء الله له ان يحيا لا بد أن يحيا، من شاء الله له ان يموت في لحظة لا بد له ان يموت في تلك اللحظة، من أراد الله له ان يهتدي لا بد ان يهتدي، من شاء الله له ان يكون واسع الرزق لا بد ان يكون كذلك ومن شاء الله له ان يكون فقيراً لا بد ان يكون كذلك. رجلٌ من الناس كان مسافراً ومعه زوجته وكانت زوجته حاملاً كانوا مسافرين في أرضٍ لا بشر فيها يسكنونها في أثناء السفر جاء الوضع

لزوجته فولدت ولدًا غلامًا صبيًا ثم بعد ان ولدته ماتت، فدفنها زوجها واحترار في أمر الولد، ففكر أنه إذا أخذه معه سيموت في الطريق لأنه لا يوجد من يُرضعه وسيمر وقت طويل قبل ان يصل الى موضع فيه بشر فوضعه في غارٍ هناك ووضع حجارةً على باب الغار حتى لا يدخل حيوانٌ فيفتَرسه ومضى، لأنه خشي ان يموت ولده عطشًا، لا ماءً معه ولا غير ذلك، ثم هذا الرجل نجى في ذلك السفر، وصل الى مقصده، وظن ان ولده قد مات، ثم بعدما أنهى عمله الذي كان يريد رجوع الى ذلك الموضع، فوجد الغلام حيًّا فيه وهو يرضع إصبعه وقد جعل الله له في أصبعه ثقبًا ينزل منه الحليب. هذا الكلام المذكور في كتب أهل العلم يروونه بالإسناد عن ذلك الشخص هذا يدل على انه لا يحصل للعبد إلا ما أراد الله. قال تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه فسّر هذه الآية فقال: يغفر ذنبًا معناها ان الله كل يوم يغفر ذنبًا، ويفرّج كربًا ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء اي يغيّر أحوال العباد على حسب علمه الأزلي ومشيتته الأزليه من غير ان تتغير مشيتته ومن غير ان يتغيّر علمه. ومما يدل على ما ذكرناه أي ان القضاء المُبرم لا يتغيّر مهما دَعَّ الداعي او تصدّق المتصدق او فعل المُحسن من الحسنات أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: [سألتُ ربي أربعمائة فأعطني ثلاثًا ومنعني واحده، سألتُهُ ألاَّ يهلك أمتي بسنةٍ عامَّة] يعني ألاَّ يأتي على المسلمين مجاعة يموت بها كل المسلمين قال: [فأعطانيها، وسألتُهُ ألاَّ يهلكهم بما أهلك به الأمم من قبلهم] أي كأمة عاد وثمود كالذين أهلكوا بصيحة جبريل او بالريح، معناه ان النبي طلب من ربه ألاَّ يهلك كل أمة ألاَّ يموت كل أمة بعذاب عذَّب به الأمم من قبلهم فأعطانيها، قال: [وسألتُهُ ألاَّ يُظهر عليهم عدوًّا من غيرهم يستأصلهم] يعني ألاَّ يأتي عدو من غير المسلمين فيقتل كل المسلمين. قال: [فأعطانيها، وسألتُهُ ألاَّ يجعل بأسهم بينهم] يعني ألاَّ يتقاتل المسلمون في ما بينهم، قال: [فمنعنيها]. هذا الحديث رواه ابن مردويه ورواه مسلم أيضًا برواية أخرى وفيها عبارةٌ زياده على رواية ابن مردويه، وهي ان الله تعالى قال: [يا محمد إني إذا قضيتُ أمرًا فإنه لا يُرد] لذلك قال ابن

عباس رضي الله عنه لا ينفع الحذرُ من القدر يعني إذا قدر الله على إنسان ان يصيبه شيء مهما اجتهد وحسب لا بد ان يقع في هذا الشيء، وهو له عباره أخرى: إذا وقع القدر عمي البصر، يعني إذا شاء الله لإنسان ان يقع في شيء مهما كان هذا الإنسان ذكياً وحذراً لا بد ان يقع فيه كأن بصره يعمى عن ذلك. ولقوله هذا مناسبة، كان ابن عباس يكلم بعض الناس في تفسير بعض آيات القرآن فكان من جملة ما قال لهم، إن الهدهد يرى الماء تحت الأرض هذا مذكور في القرآن ومن الناس من كان يستفيد منه في معرفة اين يحفرون لإخراج الماء، فقال له إنسان خبيث، هذا الإنسان من الخوارج الشاذين عن عقيدة أهل السنة، قال له: فكيف يقع في الفخ؟ يرى الماء تحت الأرض ثم يقع في فخ الصياد، لا يرى فخ الصياد؟ فقال له ابن عباس: إذا وقع القدر عمي البصر، اي يقع فيه الشخص كأنه أعمى. ما ذكرناه من المحو من بعض كتب الملائكة لا يدخل على الشقاوة والسعادة، المراد الشقاوة والسعادة الأخرويان هذا يكون مكتوباً في كتاب للعبد ولا يتغير، مكتوب هل يختم له على خاتمة خير او خاتمة سوء. قضاءً مبرماً هذا لا يدخله التغير. هنا يعلم مما ذكرناه انه لا يصح ما يقوله بعض الناس، ليس صحيحاً ان النبي قاله، في ليلة النصف من شعبان بعض الناس اعتادوا ان يقولوا دعاءً، يقولون: اللهم إن كنت كتبني في أم الكتاب شقياً فامح عني اسم الشقاء واثبني عندك سعيداً وإن كنت كتبني في أم الكتاب محروماً مقتراً علي في الرزق فامح عني حرمانني وتقتير رزقي، فإنك تقول في كتابك: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ (٣٩). هذا الدعاء لم يصح عن رسول الله، ولم يصح عن عمر، ولم يصح عن مجاهد، ولا عن غيرهم من السلف، كما بين ذلك الإمام البيهقي في كتاب القدر، لكن الذين يقولونه لا يُحکم عليهم بحكم واحد، إنما يقال: من قاله وكان يفهم منه يا رب غير مشيئتك، فهذا كفر، أما من قاله وهو يفهم منه يا رب إذا كنت كتبتني أن أكون لمدته من الزمن على حال سيئه فغير حالي الى حال حسنة لا يكفر، فالحكم يرجع الى قصد الشخص في هذه المسألة. اهـ.

قال الله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (٢٣)

[سورة الجاثية]

الإله: من له الألوهية وهي القدرة على الإبداع والاختراع، فلا يُطلق «الإله» بحسب الأصل على غير الله تعالى، إنما المشركون استعاروا هذا اللفظ وأطلقوا على معبوداتهم كلمة «الإله».

الشخص الذي يعبد حجرًا يُقال هذا إلهه، إله هذا الشخص أي معبوده، وأما أن يطلق على هذه الأحجار إله فلا يجوز لغةً ولا شرعًا.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه «تأويلات أهل السنة»^(١) : «على التحقيق، ما قاله عامة أهل التأويل: أنهم عبدوا كل شيء استحسنوه، فإذا استحسنوا شيئًا آخر أحسن منه تركوا عبادة الأول وعبدوا الثاني، فتلك كانت عادتهم، وذلك اتخاذ الآلهة بهواهم، إذ الإله هو المعبود عندهم، وهو التحقيق الذي ذكرنا» اهـ.
قال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»^(٢) : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (٢٣) يعني تركوا متابعة الهدى وأقبلوا على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كما يعبد الرجل إلهه» اهـ.

قال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة ٤٥٠هـ، في تفسيره «النكت والعيون»^(٣) : «الثاني: أفرايت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه، فإذا استحسن شيئًا وهوى به اتخذه إلهًا، قاله عكرمة. قال سعيد بن جبیر: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر.

(١) تأويلات أهل السنة (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ المجلد التاسع ص ٢٢٧).

(٢) التفسير الكبير (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ المجلد الرابع عشر، الجزء ٢٧ ص ٢٣٠).

(٣) النكت والعيون (طبع دار الكتب العلمية، المجلد الخامس ص ٢٦٥).

الثالث: أفرايت من ينقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده تعجباً لذوي العقول من هذا الجهل» اهـ.

قال القنوي في حاشيته على تفسير البيضاوي^(١): «قوله اتخذ أي جعل إلهه أي معبوده هواه» اهـ.

يُقال عن عبدة الشمس، الشمس إلههم وعن عبدة القمر القمر إلههم، يُقال لهم هذا إلهكم، هذه الشمس إلهكم أي تعبدونها من دون الله باطلا، على هذا المعنى يُقال، أما أن يطلق عليهم بلا تقييد فيُقال الشمس إله وكل شيء أحبه الإنسان وتعلق به قلبه فهذا كفر.

بعض الأشخاص ممن ينتسبون إلى العلم وهم جماعة وأتباع الجهول رجب ديب الدجال الدمشقي يقولون بوجود ستين إلهًا، هذا ضلال وكفر وإلحاد، قال الله تعالى: ﴿أَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، بعد هذا كيف يستجيزون أن ينطقوا بهذا؟! يقولون إلى ستين إلى مائة ألف إله، كيف يتجرؤون على هذا القول الخبيث، يُقال لهم أنتم ألا تحبون المال؟ فإن قالوا بلى، نقول لهم إذا أنتم تعبدون المال على قولكم، إلهكم المال على قولكم، شهدتم على أنفسكم بأنكم كفار.

هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾، الله تعالى أنزلها في مشركي مكة وغيرهم، العرب لما بعث رسول الله ﷺ كانوا على عبادة الأوثان، كل قبيلة كان لها طاغوت، هذا الطاغوت شيطان ينزل على إنسان يتكلم على لسانه فيجتمع الناس على هذا الإنسان تعظيمًا لهذا الشيطان الذي ينزل عليه فيتكلم على لسانه.

كل قبيلة كان لها هذا الشيء، وكانوا يعبدون الحجارة على هذا الشكل، الواحد منهم إذا استحسّن حجرًا يتخذهُ إلهًا، يعكف على عبادته يقول هذا الحجر يقربني إلى الله على زعمه ثم يرى حجرًا آخر أحلى منه منظرًا فيلقي هذا ويعبد ذلك، عن هذا قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾، انظروا كيف حرفوا القرآن، قالوا كل ما تعلق به قلب الإنسان فهو إله.

(١) (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ، المجلد السابع عشر ص ٤٣٤).

إِذَا أَيْنَ هُمْ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾ [سورة النساء] ومن قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد].

لفظ «الإله» وضع للدلالة على الله ليس ليستعمل في غير الله تعالى لكن المشركين عباد الأوثان استعاروه فأطلقوه على ما يعبدونه من دون الله، هكذا في المصباح المنير في حرف الألف، المصباح المنير في كتب اللغة مشهور، أما الذي يقول كل شيء يتعلق به قلبك فهو إله فهؤلاء حرفوا دين الله، على قولهم الذي يحب سيارةً ويتعلق قلبه بها كافر والذي يحب بناءً فخماً كذلك عندهم مشرك عبد غير الله، ذلك الشيء صار إلهًا له معناه صار يعبد، الذي فيه عقل لا يقول هذا، يكفيهم دليلاً رادعاً عن قولهم هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾ [سورة النساء]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدَهُ﴾ [سورة المائدة].

كان يكفيهم هذا رادعاً لهم عن هذا الكلام الخبيث لكن القلوب إذا أفلها الله تعالى عن فهم الصواب والهدى والرشاد ترى القبيح حسن والحسن قبيحاً.

هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ [سورة الجاثية] فسرّها ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رجل من المشركين يعبد حجراً ثم يلقي حجراً آخر أحسن منه فيلقيه ويأخذ هذا فيعبده فأنزل الله هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ [سورة الجاثية]، معناه يا محمد اعجب من هؤلاء المشركين».

الله تعالى أمر عباده أن يقولوا هذه الكلمة للدخول في الإسلام وللذكر، هذا إن كان كافراً يدخل بها في الإسلام «لا إله إلا الله» ومن كان مسلماً يجدد بها إيمانه «لا إله إلا الله» هذا دليل على أن «الإله» إذا أطلق لا يُطلق إلا على رب العالمين أما إذا أريد غيره تعالى في معرض التحقير للمشركين نقول «إلههم - إلهكم» نقول لهم مع الإضافة مع القيد أما بدون قيد فلا يطلق «الإله» إلا على الله، العرب وضعت لفظ «الإله» ليقصد به الله رب العالمين ولذا أرادوا غيره يقيدون أما إن قال هذا اللفظ وهو جاهل باللغة العربية وهو يقصد بها بغير حق لا نُكفِرُهُ لكن إذا قال الذي يشارك

هذا أظهر ما بقي له تأويل، كذلك الخبيث الذي يقول «وإله الهوى الذي يشارك» ما تركت له حبلًا من التأويل، لو قال «وإله الهوى الذي عند المشركين عند الكفار يتخذونه إلهًا» مجرد هذا ليس كما قيل «وإله الهوى الذي يشارك»، مثل كلمة «لا إله إلا الله». لو كان «الإله» يطلق على غير الله عند الإطلاق ما أمر الله عباده أن يقولوا «لا إله إلا الله» هذا أكبر دليل على أن «الإله» عند الإطلاق لا يراد به إلا رب العالمين عند الإطلاق لذلك صحت هذه الكلمة وصارت هي كلمة الإخلاص وكلمة التقوى وإلا لم تصح. لو كان يطلق «الإله» على كل معبود من دون الله بلا تقييد لم تصح كلمة لا إله إلا الله.

وأما ما يروى أن الرسول قال: «ما تحت أديم السماء إله يعبد من دون الله أعظم من الهوى»، هذا موضوع عند أهل الحديث ما له أساس، أما «الإله» إذا أُطلق فهو المعبود بحق وهو الله تعالى، لذلك لا تجد في القرآن إطلاق «الإله» على غير الله إلا مع التقييد إما بالإضافة كما في قوله تعالى للمشركين ﴿إِلَٰهَهُمْ﴾ [سورة فصلت]، هنا صار مضافًا ليس مطلقًا، كذلك هناك في موضع آخر الله أخبرنا عن موسى أنه قال للسامري: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِفَنَّهُ. ثُمَّ لَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [سورة طه]، الآية ﴿إِلَىٰ إِلَٰهِكَ﴾ أضاف معناه معبود عندك ليس هو معبودا يستحق أن يعبد إنما هو عندك عُبِدَ من دون الله، من حيث البلاغة أليس فيها تحقير أيضًا؟ بل هنا في مقام التحقير ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ في معرض الإهانة مضاف إلى التحقير، معناه أنت اتخذته إلهًا هو ليس إلهًا، لو كان لفظ «الإله» يطلق على المعبود بحق وعلى المعبود بباطل لم تصح كلمة لا إله إلا الله، لكن بما أن كلمة «الإله» لا تطلق عند الإطلاق إلا على الله، لا تكون إلا على الله المعبود بحق.

فلا إشكال إذا قيل للكفار هذا إلههم بمعنى هذا معبودهم لا بمعنى الموافقة لهم بل بمعنى الذم لهم، هذا ما فيه شيء. وقال الإمام الهمام الشيخ فخر الدين بن عساكر مؤرخ بلاد الشام رحمه الله في رسالته التي أسماها «رسالة ابن عساكر» بعد

كلام ما نصه: «وهكذا كل أسمائه تدل على الكمال فيستحيل عليه الاسم الذي يدل على النقص فلا يصح أن يسمى الله روحًا ولا عقلاً كما يقول بعض الجهال» فلا يجوز تسمية الله بآه، من ذكر الله بآه فقد عصى الله وبعض أهل الطرق يقولون «آه من أسماء الله» ولا يجوز ذلك لأن «آه» لا يدل على الكمال بل يدل على العجز والضعف.

وقد قال علماء اللغة أن «آه» كلمة وضعت تقال عند الشكاية والتوجع، فكيف يُذكر الله تعالى بلفظ وضع للشكاية والتوجع؟! ولم يرد في كتاب الله ولا في حديث رسول الله ﷺ أن «آه» من أسماء الله، والحديث الذي يَحْتَجُّ به هؤلاء رواه الرافعي في تاريخ قزوين بإسناد فيه كذابٌ من حديث عائشة أنها قالت: دخل علينا رسول الله وعندنا مريض يئن فقلنا له اسكت فقال دعوه فإن الأنين اسم من أسماء الله. هم تمسكوا بهذا الحديث الموضوع، اختلف العلماء في الأنين للمريض قال بعضهم مكروه وقال بعضهم إنه مباح فكيف يُتقرب إلى الله وكيف يجوز أن يُذكر الله بلفظ اختلف العلماء فيه بين الكراهة الإباحة، لو كان اسمًا من أسماء الله لرفعوه عن هذا المقام.

قال الله تعالى :
﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

[سورة محمد]

هذه الآية فيها إثبات فعل المعصية في حق الرسول ﷺ وفي حق أمته، فنحن نقول اقتداءً بالجمهور واستغفر لذنبك هي معصية حقيقية صغيرة ليس فيها خسة ولا دناءة فأمر الرسول بالاستغفار منها فاستغفر.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتابه «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(١) :
«وجائز أن يكون له ذنب فيأمره بالاستغفار له، لكن نحن لا نعلم، وليس علينا أن نتكلف حفظ ذنوب الأنبياء عليهم السلام وذكرها» اهـ.

ولكن الأنبياء إن حصل منهم شيء من المعاصي الصغيرة التي ليس فيها خسة ولا دناءة ينبهون فوراً للتوبة فيتوبون قبل أن يقتدي بهم في تلك الصغيرة غيرهم فيفعل مثلما فعلوا لأنهم قدوة للناس.

وأما قوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فقد فسره بعض العلماء بأن معناه ليحفظك الله من ذنبك في ما مضى وما بقي من عمرك. وفسره بعضهم بغير هذا.

بعض الأشاعرة قالوا لا يجوز من الأنبياء معصية ولا مكروه لأن الناس مأمورون بالاقتداء بهم فلو كان يحصل منهم ذنب أو مكروه لكان في ذلك أمر للناس بالاقتداء بهم في المعصية والمكروه وهذا باطل فوجب تنزيههم عن المعصية والمكروه بالمرة. ويدفع هذا على قول الجمهور بأنهم ينبهون قبل أن يقتدي بهم أحد فيتوبون فلا يحصل اقتداء الناس بهم في ذلك فلا يلزم من ذلك أن يكون الأتباع مأمورين

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد التاسع ص ٢٧٤).

بالاقتداء بهم في المعصية والمكروه وبذلك اندفع المحذور.
فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام تجوز عليهم المعاصي الصغيرة التي ليس فيها
خسة ولا دناءة ويستحيل عليهم الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها
وهذا القول الموافق للأصول والقواعد وقد مرَّ بيان ذلك موسعاً قبل الآن فنكتفي
هنا بهذا القدر.

قال الله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قَلِيلًا لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا
يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

[سورة الحجرات]

هذه الآية نزلت في بني أسد الدين أظهروا الإسلام في سنة مجدبة طالبين الصدقة ولم تكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان أظهروا الإسلام وكانوا يؤدون صورة الصلاة وراء النبي والنبي لم يكشف له أمرهم إلا بعد نزول الآية فأخبرهم الله تعالى بأن الإيمان ليس بالقول فحسب إنما هو بالقلب فما آمنتم ولكن قولوا أسلمنا أي انقذنا واستسلمنا، فمن هنا لا يجوز أن يتوهم متوهم أن الآية في سورة الحجرات تعطي معنى أن الإسلام والإيمان من حيث الشرع مختلفان وقد مر معنا أن الإسلام في الآية معناه الانقياد ظاهراً وهذا معناه اللغوي، وأما من حيث الشرع فقد عرفنا معنى الإسلام ومعنى الإيمان ولذلك قال علماء الأمة: إن من قال يصح أن يكون العبد عند الله مسلماً غير مؤمن أو مؤمناً غير مسلم فهو ضال من الضالين الجاهلين باللغة والدين.

وسنذكر إن شاء الله أقوال بعض المفسرين في هذه الآية لزيادة الإيضاح. منهم أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٥٤هـ قال في «النهر الماد من البحر المحيط» ما نصه^(١) : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا ﴾ : قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة أظهروا الإسلام وقلوبهم دخلة إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فردّ الله عليهم بقوله ﴿ قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ كذبهم الله تعالى في دعوى الإيمان ولم يصرح بأكاذيبهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء

(١) النهر الماد من البحر المحيط (ص ٩٨٢).

إيمانهم وهذا في إعراب مخصوصين ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ فهو اللفظ الصادق من قولكم وهو الانقياد والاستسلام ظاهراً، فلذلك قال الله تعالى: ﴿ وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ وجاء النفي بـ ﴿ وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الدالة على انتفاء الشيء إلى زمان الإخبار به». اهـ

وقال الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ في تفسيره ما نصه^(١): « ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا ﴾ أي بعض الأعراب لأن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، وهم أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا ﴾ أي ظاهراً وباطناً. ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (لهم يا محمد { ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ لم تصدقوا بقلوبكم ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ فالإيمان هو التصديق، والإسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فاعلم أنه ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو الإسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان وهذا من حيث اللغة، وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد كما عرف». اهـ

وقال الإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفى سنة ٧٢٥هـ في كتابه تفسير الخازن ما نصه^(٢): « ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا ﴾ الآية نزلت في نفر من بني أسد قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فأفسدوا طرق المدينة بالقذارات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ فيقولون: أتتكم الأعراب بأنفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلتك بنو فلان وبنو فلان، يمتنون على رسول الله بذلك ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا، فأنزل الله

(١) صحيفة (١٧٣ - ١٧٤).

(٢) تفسير الخازن (ص ١٧٣).

فيهم هذه الآية: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا﴾ أي صدقنا ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي لم تصدقوا بقلوبكم ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أخبر أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص فالمؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة. اهـ

ووجدنا في كتاب تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي في تفسير هذه الآية: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا﴾ نفر من بني أسد ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهراً. اهـ

فائدة: قال الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٦هـ في كتابه «زاد المسير» وصفهم الله عز وجل بالإيمان والإسلام لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. اهـ

ومن أقوى الأدلة على أن الإسلام والإيمان هما شيء واحد قول الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾. قال النسفي فيها: «وفيه دليل على أن الإسلام والإيمان واحد لأن الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا». اهـ

وقال الخازن الذي مر ذكره في تفسير هذه الآية: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي من قرى قوم لوط ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ يعني لوطا وبنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

وقد ذكر الأندلسي في البحر المحيط في تفسيره لهذه الآية أن الإسلام والإيمان من حيث الشرع واحد. اهـ

وقال الحافظ السيوطي في تفسير هذه الآية: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو لوط وبناته وصفوا بالإيمان والإسلام أي مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات. اهـ

ومن جملة الأدلة على أن المسلمين هم المؤمنون قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ سَمِعْتَ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٣) [سورة الروم].

كذلك قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي

مُسْلِمِينَ ﴾ (٣٨).

ولا يغفل أن قوم بلقيس كانوا كفارًا، فقول سليمان: ﴿ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٣٨) منقادين طائعين وهذا كان قبل أن تؤمن ومن معها بالله العظيم ففي هذا دليل على أن الإسلام من حيث اللغة يُطلق على الانقياد والاستسلام، وأما شرعًا فهو الانقياد والاستسلام لكل ما جاء به النبي ﷺ.

ومن جملة الأدلة الساطعة على أن الإيمان والإسلام شيء واحد الآية في سورة آل عمران: ﴿ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

فقد قال الإمام النسفي في تفسيره الجزء الأول عند ذكر تفسيره للآية: ﴿ قَالَ

الْخَوَارِثُوتُ ﴾ حوارِي الرجل صفوته وخاصته ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ أعوان دينه ﴿ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ ﴾ يا عيسى.

﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدًا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد. اهـ. وفي تفسيره لسورة النمل يورد دليلًا على أن الإسلام من حيث اللغة الانقياد فيقول تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ منقادين لك مطيعين لأمرك.

كذلك يقول في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (٦١) الذين صدقوا بآياتنا ﴿ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (٦١) لله منقادين له.

وهذا دليل آخر واضح، ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ (١٠٣) الآية في [سورة

الصفات].

يقول النسفي رحمه الله: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ (١٠٣) انقادا لامر الله وخضعا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. أي انقاد لمشيئته الكل، الكافر والمؤمن.

وقد سئل الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله العبدري رضي الله عنه عن الذي يفرق بين الإيمان والإسلام فأجاب بقوله: «إن كان يقصد بهذا أن المرء قد يكون مسلماً عند الله وليس بمؤمن عنده فهو ضالٌّ لأنه في الحقيقة لا يكون المرء مسلماً عند الله تعالى حتى يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً هذه هي الحقيقة.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

هذه الآية تعني أن أولئك الأعراب الذين يتظاهرون بالإسلام يتشبهون ويصلون مع المسلمين، وقلوبهم لم تؤمن.

فالله تبارك وتعالى يخبر نبيه بأن هؤلاء الذين يقولون ءأما ولم تؤمن قلوبهم أي لم يعتقدوا صحة الإسلام، لا يعتقدون أن الإسلام في نفوسهم صحيح وهم يدعون أنهم آمنوا وهم لم يؤمن قلوبهم، قل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا أي انقدنا انقياداً ظاهراً أي استسلمنا هذا إسلام لغوي ليس إسلاماً شرعياً، لأنه في اللغة: [أسلم الرجل لفلان] معناه: انقاد له، خضع له.

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي انقدنا، استسلمنا ظاهراً، هذا معناه، ليس معناه أننا أسلمنا إسلاماً شرعياً ما أسلموا إسلاماً شرعياً، لأن الإسلام الشرعي لا يصح إلا مع التصديق القلبي، إلا مع الإيمان القلبي، الإسلام الشرعي لا يصح إلا مع الإيمان القلبي، والإيمان القلبي أي التصديق وحده بدون نطق بالشهادة لا ينفع، الشخص الكافر الذي خرج من أبوين كافرين ثم صار عنده تعلق بالقلب بالإسلام أحب الإسلام وأحب النبي، أحبه بقلبه حباً شديداً لكنه لم ينطق بـ «لا إله إلا الله» مرة، هذا ما زال كافراً، تصديقه لا ينفعه، تصديقه بقلبه أن محمداً جاء بدين الحق وأن الإسلام هو الصحيح وما سواه فليس حقاً هذا التصديق بالقلب والتعلق بمحمد لا يجعله عند الله مؤمناً ولا مسلماً.

هذه الآية: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا﴾ كثير من الناس يفهمونها على غير وجهها، وهذا وجهها أن الإسلام المذكور فيها معناه الإسلام اللغوي وهو الانقياد ليس الدخول في دين الإسلام، لأن الإسلام أي العمل الظاهر الشهادتان والصلاة ونحو ذلك لا يكون معتبراً عند الله تعالى إلا مع التصديق إلا مع الإيمان القلبي، والإيمان القلبي وحده لا يكفي بل لا بد أن يجتمعا، أن يجتمع الأمران: النطق بالشهادة باللسان والإيمان القلبي، لا بد من اجتماع هذين الأمرين عندئذ يكون مسلماً لأنه نطق، ويكون مؤمناً لأنه صدق بقلبه». انتهى كلام الحافظ العبدري فتأمل فيه رحمك الله وانظر بعين البصيرة. فإن في ما ذكر إيضاح كامل بين في الآية التي في سورة الحجرات.

فائدة مهمة: الإيمان في اللغة التصديق، أما في الشرع فهو تصديق مخصوص، أي التصديق بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام. والإسلام في اللغة الانقياد، وفي الشرع انقياد مخصوص، وهو الانقياد بما جاء به النبي محمد ﷺ وتصديق ذلك بالشهادتين.

وقد قال الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد ابن جعفر بن القاسم الباقلافي في كتابه «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» في باب القول في معنى الإسلام ما نصه^(١): «إن قال قائل: فما الإسلام عندكم؟ قيل له: الإسلام هو الانقياد والاستسلام، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام، والإيمان خصلة من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً.

فإن قال: لم قلت ذلك وإن معنى الإسلام هو ما وصفتم؟ قيل له: لأجل قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. فنفي عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام، وإنما أراد بما أثبتته الانقياد والاستسلام ومنه قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾ وكل من

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص ٣٩٠).

استسلم لشيء فقد أسلم، وإن كان أكثر ما يستعمل ذلك في المستسلم لله عز وجل
ولنبيّه عليه الصلاة والسلام». اهـ

وقد جاء في شرح الإمام النووي رضي الله عنه على صحيح مسلم رحمه: «كل
مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً».

فالجواب على هذا الكلام أن يقال كما قال الإمام الهمام عبد الله الأثري: «هذا
بحسب ما يكون عند الناس هكذا ليس باعتبار الحقيقة، باعتبار الحقيقة المسلم مؤمن
والمؤمن مسلم لكن باعتبار الناس قد يكون الرجل يُظهر الإيمان ويتشّهّد ويُصلي وقلبه
كافر هذا بحسب الظاهر مسلم، أما من حيث الحقيقة فليس مؤمناً». اهـ

خاتمة: فعلى العاقل أن يفكر ماذا يقول وهل هو موافق لشرع الله، ولا ينبغي له أن
يتكلم بحسب هوى النفس الأمارة بالسوء ناسياً أو متناسياً أن كل ما يتلفظ به يكتبه
الملكان رقيب وعتيد إن كان خيراً أو شراً، ولا يتسرع في إطلاق الفتوى بحسب
الهوى والغرض فإن ما يمليه عليه الشيطان، وما يوحي به إليه مما فيه معارضة الدين
وتكذيب للنبي وتعطيل لآيات القرآن الكريم يؤدّي بالشخص إلى جهنم وبئس
المصير، وساءت مرتفقاً، وهذا الذي فرق بين الإيمان والإسلام من حيث الشرع قد
ضلّ وهوى، وإنما يتبع الهوى وإن بقي على هذا الحال فلا شك أنه سيتدردى وأين؟
في لظى نزاعة للشوى، نعوذ بالله منه ومن ضلاله، ومن الغوى.

نسأل الله أن ينفعنا بما قدّمنا وأن ينفع به المسترشد المستنصر طالب الحق
والصواب والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على النبي ومن تلا وسلام على
عباده الذين اصطفى أفضل الخلق محمد ﷺ.

قال الله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٤٧)

[سورة الذاريات]

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقدرته، وليس المقصود باليد هنا الجارحة التي لنا فإن الله منزه عن ذلك. فاليد تأتي بمعنى القدرة، والقدرة هي القوة.

قال الإمام أبو بكر ابن فورك تلميذ تلميذ الأشعري في كتابه «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري»^(١) ناقلاً عن أبي الحسن الأشعري قوله في تفسير الآية: «والسماء بنيناها بأيدي»، قال: «أي بقوة» اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي قادرون، وليس كما قال بعض العصريين حيث زعموا أن الكون في اتساع دائم، فهذا كذب مردود.

وتأتي اليد بمعنى العهد كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح]، أي عهد الله فوق عهودهم أي ثبت ووجب عليهم عهد الله، لأن معاهدتهم للرسول تحت شجرة الرضوان في الحديبية على ألا يفروا معاهدة لله تبارك وتعالى لأن الله تعالى هو الذي أمر نبيه بهذه المبايعة.

وأما قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة المائدة]، فمعناه غني واسع الكرم.

فمن حمل إضافة الوجه أو اليد أو العين الوارد في القرآن أو الحديث في حق الله تعالى على الحقيقة كما فعل ابن تيمية وابن عثيمين في كتابه المسمى «فتاوى العقيدة» وبقية المجسمة المشبهة فقد كذب الله تعالى وكفر به لأن حقيقة اليد وحقيقة العين وحقيقة الوجه هذه الأعضاء والجوارح المؤلفة والمركبة في الإنس والجن والملائكة والبهائم ومن وصف الله بشيء من ذلك فقد جعله حادثاً عاجزاً

(١) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري (دار المشرق ص ٤٤).

محتاجًا لمن جعله على هذه الصفة والاحتياجية تنافي الألوهية والوجه والعين واليد
إذا أضيفت إلى الله فلها معنى يليق بالله تعالى ليس بجسم ولا حجم ولا جارحة ولا
هيئة ولا صورة ولا كيفية ولا كمية والحمد لله الذي وفق أهل السنة لمعرفة العقيدة
الصحيحة.

قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾

[سورة النجم].

معناه أن جبريل عليه السلام اقترب من سيدنا محمد ﷺ فتدلى إليه فكان ما بينهما من المسافة بمقدار ذراعين بل أقرب، وقد تدلى جبريل عليه السلام إلى محمد ودنا منه فرحاً به.

وليس الأمر كما يفترى بعض الناس أن الله تعالى دنا بذاته من محمد فكان بين محمد وبين الله كما بين الحاجب والحاجب أو قدر ذراعين، لأن إثبات المسافة لله تعالى إثبات للمكان وهو من صفات الخلق وهو كفر صريح، أما الخالق فهو موجود بلا كيف ولا مكان، لا يكون بينه وبين خلقه مسافة.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»^(١) : «عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ قالت رضي الله عنها: كان جبريل عليه السلام يأتي محمداً ﷺ في صورة الرجل فأتاه هذه المرة قد ملأ ما بين الخافقين. رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن يوسف. ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، كلاهما عن أبي أسامة». ويقول^(٢) : «عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها في قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزَلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ ﴿٣٣﴾ ﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة قال لرسول الله ﷺ هذا، فقال ﷺ: جبريل رأته بالأفق المبين». ويقول^(٣) : «قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في تقدير قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ على ما تأوله عبد الله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما من رؤيته ﷺ

(١) الأسماء والصفات (الطبعة الأولى ١٩٨٥ دار الكتاب العربي، الجزء الثاني ص ١٧٩).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٨١).

(٣) المصدر نفسه، (ص ١٨٧).

جبريل عليه السلام في صورته التي خلق عليها، والدنو منه عند المقام الذي رُفِع إليه وأقيم فيه قوله المعنى في جبريل عليه السلام تدلى من مقامه الذي جعل له في الأفق الأعلى فاستوى أي وقف وقفه ثم دنا فتدلى أي نزل حتى كان بينه وبين المصعد الذي رُفِع إليه محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى في ما يراه الرائي ويقدره». ويقول^(١) : «وروت عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ما دل على أن قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩) المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته التي خلق عليها». ويقول^(٢) : «قال أبو سليمان: والمكان لا يُضاف إلى الله» اهـ.

قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني الشافعي في كتابه «الشامل في أصول الدين»^(٣) : «ليس في هذه الآية تصريح بذكر الإله وإضافة القرب إليه، فلم ادّعيتم أنه سبحانه وتعالى هو المعني بمضمون الآية؟ ولم وصفتم ربكم بالحد والمقدار بتوهم منكم وظن؟ ثم نقول: لعله ﷺ قرب من درجة لم يبلغها إلا أرفع الخلائق وأعلاهم شأنًا. ثم نقول: الدنو يُحمل على القرب والطاعة - القرب المعنوي لأن القرب المكاني والحسي محال على الله تعالى -، وذكر ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ تأكيدًا له. وهو كما حمل قوله - في الحديث القدسي - : إذا تقرب العبد إليّ ذراعًا، تقربت منه باعًا، على القرب والطاعة والرفقة اهـ.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»^(٤) : «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه - أي عن الله - بقول النبي ﷺ: أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ.

(١) الأسماء والصفات (ص ١٨٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص / ١٨٨).

(٣) الشامل في أصول الدين (الطبعة الأولى ١٩٩٩، دار الكتب العلمية صحيفة ٣٢٩).

(٤) الأسماء والصفات ص ٤٠٠.

أما ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أنكم ذَلَّيْتُمْ رجُلًا بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله» رواه الترمذي، هو حديث ضعيف، والحديث الضعيف لا يُحتج به في العقائد والأحكام ولا حاجة لتأويله، ولكن تأوله بعض علماء الحديث على أن علم الله شامل لجميع الأقطار وأنه منزّه عن المكان، فالشاهد هو في استدلال العلماء به على نفي المكان عن الله، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار، فالتقدير لهبط على علم الله، والله سبحانه وتعالى تنزه عن الحلول في الأماكن، فالله سبحانه وتعالى كان قبل أن تحدث الأماكن» اهـ، نقله عنه تلميذه الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة»^(١)، وذكره أيضًا الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد بن طولون الحنفي^(٢) وأقرّه عليه.

وقال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»^(٣): «والذي رُوِيَ في آخر هذا الحديث إشارةً إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء - لأن الله لا يوصف بالقرب والبعد بالمسافة - وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، والباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان» اهـ. وكذلك استدل به أبو بكر بن العربي المالكي في شرحه على سنن الترمذي^(٤) على أن الله موجود بلا مكان، فقال ما نصه: «والمقصود من الخبر أن نسبة البارئ من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت، إذ لا ينسب إلى الكون في واحدة منهما بذاته» اهـ. أي أن الله منزّه عن الجهة فلا يسكن فوق العرش كما تقول المجسمة، ولا هو بجهة أسفل، لأن الله تعالى كان قبل الجهات الست، ومن استحال عليه الجهة استحال عليه المكان، فالله تعالى لا يحل في شيء ولا يشبه شيئًا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

(١) المقاصد الحسنة (رقم ٨٦ / ص ٣٤٢).

(٢) الشذرة في الأحاديث المشتهرة (٧٢ / ٢).

(٣) الأسماء والصفات (ص ٤٠٠).

(٤) عارضة الأهودي (١٢ / ١٨٤).

ومن الأحاديث الدالة على تنزيه الله عن الجهة ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء».

قال الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي في شرحه لسنن النسائي^(١): «قال البدر ابن صاحب في تذكرته: في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى». ويدل أيضًا على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متى» واللفظ للبخاري.

قال الحافظ المحدّث الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ما نصه^(٢): «ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين بن المنير الاسكندري المالكي في كتابه «المنتقى في شرف المصطفى» لما تكلم على الجهة وقرر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى»، فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس (قعر) البحر، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل ولما نهى عن ذلك. ثم أخذ الإمام ناصر الدين يبيد أن الفضل بالمكان لا بالمكان، هكذا نقله السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل اهـ. وابن زفيل هو ابن قيم الجوزية المبتدع تلميذ الفيلسوف المجسم ابن تيمية الذي قال مؤيدًا لعقيدة متأخري الفلاسفة إن الله لم يخلق نوع العالم، وهذا كفرٌ ياجماع المسلمين كما ذكر العلامة الشيخ بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع». وقال المفسر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(٣):

(١) سنن النسائي (١/٥٧٦).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/١٠٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٣٣ - ٣٣٤)، و(١٥/١٢٤).

«قال أبو المعالي: قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدره المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس في جهة» اهـ.

ومما يدل أيضًا على تنزيهه تعالى عن الجهة، ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس ابن مالك: «أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كَفَيْهِ إلى السماء» اهـ. أي أن النبي جعل باطن كَفَيْهِ إلى جهة الأرض، وفي ذلك إشارة إلى أن الله عز وجل ليس متحيزًا في جهة العلو كما أنه ليس في جهة السفلى.

وقد قال الحافظ العراقي في الأمالي: «أجمع السلف والخلف على كفر من أثبت الجهة لله» اهـ.

فتبين فساد قول من يقول «إن الله دنا بذاته من محمد لما كان ليلة المعراج في السماء، أو دنا منه بالحس والمسافة أو بالمكان أو صار بينهما كالحاجب من الحاجب أو كالذراعين، أو أنه وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله، أو أزيحت الستارة فدخل ورآه»، وكل ذلك تكذيب لله عز وجل لأنه نزه نفسه فقال (فلا تضربوا لله الأمثال) وقال (ليس كمثله شيء)، ومن شبه الله بشيء من خلقه فقد شتمه وكذبه، ومن كذب الله كفر بإجماع الأمة الإسلامية.

قال الله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾

[سورة النجم].

إن مما يجب للأنبياء التبليغ، فكل الأنبياء مأمورون بالتبليغ، وقد دلَّ على ذلك قوله تعالى في سورة الحج ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾.

فمعنى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾ في هذه الآية دعا قومه كما نص على ذلك القاضي عياض في كتاب الشفا، ومعنى ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ أي يزيد الشيطان على ما قالوه ما لم يقولوه ليوهم غيرهم أن الأنبياء قالوا ذلك الكلام الفاسد، وليس معناه أن الشيطان يتكلم على لسان النبي ﷺ.

إن كل نبي كان يقرأ على قومه ثم الشيطان يلقي إلى الناس كلاماً غير الذي يقرؤونه أي يزيد للناس من كلامه على ما قاله النبي ليوهم الناس أن النبي قال ذلك أي ليفتنهم، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ويثبت ما يقرؤونه - أي الأنبياء - وذلك ابتلاء من الله تبارك وتعالى، وليس في أي كتاب معتبر أن الشيطان يلقي على السنة الأنبياء كلاماً وإلا لارتفعت الثقة في كلامهم ولقال الناس لعل هذا من إلقاء الشيطان فلذلك استحال حصول ذلك فلا أصل لما في كتاب «تفسير الجلالين» في الجزء الثاني ففيه غلط وكلام باطل، في تفسير سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ [سورة الحج].

يقول الكاتب: وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ففرحوا بذلك وكانوا بالقرب منه مع المسلمين، وقالوا ما ذكره الهتنا بخير قبل اليوم فجاء جبريل وقال له: هذا ليس

من القرآن فحزن رسول الله ﷺ وأنزل الله الآية تسلية له ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .
الرد:

هذه الرواية غير صحيحة، وحصول قراءة شيء غير القرآن على ظن أنه قرآن مستحيل على رسول الله ﷺ فهو معصوم من ذلك، فقد قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١) : «يكفر من اعتقد أن الشيطان أجرى كلاماً على لسان النبي ﷺ هو مدح الأوثان الثلاثة اللات والعزى ومناة، بهذه العبارة: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» إذ يستحيل أن يمكن الله الشيطان من أن يجري على لسان نبيه مدح الأوثان».

وإيضاح هذه القضية أن الرسول ﷺ كان يقرأ ذات يوم سورة النجم فلما بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ ﴾ انتهز الشيطان وقفة رسول ﷺ وسكنته فأسمع الشيطان المشركين الذين كانوا بقرب النبي موهماً لهم أنه صوت النبي هذه الجملة: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون وقالوا ما ذكر محمد ءاهتنا قبل اليوم بخير، فأنزل الله لتكذيبهم هذه الآية التي في سورة الحج: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى الشَّيْطَانُ فِيْ أُمِّيَّتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ﴾ أي يكشف الله ما يقوله الشيطان ويبين أنه ليس من الأنبياء، وذلك ابتلاءً من الله وامتحاناً لتمييز من يتبع ومن لا يتبع، فيهلك هذا ويسعد هذا.

قال النسفي في تفسيره ما نصه^(٢) : ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه - أي على النبي ﷺ - (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).

وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ فلما بطلت هذه الوجوه - حيث ذكر احتمالات وردّها - لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله: ﴿ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ ﴾ فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلاً بقراءة النبي

(١) التفسير الكبير (المجلد الثاني عشر الجزء ٢٣ من ص ٤٤ إلى ص ٤٧).

(٢) تفسير النسفي (٣/١٠٧).

ﷺ فوق عند بعضهم - من المشركين - أنه عليه الصلاة والسلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي ﷺ وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي ﷺ ويُسمَعُ كلامه، فقد رُوي أنه نادى يوم أحد ألا إن محمدًا قد قتل، وقال يوم بدر: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم». اهـ.

وقال المحدث عبد الله الغماري في كتابه «بدع التفاسير»^(١) عن القصة المكذوبة التي يزعمون فيها أن الشيطان تكلم على لسان النبي بغير علمه، ما نصه: «فهذه القصة وتسمى قصة الغرائيق باطلة»، وقال: «وأول نكارة في تلك القصة: تسلط الشيطان على النبي ﷺ بإلقاء شيء على لسانه وهو لا يعلم، مع أن من البديهيات العقلية عصمة النبي من الشيطان، فكيف تمكن منه في هذه الحادثة؟!»، ثم قال «ثم كيف خفي عليه الفرق بين إلقاء الملك وإلقاء الشيطان؟! ولئن جاز الاشتباه عليه في هذه الحادثة، جاز الاشتباه في غيرها، فترتفع الثقة بالوحي ثم كيف خفي تناقض الكلامين! إذ (الأخرى) صفة ذم، وكلام الشيطان المقحم مدح، وهل يجوز في عقل أن يمتزج كلامان متناقضان على لسان أفصح العرب وأعلمهم بكلام الله تعالى، ثم لا يشعر بتناقفيهما!! ثم بعد هذا كله كيف يسلي الله نبيه بأن جميع الرسل تمكن الشيطان أن يُلقي على لسانهم ما لم يوح إليهم وما معنى العصمة الواجبة في حقهم عقلاً؟!». اهـ.

وقال الشيخ محمد بن درويش الحوت في كتابه «أسنى المطالب»^(٢): «فهذه القصة - أي قصة الغرائيق - كذب مفترى كما ذكر هذا غير واحد ولا عبرة بمن قوَّاه وأولَّاه إذ لا حاجة لذلك»، ثم قال «وليس فيه ذكر قصة الغرائيق أصلاً»، وقال^(٣): «وقول ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره أن (تمنى) معناه تلا وقرأ» اهـ.

(١) بدع التفاسير (مكتبة القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ ص ٧٤).

(٢) أسنى المطالب (دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ص ٢٠٩).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٢١٠).

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ
وَسِعُ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ
أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى ﴾

[سورة النجم]

قال الإمام المفسر القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه ثلاث مسائل: الأولى: قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش هذا نعت للمحسنين؛ أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي (كبير) على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك. والفواحش الزنى: وقال مقاتل: كبائر الإثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد. وقد مضى في (النساء) القول في هذا. ثم استثنى استثناء منقطعاً وهي المسألة الثانية: فقال: إلا اللمم وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه. وقد اختلف في معناها؛ فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: اللمم كل ما دون الزنى. وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار؛ كان له حانوت يبيع فيه تمرًا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرًا فقال لها: إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع؛ فقال: لعل زوجها غاز فنزلت هذه الآية، وقد مضى في آخر «هود» وكذا قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة. وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق

ذلك أو يكذبه الفرج؛ فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لممًا. وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه. والمعنى: أن الفاحشة العظيمة والزنى التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الإثم. والله أعلم

وفي رواية أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه. خرجه مسلم. وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان: وزنى الشفتين القبلة. فهذا قول. وقال ابن عباس أيضًا: هو الرجل يلم بذنوب ثم يتوب. قال: ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول: إن يغفر الله يغفر جما وأي عبد لك لا ألما - أي أذنب -، رواه عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس. قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسنادا. وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل إلا للمم قال: هو أن يلم العبد بالذنوب ثم لا يعاوده؛ قال الشاعر أمية بن أبي الصلت: إن تغفر اللهم تغفر جما

وأي عبد لك لا ألما وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده، ونحوه عن الزهري، قال: اللمم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود. ودليل هذا التأويل قوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية.

ثم قال: أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم فضمن لهم المغفرة؛ كما قال عقيب اللمم: إن ربك واسع المغفرة فعلى هذا التأويل يكون إلا اللمم استثناء متصلًا. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك. وقيل: اللمم الذنب بين الحدين

وهو ما لم يأت عليه حد في الدنيا، ولا تواعد عليه بعذاب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس؛ قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة. ورواه العوفي والحكم بن عتيبة عن ابن عباس. وقال الكلبي: اللمم على وجهين: كل ذنب لم يذكر الله عليه حدًا في الدنيا ولا عذابًا في الآخرة؛ فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر: هو الذنب العظيم يلزم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه. وعن ابن عباس أيضًا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به. وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت، وقاله زيد بن أسلم وابنه؛ وهو كقوله تعالى وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة؛ قاله نبطويه. قال: والعرب تقول ما يأتينا إلا لمامًا؛ أي في الحين بعد الحين. قال: ولا يكون أن يلزم ولا يفعل، لأن العرب لا تقول: ألم بنا إلا إذا فعل الإنسان لا إذا هم ولم يفعله. وفي الصحاح: وألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقارنة المعصية من غير موقعة. وأنشد غير الجوهري:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب
أي: اقرب.

وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين. وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألم على القلب؛ أي خطر. وقال محمد ابن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهو لمم. ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: إن للشيطان لمة وللملك لمة الحديث. وقد مضى في «البقرة» عند قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر. وقال أبو إسحاق الزجاج: أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه؛ يقال: ألّمت به إذا زرتّه وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لمامًا؛ أي: الحين بعد الحين. وإنما زيارتك إمامًا، ومنه إمام الخيال؛ قال الأعشى:

ألم خيال من قتيلة بعدما وهى حبلها من حبلنا فتصرما
وقيل: إلا بمعنى الواو. وأنكر هذا الفراء وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار
الذنوب. وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة.

قلت: هذا فيه بعد إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد
واختيار، وقد مضى في «النو» بيانه. واللمم أيضًا طرف من الجنون، ورجل ملموم
أي به لمم. ويقال أيضًا: أصابت فلانًا لمة من الجن وهي المس والشىء القليل؛ قال
الشاعر:

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا كلام حالم بخيال
الثالثة: قوله تعالى إن ربك واسع المغفرة لمن تاب من ذنبه واستغفر؛ قاله ابن
عباس. وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود:
رأيت في المنام كأنني دخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا:
لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضًا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا:
إنهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة. فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثني
عشر ألف بنت.

قوله تعالى هو أعلم بكم من أنفسكم إذ أنشأكم من الأرض يعني أباكم آدم من
الطين وخرج اللفظ على الجمع. قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا،
بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعًا في تلك التربة وفي تلك
الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذرو النفوس على اختلاف
هيئتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات؛ منهم كالدرا يتلألأ،
وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحممة، وبعضهم أشد سوادا من بعض؛
فكان الإنشاء واقعا علينا وعليه.

حدثنا عيسى بن حماد العسقلاني قال: حدثنا بشر بن بكر، قال: حدثنا الأوزاعي،
قال: قال رسول الله ﷺ: عرض علي الأولون والآخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة

فقال قائل: يا رسول الله، ومن مضى من الخلق؟ قال: نعم، عرض علي آدم فمن دونه فهل كان خلق أحد قالوا: ومن في أصلاب الرجال وبطون الأمهات؟ قال: نعم، مثلوا في الطين فعرفتهم كما علم آدم الأسماء كلها.
قلت: - وقد تقدم في أول (الأنعام) - أن كل إنسان يخلق من طين البقعة التي يدفن فيها.

وإذ أنتم أجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن، سمي جنينا لاجتنانه واستتاره. قال عمرو بن كلثوم: هجان اللون لم تقرأ جنينا.
وقال مكحول: كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي، ثم صرنا رضعا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخًا - لا أبا لك! - فما بعد هذا ننتظر!؟

وروى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض إلى آخرها. ونحوه عن عائشة: كان اليهود، بمثله.

ومن عجائب رجب ديب الدمشقي أنه قال في تفسير هذه الآية «أجنة» أي كنتم مجانين في بطون أمهاتكم!
فلا تزكوا أنفسكم أي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع.

هو أعلم بمن اتقى أي أخلص العمل واتقى عقوبة الله؛ عن الحسن وغيره. قال الحسن: قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة. وقد مضى في (النساء) الكلام في معنى هذه الآية عند قوله تعالى ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم فتأمله هناك. وقال ابن عباس: ما من أحد من هذه الأمة أزيه

غير رسول الله ﷺ. والله تعالى أعلم». اهـ

وقال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره لهذه الآية: «ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^{٣٢} اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الواقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة [ومجاهد، والحسن]، ورواية عطاء عن ابن عباس.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك.

وقال السدي قال أبو صالح: سئلت عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^{٣٢}، فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم.

وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^{٣٢}، قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما».

وأصل «اللمم والإلمام»: ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون إعادة، ولا إقامة.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع، مجازه: لكن اللمم، ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا؟ فأنزل الله هذه الآية. وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم.

وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وهو

قول ابن مسعود، وأبي هريرة، ومسروق، والشعبي، ورواية طاوس عن ابن عباس. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمود بن غيلان، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: ما رأيت أشبه باللمم مما

قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظَه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه».

ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ -، وزاد: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد [زناها] البطش، والرجل زناها الخطا».

وقال الكلبي: «اللمم على وجهين: كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه.

وقال سعيد بن المسيب: هو ما لم على القلب أي خطر.
وقال الحسين بن الفضل: «اللمم النظر من غير تعمد، فهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ قال ابن عباس: لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين، سمي جنيناً لاجتنانه في البطن ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن عباس: لا تمدحوها. قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، لا تبرئوها عن الآثام، ولا تمدحوها بحسن أعمالها.

قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصي ءامنا وحجنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ أي: بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى». اهـ.

قال الله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩)

[سورة النجم]

قال المفسر البغوي في تفسيره «المسمى معالم التنزيل»^(١): ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩)، أي عمل كقوله ﴿ إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقَى ﴾ (٤)، وهذا أيضًا في صحف إبراهيم وموسى. قال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، بقوله ﴿ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وقال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم، لما روي أن امرأة رفعت صبيًا لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر. وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمتي افتلتت نفسها، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم. وقال الربيع بن أنس: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٣٩) يعني الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له. اهـ.

ومما يدل على أن هذه الأمة لهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم، ما رواه البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت: «وا رأساه، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لك وأدعو لك» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «شرح البخاري» ما نصه: «(وأدعو لك) فإن هذه الكلمة تشمل الدعاء بأنواعه، فدخل في ذلك دعاء الرجل بعد قراءة شيء من القرآن لإيصال الثواب للميت بنحو قول: اللهم أوصل ثواب ما قرأت إلى فلان». قال النووي في كتابه «الأذكار» ما نصه: «باب ما ينفع الميت من قول غيره: أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم ويصلهم ثوابه واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

(١) المسمى معالم التنزيل (طبع دار المعرفة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الجزء الرابع ص ٢٥٤).

بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾ [سورة الحشر]، وغير ذلك من الآيات المشهورة بمعناها، وفي الأحاديث المشهورة كقوله ﷺ: «اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» أخرجه مسلم في صحيحه، وكقوله ﷺ: «اللهم اغفر لحينا وميتنا» أخرجه الترمذي في سننه، وغير ذلك» اهـ.

ومما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا ﴿يَسَّ ١﴾ على موتاكم» رواه أبو داود في سننه، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، والحاكم في المستدرک، وابن حبان في صحيحه.

وهذا الحديث مع كونه مختلفا في صحته لا يمنع من العمل به لا سيما وأن الآثار عن الصحابة والتابعين تعضده، فقد ثبت عن عبد الله بن عمر أنه قرأ على القبر أول سورة البقرة وخاتمتها، وقال الخرائطي في كتاب «القبور»: «سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرأوا معه سورة البقرة».

وروى الطبراني في «المعجم الكبير»^(١) عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: «قال لي أبي: يا بُني إذا أنا مت فألحدني، فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله ثم سنَّ عليَّ الثرى سنَّا، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك» اهـ، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد»^(٢): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون» اهـ.

وروى الطبراني أيضًا في «المعجم الكبير»^(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب وعند رجله بخاتمة البقرة في قبره» اهـ، قال الحافظ الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف» اهـ،

(١) المعجم الكبير (٢٢١ - ٢٢٠ / ١٩).

(٢) مجمع الزوائد (٤٤ / ٣).

(٣) المعجم الكبير (٤٤٤ / ١٢).

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري على شرح صحيح البخاري»^(١) : «أخرجه الطبراني بإسناد حسن» اهـ.

ومما استدل به العلماء على جواز قراءة القرآن على قبر الميت المسلم وانتفاعه بالقراءة حديث البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مرَّ النبي ﷺ بحائط - بستان - من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يُعذبان في قبريهما، فقال النبي ﷺ: «يعذبان، وما يعذبان في كبير» ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبرٍ منهما كِسرة، فقليل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يُخفف عنهما ما لم ييبسا» أو قال: «إلى أن ييبسا».

فُيُستفاد من هذه الروايات جواز غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور، وإذا حُقِّفَ عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن، قال النووي الشافعي في «شرح صحيح مسلم» ما نصه^(٢) : «استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث، لأنه إذا يُرجى التخفيف بتسبيح الجريد فقراءة القرآن أولى» اهـ.

فإن قراءة القرآن من إنسان أعظم وأنفع من التسبيح من عود، وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك. ومن أراد مزيداً من الأدلة والبراهين في هذه المسألة فعليه بمراجعة كتاب «النفع العميم في انتفاع أموات المسلمين بالقرآن العظيم» إعداد قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.

(١) فتح الباري على شرح صحيح البخاري (٣/ ١٨٤).

(٢) شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٠٢).

قال الله تعالى :

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

[سورة الرحمن]

الرسول ﷺ فسّر هذه الآية بقوله: «يغفر ذنبًا ويكشف كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين» رواه الحافظ ابن حبان في صحيحه وابن ماجه. ويوافق هذا قول الناس «سبحان الذي يُغيّر ولا يتغير» وهو كلام حسن جميل إذ التغيّر في المخلوقات وليس في ذات الله وصفاته.

أما المجسمة الوهابية فيزعمون أن معنى الآية أن الله يتغيّر كل يوم، والعياذ بالله تعالى.

قال أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) في «الإنصاف» ما نصه^(١) : «ويجب أن يعلم: أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه. فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والانتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، ولا القعود، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤)، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك» اهـ.

فتبين أن الله يغيّر أحوال العباد من مرض إلى صحّة ومن فساد إلى صلاح ومن فقر إلى غنى ومن غنى إلى فقر على حسب المشيئة الربانية الأزلية فالتغير يطرأ على أحوال المخلوقات وليس على مشيئة الله وعلمه فإذا دعا العبد ربه أن يشفيه فاستجاب له يصحّ أن يقال إن دعاءه وافق مشيئة الله. وإذا لم يستجب له يصحّ أن يقال إن الله لم يشأ له الشفاء وعلى كِلا الحالين يستفيد المؤمن بدعائه لربه سواء مع النفع الحاصل بالشفاء أو لم يحصل النفع بالشفاء لأن الثواب كُتب له.

تنبيه وتحذير: جرت العادة في بعض البلدان أن يجتمع بعض الناس في ليلة

(١) الإنصاف» عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ص ٦٤).

النصف من شعبان في المساجد أو البيوت لقراءة دعاءٍ فيه لفظ فاسد ينسبونه للنبي ﷺ ولبعض الصحابة وهو كذب على رسول الله لم يثبت عنه ولا عن واحد من الصحابة. وهو قولهم: «اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقتّرًا عليّ في الرزق فامح اللهم شقاوتي وحرمانِي وطردِي وإقتار رزقي واكتبني عندك من السعداء». فهذا الكلام لم يثبت عن سيدنا عمر ولا عن ابن عباس ولا عن مجاهد ولا عن أيّ واحد من السلف ومعناه مخالف للعقيدة الصحيحة وهي أن الشقيّ شقيّ في بطن أمّه فلا يتبدل سعيدًا لأنّه صحّ الحديث الشريف بذلك، واعتقاد تبدل المشيئة أو العلم أو أي صفة من صفات الله تعالى كفر كما قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وغيره من العلماء الأفاضل.

وهذا دأب كثير ممن يقرأون هذا الدعاء الفاسد يعتقدون أن الله يغيّر مشيئته في تلك الليلة فينقلب العاصي إلى طائع والمسيء إلى محسن والشقيّ إلى سعيد والمحروم إلى ميسور فمن اعتقد ذلك فسدت عقيدته وعليه أن يعتقد الحق ويرجع إليه ويتشهد أي يقول الشهادتين للخلاص من كفر، نسأل الله السلامة.

وأخيرًا ينبغي للإنسان أن يسارع إلى الخيرات بجدّ ونشاط ويستقبل الليالي المباركة ومنها ليلة النصف من شعبان بتوبة صادقة ليفوز يوم القيامة.

وأما قول الله تعالى في سورة الرعد ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) فقد قال البيهقي: وحدّثنا أبو عبد الله الحافظ حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدّثنا محمد بن إسحاق الصاغاني حدّثنا روح بن عبادة حدّثنا حماد بن سلمة عن سليمان التيمي عن عكرمة عن ابن عباس ما نصه: «يمحو الله ما يشاء من أحد الكتابين، هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ *}

معناه اللوح المحفوظ يشتمل على الممحو والمثبت وإما في غير اللوح المحفوظ مما يستنسخه الملائكة أو يكتبه الملك في أمر خاص هذا فيه ذكر أحد الوجهين، أي أنهم كتبوا في صحفهم مثلًا فلان ان وصل رحمه يعيش إلى المائة وإن لم يصل رحمه

يعيش إلى الستين وهذا معنى القضاء المعلق وليس المبرم، أي الأمرين سيقع أخيرًا، هم لا يعرفون في الابتداء، ليس موكولاً إلى الملائكة علم المستقبل إنما هم يكتبون ما أمروا به وهذا بالنسبة لمن لم يطلعه الله منهم على الأمرين. فأحد الكتابين هو اللوح المحفوظ والآخر هو الذي في أيدي الملائكة الذين أمروا بالاستنساخ من اللوح.

قال البيهقي: والمعنى في هذا أن الله جلّ ثناؤه قد كتب ما يصيب عبداً من عباده من البلاء والحرمان والموت وغير ذلك وأنه إن دعا الله تعالى أو أطاعه في صلة الرحم وغيرها لم يصبه ذلك البلاء ورزقه كثيراً وعمّره طويلاً وكتب في أمّ الكتاب ما هو كائن من الأمرين، فالمحو والإثبات يرجع إلى أحد الكتابين كما أشار إليه ابن عباس. والله أعلم.

و قيل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي من الناسخ والمنسوخ وليس في الآية ان مشيئة الله تتغير لان الله قال: ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد. وورد في الحديث (عند مسلم) انه ﷺ قال عن الله: وقال لي يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد.

قال الله تعالى :
﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ (٣١)

[سورة الرحمن]

قال الإمام الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(١): «قال الزجاج: قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ ليس هو الفراغ عن الشغل». ثم قال: «ومنهم من يقول: هذا على الوعيد في كلام العرب». وفي ص ٤٧٤ قال ما نصه: «فأما الله سبحانه وتعالى حيث لا يشغله فعل عن فعل، ولا شيء عن شيء» اهـ. فمن وصف الله تعالى بأنه يشغله شيء عن شيء ويأخذ عليه وقتا فقد شبهه بخلقه ووصفه بالعجز والضعف فالله تعالى هو خالق المكان والزمان كما قال الامام ابو منصور البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»^(٢): واجمعوا على انه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان. فليس في هذه الآية ان الله تعالى ينشغل بشيء ثم لما ينتهي منه ينتقل الى شيء آخر وهكذا فهذا مستحيل على الله والله منزه عن ذلك وانما معنى هذه الآية تهديد ووعيد.

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد التاسع ص ٤٧٣).

(٢) الفرق بين الفرق (ص ٣٣٣ طبعة دار المعرفة).

قال الله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

[سورة الحديد]

قال المفسر القاضي أبو محمد بن عطية الأندلسي في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ما نصه^(١) : «وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ معناه بقدرته وعلمه وإحاطته. وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأن المشتبه كله ينبغي أن يمر ويؤمن به ولا يفسر فقد أجمعوا على تأويل هذه لبيان وجوب إحراجها عن ظاهرها. قال سفيان الثوري: معناه علمه معكم، وتأولهم هذه حجة عليهم في غيرها» اهـ.

وقال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»^(٢) : «المسألة الثانية: قال المتكلمون هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ، وعلى التقديرين فقد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز، فإذا قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ لا بد فيه من التأويل. وإذا جَوَزْنَا التَّأْوِيلَ فِي مَوْضِعٍ وَجِبَ تَجْوِيزُهُ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ» اهـ.

أما سيد قطب فقد قال في كتابه المسمى في ظلال القرآن ما نصه^(٣) : «﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾، كلمة على الحقيقة لا على الكناية والمجاز والله تعالى مع كل شيء ومع كل واحد في كل وقت وفي كل مكان» اهـ.

وقال خالد الجندي في شريط له سماه «الرزق وإنفاقه» باللغة العامية المصرية:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ الجزء الخامس ص ٢٥٧).

(٢) التفسير الكبير» طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد الخامس عشر الجزء ٢٩ ص (١٨٧).

(٣) في ظلال القرآن المجلد السادس (ص ٣٤٨١).

«هو ما فيش حاجة في حياتك إلا وربنا فيها لأنه قال وهو معكم أينما كنتم». ثم قال: «كل واحد فينا في كل لحظة من حياته الله في داخله في قلبه».

الرد:

ليُعلم أن سيد قطب بعقيدته هذه يخالف جميع علماء الإسلام من السلف والخلف لأنه جعل الله منتشرًا في العالم وهذا كفر، وقوله «في كل مكان» هذا لم يقله أحد من السلف إنما قاله جهم بن صفوان الذي قُتل على الزندقة في أواخر أيام الأمويين ثم تبعه بعض جهلة المتصوفة من غير فهم للمعنى الذي كان يريده جهم. أما جهم فكان يقول هذه العبارة ويريد معناها الحقيقي وهو الانتشار، وجهلة المتصوفة يريدون منها السيطرة على كل مكان، وقد نسب هذا القول إلى جهلة المتصوفة إسماعيل حقي النازلي في تفسيره «روح البيان» وهو من الصوفية، فليعلم هؤلاء في أي وادٍ يتيهون.

ثم إن كل علماء الإسلام اتفقوا على أن معنى قوله تعالى: [سورة الحديد] إحاطة علمه تعالى بكل الخلق، وأما سيد قطب فينطبق عليه ما قاله الرسول ﷺ: «من شذَّ شذَّ في النار» رواه الترمذي، فبان واتضح لكل منصف أن سيد قطب مارق خارج من الدين والإسلام.

فانظر أخي المؤمن إلى هذا التجرؤ على الله تعالى حيث ينسب الحلول بكلمات واضحة وفاضحة تكشف عما في نفسه، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ﴾ [سورة الشورى]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۗ﴾ [سورة الإخلاص]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۗ﴾ [سورة النحل]؟ ألم يبلغه نقل الحافظ السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوى» إجماع المسلمين على تكفير من قال بالحلول أو الاتحاد؟ حيث قال ما نصه^(١): «وقال القاضي عياض في الشفا ما معناه: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول الباري سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية

(١) الحاوي للفتاوى (ص ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ الجزء الثاني دار الكتاب العربي - بيروت).

والنصارى والقرامطة. وقال في موضع آخر: ما عرف الله من شبهه وجسمه. ثم قال بعد كلام: بل يُقَطَّع بتكفير القائلين بالحلول إجماعاً. ثم قال بعد ذلك: فإذا أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حفظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى» اهـ.

ألم يسمع خالد الجندي وسيد قطب وناظم قبرصلي وشيخه الداغستاني وكل الحلولية والاتحادية قول الإمام الأكبر الشيخ محي الدين بن عربي: من قال بالحلول فدينه معلول، نقله الإمام عبد الوهاب الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»^(١)، وقول الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله في «الفيض الرباني»: «من قال إن الله انحل منه شيء أو انحل في شيء فقد كفر» اهـ.

حتى إن إمام المشبهة والمجسمة ابن تيمية الحراني يقول في كتابه المسمى «مجموع الفتاوى»^(٢) ناقلاً ومؤيداً لقول الظلمنكي: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيَّ أَنَّ مَعْنَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ: أَنَّ ذَلِكَ عِلْمُهُ» اهـ.

فيا لفضيحة الوهابية الذين يقولون بأن التأويل تعطيل، هل سيقولون عن شيخهم المجسم ابن تيمية بأنه معطل في هذه المسألة؟ هل سينسلخون منه أم سيقولون عنه بعد ذلك «شيخ الإسلام»، خوفاً من أن ينقطع عنهم الدينار والدرهم؟

ولو كان هؤلاء الحلولية شموا رائحة العلم الشرعي لعلموا أن من وصف الله بالحلول فقد نسب الكيفية لله وهي منفية عنه تعالى وعن صفاته، وأن ذلك تجسيم وكفر كما نقل الحافظ السيوطي في كتابه «الأشباه والنظائر»^(٣) عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «المجسم كافر»، بل جاء ذلك عن أئمة المذاهب الأربعة رضي الله عنهم كما في كتاب المنهاج القويم شرح ابن حجر الهيتمي على المقدمة

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى الجزء الأول ص ٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (طبع دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ المجلد الثاني ١٦٣).

(٣) الأشباه والنظائر (ص ٤٨٨).

الحضرمية فإنه يقول فيه ما نصه^(١) : «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك». اهـ

ويكفي في إثبات جهل سيد قطب ما ذكره في تفسيره في الجزء السابع عشر في تفسير سورة الأنبياء، حيث قال: «ولا بقاء لشيء يطارده الله». اهـ

وقال في تفسير سورة الأعراف: «ولكننا نملك بالسر اللطيف المستمد من روح الله الذي في كيانتنا أن نستروح وأن نستشرف هذا الأفق الساحق الوضيء». اهـ

ثم قول خالد الجندي «كل لحظة من حياته الله في داخله في قلبه» فإننا نعوذ بالله من هذا الكفر فقد جعل الله تعالى يحل في القلوب، جعل الله جسمًا حادثًا وكذب قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَدِّ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص]. في هذه الآية نفي للمادية والانحلال. وقد وقع خالد الجندي في كفر أهل الاتحاد والحلول وهو أشد أنواع الكفر وكذب قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۝١١﴾ وكذب قول ذي النون المصري «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» أي لا يشبه ذلك، رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق.

ما عرف الله من اعتقد أن الله يحل في الأشياء في القلوب أو الهواء أو الإنسان أو الشجر. فتأمل في هذا الكلام وانتبه يا خالد كيف تتكلم وتطلق العبارات لأنك ستحاسب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِلَيْهِمْ مَسْئُولُونَ ۝٢٤﴾. وقد قال سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «لفظتان ثلمتان في الدين القول بالوحدة والشطح المجاوز حدّ التحدث بالنعمة».

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [سورة ق] أي أن الله تعالى أعلم بالعبد من نفسه، هو أعلم بنا من أنفسنا، الله تعالى تعظيمًا لنفسه يقول: «ونحن أقرب إليه» أي إلى العبد «من حبل الوريد» والوريد عرقان في الإنسان من جانبي الرقبة ينزلان من الرأس ويتصلان بعرق القلب. وقد قال النازلي صاحب

(١) المنهاج القويم (ص ٢٢٤).

التفسير المعروف: «لا يجوز أن نقول إنه تعالى بكل مكان وهذا قول جهلة المتصوفة»، وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: «قال عليّ الخواص - شيخه في التصوف - : لا يجوز أن يقول إنه تعالى بكل مكان، وأول من قال بهذا جهم ابن صفوان». فقول خالد الجندي «الله في داخله في قلبه» يفيد الحلول، ومن قال بالحلول فدينه معلول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما قال الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله. ثم أما قرأ خالد أيضًا نقل جلال الدين السيوطي الإجماع في كتابه «الحاوي للفتاوي» على تكفير من قال بالحلول أو الاتحاد. وهذا تجرؤ على الله بهذه الكلمات كأنه لم يقرأ كلام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته الشهيرة: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»، وكأنه ما قرأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَصْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾^(٧٤) أي لا تشبهوا الله بخلقه، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي لله الوصف الذي لا يشبهه وصف غيره.

تَفْسِيرُ مَعِيَّةِ اللَّهِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤) [سورة الحديد] الإحاطة بالعلم. الشرح أي محيطٌ بكم علمًا لا يخفى عليه شيءٌ أينما كنتم وقوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١٦) [سورة ق] مهناه أن الله تعالى أعلم بالعبد من نفسه هو أعلم بنا من أنفسنا، الله تعالى تعظيمًا لنفسه يقول ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى العبد ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١٦) الوريد عرقان في الإنسان من جانبي الرقبة ينزلان من الرأس بعرق القلب.

وقد قال إسماعيل حقي صاحب التفسير المعروف^(١) لا يجوز أن نقول أنه تعالى بكل مكان وهذا قول جهلة المتصوفة، وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: «قال عليّ الخواص - يعني شيخه في التصوف - لا يجوز أن يقال إنه تعالى بكل مكان»،

(١) روح البيان (٥/ ٣٧٠)

وأول من قال هذا القول رجلٌ اسمه جهمٌ بن صفوان.
قال المؤلف رحمه الله : وتأتي المعية أيضاً بمعنى النصرة والكلاءة كقوله

تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ (١٣٨) [سورة النحل]

الشرح معنى الآية أن الله مع الذين يخافونه، أي ينصرهم ويحفظهم، وليس عنده
يمشي ويتنقل معهم، فإن الله تعالى نصر الأولياء وحفظهم أن يغرقهم الشيطان في
المعاصي، وما أقبح قول ابن تيمية^(١) إن الله على العرش حقيقة ومعنا حقيقة. هذا
مع أنه ثبت عنه أنه قال^(٢) : إن الله بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر اه وقد صدق قول
الحافظ أبي زرعة العراقي فيه^(٣) «علمه أكبر من عقله» اه أي محفوظاته أكبر من
فهمه أي أنه فاسد الفهم كثير الحفظ.

وأما النصرة إن كان بالنسبة للأعداء كالكفار فالمؤمن منصورٌ معني ولو كان
بحسب الظاهر أصابه من العدو تلف مالٍ ونفسٍ فهو منصورٌ لأن الحق معه، فكم
من نبي قتل الكفار، والأنبياء ليسوا هينين عند الله، أما أعداؤهم فهم المغلوبون
لأنهم على باطل وفي الآخرة ليس لهم إلا العذاب الأليم، أما أولياء الله فهم في
الدنيا منصورون بالحجة وأحياناً بالحجة والغلبة الظاهرة وفي الآخرة منصورون
حجة وظاهراً وهذا معنى قول الله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٥١)
الآية [سورة غافر] فمعنى معية الكلاءة والنصرة يحفظهم من أن يغرقوا في المعاصي
فيصيروا أسراء للشيطان.

المعية الأولى في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (٤) تشمل جميع الخلق
المؤمن والكافر لأن الله عالمٌ بأحوال الجميع، بأحوال المؤمنين وبأحوال الكافرين
لا يخفى عليه شيء، أما معية الكلاءة والنصرة فهي خاصة بالمؤمنين الأتقياء.

تنبية قوله تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) [سورة الروم] أي أننا

(١) الرسالة الكبرى الحموية.

(٢) انظر ذخائر القصر (ص ٦٩)، مخطوط.

(٣) الأجوبة المرضية (ص ٩٢ - ٩٣).

نتفضّل ونتكرّم عليهم، وليس المعنى أنه فرض على الله لأنه لا يجبُ شيءٌ على الله، فالله تعالى ليس لأحدٍ حقٌّ لازمٌ عليه أي أمرٌ يلزمُهُ وهو مجبورٌ عليه وإن تركَهُ يكونُ ظالمًا، الله منزّهٌ عن ذلك إنما الله متفضّلٌ على عباده المؤمنين بأن يكرمهم إن هم أدّوا ما عليهم، ومن هنا كره الإمام أبو حنيفة^(١)

أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان لأنه يرى أن هذه العبارة توهم أن على الله حقًا لخلقه لازمًا له فمن هذه الحيثية كره ذلك، ثم غير أبي حنيفة يرى أن هذه العبارة لا توهم ذلك إنما معناه أسألك بما لفلان عندك من الفضل والكرامة أن تعطينا كذا وكذا، وهذا هو القول الصحيح الراجح لثبوته في الحديث وهو حديث^(٢) «أسألك بحق السائلين عليك» إلى آخره. فإنه حديث حسن كما قال الحافظ ابن حجر وغيره^(٣).

قال المؤلف رحمه الله: وليس المعنيّ بها الحلول والاتصال ويكفر من يعتقد ذلك لأنّه سبحانه وتعالى منزّه عن الاتصال والانفصال بالمسافة. فلا يقال إنّه متّصل بالعالم ولا منفصل عنه بالمسافة لأنّ هذه الأمور من صفات الحجم والحجم هو الذي يقبل الأمرين والله جلّ وعلا ليس بحادثٍ، نفى ذلك عن نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤).

الشرح لا يجوز على الله أن يكون متّصلاً بالعالم ولا منفصلاً عن العالم بالمسافة، وحينما يراه المؤمنون في الآخرة بعدما يدخلون الجنة يرونه بلا مسافة بينهم وبينه لا يرونه حجماً لطيفاً ولا حجماً كثيفاً ولا بمسافة قريبة أو بعيدة.

قال المؤلف رحمه الله: ولا يوصف الله تعالى بالكبر حجماً^(٥) ولا بالصغر،

(١) رد المحتار على الدر المختار (٥/٢٧٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب المساجد والجماعات : باب المشي إلى الصلاة.

(٣) نتائج الأفكار (١/٢٧٢)، المغنيين حمل الأسفار (١/٢٨٩).

(٤) فقولنا «الله أكبر» معناه أكبر من كل كبير قدرأ ودرجة وقوة وعلمأ لا امتدادأ وهذا مراد السلف بقوله في الآيات المتشابهة : «أمروها كما جاءت بلا كيفية» ليس معناه أن له كيفية ليست معلومة لنا. وليس موافقاً للسلف من يقول بناءً على ذلك استواء الله تعالى على العرش جلوس ولكن لا =

ولا بالطول ولا بالقصر، لأنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَوَادِثِ، وَيَجِبُ طَرْدُ كُلِّ فِكْرَةٍ عَنِ الْأَذْهَانِ تَفْضِيًّا إِلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْدِيدِهِ.

الشرح كلُّ شيءٍ يوهِمُ أن الله له حجمٌ ومساحةٌ وكميَّةٌ يجبُ إخراجُهُ من القلبِ لأن الله منزَّهٌ عن ذلك كُلِّهِ. فالحجْمُ حَدِثٌ مهما كان صغيرًا أو كبيرًا، وأصغرُ الأشياءِ يقالُ له الجوهرُ الفردُ وهو لا ينقسمُ وأعظمُ الأجرامِ هو العرشُ والله تعالى لا يُشبهُ هذا ولا هذا. كلُّ شيءٍ فيه تأليفٌ وتركيبٌ محتاجٌ إلى من أَلْفَهُ وَرَكَّبَهُ والله منزَّهٌ عن أن يكونَ كذلك، فالمؤمنُ يُرِيحُ ضَمِيرَهُ باعتقادِ أنه مهما تصوَّرَ ببالِهِ فالله بخلاف ذلك، فإذا لَزِمَ هذا ارتاحَ ضميرُهُ.

فكلُّ الخواطرِ التي تودِّي إلى جعلِ الله تعالى ذا مقدارٍ وشكلٍ وهيئةٍ تُنبذُ وتطرُدُ فالمؤمنُ يتركُ هذه الخواطرَ وينشغلُ بغيرِها، وقد قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الحديثِ الذي رواه عنه أبو القاسمِ الأنصاريُّ^(١) : «لا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ» معناه أن الله تعالى لا يُدْرِكُهُ الوَهْمُ لأن الوَهْمَ يُدْرِكُ الأشياءَ التي أَلْفَهَا أو هي من جنسِ ما أَلْفَهُ كالإنسانِ والغَمَامِ والمطرِ والشجرِ والضوءِ والظلامِ والريحِ والظلِّ ونحو ذلك، والأشياءُ الحادثةُ لو لم يرها الإنسانُ كالعرشِ يستطيعُ أن يتصوَّرها ولو من بعضِ الوجوه، وكذلك إذا ذُكِرَتْ لنا الجنةُ يمكننا أن نتصوَّرها في أوهامنا فنصادفُ الحقيقةَ في بعضِ الصفاتِ ونخطئُ في بعضِ الصفاتِ، أما الله تعالى فلا تدرِكُهُ تصوراتُ العبادِ وأوهامُهُم وقد قالَ أبيُّ بن كعبٍ الذي هو من مشاهيرِ الصحابةِ في تفسيرِ قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٤٤) : «إِلَيْهِ يَنْتَهِي فِكْرُ مَنْ تَفَكَّرَ» رواه أبو القاسمِ الأنصاريُّ في شرحِ الإرشادِ^(٢).

قال المؤلف رحمه الله: كَانَ الْيَهُودُ قَدْ نَسَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى التَّعَبَ، فَقَالُوا إِنَّهُ

= نعلم كيفية ذلك الجلوس.

(١) رواه مرفوعًا عن الدارقطني في الأفراد (٣٩٧/١)، والبغوي في تفسيره (٢٥٥/٥). وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (ص ٣١) عن سفيان الثوري من قوله.

(٢) رواه الدارقطني في الأفراد (٣٩٧/١).

بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اسْتَرَاحَ فَاسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ، وَقَوْلِهِمْ هَذَا كُفْرٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَهُ عَنِ ذَلِكَ وَعَنِ الْإِنْفِعَالِ كَالْإِحْسَاسِ بِالتَّعَبِ وَالْآلَامِ وَاللَّذَاتِ فَالَّذِي تَلَحُّقُهُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا مَخْلُوقًا يَلْحَقُهُ التَّغْيِيرُ، وَهَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [سورة ق.] .

الشرح اليهودُ قالت إن الله خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَرَاحَ يَوْمَ السَّبْتِ فَاسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ جَعَلُوهُ جِسْمًا لَهُ أَعْضَاءٌ، وَكَذَلِكَ الْمَشْبَهُةُ جَعَلَتْهُ جِسْمًا لَهُ أَعْضَاءٌ فَقَالَتْ إِنَّهُ جَالِسٌ عَلَى الْعَرْشِ. فَالْمَشْبَهُةُ إِخْوَةُ الْيَهُودِ وَإِنْ ظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مُوَحَّدُونَ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا أَصَابَهُ مِنْ لُغُوبٍ وَاللُّغُوبُ مَعْنَاهُ التَّعَبُ لِأَنَّ اللَّهَ مُنْزَهُ عَنِ التَّعَبِ وَعَنِ كُلِّ الْإِنْفِعَالِ وَمُنْزَهُ عَنِ الْغَضَبِ بِالْإِنْفِعَالِ وَالرِّضَا بِالْإِنْفِعَالِ.

فائدةٌ خُلِقَتِ الْأَرْضُ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ ثُمَّ خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي الْيَوْمَيْنِ التَّالِيَيْنِ الثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ ثُمَّ خُلِقَتِ الْبِهَائِمُ وَالْأَشْجَارُ الْخَمِيْسَ وَالْجُمُعَةَ ثُمَّ دُحِيَتِ الْأَرْضُ وَالذَّخْوُ هُوَ الْبَسْطُ بِأَنَّ خَلْقَ فِيهَا الْأَشْجَارَ وَالْأَنْهَارَ وَسَائِرِ الْمَرَاقِفِ وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات] . وَلَيْسَ مَعْنَى الذَّخْوِ جَعْلُهَا كُرْوِيَةً وَهَذَا خِلَافُ اللَّغَةِ، ثُمَّ خُلِقَ آدَمُ آخِرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكُلُّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ السِّتَةِ الَّتِي خُلِقَتِ فِيهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَدْرُ أَلْفِ سَنَةٍ بِتَقْدِيرِ أَيَّامِنَا هَذِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ ابْنُ آدَمَ خُلِقَ قَبْلَ ابْنِ آدَمَ، الْبِهَائِمُ خُلِقَتْ لِنَنْتَفِعَ بِهَا وَكَذَلِكَ الطُّيُورُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [سورة الجاثية] .

وَالْأَرْضُ مَسْطُوحَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْكُرَةِ لَا تَنَافِي بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بَيْنَ سَطْحِهَا وَبَيْنَ شَبَهِهَا بِالْكُرَةِ لِأَنَّ مَعْنَى مَسْطُوحَةٍ مُوسَّعَةٌ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات] مَعْنَاهُ وَسَّعَهَا، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [سورة الغاشية] أَنَّهَا لَيْسَتْ شَبِيهَةٌ بِالْكُرَةِ فَالْأَرْضُ لَهَا شَبَهُ بِالْكُرَةِ وَهِيَ وَاسِعَةٌ.

قال المؤلف رحمه الله: إِنَّمَا يَلْغَبُ مَنْ يَعْمَلُ بِالْجَوَارِحِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

مُنَزَّةٌ عَنِ الْجَارِحَةِ.

الشرح الذي يَلْغَبُ هو الذي يفعلُ بالجوارحِ أما من فعلُهُ بلا جارحة ولا حركةٍ ولا ءالَةٍ ولا مباشرةٍ بل بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ فلا يَلْغَبُ أي لا يَلْحَقُهُ تَعَبٌ.

قال المؤلف رحمه الله: قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة

غافر].

الشرح البارئ موصوفٍ بالبصرِ أي بالرؤيةِ وبالسَّمْعِ أي أنه يسمعُ الأصواتَ لا بسمعِ حَادِثٍ عند حدوثِ الأصواتِ، ويرى ذاته والمخلوقات برؤيةٍ أزليةٍ ليست برؤيةٍ تَحْدُثُ له عند حدوثِ المرئياتِ وذلك لأن ذلك شأنُ العبادِ يسمعون الأصواتِ بسمعٍ يحدث لهم عند حدوثها ويرون المبصرات برؤيةٍ تَحْدُثُ لهم عند رؤيتها.

قال المؤلف رحمه الله: فَاللهُ تَعَالَى سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ بِلَا كَيْفِيَّةٍ، فَالسَّمْعُ وَالبَصْرُ هُمَا صِفَتَانِ أَزْلِيَّتَانِ بِلَا جَارِحَةٍ، أَي بِلَا أُذُنٍ أَوْ حَدَقَةٍ وَبِلَا شَرْطِ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَوْ جِهَةٍ، وَبِدُونِ انبِعَاثِ شُعَاعٍ مِنَ البَصْرِ، أَوْ تَمَوُّجِ هَوَاءٍ.

وَمَنْ قَالَ لِلَّهِ أُذُنٌ فَقَدْ كَفَرَ وَلَوْ قَالَ لَهُ أُذُنٌ لَيْسَتْ كَأُذُنِنَا، بِخِلَافِ مَنْ قَالَ لَهُ عَيْنٌ لَيْسَتْ كَعَيْنُونَا وَيَدٌ لَيْسَتْ كَأَيْدِينَا بِلَا مَعْنَى الصَّفَةِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ لَوُرُودِ إِطْلَاقِ العَيْنِ وَاليَدِ فِي القُرْءَانِ وَلَمْ يَرِدْ إِطْلَاقُ الأُذُنِ عَلَيْهِ.

الشرح لا يجوزُ أن يقالَ لله أُذُنٌ لَيْسَتْ كَأُذُنِنَا لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ إِطْلَاقُ الأُذُنِ مُضَافًا إِلَى اللهِ لَا فِي الكِتَابِ وَلَا فِي السَّنَةِ، أَمَا أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ عَيْنٌ لَيْسَتْ كَعَيْنِنَا أَوْ لِلَّهِ يَدٌ لَيْسَتْ كَأَيْدِينَا أَوْ لِلَّهِ وَجْهٌ لَيْسَ كَوَجْهِنَا فَيَجُوزُ لِأَنَّ ذَلِكَ وَرَدَ فِي الشَّرْحِ لَكِنْ مَعَ تَنْزِيهِ اللهِ عَنِ الجَارِحَةِ، وَلَا نَقِيسُ عَلَى اليَدِ وَالوَجْهِ وَالعَيْنِ لِأَنَّ هَذَا وَرَدَ وَذَلِكَ لَمْ يَرِدْ، قَالَ أَبُو الحَسَنِ الأشْعَرِيُّ: «مَا أَطْلَقَ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ أَطْلَقْنَاهُ عَلَيْهِ وَمَا لَا فَلَ».

وَأَمَّا الحَدِيثُ^(١) الَّذِي فِيهِ: «لَلَّهِ أَشَدُّ أَدْنًا لِقَارِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْءَانِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْتَمِعُ إِلَى قَيْنَتِهِ» فَالأُدُنُّ هُوَ الاسْتِمَاعُ^(٢) وَليْسَ الأُدُنُّ.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب إقامة الصلاة وسننه فيها : باب في حسن الصوت بالقرءان.

(٢) كما قال الإمام الأوزاعي رضي الله عنه. ومعناه أن الله يحب سماع القرءان لقارئ مؤمن يُحسن

وقال عمرو خالد المصري على قناة المحور في تفسير هذه الآية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ عن سيدنا آدم، قال باللهجة المصرية: «إحنا - نحن - فينا حتة - جزء - من ربنا»، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قراءته أكثر مما يحب صاحبُ القينة الاستماعَ إلى قينته أي جاريته التي تغني له. انظر المصباح المنير (ص ٤)

قال الله تعالى :
﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَاجِكَ ﴾ (١)

[سورة التحريم].

ليعلم أن قول الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ (١) ليس فيه أن النبي ﷺ اجتهد في أمر ديني وأخطأ فيه كما ادعى ذلك الدكتور القرضاوي في برنامجه المسمى «الشريعة والحياة»^(١) وأن الآية نزلت فردت عليه والعياذ بالله تعالى، فهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين قط، بل ولا سَمِعَ من صبي ولا مجنون قبل القرضاوي، لأن الأمة أجمعت على عصمة النبي من الخطأ في الدين، ولم يقله مفسر من المفسرين، وليس فيه أنه ﷺ حرّم شيئاً أحله الله له، وإنما أطبق علماء التفسير على أن النبي ﷺ منع نفسه من شرب العسل في بيت بعض زوجاته لأجل بعضهن الآخر، ولم يُحرّم التحريم الشرعي إنما هو التحريم اللغوي وهو المنع، أي لِمَ تمنع نفسك مما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك، فهو التحريم اللغوي وليس الشرعي، كما تقول «حرمت على نفسي أن أدخل دارك» أو «حرمت على نفسي أن أكل اللحم» أو «حرمت على نفسي أن أشرب الشاي»، أي منعت نفسي من ذلك، ومن زعم أن النبي ﷺ حرّم شيئاً أحله الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله وكذب القرآن ونفى عصمة الأنبياء، وقال بما يؤدي إلى تخوين النبي ﷺ وأنه غير مؤتمن على شرع الله، وهذا معارض لقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾ (٤) ولقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ .

قال بدر الدين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع»^(٢) : «إن القول الصحيح أن النبي إذا اجتهد لا يخطئ» اهـ. هذا وقد قال العلامة ابن أمير الحاج في كتابه

(١) في قناة الجزيرة (١٢/٩/١٩٩٩).

(٢) تشنيف المسامع (مؤسسة قرطبة المكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ الجزء الرابع ص ٥٧٩).

«التقرير والتحبير» ما نصه^(١): «وقيل بامتناعه أي بامتناع جواز الخطأ على اجتهاده - أي لا يجوز الخطأ على اجتهاده - نقله في الكشف وغيره عن أكثر العلماء وقال الإمام الرازي والصفى الهندي إنه الحق وجزم به الحليني والبيضاوي وذكر السبكي أنه الصواب وأن الشافعي نص عليه في مواضع من الأمّ لأنه أولى بالعصمة عن الخطأ من الإجماع لأنّ عصمته أي الإجماع عن الخطأ لنسبته إليه أي إلى النبي ﷺ وللزوم جواز الأمر باتباع الخطأ لأننا مأمورون باتباعه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران]، إلى غير ذلك» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»^(٢): «عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشربُ عَسَلًا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطيتُ أنا وحفصة عن أيتنا دخلَ عليها فلتقل له أكلتَ مغاير؟ إني أجدُ منك رِيحَ مغاير، قال: لا، ولكني كنتُ أشربُ عَسَلًا عند زينب ابنة جحش فلن أعودَ له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحدًا» اهـ.

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»^(٣): «ولا يُحرّم قول الرجل (هذا عليّ حرام) شيئًا حاشا الزوجة». ويقول^(٤): «(تبتغي مرضات أزواجك) أي تفعل ذلك طلبًا لرضاهن». ثم قال: «والصحيح أنه معاتبه (معاتبة لطيفة والمعاتبة تكون أحيانًا لترك شيء مباح وليس شرطًا أن تكون لارتكاب محرم) على ترك الأولى، وأنه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة» اهـ.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة»^(٥): «قوله عز وجل ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ هذا في الظاهر فظيع بأن

(١) التقرير والتحبير» (٢/ ٣٠٠).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/ ٥٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٧٩).

(٤) المصدر نفسه، (٨/ ١٨٤).

(٥) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، المجلد العاشر ص ٧٥).

يحرم رسول الله ﷺ ما أحل الله له، ومن قال بأنه حرم ما أحل الله، فقد قال قولاً منكراً، وذلك كفر منه، إذ من حرم ما أحل الله تعالى كان كافراً، ومن كان اعتقاده في رسول الله ﷺ هذا، فهو كافر». ثم قال: «ما سبق إليه ظن بعض الجهال: أن رسول الله ﷺ حرم شيئاً أحله الله تعالى، ومن توهم هذا في رسول الله ﷺ، فقد حكم على رسول الله ﷺ بالكفر». ثم قال: «تحريم ما أحل الله تعالى هو أن يعتقد تحريم المحلل، وتحليل المحرم في ما حرم الله تعالى مطلقاً، فمن اعتقد تحريمه حكم عليه بالكفر، ورسول الله ﷺ لم يعتقد تحريم ما أحل الله تعالى، إذ لم يرَ جماعها - أي أمته - عليه محرماً». وقال^(١): «أو أريدَ بالتحريم منع النفس عن ذلك مع اعتقاده بكونه حلالاً، لا أن يكون قصد به قصد تحريم عينه، وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لغرض له في ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة القصص]، ولم يرد به تحريم عينه ولا التحريم الشرعي، إذ الصبي ليس من أهله، وإنما أريدَ به امتناعه من الارتضاع إلا من ثدي أمه، فعلى ذلك هاهنا، والله أعلم». ثم قال: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾، أي: لا يبلغن بك الشفقة عليهن وحسن العشرة معهن مبلغاً تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله لك، فيخرج هذا مخرج تخفيف المؤنة على رسول الله ﷺ في حسن العشرة معهن، لا مخرج النهي والعتاب عن الزلة» اهـ.

وقال محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري المتوفى ٩٧٧هـ في كتابه «تفسير الخطيب الشربيني» المسمى «السراج المنير»^(٢): «وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرّمها على نفسه - أي امتنع عن وطئها - فأنزل الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾، فإن قيل قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾

(١) تأويلات أهل السنة (ص ٧٦).

(٢) تفسير الخطيب الشربيني المسمى «السراج المنير» (الجزء الرابع دار الكتب العلمية الطبعة الأولى في ص ٣٥٢).

يوهم أن الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي ﷺ يُنافي ذلك لِمَا فيه من التشريف والتعظيم؟ أجب بأنه ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه». ويقول^(١): «فإن قيل (تحريم ما أحل الله غير ممكن فكيف قال «لَمْ تُحَرِّمَ ما أحل الله لك» أجب بأن المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع بالأزواج لا اعتقاد كونه حراماً بعدما أحلّه الله تعالى والنبي ﷺ امتنع من الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالاً فإن من اعتقد أن هذا التحريم هو تحريم ما أحل الله فقد كفر، فكيف يُضافُ إلى النبي ﷺ». ثم قال: «وإن قال لطعامٍ «حَرَمْتُهُ على نفسي فلا شيء عليه» وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه وإليه ذهب الشافعي» اهـ.

وهذا القرضاوي ومن يوافقه في نسبة الخطأ على اجتهاد النبي ﷺ فهم في الحقيقة قائلون بعدم عصمة الأنبياء، والأنبياء معصومون أي محفوظون بحفظ الله لهم من الخطأ في الدين ونسبة الخطأ في الدين للأنبياء تكذيب للقرآن وإنكاراً لعصمة الأنبياء وقد قال ﷺ: «إن محرم الحلال كمستحل الحرام»، فقول القرضاوي إن الرسول أخطأ في التشريع فحرم شيئاً حلالاً هو بمنزلة قوله إن الرسول أحل شرب الخمر أو أحل الزنا أو أحل أكل الميتة أو أحل الظلم وهذا لا يقوله مسلمٌ والحمد لله الذي وفقنا وأعانا وشرفنا بالدفاع عن نبيّه ﷺ.

(١) تفسير الخطيب الشربيني (ص ٣٥٣).

قال الله تعالى

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾

[سورة التحريم]

ليعلم أن الله تعالى خالق الرّوح والجسد فليس روحًا ولا جسدًا، ومع ذلك أضاف الله تعالى روح عيسى عَلَيْهِ السَّلَام إلى نفسه على معنى المَلِكِ والتشريف لا للجزئية في قوله تعالى: ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾، قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير»^(١): «وإنما أضاف الله سبحانه روح آدم إلى نفسه تشريفًا له وتكريمًا اهـ. وكذلك في حق آدم قوله تعالى: ﴿مِنْ رُوحِي﴾ وفي حق عيسى قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾، أي أمرنا جبريل عليه السلام أن ينفخ في مريم الرّوح التي هي ملك لنا ومشرفة عندنا. كلتا الإضافتين للتشريف مع إثبات الملك أي أنهما ملك لله وخلق له، فإن قيل: كل الأرواح ملك لله وخلق له فما فائدة الإضافة؟ قيل: فائدة الإضافة الدلالة على شرفهما عند الله. ولا يجوز عقلاً أن يكون الله روحًا لأن الرّوح حادث. وعلى مثل ذلك يحمل حديث (خلق الله آدم على صورته) رواه البخاري، ومعناه إضافة الملك والتشريف لا إضافة الجزئية أي على الصّورة التي خلقها وجعلها مشرفة مكرمة. الشيء يضاف إلى الله إما بمعنى أنه خلق له هو خلقه وكونه، ويضاف إلى الله على أنه صفته، فإذا قلنا «قدرة الله»، «علم الله» هذه الإضافة إضافة الصفة إلى الموصوف، أما إذا قلنا «ناقة الله»، «بيت الله» هذه إضافة الملك والتشريف، فالكعبة نسّميا «بيت الله» وكلّ مسجد كذلك. فالأرواح قسمان: أرواح مشرفة وأرواح خبيثة، وأرواح الأنبياء من القسم الأول، وإضافة روح عيسى وروح آدم إلى نفسه إضافة ملك وتشريف. ويكفر من يعتقد أن الله تعالى روح، فالرّوح مخلوقة تنزّه الله عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾.

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد العاشر الجزء ١٩ ص ١٤٤).

حتى نعرف أن الله أعطى عيسى وءادم منزلة عنده أضاف روح عيسى وءادم إلى نفسه ليس على معنى الجزئية، وكما أضاف ناقة صالح إلى نفسه فقال ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ لما كان لها من خصوصية على غيرها من النوق بالشأن العظيم الذي كان لها، لأنه هو خالقها هو الذي أخرجها من الصخرة وأخرج معها فصيلها وكانت تعطي أهل البلد كفايتهم من الحليب فيأخذون منها الحليب في يوم ورودها الذي هي خصصت به الذي لا ترد مواشيهم به، فدل ذلك على مكانتها فأنزل الله على نبيه ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ وقد أُنذروا أن يعتدوا على ناقة الله وعلى سقياها أي اليوم الذي ترد فيه إلى الماء، ذلك اليوم لا تورده مواشيهم الماء.

وقول الإمام الأشعري «فلا يجوز وصفُ الله بالروح» الذي نقله عنه الإمام ابن فورك في كتابه «مقالات أبي الحسن الأشعري»^(١)، يُفهم منه بطلان قول «يا روح» مرادًا به الله، فليحذر كما تقدم ما في كتاب «قوت القلوب» من إيراد ذلك في ذكر سيق هناك، فإن الروح ليس وصفًا بل هو اسم جامد وفيه إيهاُمُ النقص لأن الروح جسم لطيف والجسم اللطيف أحد نوعي الجسم.

وقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي الإجماع على أن حياة الإله بلا روح، في كتابه «الفرق بين الفرق» قال ما نصه^(٢): «وأجمع أهل السنة على أن حياة الإله سبحانه بلا روح ولا اغتذاء، وأن الأرواح كلها مخلوقة» اهـ.

وقال الإمام المجتهد الحافظ محمد بن نصر المروزي: «الروح مُحدثةٌ بإجماع الأمة» اهـ.

وقال الفقيه الحنفي عبد الغني النابلسي في كتابه «أسرار الشريعة»: «يكفر من وصف الله بالروح».

قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني الشافعي المتوفى

(١) مقالات أبي الحسن الأشعري (مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص ٤٥).

(٢) الفرق بين الفرق (دار المعرفة ص ٣٣٦).

سنة ٤٧٨هـ في كتابه «الشامل في أصول الدين»^(١) : «وقد قدمنا أن الإضافة منقسمة: فمنها إضافة الملك، ومنها إضافة التشريف»، ثم قال «وهذا نحو إضافة الروح إلى الله عز وجل في قوله ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [سورة التحريم]، وقد اتفق أهل القبلة على أن وجه الإضافة في قوله ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ ما ذكرناه» اهـ.

فيجب الحذر والتحذير من هذه المصرية نوال سعداوي الملحدة ومن أقوالها حيث قالت في مقابلة لها على فضائية ال (ال بي سي) المؤسسة اللبنانية للإرسال في البرنامج المسمى «بلا رقيب»: «الله رُوْحٌ والروح أنثى فالله أنثى» وقالت الوقحة: «كان ينبغي أن يقول (قل هي الله أحد) وليس ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» وهذا كفر صراح بواح لا يشك في كفر قائله مؤمن، ونسيت هذه المستأجرة أن الله تعالى ليس ذكراً وليس أنثى، ولكنه سبحانه يُخاطَبُ بلفظٍ مُذَكَّرٍ كأن يُقال (هو الله)، وهذا تذكير للفظ وليس للمخاطبِ سبحانه، وهذا تعظيم وتقديس وتمجيد له سبحانه، وهو الأدب والاحترام والتمجيد، وهو سبحانه لا يوصف بصفة من صفات خلقه لا بالذكورة ولا بالأنوثة وهذا التعظيم والاحترام لا يكون في لفظ (هي الله)، بل هذا يدل على الاستخفاف والاستهزاء والله تعالى هو خالق الذكور والإناث يهب لمن شاء من عباده الإناث ولمن شاء الذكور، وقد قال الله تعالى في سورة الشورى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾^(٤٩)، ولتعلم هذه الجهولة أن الروح يُذَكَّرُ ويؤنثُ فكان ينبغي لها أن تتعلم قبل أن تتكلم، فالروح حجم لطيف، الله أعلم بحقيقته، فإن ذكَّرَ اللفظ لا يعني ذلك أن الروح بحد ذاتها تكون ذكراً، وإن ذكَّرت بلفظ التأنيث فلا يعني ذلك أن الروح بحد ذاتها أنثى، وهذا تذكير وتأنيث للفظ بدليل ما قاله سيد الفصحاء وإمام البلغاء محمد ﷺ (إذا قُبِضَ الرُّوحُ تَبِعَهُ البَصَرُ)، فماذا ستقول هذه المتهتكة بعد قول سيد العالمين محمد ﷺ (إذا قُبِضَ الرُّوحُ)، هل ستقول (الله ذكر)؟! والعياذ بالله من

(١) الشامل في أصول الدين (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ ص ٣٢٣).

كفرها وفجورها، سبحانه ليس كمثلها شيء لا شبيهه ولا مثيل له بالمرة. ونختم هذه المسألة بقول الله عز وجل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥ ﴾، فكيف يُجمع على زعم هذه المرأة بين قول الله عز وجل ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وبين قولها (الله روح)، فعلى حسب ادّعاؤها الفاسد الكاسد «أن الله مخلوق والمخلوق لا يخلق فكيف يكون المخلوق خالقًا للروح وللعالم»، وعلى زعمها الشاذ كان ينبغي أن يقول «قل الروح هي ربي» وليس (من أمر ربي) كما افترت هذه المخرفة التي شتمت الله واستهزأت به وكذّبت به وكذّبت القرآن وشتمت النبي ﷺ في بعض مقابلاتها واستخفّت به وبالحدج والكعبة الشريفة.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وعقولنا.

قال الحافظ المحدث شيخ الإسلام والمسلمين عبد الله الهرري رحمه الله رحمة واسعة، في رسالته في الرد على من قال (لَمْ نقول هو الله، ولا نقول هي الله)، ما نصه:

«اعلم أرشدنا الله وإياك، أن الله تعالى ليس ذكرًا ولا أنثى ولا شيئًا يشبه شيئًا من العالم، موجود لا كالموجودات، فإذا ذُكر يُذكر اللفظ الذي يُضاف إليه بلفظ التذكير لا التأنيث، لأن التأنيث فيه نقص واستخفاف. فيقال هو الله ولا يقال هي الله، لأن الذكر أفضل من الأنثى والأنبياء كلهم ذكور، والذكر أقوى من الأنثى جسمًا وعقلًا، فتذكير الخطاب تعظيم، أما تأنيث الخطاب تحقير لله وذلك كفر. أما من حيث ذات الله فهو ذات ليس كالذوات ليس ذكرًا ولا أنثى، ليس كالإنسان وليس كالضوء ولا كالظلام، وهو قبل الضوء والظلام كان موجودًا وليس ضوءًا ولا ظلامًا، وقبل الهواء كان موجودًا ولا هواء، وليس ذاتًا متحرّكًا ولا ساكنًا، وليس جوهرًا ولا عرضًا ولا حالًا في الأشياء، منزّه عن الحد لأن الحد لا بد له من حاد أوجده، لا يجوز عليه التطور والتغير لأنه لو جاز عليه التغير لكان محدثًا يحتاج إلى خالق، غاية ما يقال فيه موجود بلا كمية ولا كيفية، موجود منزّه عن الكمية وعن الكيفية، ليس الأمر كما قالت الفلاسفة إن مادة العالم هيولى لا كمية لها ولا كيفية، قالت: هذه

المادة هي أزلية وكذبوا. الأزلي لا يتطور لأن التطور ينافي الأزلية، المادة تطورت على حسب اعتقادهم فلا يصح في العقل كلامهم هذا، فإن قالوا هي مادة طوّرت نفسها، يُقال لهم الشيء لا يخلق نفسه. الحادث لا بد له من محدث يجب عقلاً أن يكون ليس له ابتداء. والله تعالى أعلم وبه التوفيق». انتهى كلام شيخ الإسلام الهرري.

قال الله تعالى :

﴿ ءَأَمِنُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾

[سورة الملك]

الشرح: قال الحافظ النووي الشافعي المتوفى سنة (٦٧٦هـ) في شرح صحيح مسلم ما نصه^(١): «قال القاضي عياض المالكي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: «ءَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ» ونحوه ليس على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم» اهـ.

وكذا قال المفسرون من أهل السنة والجماعة كفخر الدين الرازي المتوفى سنة (٥٠٤هـ) في تفسيره^(٢) وأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٥٤هـ) في تفسيره البحر المحيط^(٣) وأبي السعود الحنفي المتوفى سنة (١١٧٢هـ) في تفسيره^(٤) والمفسر محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن^(٥) وفي كتاب صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث^(٦) والإمام أبي القاسم القشيري المتوفى سنة (٤٦٥هـ) في تفسيره المسمى لطائف الإشارات^(٧) وإمام أهل السنة والجماعة الإمام أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) في تفسيره تأويلات أهل السنة^(٨) وعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة

(١) صحيح مسلم (الجزء الخامس ص ٢٤ طبعة دار الكتاب العربي).

(٢) تفسير الرازي (٩٩/٣٠).

(٣) البحر المحيط (٢٢٦/١٠).

(٤) تفسير الحنفي (٧/٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢١٥/١٧).

(٦) صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث (ص ١٥٣).

(٧) لطائف الإشارات (٣٣٩/٣).

(٨) تأويلات أهل السنة (١١٧/١٠).

(١١٩٥هـ) في حاشية القونوي على تفسير البيضاوي^(١) وأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة (١٣٤٢هـ) في تفسيره المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني^(٢) والشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري المتوفى سنة (٩٧٧هـ) في تفسير الخطيب الشربيني^(٣) والإمام الشيخ ميمون بن محمد النسفي المتوفى سنة (٥٠٨هـ) في كتابه بحر الكلام^(٤) والشيخ شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن ابراهيم المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة (٧٥٦هـ) في كتابه الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون^(٥) والمفسر محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي المتوفى سنة (٩٥١هـ) في حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي^(٦) وأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة (٤٦٨هـ) في كتابه الوسيط في تفسير القرآن المجيد^(٧) وإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المتوفى سنة (٤٧٨هـ) في كتابه الشامل في أصول الدين^(٨) وعبارة القرطبي في تفسيره لهذه الآية قال: «قال ابن عباس: قيل هو إشارة إلى الملائكة وقيل إلى جبريل وهو الموكل بالعذاب» اهـ.

وكن على ذكر بما نقله الإمام المفسر القرطبي أيضًا في كتابه «صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث»^(٩) عن شيخه أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري

(١) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (٢٠ / ١٩).

(٢) المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٧ / ١٥).

(٣) تفسير الخطيب الشربيني (٤ / ٣٧٦).

(٤) بحر الكلام (ص ١٢١).

(٥) الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون (٦ / ٣٤٥).

(٦) تفسير البيضاوي (٨ / ٢٨٠).

(٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٣٢٩).

(٨) الشامل في أصول الدين (ص ٣١٩).

(٩) صفات الله تعالى وما ورد فيها من الآي والأحاديث (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى =

المتوفى سنة (٦٥٦هـ) أنه قال: «لا خلاف بين المسلمين قاطبة محدثهم وفقههم ومتكلمهم ومقلدهم ونظارهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله «أمنت من في السماء» ليست على ظواهرها وأنها متأولة عند جميعهم».

ثم قال الإمام القرطبي: «قلت: وكذا قوله تعالى: «أمنت من في السماء» أي أمنت خالق من في السماء» اهـ

وعبارة الإمام الجويني كما في كتابه «الشامل في أصول الدين» هي^(١): «ومما يسألون عنه، قوله تعالى: ﴿أَمِنُّم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ وهذا يقرب وجه الكلام في ما سبق». ثم قال: «ويجوز أن يريد الله بقوله «من في السماء» ملكًا، مسلطًا على عذاب مستوجب العذاب وقد حمله بعض المتأولين على جبريل، فإنه الذي جعله الله جعل قري قوم لوط عاليها سافلها، واقتلها من حيث أراد الله، واحتملها على قادمة جناحه إلى أعناق السماء. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (سورة التكوير)، وهو الموكل على القرون الخالية. وفي وجوه التأويل متسع». اهـ.

وقد قال أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري في كتابه «الوسيط» في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «لاستحالة أن يكون الله في مكان أو موصوفًا بجهة. وأهل المعاني يقولون: من في السماء هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل» اهـ.

حديث الجارية

وأما الحديث المعروف بحديث الجارية فقد قال فيه الإمام النووي في شرح صحيح مسلم الجزء الخامس كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيها مذهبان تقدّم ذكرهما مرّات في كتاب الإيمان: أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد أنّ الله ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات

= ١٤٢٢هـ - ١٥٣ (ص ١٥٣).

(١) الشامل في أصول الدين (دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ص ٣١٩).

المخلوقات. والثاني: تأويله بما يليق به. فمن قال بهذا قال: كان المراد امتحانها هل هي موحدة تقرُّ بأنَّ الخالق المدبِّر الفَعَّال هو الله وحده، وهو الَّذي إذا دعاه الدَّاعي استقبل السَّماء، كما إذا صَلَّى المصلِّي استقبل الكعبة، وليس ذلك لأنَّه منحصر في السَّماء، كما أنَّه ليس منحصرًا في جهة الكعبة، بل ذلك لأنَّ السَّماء قبلة الدَّاعين، كما أنَّ الكعبة قبلة المصلِّين، أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم، فلمَّا قالت: في السَّماء علم أنَّها موحدة وليست عابدة للأوثان. قال القاضي عياض: لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدِّثهم ومتكلمهم ونظَّارهم ومقلِّدhem أنَّ الظواهر الواردة بذكر الله في السَّماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [سورة الملك] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم» انتهى.

وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ما نصه: «وقيل في تأويل هذا الحديث: إن النبي ﷺ سألها بأين عن الرتبة المعنوية التي هي راجعة إلى جلاله تعالى وعظمته التي بها باين كلِّ مَنْ نُسبت إليه الإلهية وهذا كما يقال: أين الثريا من الثرى؟! والبصر من العمى؟! أي بعد ما بينهما واختصت الثريا والبصر بالشرف والرفعة على هذا يكون قولها في السماء أي في غاية العلو والرفعة وهذا كما يقال: فلان في السماء ومناطق الثريا» اهـ.

وقال الرازي أيضًا في كتابه أساس التقديس: «إن لفظ أين كما يجعل سؤالاً عن المكان فقد يجعل سؤالاً عن المنزلة والدرجة يقال أين فلان من فلان فلعل السؤال كان عن المنزلة وأشار بها إلى السماء أي هو رفيع القدر جدًّا». اهـ.

وفي كتاب إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للإمام محمد بن خليفة الأبي ما نصه: وقيل إنما سألها بأين عما تعتقده من عظمة الله تعالى، وإشارتها إلى السماء إخبار عن جلاله في نفسها، فقد قال القاضي عياض لم يختلف المسلمون في تأويل ما يوهم أنه تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ

فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ اهـ ومثله في كتاب مكمل إكمال الإكمال شرح صحيح مسلم للإمام محمد السنوسي الحسني .

وقال الإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ في كتابه المبسوط^(١) :

فأما الحديث فقد ذكر في بعض الروايات: أن الرجل قال عليّ عتق رقبة مؤمنة، أو عرف رسول الله ﷺ بطريق الوحي أن عليه رقبة مؤمنة، فلهذا امتحنها بالإيمان، مع أن في صحة ذلك الحديث كلامًا فقد روي أن النبي ﷺ قال: (أين الله فأشارت إلى السماء) ولا نظن برسول الله ﷺ أنه يطلب من أحد أن يثبت لله تعالى جهة ولا مكانًا، ولا حجة لهم في الآية، لأن الكفر خبث من حيث الاعتقاد، والمصروف إلى الكفارة ليس هو الاعتقاد إنما المصروف إلى الكفارة المالية، ومن حيث المالية هو عيب يسير على شرف الزوال» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح سنن الترمذي: «أين الله؟ والمراد بالسؤال بها عنه تعالى المكانة فإن المكان يستحيل عليه. اهـ

وقال الحافظ ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه بعد رواية حديث معاوية بن الحكم: قلت «قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا يحويه السماء والأرض ولا تضمه الأقطار وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق عندها. اهـ

وقال الباجي: لعلها تريد وصفه بالعلو وبذلك يوصف كل من شأنه العلو فيقال فلان في السماء بمعنى علو حاله ورفعته وشرفه. اهـ

وقال البيضاوي: لم يرد به السؤال عن مكانه فإنه منزّه عنه والرسول أعلى من أن يسأل ذلك. اهـ

وقال الإمام الحجة تقي الدين السبكي في رده على نونية ابن قيم الجوزية المسمى بالسيف الصقيل: أما القول فقولہ ﷺ للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثًا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل لأنه

(١) المبسوط (المجلد الرابع) (الجزء ٧) [تابع كتاب الطلاق] باب العتق في الظهار).

مَشَاءَ عَلَى بَدْعَةٍ لَا يَقْبَلُ غَيْرَهَا. اهـ

قال الفخر الرازي: وأما عدم صحة الاحتجاج بحديث الجارية في إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة في تنزيه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ۗ﴾ [سورة الأنعام] وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۗ﴾ [سورة الأنعام] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنزيه الله سبحانه عن المكان والزمان. اهـ

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر في كتاب التذكار في أفضل الأذكار: لأن كل من في السموات والأرض وما فيهما خلق الله تعالى وملك له وإذا كان كذلك يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو محدوداً ولو كان كذلك لكان محدثاً وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق وعلى هذه القاعدة قوله تعالى: وقوله عليه السلام للجارية: أين الله؟ قالت في السماء، ولم يُنكر عليها وما كان مثله ليس على ظاهره بل هو مؤول تأويلات صحيحة قد أبداها كثير من أهل العلم في كتبهم. اهـ

وقال بعض العلماء إن الرواية الموافقة للأصول هي رواية مالك وفيها أن الرسول قال لها: «أتشهدين أن لا إله إلا الله» قالت: «نعم» قال: «أتشهدين أنني رسول الله» قالت: «نعم». أخرجها الإمامان إماما أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ومالك بن أنس رضي الله عنهما.

أما أحمد فأخرج عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال: «يا رسول الله إن عليّ رقبه مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها» فقال لها الرسول ﷺ: «أتشهدين أن لا إله إلا الله» قالت: «نعم»، قال: «أتشهدين أنني رسول الله» قالت: «نعم»، قال: «أتؤمنين بالبعث بعد الموت» قالت: «نعم»، قال: «أعتقها»، ورجاله

رجال الصحيح.

وفي رواية لابن الجارود بلفظ: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أنني رسول الله؟ قالت: نعم، قال: أتوقنين بالبعث بعد الموت؟ قالت نعم، قال: اعتقها فإنها مؤمنة. وهي رواية صحيحة.

ومنها ما رواه الإمام ابن حبان في صحيحه عن الشريد بن سويد الثقفي قال قلت: يا رسول الله إن أمي أوصت أن نعتق عنها رقبة وعندي جارية سوداء قال: ادع بها، فجاءت فقال: من ربك؟ قالت: الله، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة. ورواه أيضًا بهذا اللفظ النسائي في الصغرى وفي الكبرى والإمام أحمد في مسنده والطبراني والبيهقي ورواه أيضًا بهذا اللفظ ابن خزيمة في كتابه الذي سماه كتاب التوحيد من طريق زياد بن الربيع عن بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن الشريد.

قال بعض العلماء: ظاهر هذا الحديث (الذي فيه حكم على الجارية بالإسلام لأنها قالت: في السماء) يخالف الحديث المتواتر الذي رواه خمسة عشر صحابيًا. وهذا الحديث المتواتر الذي يعارض حديث الجارية قوله عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». هذا الحديث فيه أنّ الرسول لا يحكم بإسلام الشخص الذي يريد الدخول بالإسلام إلا بالشهادتين. لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يحكم له بقول «الله في السماء» بالإسلام لأن هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» اهـ ولفظ رواية مالك: أتشهدين، موافق للأصول. لذا حكم الحافظ أبو بكر البيهقي وغيره باضطراب حديث الجارية هذا.

- الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى قال في «الأسماء والصفات»: «وهذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطوعاً من حديث الأوزاعي وحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية؟ وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه،

وقد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث^(١) . - الحافظ البزار قال بعد أن روى الحديث من طريق من طريقه^(٢) : «وهذا قد روي نحوه بألفاظ مختلفة».

- قال الإمام محمد بن أحمد السرخسي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ في كتابه المبسوط^(٣) :

فأما الحديث فقد ذكر في بعض الروايات: أن الرجل قال عليّ عتق رقبة مؤمنة، أو عرف رسول الله ﷺ بطريق الوحي أن عليه رقبة مؤمنة، فلهذا امتحنها بالإيمان، مع أن في صحة ذلك الحديث كلاماً اهـ

- قال الامام الحافظ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»^(٤) : «أقول: أما القول: فقوله للجارية «أين الله؟ قالت: في السماء» وقد تكلم الناس عليه قديما وحديثًا والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل اهـ

- الحافظ ابن حجر العسقلاني قال في «التلخيص الحبير» ما نصه^(٥) : «وفي اللفظ مخالفة كثيرة» اهـ.

قال الحافظ في «فتح الباري»^(٦) : «فإن إدراك العقول لاسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف؟ كما لا يتوجه عليه في وجوده أين وحيث..» اهـ.

- المحدث الكوثري حكم بالاضطراب في تعليقه على «الأسماء والصفات» فقال^(٧) : «وقصة الجارية مذكورة في ما بأيدينا من نسخ مسلم لعلها زيدت في ما

(١) انظر السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨).

(٢) (كما في كشف الاستار ١/ ١٤).

(٣) المبسوط (المجلد الرابع (الجزء ٧) [تابع كتاب الطلاق] باب العتق في الظهار).

(٤) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ص ٩٤).

(٥) التلخيص الحبير (٣/ ٢٢٣).

(٦) فتح الباري (١/ ٢٢١).

(٧) الأسماء والصفات (ص ٤٢٢).

بعد إتماماً للحديث، أو كانت نسخة المصنف ناقصة؟ وقد أشار المصنف - أي البيهقي - إلى اضطراب الحديث بقوله (وقد ذكرت في كتاب الظهار - من السنن - مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث)... اهـ وفي تعليقه رحمه الله تعالى على كتاب الحافظ السبكي «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»^(١) توسع في مبحث اضطرابه.

- المحدث عبد الله بن الصديق ذكر في تعليقه على كتاب «التمهيد» للحافظ ابن عبد البر عن لفظ «أين الله» ما نصه^(٢): «رواه مسلم وأبو داود والنسائي. وقد تصرف الرواة في ألفاظه، فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ «من ربك؟» قالت: الله ربي. وبلفظ «أشهادين إلا إله إلا الله؟» قالت: نعم. وقد استوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروى بالمعنى حسب فهم الراوي...»

فإن قيل: كيف تكون رواية مسلم: أين الله، فقالت: في السماء، إلى آخره مردودة مع إخراج مسلم له في كتابه وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة، فالجواب: أن عدداً من أحاديث مسلم ردها علماء الحديث وذكرها المحدثون في كتبهم كحديث أن الرسول قال لرجل: إن أبي وأباك في النار، وحديث إنه يعطي كل مسلم يوم القيامة فداءً له من اليهود والنصارى، وكذلك حديث أنس: صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم. فأما الأول فضعفه الحافظ السيوطي، والثاني رده البخاري، والثالث ضعفه الشافعي.

فائدة: تضعيف السيوطي في كتابه مسلك الحنفا في نجات أبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتضعيف الإمام الشافعي مذكور في كتب الحديث المطولة كشرح ألفية العراقي في علم الحديث (فتح المغيث) للعراقي نفسه، أما تضعيف البخاري ففي فتح الباري قال الحافظ ابن حجر ما نصه: وقد أخرج أصل الحديث مسلم من وجه آخر عن أبي

(١) السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ص ٩٤).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣٥).

بردة بلفظ إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول هذا فداؤك من النار: قال البيهقي ومع ذلك فضعفه البخاري وقال الحديث في الشفاعة أصح. انتهى

ولو صح حديث الجارية لم يكن معناه أن الله ساكن السماء كما توهم بعض الجهلة بل لكان معناه أن الله عالي القدر جدًّا، وعلى هذا المعنى أقر بعضهم صحة رواية مسلم هذه.

ونقول للمشبهة: لو كان الأمر كما تدعون من حمل آية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه] «على ظاهرها وحمل حديث الجارية على ظاهره لتناقض القرآن بعضه مع بعض والحديث بعضه مع بعض، فما تقولون في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة] «فإما أن تجعلوا القرآن مناقضًا بعضه لبعض والحديث مناقضًا بعضه لبعض فهذا اعتراف بكفركم لأن القرآن ينزه عن المناقضة وحديث الرسول كذلك، وإن أولتم آية ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة] ولم تؤولوا آية الاستواء فهذا تحكّم أي قول بلا دليل.

وقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «إذا كان أحدكم في صلته فإنه يناجي ربه فلا يبصقن في قبلته ولا عن يمينه فإن ربه بينه وبين قبلته»، وهذا الحديث أقوى إسنادا من حديث الجارية.

وأخرج البخاري أيضًا عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده».

وفي مسند الامام أحمد: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا بصيرًا ان الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته». اهـ

فيقال للمعترض: إذا أخذت حديث الجارية على ظاهره وهذين الحديثين على ظاهرهما لبطل زعمك أن الله في السماء وإن أولت هذين الحديثين ولم تؤول

حديث الجارية فهذا تحكم - أي قول بلا دليل - ويصدق عليك قول الله في اليهود ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (سورة البقرة) [٨٥] وكذلك ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة) [١١٥] فإن أولته فلم لا تؤول حديث الجارية. وقد جاء في تفسير هذه الآية عن مجاهد تلميذ ابن عباس: «قِبْلَةُ اللَّهِ»، ففسر الوجه بالقبلة، أي لصلاة النفل في السفر على الراحلة. وفي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فأكثروا الدعاء». اهـ

ونختم هذا الجواب بما في كتاب «رد المحتار على الدر المختار» كتاب الصلاة باب شروط الصلاة.

(استقبال القبلة) حقيقة أو حكمًا كعاجز، والشروط حصوله لا طلبه، وهو شرط زائد للابتلاء قوله (للابتلاء) علة لمحذوف أي شرطه الله تعالى لاختبار المكلفين لأن فطرة المكلف المعتقد استحالة الجهة عليه تعالى تقتضي عدم التوجه في الصلاة إلى جهة مخصوصة فأمرهم على خلاف ما تقتضيه فطرتهم اختبارا لهم هل يطيعون أو لا كما في البحر. قلت: وهذا كما ابتلى الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم حيث جعله قبلة لسجودهم. اهـ

تأويل أهل الحق

لقوله عليه الصلاة والسلام ارحموا من في الأرض

يرحمكم من في السماء

معنى هذا الحديث الذي رواه الترمذي: «الراحِمُونَ يرحمهم الرحمنُ ارحموا مَنْ فِي الْأَرْضِ يرحمكم من في السماء»، مفسَّر بالرواية الأخرى لهذا الحديث «ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء» رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم (بشواهد).

فهذه الرواية تُفسِّر الرواية الأولى لأنَّ خير ما يُفسر به الحديث الوارد بالوارد كما قال الحافظ العراقي في ألفيته: وخير ما فسرت به بالوارد.

ثم المراد بأهل السماء الملائكة، ذكر ذلك الحافظ العراقي في أماليه عقيب هذا الحديث، ونص عبارته: واستدلَّ بقوله: «أهل السماء» على أنَّ المراد بقوله تعالى في الآية: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ الملائكة اهـ، لأنه لا يقال لله «أهل السماء».

و«مَنْ» تصلح للمفرد وللجمع فلا حجة للمجسمة في الآية، ويقال مثل ذلك في الآية التي تليها وهي: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ف«من» في هذه الآية أيضًا أهل السماء، فإن الله يسلط على الكفار الملائكة إذا أراد أن يُجِلَّ عليهم عقوبته في الدنيا كما أنهم في الآخرة هم الموكلون بتسليط العقوبة على الكفار لأنهم خزنة جهنم وهم يجزؤون عنقًا من جهنم إلى الموقف ليرتاع الكفار برويته.

وتلك الرواية التي أوردها الحافظ العراقي في أماليه هكذا لفظها: «الراحمون يرحمهم الرحيم ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء». وإسنادها حسن، ولا يجوز أن يقال عن الله أهل السماء فتحمل رواية «من في السماء» على أن المراد بها أهل السماء أي الملائكة، وكذلك يُحمل قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [سورة الملك] على الملائكة، ومعروف في النحو أفراد ضمير الجمع، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ

إِلَيْكَ ﴿٤٤﴾ [سورة يونس].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «ارحموا من في الأرض» معناه بإرشادهم إلى الخير بتعليمهم أمور الدين الضرورية التي هي سبب لإنقاذهم من النار وبإطعام جائعهم وكسوة عاريهم ونحو ذلك. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «يرحمكم أهل السماء»، فأهل السماء هم الملائكة وهم يرحمون من في الأرض أي أن الله يأمرهم بأن يستغفروا للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَلَيْتِكُمْ لِيُسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُوا لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الشورى]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة غافر]، ويُنزلون لهم المطر وينفحونهم بنفحات خيرٍ ويُمِدونهم بمدد خيرٍ وبركة، ويحفظونهم على حسب ما يأمرهم الله تعالى.

قال العلامة السندي (ت ١١٣٨ هـ) في حاشيته على مسند أحمد^(١): (يَرْحَمُكُمْ) بالجزم على جواب الأمر، ويمكن الرفع على الاستئناف بمنزلة التعليل على معنى: يرحمكم إن رحمتهم، (أهل السماء) أي: سكان السماء من الملائكة الكرام، ورحمتهم بالاستغفار لهم وللدعاء، وتفسيره بالله بعيد» اهـ

قلنا: كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة مريم].

وقال الإمام النووي (ت ٦٧٦): قال القاضي عياض المالكي (ت ٥٤٤): لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم ومحدّثهم ومتكلمهم ونظارهم ومقلّدهم أنّ الظواهر الواردة بذكر الله في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم اهـ ذكره في كتابه شرح صحيح مسلم^(٢).

(١) مسند أحمد (٤/٢٩٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٢٢).

قال الإمام القرطبي (ت ٦٧١): في تفسيره في قول الله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾: وقيل: هو إشارة إلى الملائكة. وقيل: إلى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب. قلت: ويحتمل أن يكون المعنى: أمنتهم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون. اهـ ثم قال: والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت. ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام. وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، ومحل القدس، ومعدن المطهرين من الملائكة، وإليها ترفع أعمال العباد، وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان. ولا مكان له ولا زمان. وهو الآن على ما عليه كان» اهـ. انظر كتاب تفسير القرطبي^(١).

قال الإمام الرَّاظِي (ت ٦٠٤): واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطًا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئًا حقيرًا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ۝١٢﴾ [سورة الأنعام] فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكا لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل^(٢).

وقال أيضًا في كتابه التفسير الكبير^(٣): «ولو تدبر الإنسان القرآن لوجده مملوءا من عدم جواز كونه في مكان» اهـ.

ويردُّ على المجسمة بإيراد الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي

(١) تفسير القرطبي (المجلد ٩ الجزء ١٨ صحيفة ١٤١).

(٢) انظر كتاب التفسير الكبير (ج ١٥ جزء ٣٠ ص ٦١).

(٣) التفسير الكبير (المجلد ١٣ الجزء ٢٥ الصحيفة رقم ١٩٤).

الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿٦٨﴾ [سورة الزمر] فيقال لهم: هل تزعمون أن الله يُصعق، وكذا يُردُّ عليهم بإيراد الآية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء].

ثمَّ لو كَانَ اللهُ سَاكِنَ السَّمَاءِ كَمَا يَزْعُمُ المَجْسَمَةُ لكَانَ اللهُ يَزَاحِمُ المَلَائِكَةَ وَهَذَا مُحَالٌ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالبَزَارُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرَبِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلِكٌ سَاجِدٌ» الحَدِيثِ، وَفِي الحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا «مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٍّ إِلَّا وَفِيهِ مَلِكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ» وَلِلطَّبْرَانِيِّ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ سَاكِنَ السَّمَاءِ وَإِلَّا لَكَانَ مَسَاوِيًّا لِلْمَلَائِكَةِ مَزَاحِمًا لَهُمْ.

فَائِدَةٌ: كِلَا اللَّفْظَيْنِ (أَهْلُ السَّمَاءِ، مَنْ فِي السَّمَاءِ) مَحْفُوظَانِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، مَرْفُوعًا.

فَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ - أَيُّ سُفْيَانَ - بِلَفْظِ (أَهْلُ السَّمَاءِ)، وَهُمْ:

- ١- أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.
- ٢- عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ.
- ٣- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ.
- ٤- مُسَدَّدُ بْنُ مَسْرَهَدٍ.
- ٥- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَمِيدِيُّ.
- ٦- إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّالِقَانِيُّ.
- ٧- مُحَمَّدُ بْنُ أَدَمَ.

وَرَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ أَيْضًا بِلَفْظِ (مَنْ فِي السَّمَاءِ)، وَهُمْ:

- ١- أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ.
- ٢- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَمِيدِيُّ.

٣- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ.

٤- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرِ بْنِ الْحَكَمِ.

٥- مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْقُرَشِيُّ.

٦- خَالِدُ بْنُ نِزَارٍ.

وهذا الحديث يُسَمَّى «المُسَلَّسُ بِالأُولَيَّةِ»، وهو حديثٌ درج المُحدِّثون على الافتتاح به في سَمَاعِهِمْ وإِسْمَاعِهِمْ لِمَا فِيهِ مِنْ تَسْلُسِ الأُولَيَّةِ. وقد لَهَجَتْ به ألسنة المُحدِّثين (بِشَرْطِهِ) فافتتحوا به مَجَالِسَ التَّحْدِيثِ والأَمَالِي، وَضَمَّنُوهُ مَسْمُوعَاتِهِمْ وإِجَازَاتِهِمْ، بل صَنَّفُوا فِيهِ المُصَنَّفَاتِ الكَثِيرَةَ، وَنَظَّمُوا فِيهِ الأَشْعَارَ الطَّرِيفَةَ، واستخرجوا منه الكثير من الفوائد الإِسْنَادِيَّةِ وَالمُتَنِيَّةِ.

ومعنى مسلسل بالأولية أن يقول الراوى حدثنا فلان وهو أول حديث سمعته منه قال حدثنا فلان وهو أول حديث سمعته منه.. إلى آخره.

وقد قال الحافظُ ابن ناصر الدين الدمشقيُّ في كتابه «مجالس في تفسير قول الله تعالى لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»: «هذا الحديث له ألقابٌ بحسبِ الوجوه التي رويناها منها، فهو حديثٌ صحيحٌ، حسنٌ، فردٌ، مُسَلَّسٌ من وجهين، مُعَلٌّ من وجوه، مُخْتَلَفٌ فِي إِسْنَادِهِ مِنْ وَجُوهِ، مَرْفُوعٌ، مَوْقُوفٌ مِنْ وَجْهِ، مُنْقَطِعٌ عَلَى قَوْلٍ مَرْجُوحٍ، مُعْنَعٌ».

وقال في موضعٍ آخر: «هذا الحديث له ألقابٌ بحسبِ طُرُقِهِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا مِنْهُ، فهو حديثٌ صحيحٌ، وَحَسَنٌ، وَضَعِيفٌ الإِسْنَادِ مِنْ وَجْهِ، وَفَرْدٌ، وَمُعَلٌّ مِنْ وَجْهِ، وَمَرْفُوعٌ، وَمَوْقُوفٌ مِنْ وَجْهِ، وَمُسَلَّسٌ بِالأُولَيَّةِ: مَقْطُوعٌ التَّسْلُسِ، وَمَوْصُولٌ التَّسْلُسِ مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ، كَمَا رَوَيْنَاهُ، وَمُعْنَعٌ، لِقَوْلِ سَفِيانَ فِيهِ: عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو».

تأويل حديث النزول والرد على الوهابية المجسمة

إن قال المجسم الوهابي أو غيره من الذين يعتقدون أن الله ذات يسكن ويتحرك

دليلنا على ذلك حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى
تُلُتُ اللَّيْلُ الْآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبْ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي
فَأَغْفِرْ لَهُ؟

قلنا:

الحديث صحيح، لكن لا يجوز تفسيره بالنزول الحسي من ذات الله تعالى لأنه
يلزم على ذلك بشاعة ومحال وذلك لأن الليل والنهار وأجزاءهما كالنصف والثلث
يختلف باختلاف البلدان فإن قلتم أن الله ينزل بالنسبة لبلد واحدة كمكة فقط
فمن أين هذا التخصيص ليس عندكم دليل وإن قلتم إنه بالنسبة لكل الدنيا فليل
بلد نهار بلد آخر ونصف الليل في بلد يكون نصف النهار في بلد آخر فيلزم
على معتقدكم أن يكون الله نازلاً وطالماً كل ساعة من ساعات الليل والنهار وهذا
ينافي قولكم إنه مختص بالعرش فبطل عليكم ذلك المعتقد، ثم إن العرش أكبر
العوالم بحيث أن الكرسي بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة وأن السموات بالنسبة
إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وعلى هذا تكون سماء الدنيا بالنسبة
للعرش أقل من خردلة ملقاة في فلاة فكيف تسع الله الذي هو في معتقدكم بقدر
العرش أو أوسع من العرش، إن قلتم هو ينزل إلى السماء الدنيا وهي على حالها وهو
على حاله فهذا محال وإن قلتم أن الله يصير أقل من قدر خردلة حتى تسعه السماء
الدنيا فهذا أيضاً محال، وإن قلتم أن الكرسي والسموات تكون بقدر العرش أو أوسع
منه، فمن أين الدليل على ذلك من القرآن أو الحديث؟

قال الإمام الحافظ الحجة أبو بكر بن فورك شيخ البيهقي رحمهما الله في كتابه
مشكل الحديث وبيانه ما نصه: وقد روى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي
ﷺ بما يؤيد هذا الباب وهو بضم الياء من ينزل وذكر أنه ضبطه عمن سمعه من
الثقات الضابطين وإذا كان ذلك محفوظاً مضبوطاً كما قال فوجهه ظاهر. اهـ

فهذه الرواية الصحيحة تفسر رواية «ينزل ربنا..».

لأن نزول الملائكة لما كان بأمر الله ليبلغوا عنه عبّر الرسول عن ذلك بوحي من

الله بعبارة «ينزل ربنا».. ولذلك نظير في القرآن قال الله تعالى في حق آدم وحواء:

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٢)

[سورة الأعراف] فيه دليل على صحة رواية النسائي: إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول فيأمر منادياً... فكما أن الله تعالى نسب نداء المَلَكِ لآدم وحواء إلى نفسه لكونه بأمره فكذلك صح إسنادُ نزول المَلَكِ إلى السماء الدنيا ليبلغ عن الله: هل من داع فيستجيب الله له وهل من سائل فيعطي وهل من مستغفر فيغفر له الله.

وفي الآية أيضاً دليل على أن نداء الملك لبعض خلق الله بأمر الله يُسند إلى الله من غير أن يكون هناك صوت يخرج من الله، فمن هنا يؤخذ رد اعتراض بعض المجسمة رواية النسائي لحديث النزول حيث إنه قال: إن هذه الرواية تستلزم حصول قول الملك: هل من مستغفر فأغفر له وهل من داع فأستجيب له. فنقول كما أن الله جعل نداء الملك لآدم وحواء بأن الله يقول لكما: «ألَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ».

كذلك يُحمل حديث النزول على الرواية المشهورة على أن الله يأمر الملك بالنزول إلى السماء الدنيا ويبلغ عن الله بأن يقول: إن الله يقول لعباده الداعين والسائلين: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه إلى آخر ما ورد فيه وليس المعنى أن الملك يقول عن نفسه من يستغفرني فأغفر له ومن يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه.

ونظير هذا ما جاء في القرآن من قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ، فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَأَنْصِتْ لَهُ﴾ (١٨)

[سورة القيامة] معناه فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا ومعلوم أنه ليس المعنى أن الله يقرأ القرآن على رسول الله كما يقرأ المعلم على التلميذ فهذا ينحل الإشكال الذي يخطر لبعض الناس والذي يورده ابن تيمية ومن نهج منهجه في التشبيه من وهابية وغيرهم. وقد قال رئيس القضاة الشافعية في مصر في زمانه بدر الدين ابن جماعة في إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل.

اعلم أن النزول الذي هو بانتقال من علو إلى سفلى لا يجوز حمل الحديث عليه

لوجوه:

الأول

النزول الحسي من صفات الأجسام والمحدثات ويحتاج إلى ثلاثة أجسام مُنْتَقِلٍ ومُنْتَقَلٍ عنه ومُنْتَقَلٍ إليه وذلك على الله تعالى محال.

الثاني

لو كان النزول بذاته حقيقة لتجددت له في كل يوم وليلة حركات عديدة تستوعب الليل كله وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئاً فشيئاً فيلزم انتقاله إلى السماء الدنيا ليلاً ونهاراً من قوم إلى قوم وعوده إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله بها إلى السماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث

أن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملاءه كيف تسعه السماء الدنيا وهي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة فيلزم عليه أحد أمرين إما اتساع في السماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضائل الذات المقدس عن ذلك حتى تسعه ونحن نقطع بانتفاء الأمرين. إذا ثبت ذلك فقد ذهب جماعة من السلف إلى السكوت عن المراد بذلك النزول مع قطعهم بأن ما لا يليق بجلاله تعالى غير مراد وتنزيهه عن الحركة والانتقال، وقسم من العلماء قالوا المراد بالنزول نزول الملك بأمر الله لأنك تقول قطع الأمير يد اللص ولا يكون الأمير بنفسه قد أمسك السكين وحز المكان إنما المعنى أن يد اللص قطعت بأمر الأمير فتقول قطع الأمير يد اللص وبنى الأمير بيتا وقد لا يكون حمل حجرا واحداً فيه إنما معناه بُني بأمره، كذلك ينزل ربنا أي ينزل الملك بأمر ربنا. اهـ

قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ وخص السحر بالذكر لأنه مظان القبول ووقت إجابة الدعاء - إلى أن قال - قلت أصح من هذا ما روى الأئمة عن النبي ﷺ قال: ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني

فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرنني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر وفي رواية: حتى ينفجر الفجر لفظ مسلم. وقد اختلف في تأويله وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال وأن الأول من باب حذف المضاف أي ينزل ملك ربنا فيقول. وقد روي: يُنزل بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا، وبالله توفيقنا وقد أتينا على ذكره في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی وصفاته العلی. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حملة على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ومنهم من أنكروا صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإما عناداً، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال منزهها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانيين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم، ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من أنواع التحريف، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجوراً فأول في بعض وفوض في بعض وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد، قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه، من الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير

واجب فحينئذ التفويض أسلم. اهـ

وقال البيهقي في السنن الكبرى ما نصه: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول: حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر] والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوًا كبيرًا. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول: إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدلُّ من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح فأما نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. اهـ

وقال أبو سليمان الخطابي: إن الحركة والانتقال من نعوت الحدث وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. اهـ وقال أيضًا في شرحه على سنن أبي داود ردا على من وصف الله بالحركة: والله سبحانه لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين والله عز وجل مُتَعَالٍ عنهما ليس كمثله شيء. اهـ

قال البيهقي أيضًا في الأسماء والصفات: وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه يُحَدِّثُ اللهُ تعالى يوم القيامة فعلاً يسميه إتيانًا ومجيئًا لا بأن يتحرك أو ينتقل فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء، وهذا كقوله عز وجل ﴿فَأَنفَ﴾

اللَّهُ بِنَيْبَتِهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٠﴾ ولم يُرد به إتيانا من حيث النقلة وإنما أراد إحداث الفعل الذي به خرب بنيانهم وخرَّ عليهم السقف من فوقهم فسمى ذلك الفعل إتيانا وهكذا قال في أخبار النزول إن المراد به فعل يُحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة تعالى الله عن صفات المخلوقين. اهـ

وقال الكرمانى في شرح البخارى: ينزل في بعضها يتنزل فإن قلت هو سبحانه وتعالى منزه عن الحركة والجهة والمكان قلت هو من المتشابهات فإما التفويض وإما التأويل بنزول ملك الرحمة. اهـ

وهذا التأويل أخذه أهل السنة من رواية النسائي

إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى.
قال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتاب لوامع الأنوار البهية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ما نصه: قال أهل التأويل إن العرب تنسب الفعل إلى من أمر به كما تنسبه إلى من فعله وباشره بنفسه قالوا والمعنى هنا إن الله تعالى يأمر ملكًا بالنزول إلى السماء الدنيا فينادي بأمره وقال بعضهم إن قوله: ينزل راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته المقدس فإن النزول كما يكون في الأجساد يكون في المعاني أو راجع إلى المَلَك الذي ينزل بأمره ونهيه تعالى، فإن حمل النزول في الأحاديث على الجسم فتلك صفة المَلَك المبعوث بذلك وإن حمل على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل سمي ذلك نزولا من مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة والحاصل أن تأويله على وجهين إما بأن المراد ينزل أمره أو المَلَك بأمره وإما أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحو ذلك كما يقال نزل البائع في سلعته إذا قارب المشتري بعدما باعده وأمكنه منها بعد منعه، والمعنى هنا أن القرب في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله منه في غيره من الأوقات وأنه تعالى يُقبَلُ عليهم بالتحنن

والعطف في هذا الوقت بما يُلقيه في قلوبهم من التنبيه والتذكير الباعثين لهم على الطاعة.

وقد حكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبط رواية البخاري بضم أوله على حذف المفعول أي يُنزل ملكًا قالوا ويقويه ما روى النسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالوا قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يُمهّل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى قال القرطبي صححه عبد الحق، قالوا: وهذا يرفع الإشكال ويُزيل كل احتمال والسنة يُفسر بعضها بعضًا وكذا الآيات، قالوا: ولا سبيل إلى حمله على صفات الذات المقدس فإن الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الأوقات والساعات وصفات الرب جل شأنه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهها عن التجدد والحدوث، قالوا: وكل ما لم يكن فكان أو لم يثبت فثبت من أوصافه تعالى فهو من قبيل صفة الأفعال، قالوا: فالنزول والاستواء من صفات الأفعال. اهـ

قال الحافظ النووي في شرحه على مسلم عند قوله ينزل ربنا... الحديث، هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني

مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله بأمره.

والثاني أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ. اهـ

وقال البيهقي في الأسماء والصفات: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيفية. اهـ

وقال القاضي ابن العربي في العارضة في شرحه على الترمذي: واختلف الناس في هذا الحديث وأمثاله على ثلاثة أقوال فمنهم من رده لأنه خبر واحد ورد بما لا يجوز ظاهره على الله وهم المبتدعة ومنهم من قبله وأمره كما جاء ولم يتأوله ولا تكلم فيه مع اعتقاده أن الله ليس كمثل شىء ومنهم من تأوله وفسره وبه أقول لأنه معنى قريب عربي فصيح، أما إنه قد تعدى إليه قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير فتعدوا عليه بالقول بالتكثير قالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات قلنا هذا جهل عظيم وإنما قال ينزل إلى السماء ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل ولا كيف ينزل فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة المَلَك المبعوث بذلك وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة. اهـ

قال الله تعالى :

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

[سورة القلم]

معنى هذه الآية أي يكشف يوم القيامة عن شدة شديدة وهولٍ شديد، أي عن أمر شديد بالغ في الصعوبة، أما المشبهة فيقولون والعياذ بالله ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ أي الله تعالى يكشف عن ساقه.

قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»^(١) : «وقد روى عكرمة عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ، وأنشد: وقامت الحربُ بنا على ساق. وهذا قول مجاهد وقتادة» اهـ.

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ هذا السجود سجود امتحان حتى يتميّز المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله تعالى عن نيّة وإخلاص من المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام ولم يكونوا مسلمين إنما كانوا يسجدون في الدّنيا مع المسلمين أحياناً، أي حتى ينكشف أمر هؤلاء وينفضحوا، يأمر الله الناس بالسجود، فالمؤمنون يسجدون وأما المنافقون فلا يستطيعون لأن ظهورهم لا تطاوعهم على السجود فيفتضحون. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٢) أي ساق العباد يكشف عن شدة.

قال الامام الحافظ المحدث شافعي زمانه ورفاعي أوانه شيخ الاسلام عبد الله بن محمد الهرري الحبشي في كتابه «صريح البيان في الرد على من خالف القرآن»^(٢): «التأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضاً عن غير واحد من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة، ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين،

(١) زاد المسير (الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ الجزء الثامن ص ٣٤١).

(٢) صريح البيان في الرد على من خالف القرآن (الطبعة الثالثة ١٤٢٩ هـ طبع دار المشاريع بيروت ص ٧٩).

والإمام أحمد ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاري وغيره.

أما ابن عباس فقد قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في فتح الباري شرح صحيح البخاري^(١): «أما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه: قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق.

وقال الخطابي كما نقل البيهقي في «الأسماء والصفات»^(٢): تهيب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق، ومعنى قول ابن عباس إن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند البيهقي في الأسماء والصفات أيضًا الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر، وذكر الرجز المشار إليه، وأنشد الخطابي في إطلاق الساق على الأمر الشديد: في سنة قد كشفت عن ساقها. اهـ. ومثل ذلك نقل الامام المحدث الأصولي أبو بكر ابن فورك في كتابه «مشكل الحديث وبيانه»^(٣) عن أبي موسى الأشعري وابن عباس.

وذكر البيهقي في «الأسماء والصفات»^(٤): قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة. وتابعه أبو كريب عن ابن المبارك، وقال أبو سليمان وقال غيره من أهل التفسير والتأويل في قوله: «يوم يكشف عن ساق» أي عن الأمر الشديد.

وقال الحافظ المفسر ابن الجوزي في كتابه «الباز الأشهب»^(٥) في الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ما نصه: «قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وقتادة وجمهور العلماء يكشف عن شدة، وأنشدوا: وقامت الحرب بنا على ساق. وقال عاصم بن

(١) شرح صحيح البخاري (١٣/٤٢٨).

(٢) الأسماء والصفات (ص ٣٤٥).

(٣) مشكل الحديث وبيانه (طبعة دار عالم الكتب ص ٤٤٢).

(٤) الأسماء والصفات (ص ٣٤٥).

(٥) الباز الأشهب (طبعة دار الجنان ص ٤٨).

كليب: رأيت سعيد بن جبير غضب وقال: يقولون يكشف عن ساقه، وإنما ذلك عن أمر شديد».

تنبیه مهم: أنكر ابن تيمية المجاز فقال في كتابه المسمى «الإيمان» ما نصه^(١) : «فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز، فلا مجاز في القرآن، بل وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف، والخلف فيه على قولين، وليس النزاع لفظيا، بل يقال: نفس بهذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا» اهـ. الجواب: أن المجاز ثابت عن الصحابة، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه حيث إنه استند عند تفسير بعض الآيات الى بعض أشعار العرب التي ألفاظها بعيدة من المعنى الأصلي كتفسيره الساق في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق» بالشدّة فقال في فتح الباري^(٢) : عن شدة من الأمر، والعرب يقولون: قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه:

قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق» اهـ، وقد أسند الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات»^(٣) الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن وزاد: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب» اهـ، وهذا هو عين المجاز.

وكذا أثبت المجاز من السلف المحدث المجتهد اللغوي أبو عبيدة معمر بن المثنى فقد صنف كتاب المجاز.

وليس من شرط المجاز أن يكون كل أئمة السلف عبروا بهذا اللفظ بل العبرة بالمعنى، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير حقيقته بمعنى يقتضي ذلك، فكلمة الساق معناها الأصلي بعيد جدًا عن المعنى الذي فسر به ابن عباس الآية، لكن أساليب لغة العرب لا تأبى ذلك بل توافق، فكثيرًا ما ينقلون اللفظ عن معناه الأصلي

(١) الإيمان (ص ٩٤).

(٢) فتح الباري (١٣/٤٢٨).

(٣) الأسماء والصفات (ص ٣٤٥ - ٣٤٦).

إلى غيره.

وما دفع ابن تيمية إلى إنكار المجاز إلا شدة تعلقه بعقيدة التشبيه، وما إنكاره المجاز إلا محاولة منه لإجراء النصوص المتشابهة على ظاهرها نسأل الله السلامة. وأما الحديث الذي رواه البخاري في كتاب «التفسير»^(١) : «وأما أهل النار فإنهم يلقون فيها فتقول: هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع فيها رجله» فقد قال فيه الحافظ الأصولي أبو بكر ابن فورك في كتابه «مشكل الحديث وبيانه»^(٢) ما نصه: «اعلم أنا ذكرنا هذا الخبر في ما تقدم، وبيننا تأويله، وذكرنا أنه يحتمل أن يكون المعنى فيه ما يضعه الله في النار من الكفار، وهم الخلق الكثيرون فتمتلئ جهنم بهم، وأنه سمي ذلك «رجلا» على عادة العرب في تسمية الجماعة «رجلاً» لأنهم يقولون للجراد الكثير «رجل»، ويقولون: جاءت رجل من الجراد يعنون بذلك جمعاً كثيراً. ويحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أراد بالرجل ههنا الخلق الكثير، وإضافته إلى الله تعالى على طريق الملك والفعل».

وذكر المفسر القرطبي في كتابه «صفات الله تعالى» ما نصه^(٣) : «قال الترمذي: وقد روي عن النبي ﷺ، وآيات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية، وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع، وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، وقالوا: تُروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يُقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تُروى هذه الأشياء كيف جاءت، ويؤمن بها ولا يُقال كيف؟ قال وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه». وقال^(٤) : «قال أبو سليمان: وذكر

(١) التفسير (باب وتقول هل من مزيد) (٧/ص ٧٣٣) حديث رقم ٤٨٥٠، ومسلم في كتاب «الجنة» باب (النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (٩/ص ١٩٨).

(٢) مشكل الحديث وبيانه» طبعة دار عالم الكتب الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) صفات الله تعالى: (طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ في ص ٨١).

(٤) المصدر نفسه: (ص ٨٢).

القدم ها هنا يحتمل أن يكون المراد به من قدمهم الله للنار من أهلها فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار وكل شيء قدمته فهم قدم، كما قيل: لما هدمته هدم، ولما قبضته قبض. ومن هذا قوله عز وجل: ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة يونس] أي: ما قدموه من الأعمال الصالحة، وقد روي معنى هذا عن الحسن، ويؤيد هذا قوله في الحديث: «وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا» فاتفق المعنيان في أن كل واحدة من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفى بها عدة أهلها فتمتلى عند ذلك. قلت: على هذا التأويل أكثر العلماء وأن القدم، وإن كان الظاهر يوهم منها الجارحة فإن الله تعالى متعال عن ذلك والعرب تطلق القدم على السابقة في الأمر، يقال لفلان قدم صدق، أي أثره حسنة». وقال^(١): «وقال النضر بن شميل: في معنى قوله (حتى يضع الجبار فيها قدمه) أي من يسبق في علمه أنه من أهل النار. قال أبو سليمان الخطابي: وقد تأول بعضهم الرجل على معنى من هذا. قال: والمراد به استيفاء عدد الجماعة الذين استوجبوا دخول النار. والعرب تسمي الجراد رجلاً، كما سمو جماعة الظباء سرّبًا، وجماعة النعام خيطًا، وجماعة الحمير عانة، قال: وهذا وإن كان اسمًا خالصًا لجماعة الجراد فقد يستعار لجماعة الناس على سبيل التشبيه والكلام المستعار والمنقول من موضعه كثير، والأمر فيه عند أهل اللغة مشهور» اهـ. ويشهد لصحة ذلك ما جاء في صحيح مسلم^(٢) - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَنَابِ الْمِصْبِصِيِّ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ زَكَرِيَاءَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُمْ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عَمَارَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَا وَلَّى وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخْفَاءً مِنَ النَّاسِ وَحَسَّرَ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاءٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلِ كَانَتْهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ» اهـ.

قال الفقيه الحافظ المحدث شيخ الإسلام عبد الله الهرري رحمه الله رحمة واسعة، في كتابه «الدليل القويم على الصراط المستقيم»: «وأما الساق فلم يرد مضافًا إلى

(١) صفات الله تعالى: (ص ٨٤).

(٢) صحيح مسلم (تحت رقم الحديث ٣٣٢٦).

الله في حديث صحيح. والرواية الصحيحة هي الموافقة لما جاء في الكتاب من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

وقد فسّر ابن عباس الساق بالكرب والشدة ولا يعول على رواية ساقه بالضمير.

انتهى

وأما القَدَمُ والرَّجْلُ فمعناه الجماعة الذين يُقَدِّمُهُمُ اللهُ للنارِ فتمتلى بهم وذلك في ما رواه البخاري وغيره:

«لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط». وكذلك ما ورد أن النار لا تمتلى حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط، المراد بالرجل الفوج الذي يملأ الله بهم النار. ولغة العرب صالحة لهذا المعنى. ولا يجوز جعل القدم والرجل من باب الصفات بل الإضافة فيهما إضافة ملِكٍ. فمن جعل لله قدمًا ورجلاً بمعنى الجزء فقد جعل الله مثل خلقه وذلك كفر، وكذّب قول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ [سورة الأنبياء].

فقد أفهمنا أن كل شيء يرد النار فهو مخلوق ليس بإله» اهـ.

وبعد هذه الأدلة الساطعة الناصعة في تنزيه الله عن أن يكون جسمًا مركبًا وأن له قدمًا أو رجلًا القدم والرجل من نصوص علماء الإسلام من الصحابة ومن بعدهم وعلماء اللغة، يعلم علم يقين أن هذا الحديث مؤول، وليس على ظاهره كما ادعى دكتور مجسم مشبه من أهل هذا العصر من أتباع ابن تيمية الحراني فقال «إن الله له رجل حقيقية ويضعها في جهنم فلا تحترق كما أن ملائكة العذاب في جهنم لا يحترقون». وما يقول هذا الدكتور المجسم في قول الله عز وجل ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، فإن كانت جهنم ستملاً بالجن والإنس الكفار كما أخبر الله تعالى في القرآن، فأنتى تكون رجل الله جارحة وجسمًا بزعم هذا الكافر الزنديق، والله تعالى لم يقل (لأملأَنَّ جهنم برجلي) بل قال ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ كأمثال هذا الدكتور إن مات على هذا المعتقد، وبزعمهم هذا يكون إبليس وفرعون وهامان وقارون وشداد بن عاد وأبو جهل وأبو لهب أقرب

إلى ذات الله من الأنبياء الذين يكونون في الجنة، فعلى زعم الوهابية يكون جزء من الله في جهنم مع الكفار، والعياذ بالله من هذا التشبيه الصريح والتجسيم القبيح الذي وصلت إليه الوهابية بسبب أفكار ابن تيمية الذي قال بإنكار ونفي المجاز، فحمل الآيات والأحاديث المتشابهة على ظاهرها هو وأتباعه، فزاغوا فضلوا وأضلوا.

ونقول لهم: ماذا تقولون في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه^(١)، يقول الله فيه: «فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها». هل تزعمون أنه على ظاهره وتمنعون من تأويله فيكون الله على زعمكم رجل هذا الولي؟! أم تزعمون أنه حالٌ فيها؟! وإذا عمي هذا الولي أو سُلت يده أو قُطعت رِجله، فهل تزعمون أن الله مات أو أصابه ضرر أو تجزأ، وإذا داس هذا الولي في النجاسة أو بال على رِجله صبيٌّ أو داس الناس بنعالهم على رجل هذا الولي، فهل تزعمون أن الله خالط هذه النجاسات وأن البول عليه أو أنه تحت أقدام الناس ونعالهم لأنهم داسوا على رجل هذا الولي؟! وتنزه الله عن ذلك كله وهذا من أبشع الكفر، فيلزمكم التأويل هنا كما في حديث «يضع رب العزة رِجله فيها»، فوجب التأويل في الموضوعين، ومعنى الحديث القدسي «كنتُ سمعه» أي أحفظ سمعه من أن يسترسل به في المعاصي والمحرمات، فلا يستمع إلى ما حرّم الله، وهكذا في البصر واليد والرجل.

قال الإمام أبو سليمان الخطّابي (٣٨٨هـ) في كتابه «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري»^(٢): «قلتُ: وهذا الحديث مما قد تهيب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يُحيط العلم بكنهه من هذا الباب، وقد تأوّلوه بعضهم على معنى قوله، فروى عن ابن عباس أنه قال عن شدّة وكرب» اهـ. ونقله البيهقي (٤٥٨هـ) عنه في

(١) رواه البخاري (في صحيحه تحت رقم الحديث ٦٠٢١).

(٢) شرح صحيح البخاري (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، المسمى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ الجزء الثالث ص ١٩٣٠).

كتابه «الأسماء والصفات» بقوله^(١): «هذا لفظ سعيد بن أبي هلال، وهو لفظ منكر. قال الإسماعيلي في قوله (عن ساقه) نكرة، ثم ساق بطريق حفص ابن ميسرة بلفظ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ من غير ضمير، وقال: هذه أصح لموافقته لفظ القراءان في الجملة، ولا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك» اهـ. ونقل قول الخطابي أيضًا محمد بن يوسف الكرمانى (٧٨٦هـ) في كتابه «شرح الكرمانى على صحيح البخارى»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) في كتابه «فتح البارى بشرح صحيح البخارى»^(٣): «ووقع في هذا الموضوع (يكشف ربنا عن ساقه) وهو من رواية سعيد ابن أبى هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله (عن ساقه) نكرة. ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقته لفظ القراءان في الجملة، فلا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك ليس كمثل شىء» اهـ. وكذا قال التآؤدى ت (١٢٠٩هـ) في «حاشية التآؤدى ابن سودة على صحيح البخارى»^(٤).

وقال بدر الدين العيني الحنفى ت (٨٥٥هـ) في كتابه «عمدة القارى شرح صحيح البخارى»^(٥): «قوله (يكشف ربنا عن ساقه) من المتشابهات، ولأهل العلم في هذا الباب

(١) الأسماء والصفات (الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى ص ٣٢٥) وعلّق الكوثرى ص ٣٢٤.

(٢) شرح الكرمانى على صحيح البخارى (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ الجزء التاسع ص ١٦١).

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى (دار الريان - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، كتاب التفسير، الجزء الثامن ص ٥٣٢).

(٤) حاشية التآؤدى ابن سودة على صحيح البخارى (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، الجزء الرابع ص ٥٧٠).

(٥) عمدة القارى شرح صحيح البخارى (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، كتاب التفسير، الجزء التاسع عشر ص ٣٦٩ - ٣٧٠).

قولان: أحدهما: مذهب معظم السلف أو كلهم تفويض الأمر فيه إلى الله تعالى والإيمان به، واعتقاد معنى يليق لجلال الله عز وجل، والآخر: هو مذهب بعض المتكلمين أنها تتأول على ما يليق به، ولا يسوغ ذلك إلا لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع، فعلى هذا قالوا: المراد بالساق هنا الشدة، أي: يكشف الله عن شدة وأمر مهول وكذا فسره ابن عباس» اهـ.

وقال شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني ت (٩٢٣هـ) في كتابه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»^(١): «وأخرج الإسماعيلي من طريق حفص بن ميسرة عن زيد ابن أسلم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال الإسماعيلي هذه أصح لموافقته لفظ القرآن والله تعالى يتعالى عن شبه المخلوقين» اهـ.

وقال ملا علي القاري الحنفي في كتابه «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»^(٢): «يُعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرّجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يُفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يُحكم بكفرها بالإجماع فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره» اهـ.

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، الجزء الحادي عشر ص ١٧١).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (طبع دار إحياء التراث العربي، المجلد الثاني ص ١٣٦ بعد كلام في مذهبي السلف والخلف).

قال الله تعالى:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾

[سورة نوح]

معنى الآية اطلبوا من الله المغفرة بترك الكفر والدخول في الإسلام، فإنه يجب على مَنْ وقعت منه ردة أن يعود فورًا إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين والإقلاع عما وقعت به الردة، ولا يكفي للدخول في الإسلام قول «أستغفر الله» بدل الشهادتين، ويدل على ذلك ما رواه ابن حبان عن عمران بن حصين قال: أتى رسول الله ﷺ رجلٌ فقال: يا محمد، عبد المطلب خير لقومه منك كان يُطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم (وهذا كفر)، فقال له ما شاء الله (له أن يقوله من الرد عليه)، فلما أراد أن ينصرف قال: ما أقول قال: «قل اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري»، فانطلق الرجل ولم يكن أسلم، وبعد أن دخل في دين الإسلام جاء للنبي ﷺ وقال لرسول الله: إني أتيتك فقلت: علمني فقلت: قل اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، فما أقول الآن حين أسلمتُ قال: «قل اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما جهلت». والدليل فيه أن الرسول ﷺ لما جاءه هذا الرجل كافرًا لم يأمره بالاستغفار باللسان لأنه لا ينفعه وهو على كفره، ثم لما جاءه وقد أسلم أمره بالاستغفار. وروى هذا الحديث أيضًا النسائي في عمل اليوم والليلة وأحمد في مسنده، وعند النسائي ذكر اسم الرجل وهو حصين.

فالمرتد إذا قال «أستغفر الله» قبل أن يتشهد لا يزداد إلا ذنبًا، لأن معناه «اللهم اغفر لي وأنا كافر بك»، وذلك مراغمة للدين فيكون ذلك منه زيادة كفر. وليس معنى الآية أن نوحا عليه السلام أمر قومه بقول «أستغفر الله» مع عبادتهم للأصنام، بل المعنى اطلبوا من الله أن يغفر لكم بدخولكم في الإسلام، بتشهدكم، فيغفر لكم.

قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) : «(وإني كلما دعوتهم) أي إلى سبب المغفرة وهي الإيمان بك والطاعة لك». وقال^(٢) : «قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ أي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة بإخلاص الإيمان» اهـ. أي بأن تتركوا الكفر وتسلموا.

وقد نقل الإجماع على أن الرجوع للإسلام يكون بالشهادتين، الحافظ محمد ابن إبراهيم بن المنذر المتوفى سنة ٣١٨هـ في كتابه «الإجماع»^(٣) ، والحافظ أبو الحسن علي بن القطان الفاسي المتوفى سنة ٦٢٨هـ في كتابه «الإقناع في مسائل الإجماع»^(٤) .

(١) الجامع لأحكام القرآن (دار الفكر، الجزء الثامن عشر ص ٣٠٠).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٠١).

(٣) الإجماع (طبع دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص ١٤٤).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع (طبع دار القلم - دمشق، المجلد الرابع ص ١٩٢٧).

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤)

[سورة التوبة]

ومعنى استغفار إبراهيم لأبيه الذي كان كافراً وهو على كفره، أن يطلب من الله المغفرة لأبيه بالدخول في الإسلام لأن الإسلام كفارة الكفر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٣٨) [سورة الأنفال] وانتهائهم يكون بالدخول في الإسلام، والدخول في الإسلام يكون بالشهادتين، وعلى ذلك يُحْمَل قول رسول الله ﷺ في حق أبي طالب حين عرض عليه الإسلام فأبى: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» أي أطلب لك من الله الهداية للإسلام فيغفر لك بالإسلام، أي ما لم يوح الله إلي أنك تموت كافراً.

قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ما نصه^(١): ﴿ إِنْ أَلَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤٨) [سورة النساء]، والمعنى أنه تعالى أخبر عنهم أنه يدخلهم النار، فطلب الغفران لهم جار مجرى طلب أن يخلف الله وعده ووعيده وذلك لا يجوز». ثم قال^(٢): «المراد من استغفار إبراهيم لأبيه دعاؤه له إلى الإيمان والإسلام، وكان يقول له: آمن حتى تتخلص من العقاب وتفوز بالغفران، وكان يتضرع إلى الله - يدعو لوالده - في أن يرزقه الإيمان الذي يوجب (أي يثبت له) المغفرة، فهذا هو الاستغفار، فلما أخبره الله تعالى بأنه يموت مصراً على الكفر، ترك تلك الدعوة» اهـ.

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، المجلد الثامن الجزء ١٦ ص ١٦٦).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٦٧).

قال الحافظ المحدث الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله تعالى، في كتابه «الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم»: «وإذا قال: أستغفر الله قبل أن يجدد إيمانه بقوله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وهو على حالته هذه فلا يزيده قوله أستغفر الله إلا إثماً وكفراً، لأنه يكذب قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾».

ثم قال: «هذا بالنسبة لمن كان مسلماً ثم كفر، أما من لم يكن مسلماً ثم دخل في الإسلام فإن الله يغفر كل ذنوبه التي عملها قبل ذلك، كل ما كان عمله من الذنوب قبل الإسلام عندما ينطق بالشهادتين تُمحي عنه كلها لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: [الإسلام يمحو ما قبله] (هذا بالنسبة للكافر الأصلي أما المرتد فاذا تشهد ورجع الى الاسلام يمحي عنه كفره فقط وأما بقية الذنوب فيتوب منها بعد إسلامه ولا تمحي عنه بمجرد الاسلام) وهذا حديث صحيح رواه البخاري، الدخول بالإسلام يكون بأن يعتقد بقلبه معنى الشهادتين وينطق بلسانه، فإذا حصل من شخص أنه كان مسلماً وحصل منه كفر حتى يرجع الى الإسلام لا بد له من النطق بالشهادتين، ولا يكفي أن يقول مثلاً: أستغفر الله، إذا قال أستغفر الله قبل أن يرجع الى الإسلام بقوله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وهو بعد على حالته هذه لا يزيده قوله أستغفر الله إلا إثماً، لأنه يكذب قول الله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾».

ثم قال: «تنبيه: إذا انسان قال لكم أريد أن أدخل الإسلام ماذا أفعل؟ لا يجوز أن يقال له: انتظر حتى أنهي ما بيدي ثم أدلك، ولا يجوز أن يقال له: قل أستغفر الله، ولا يجوز أن يقال له: اذهب واغتسل ثم ارجع وأعلمك بل يكون صار كافراً، لأنه رضي له أن يبقى على الكفر هذه المدّة، لأنه جاءه يطلب منه الدخول في الإسلام فلا يجوز أن يؤخّره عن ذلك، وقد كان رسول الله ﷺ مرّةً يخطب في الناس، فقام واحداً فسأله عن الإسلام فالنبي فوراً قطع كلامه وأجابه ولذلك قال ابن فرحون في تبصرة الحكام: قال شهاب الدين القرافي إن الذي يخطب الجمعة إذا رأى كافراً يريد أن

ينطق بالشهادتين فقال له اصبر حتى أفرغ من خطبتي فإنه يُحکم بكفر الخطيب، لأنه لم يقل له فوراً انطق بالشهادتين بل أخره، معناه رضي له أن يبقى هذه المدّة على الكفر، ومن رضي الكفر لإنسان صار هو كافرًا ومن أمر إنسانًا بالكفر هو صار كافرًا. وقد ذكر ما يُشبه ذلك غير القرافي من العلماء مثل ابن حجر الهيتمي والحافظ النووي وغيرهم).

ثم قال: «تنبيه مهم: في تحريم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب: قال الشوبري في تجريده حاشية الرملي الكبير ما نصه: وجزم ابن عبد السلام في الأمالي والغزالي بتحريم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب وبعدم دخولهم النار، لأننا نقطع بخبر الله تعالى وخبر رسول الله ﷺ أن فيهم من يدخل النار. وأما الدعاء بالمغفرة في قوله تعالى حكاية عن نوح ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة نوح]، ونحو ذلك فإنه ورد بصيغة الفعل في سياق الإثبات، وذلك لا يقتضي العموم لأن الأفعال تكررت، ولجواز قصد معهود خاص وهو أهل زمانه مثلاً اهـ. وكذا الرملي في شرح المنهاج، فليس معنى الآية اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم.

وهذا الدعاء أي بعدم دخول أحدٍ من أهل الإسلام النار فيه ردٌّ للنصوص، وردّ النصوص كُفّر كما قال النسفي في عقيدته المشهورة، وقد قال أبو جعفر الطحاوي: والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام. وهذه عقيدة المرجئة، وهم من الكافرين من أهل الأهواء وذلك لقولهم (لا يضر مع الإسلام ذنب كما لا تنفع مع الكفر حسنة) اهـ.

وقد قال أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» ما نصه^(١): «واعلم أن الدعاء ينقسم الى كفر وحرام وغيرهما، فما هو كفر أن يسأل نفي ما دل السمع القاطع على ثبوته كاللهم لا تعذب من كفر بك أو اغفر له أو لا تخلد فلاتاً الكافر في النار لأن ذلك طلب لتكذيب الله

(١) الإعلام بقواطع الإسلام (طبعة دار الكتب العلمية ١٣٠٧ هـ).

تعالى في ما أخبر به وهو كفر».

رسالة نافعة جداً في تحريم قول اللهم أجرنا وأجر والدينا وجميع المسلمين من النار فقد درج بين بعض العوام في بعض البلدان ممن ينتسبون للتصوف والطرق ولا سيما بين بعض من ينتسب للقادرية وبين بعض رواد المساجد أن يقولوا والعياذ بالله تعالى عقب صلاة الفجر وصلاة المغرب اللهم أجرنا وأجر والدينا وجميع المسلمين من النار وهذا الكلام ليس نصاً قرآنياً ولا ثبت عن رسول الله أو عن أحد من صحابته الكرام ولا كلام إمام من أئمة المسلمين أو العلماء المعترين أو الصوفية الصادقين بل هذا الكلام من نسج بعض من لا فهم له في الدين إذ هو معارض للقرآن والحديث والإجماع. فوجب علينا القيام بالتحذير من هذه العبارة الفاسدة عملاً بقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران] وعملاً بقول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» رواه مسلم، ولزيادة الفائدة نبين أن معتقد أهل الإسلام أهل السنة والجماعة أن الإيمان والإسلام متلازمان لا يفترقان وهما كالظهر مع البطن فلا يكون إيمان بدون إسلام ولا إسلام بدون إيمان فأصل الإيمان موجود عند كل أهل الإيمان وإنما يتفاوتون في كماله فمنهم الكامل في الإيمان وفيهم من ليس كاملاً في الإيمان فيقال عن الأول المؤمن التقي أو المسلم التقي ويقال عن الثاني المسلم العاصي أو المؤمن العاصي، ولا يسلب اسم الإيمان عن المسلم إلا بوقوعه في الردة والكفر والعياذ بالله تعالى وأما ما دون الكفر من الكبائر والصغائر فلا يكون مجرد فعلها مخرجاً من الإسلام وموقعا في الكفر.

ومن دين الله تعالى الاعتقاد بيوم القيامة حيث يحشر الناس وتزوج النفوس فالكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن فمن الناس من ينجو ذلك اليوم وهم الأتقياء ومن الناس من يخلد في النار وهم الكفار، ومن الناس من يكون تحت خطر المشيئة فيعذب الله من شاء منهم بدخولهم النار ويعفو عن من يشاء وهم العصاة من المسلمين من أهل الكبائر الذين ماتوا بدون توبة وعلى هذا تدل النصوص القرآنية والحديثية

وأقوال أئمة الاسلام وإجماع أهل الدين، كما ورد في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤٨) [سورة النساء]. دلت الآية على أن الله يغفر ما سوى الكفر لمن يشاء من المسلمين العصاة ويفهم من ذلك أن الله لا يغفر للبعض من المسلمين العصاة قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣١) [سورة العنكبوت]. فإذا لا بد من الجزم أن الله تعالى يدخل بعض المسلمين العصاة من أهل الكبائر النار بذنوبهم ولا يكون ظالمًا لهم بل استحقوا العقوبة لظلمهم أنفسهم. ويكفي في إثبات هذا الموضوع إيراد الآيات التي فيها وعيد شديد وإخبار عن وقوع العذاب لبعض أهل الكبائر الذين ماتوا بلا توبة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠) [سورة النساء]. فلا يجوز أن يقال اللهم أجرنا وأجر والدينا وجميع المسلمين من النار لأن هذا معارض لهذه الآية ولغيرها ومصادم للأحاديث الصحيحة. لا يجوز هذا الكلام لأن معناه يا رب لا تدخل أحدًا النار بالمرة. كيف يكون هذا!!! وكيف جاز عندهم أن يعتقدوا هذا المعتقد ورسول الله ﷺ أخبر أنه سيدخل بعض المذنبين النار، الرسول أوحى إليه أنه سيدخل قسم من المسلمين بذنوبهم النار فالرسول لا يكذب. بعض أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم فيراهم الكفار قد دخلوا النار فيقولون لهم ما نفعكم إيمانكم أنتم أيضًا تتعذبون معنا فينادي مناد أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله يعني بعد أن دخلوا النار يخرجهم الله تعالى منها وكذلك ورد في الحديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. شفاعته ورسول قسمان: قسم من العصاة يشفع الرسول لهم فلا يدخلون النار بشفاعته وقسم ثانٍ من العصاة يخرجهم الله تعالى من النار بشفاعة محمد وقد ورد حديث: يخرج قوم من النار من أمة محمد بشفاعة محمد. فإذا لا بد أن يدخل بعض المسلمين العصاة النار بذنوبهم حتمًا فالذي يقول يا رب لا تدخل أحدًا من المسلمين النار هذا فساد كبير هذا معناه كأنه يقول يا رب غير مشيئتك الأزلية أنت شئت في الأزل أن تدخل بعض المسلمين النار لكن غير مشيئتك الأزلية ولا تدخل أحدًا من المسلمين النار، هذا ضلال مبين، هذا

مخالف لعقيدة المسلمين. قائل هذا الكلام أفسد عقيدته وكفر إلا إذا كان لا يفهم منه هذا المعنى. أما حين نقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات معناه اللهم اغفر لبعض المؤمنين كل ذنوبهم ولبعض المؤمنين بعض ذنوبهم، هذا معناه. ليس معناه يا رب لا تدخل أحدًا النار بالمرة لا شارب الخمر ولا الزناة ولا القتل ولا آكلي الربا ولا تاركي الصلاة وقد ورد أنه سيدخل قسم من المسلمين العصاة النار حتمًا أما من؟ ومن؟ فنحن لا نعلم، هذا شيء يعلمه الله، الرسول أخبرنا بذلك. الرسول لا يكذب. الله لا يكذب، الله تعالى أصدق القائلين هو قال: «ويصلون سعيًّا» عن آكلي أموال اليتامى ظلمًا. السعير هو اسم من أسماء جهنم أي نار الآخرة فلا بد أن يتحقق معنى هذه الآية فيجب الاعتقاد أن بعض عصاة المسلمين الذين ماتوا من غير توبة لا بد أن يعذبوا حتمًا كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة]. نحن نؤمن بأن القرءان حق وما ورد فيه من الوعيد فهو حق وكذلك ما ورد في أحاديث صحيحة والتي منها الحديث الذي فيه أن آخر من يخرج من النار اسمه جهينه. ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون قد اسودوا. وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولًا رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، فهذه الأحاديث تدل على أنه لا يجوز لقائل أن يقول يا رب لا تدخل أحدًا من المسلمين النار بالمرة فهذا مخالف للقرءان والسنة والإجماع وموافق لعقيدة المرجئة وهم من الكافرين من أهل الأهواء المردية فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر حسنة. اعتبروا أن المسلم مهما عمل

من الذنوب والآثام لا يضره ذلك، ردوا النصوص وخالفوا آيات القرآن التي فيها تهديد ووعيد للعصاة هذه الآيات عندهم معطلة بلا فائدة والعياذ بالله من شرهم فقول المرجئة لا يضر مع الإيمان معصية هذا الكفر وأما قولهم الثاني - ولا ينفع مع الكفر - طاعة هذا صحيح فالكافر لو صلى صورة أو صام صورة أو حج صورة أو زكى صورة هذا لا ينفعه عند الله لأنه كافر. أما قولهم الأول وهو لا يضر مع الإيمان ذنب هذا الكفر معناه إذا الشخص مسلمًا مهما فعل معاصي والذنوب لا يضره وهذا خلاف الشريعة. هذا قياس فاسد. كيف يقولون لا يضر المؤمن فعل المعصية والله تعالى يقول: «وسيصلون سعيًا» العلم يؤخذ من أهله لا يؤخذ برأي فلان ولا فلان كيف يستقيم هذا الدعاء الفاسد والمحرم مع ما ورد في كتاب البعث والنشور للبيهقي حيث يقول عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من أهل القبلة من شاء الله قالوا ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فخرجوا قال فقال الكفار يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا رواه الحاكم في المستدرک وصححه ورواه ابن جرير الطبري والهيثمي. وذكر البيهقي عن ابن مسعود أنه قال يعذب الله قومًا من أهل الإيمان ثم يخرجهم بشفاعة محمد. ولننتقل الى حديث آخر وهو قوله ﷺ: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: كان حريصًا على قتل صاحبه. فما أبين هذا البيان حيث أخبر ﷺ أنه إذا التقى المسلمان بسيفيهما فاقتتلا لأجل الدنيا فالقاتل والمقتول في النار، أي كلاهما يستحق دخول النار عذابًا له مع كونهما من المسلمين.

ذكر ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه «الفتاوى الحديثية» بقوله: «مطلب: هل يجوز الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب وبعدم دخولهم النار أم لا؟ فأجاب: لا يجوز، فقد ذكر الإمام ابن عبد السلام والإمام القرافي من الأئمة المالكية أنه لا يجوز، لأننا نقطع بخبر الله وبخبر رسوله أن منهم من يدخل النار». وقال أيضًا: «إن الدعاء بعدم دخول

أحد من المؤمنين النار حرام بل كفر، لما فيه من تكذيب النصوص الدالة على أن بعض العصاة من المؤمنين لا بد من دخوله النار» اهـ. ومثله عن ابن عبد السلام والغزالي، كما في كتاب «حاشية الجمل على شرح منهج الطلاب» للعجيلي الشافعي المتوفى سنة ١٢٠٤هـ والشرح لذكريا الأنصاري الشافعي وهو مختصر منهج الطالبين للحافظ النووي في كتاب «الصلاة»^(١)، وفي كتاب «حواشي الشرواني وابن القاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج»^(٢)، وفي كتاب «حاشية رد المحتار»^(٣) لابن عابدين الحنفي مطلب في الدعاء المحرّم، وصرّح التفتازاني وغيره بأن المحققين على عدم جواز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة ذنوبهم، وصرّح النسفي بأنه الصحيح. ويقول^(٤): «ما ثبت بالنصوص الصريحة لا يجوز عدمه شرعاً». وقد نقل اللقاني عن الأبي والنووي انعقاد الإجماع على أنه لا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من العصاة وإذا كان كذلك يكون الدعاء مثل قول من يقول «اللهم لا توجب علينا الصوم والصلاة». فتبين فساد قول من يقول «اللهم أجرنا وأجر جميع المسلمين من النار» وقول من يقول «اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم» وقول من يقول «يا رب أنت غفور رحيم أدخل الكافرين الجنة» وقول من يقول كذباً وافترافاً على أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال «يا ليت جسدي بقدر النار حتى لا يدخلها أحد من أمة محمد». فهذا كله مخالف للقرآن والسنة والإجماع وهو ضلال مبين.

وفي كتاب «الجامع لأحكام القرآن»^(٥) لأبي عبد الله القرطبي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١٠)، قال: «والذي يعتقد أنه أهل السنة أن ذلك نافذ على بعض العصاة.

(١) كتاب الصلاة: باب صلاة الجمعة (ص ٤٨٨).

(٢) تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٣/٣٥١).

(٣) حاشية رد المحتار (١/٥٢٢).

(٤) المصدر نفسه، (ص ٥٢٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الخامس).

وفي حواشي نور الدين على الشبراملسي على نهاية المحتاج يقول: «والذي منعه الغزالي إنما هو مغفرة جميع الذنوب لكل مؤمن بحيث لا تمس النار واحدًا منهم، وقد رد الشبراملسي على من أنكر هذا».

وقول القرافي المالكي في كتابه «الفروق» في بيان قاعدة ما هو من الدعاء كفر، ما نصه^(١): «القسم الأول: أن يطلب الداعي نفي ما دل السمع القاطع من الكتاب والسنة على ثبوته، وله أمثلة: الأول: أن يقول: اللهم لا تعذب من كفر بك، أو اغفر له. وقد دلت القواطع السمعية على تعذيب كل واحد ممن مات كافرًا بالله تعالى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء]، وغير ذلك من النصوص، فيكون ذلك كفرًا، لأنه طلب لتكذيب الله تعالى في ما أخبر به، وطلب ذلك كفر، فهذا الدعاء كفر. الثاني: أن يقول: اللهم لا تخلد فلانًا الكافر في النار. وقد دلت النصوص القاطعة على تخليد كل واحد من الكفار في النار، فيكون الداعي طالبًا لتكذيب خبر الله تعالى، فيكون دعاؤه كفرًا» اهـ.

وقول ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» ما نصه^(٢): «واعلم أن الدعاء ينقسم إلى كفر وحرام وغيرهما، فمما هو كفر أن يسأل نفي ما دل السمع القاطع على ثبوته كاللهم لا تعذب من كفر بك أو اغفر له أو لا تخلد فلانًا الكافر في النار لأن ذلك طلب لتكذيب الله تعالى في ما أخبر به وهو كفر» اهـ.

(١) الفروق (طبع المكتبة العصرية ١٤٢٤ هـ، الجزء الرابع ص ٢٠٣).

(٢) الإعلام بقواطع الإسلام (طبع دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ، ص ٩٦).

قال الله تعالى:

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾

[سورة الجن]

يقول الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره في شرحه لهذه الآية ما نصه: «يقول تعالى ذكره: وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة». اهـ.

وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهم قالوا: «أن لو استقاموا على الإسلام وعلى طريق الحق وعلى الدين». اهـ.

وقال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره المسمى «معالم التنزيل» في شرحه لهذه الآية ما نصه: «لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين». اهـ.

وقال المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط في شرحه لهذه الآيات ما نصه: «والمعنى على طريقة الإسلام والحق». اهـ.

وقال المفسر محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي المتوفى سنة ٩٥١هـ في كتاب «حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي» قال في شرحه لهذه الآية ما نصه^(١): «استقاموا على طريقة الإسلام». اهـ.

ليعلم أن قول الله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي الشريعة الإسلامية، أي ما جاء به الرسول ﷺ عقيدةً وأحكامًا، وعلماء التفسير متفقون ومجمعون على أن معنى هذه الآية الدين والإسلام وطريق الحق والشريعة، ولا عبرة بعد ذلك بقول من شذَّ وانحرف وقال بخلاف ذلك، كجهلة المتصوفة الذين لعب بهم الشيطان وضحك عليهم، فلم يلتزموا بالشريعة ولا بأحكامها وانتسبوا للطريقة_أي طريقة الذكر_

(١) حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي (طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ الجزء الثامن ص ٣٦٥).

على غير بصيرة، وادعوا أن الطريقة في الآية هي «الطريقة النقشبندية» غير عابئين بما نصّ عليه علماء التفسير، يحرفون معنى الآية من غير خجل ولا وجل، يظنون أن الأمة ليس فيها من يعرف زيفهم وزيفهم، فجعلوا الطريقة، طريقة التصوف والذكر، فرض عين على كل مكلف، وهذا إيجاب ما لم يجب إجماعاً، وهذا تشريع ودين جديد، وهو كفر.

وهذا الشيخ النقشبندي المنحرف الذي قال بوجوب الطريقة ضلل كل الأمة الإسلامية من عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى القرن السادس الهجري، فقبل القرن السادس الهجري لم تكن قد ظهرت الطريقة، فهل تكون الأمة جاهلة فاسقة، ودين الله ناقص وجاء هذا المدعي محمد الخنزوي يكمل الدين الآن فيقول بوجوب الطريقة؟!!

وليعلم أن الطريقة من البدع الحسنة، والبدعة لغة ما أحدث على غير مثال سابق يقال: جئت بأمر بديع أي محدث عجيب لم يعرف قبل ذلك. وشرعاً المُحدث الذي لم ينص عليه قرآن ولا سنة، قال ابن العربي: ليست البدعة والمحدث مذمومين للفظ بدعة ومحدث ولا لمعنييهما، وإنما يذم من البدعة ما يخالف السنة ويذم في المحدث ما دعا إلى الضلال. اهـ

وقد قسم العلماء البدعة إلى قسمين: بدعة حسنة وبدعة سيئة، فالبدعة الحسنة هي ما وافق الكتاب والسنة، والبدعة السيئة هي ما خالف الكتاب والسنة، ويؤكد هذا التقسيم ما ثبت عن رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل من بعده بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم. فالحديث يبين أن ما يحدث في الإسلام ضربان: قسم يوافق الشرع وقسم يغايره أي يخالفه، ومما يدل على أنه حصل في زمن الصحابة استحداث أمور لم يرد فيها قرآن ولا سنة وتندرج تحت البدعة الحسنة موافقة للحديث الشريف الآنف الذكر ما جاء في صحيح البخاري في كتاب التراويح ما

نصه: «قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله ﷺ والناس على ذلك» قال الحافظ ابن حجر «أي على ترك الجماعة في التراويح». ثم قال ابن شهاب في تامة كلامه: «ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنه». وفي صحيح البخاري أيضًا تميمًا لهذه الحادثة عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة من رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي لصلاته الرهط، فقال عمر: «إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: «نعم البدعة هذه» اه، وفي الموطأ بلفظ: «نعمت البدعة هذه» اه.

والأمثلة على هذا كثيرة من زمن الصحابة إلى يومنا هذا ومن جملة هذه البدع الحسنة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف والطرق الشريفة التي أحدثها بعض أهل الله كالرفاعية والقادرية وغيرهما وهي نحو أربعين طريقة، فهذه الطرق أصلها بدع حسنة ولكن شذ بعض المنتسبين إليها وهذا لا يقدر في أصلها. ولا ريب أن الطريقة السهروردية والجشبية والقادرية والسعدية والشاذلية والنقشبندية والبدوية والدسوقية والمولوية والرفاعية وغيرها من الطرق المباركة صحيحة تدرج تحت البدعة الحسنة وهذا يثبت أن هؤلاء القوم على نهج قويم وصراط مستقيم، دلوا الناس على مشرب نبهم وجيل حاله، فالقوم أهل العلم والذكر والأحوال، والالتزام بطاعة الله تعالى.

وهذا الكلام يردده رجل ينتسب انتسابًا إلى الطريقة النقشبندية يقال له: «محمد الخزنوي» وهو ابن الشيخ العالم الجليل عز الدين ابن الشيخ الولي الكبير أحمد الخزنوي رحمهما الله تعالى. فقليل له: [إنَّ أباك قال: «ليست واجبة»] فأصر على كلامه ولم يرجع، ويشهد عليه الثقات أنه قال ذلك من المنتسبين إليه يقولون هذه العبارة.

فقوله: «إن الطريقة واجبة» أي فرض، ردة لأنه أوجب ما ليس بواجب عند

المسلمين مما هو معلوم بالضرورة أنه ليس واجبًا كما قال الفقهاء في كتبهم في باب الردة.

وقد جاء في كتاب السعادة الأبدية في ما جاء به النقشبندية لعبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي ويليه الحديقة الندية والبهجة الخالدية للعلامة محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي من خلفاء الخالدية وفيه: «الثالثة أن ابن حجر ذكر في شهادات فتاواه الكبرى صورًا لأخذ المشايخ العهد على التائب وذكر في الفتاوى الخليلية أن أخذ العهد حسن محبوب» ثم قال بعد كلام: «وكفى بما ذكرناه شاهدًا على حسن أخذ العهد من المشايخ العاملين بالشرع الشريف»، فبان وظهر خروج محمد الخزنوي عن إجماع الأمة عامة والنقشبندية خاصة وقوله هذا أي الطريقة واجبة تضليل وتفسيق لكل الأمة الإسلامية خلفًا وسلفًا قبل القرن السادس الهجري أي قبل أن تتأسس الطرق على المعنى المتعارف عليه اليوم وقوله هذا تضليل لجده الولي الكبير الشيخ أحمد الخزنوي فإنه ما اشتغل بالطريقة والأوراد إلا بعد اشتغاله بالعلم عشرين عامًا وقول محمد هذا، فيه إيجاب ما لم يجب إجماعًا وهو كفر.

ومما يثبت ويؤكد أن الطريقة الرفاعية أو القادرية أو النقشبندية أو غيرها من الطرق الصوفية الصحيحة ليست واجبة هو ما قاله أئمة ومشايخ هذه الطرق.

فقد ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه «كرامات الأولياء» عند ذكر الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر رضي الله عنه أنه كان له خادم واسمه حازم بقي في خدمته ٢٠ سنة وفي كل مرة يطلب عهد الطريقة منه فلا يعطيه وهكذا إلى عشرين سنة لم يعطه». اهـ.

فليجبنا هؤلاء لم لم يعطه الطريقة؟! هل منعه من فرض؟! هل أخره عن واجب؟! لا، لم يعطه لأنها ليست فرضًا.

وفي كتاب «كشف القناع المسدول في حكم السماع المقبول» للشيخ محمد جميل الخطيب يقول في ص ٩٠ ما نصه: «ناقلًا عن شيخه في الطريقة النقشبندية

الشيخ «سَيِّدًا» قدس الله سره العزيز في الجزيرة أنه قال: «وأما أخذ العهد فحسن محبوب»، وقال أيضًا: «وأما تلقين الذكر فحسن محبوب». اهـ

وذكر الشيخ فصيح الحيدري النقشبندي في كتابه «المجد الثالث في مناقب مولانا خالد» أنه طلب الطريقة من خليفة مولانا خالد الشيخ محمد الجديد فقال له «عليك بالعلم ثم بعد ذلك تشتغل بالطريقة». اهـ

ويقول مولانا خالد ذو الجناحين قدس الله سره العزيز في رسالة إلى خلفائه في بغداد من كتاب بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد ما نصه^(١): «ولا تدخلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحدًا منهم ولا من أعوانهم ولا من التجار المتفكهن بالدنيا المنهمكين في الشهوات ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الخلق وجمع الحطام ولا من البطالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة فيحملوا أثقالهم على رقاب الناس باسم الصلاح والإرادة». إلى آخر الرسالة.

فماذا يقول هؤلاء الجهلة؟ هل يقولون إن مولانا خالدًا جاهل في دين الله تعالى وهم ينتسبون إليه بزعمهم؟!

فلو كان أخذ الطريقة فرضًا فهل كان مولانا خالد يمنع الناس من الفرض؟! فأين عقولكم؟! وقال السيد الشيخ محمد عثمان سراج الدين الثاني النقشبندي ناصحًا لأناس في تركيا: «الطريقة شيء ثانوي عليكم بتعلم أصول الدين». اهـ

وقال أيضًا لآخر طلب منه الطريقة: «صلِّ الأوقات الخمسة وابتعد عن المحرمات واترك الآن طلب الطريقة». اهـ

ومن كتاب «المناقب السنية» لسيدنا شيخ الطريقة النقشبندية الشيخ أمين الكردي البغدادي رضي الله عنه تأليف الشيخ أحمد حمادة داود من علماء مصر يقول ما نصه^(٢): «وإنني لأذكر من العلماء الأجلاء من توقف عن تلقينهم الطريقة الشريفة معتذرا منهم حضرات السادة الشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر الشريف والشيخ

(١) بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد (ص ١١٢).

(٢) المناقب السنية (ص ٢٧).

محمد السماطوي رحمه الله رحمة واسعة والشيخ بسبوني الشيخ عبد الرحمن قراءة مفتي الديار المصرية». اهـ.

فبالرغم من محبتهم للشيخ وتقديرهم له كان يعرض رضي الله عنه عن تلقينهم الذكر خشية تغيير منهجهم بأداء رسالة العلم ونفع الناس ويرى ما لديهم من النفع للناس عن طريق الشريعة يكتفيهم.

ومن كتاب تنوير القلوب للشيخ محمد أمين الكردي الأريلي وهو غير الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي رضي الله عنهما وهما خليفة الشيخ عمر ضياء الدين جد الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي، يذكر أنه جاءه شخص ليأخذ منه الطريقة فأبعده عنه وزجره لأنه كان عاصياً، وقال له: «تكفيك التوبة». وهذا مذكور في ترجمة الشيخ محمد أمين.

فلم لم يلحق الشيخان الجليلان من طلب منهم الطريقة؟ فهل ينسبهما هؤلاء للجهل وعدم الفهم والعياذ بالله؟! هل هؤلاء مشايخ يأمرون الناس بترك الفرض؟! ناديتم يا جهلة المتصوفة على أنفسكم بالجهل.

ومن كتاب «المنن» للشعراني رضي الله عنه ما نصه^(١): «ومما وقع لي أن شخصاً جاءني يطلب مني أن ألقنه فلم أجد عنده همة ففارقني». اهـ. وفي كتاب الرشحات^(٢) أن الشيخ سيف الدين وهو خامس أولاد الشيخ محمد معصوم أخذ الطريقة النقشبندية المجددية عن والده بعد فراغه من تحصيل العلوم المتداولة.

ومن نفس الكتاب^(٣) عند ذكر الشاه عبد الله الدهلوي أنه عندما بلغ عمره ٢٢ سنة ذهب إلى مولانا «مظهر الشهيد» فالتمس منه الطريقة، فقال له: اذهب إلى

(١) المنن (ص ٢٤٣).

(٢) الرشحات على الهامش (ص ٤٦).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٧٣).

محل فيه ذوق وشوق فإن هنا لحس حجر بلا ملح، فقال: هذا هو المنظور لدي، فقال له السيد: إذا يبارك لك.

ومن زنادقة المتصوفة الذين يجب التحذير منهم المدعو «ناظم قبرصلي» أو ما يسميه أتباعه «ناظم الحقاني» تلميذ «عبد الله الداغستاني»، فهذا بيان لبعض أقوال ناظم قبرصلي التي خالف بها الشرع ليحذر منها حتى لا يُظن الباطل حقًا فيلتبس الأمر على الناس. قال ناظم القبرصلي في كتابه المسمى «محيطات الرحمة» ما نصه^(١): «علماء كثيرون يذكرون هذا الحديث أو ذلك في حين أن الأولياء يثبتونها، لذلك نحن نأخذ الحديث من هؤلاء». اهـ.

الرد:

أولاً: إن أولياء الله تعالى يتبعون علماء الحديث، فما أنكره علماء الحديث فهم ينكرونه وما أثبته علماء الحديث فهم يثبتونه.

ثانياً: يريد هذا الرجل من أتباعه أن يطيعوه طاعة عمياء ولا يعترضوا عليه حتى في ما ينسبه إلى الرسول ﷺ وكان كذباً عليه، فكأنه يقول لهم: «ما نسبته إلى الرسول فهو من كلام الرسول وإن كان علماء الحديث أنكروه وقالوا إنه مكذوب على الرسول». وهذا شأن المتلاعبين بالدين ليتوصلوا إلى تحليل وتحريم ما يريدون. وهذا الشاذ أخذ من شيخه عبد الله الداغستاني الذي قال له كما في كتابه المسمى «محيطات الرحمة» ص ٤٥: «شرط صحة اتباعك لنا أن تتبعنا من غير أن تحكم على أعمالنا ولا تعترض». اهـ.

وقال القبرصلي في نفس الكتاب ما نصه^(٢): «كلما ازددنا علمًا ازدادت مسؤوليتنا، أما الجاهل فلا مسؤولية عليه». اهـ.

الرد:

يريد القبرصلي من ذلك أن ينفر أتباعه من تعلم علم الدين الضروري الذي أمر الرسول

(١) محيطات الرحمة (ص ١١٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٥٧).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعليمه بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه البيهقي.

ثم إن هذا الكلام هو ضد قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدْعُونَ لِلَّهِ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ لَهُ﴾، فمما يؤخذ من هذه الآية الحث على طلب العلم، وهذا خلاف ما يدعو إليه القبرصلي الذي يحث أتباعه على الاستمرار على الجهل، فنصيحتنا لأتباعه وللمسلمين أن يتفقهوا في الدين لأنه بالعلم يميّز الإنسان بين الحق والباطل.

ومن فساد عقيدة القبرصلي وشيخه عبد الله الداغستاني أنهما ساويا أنفسهما بالله تعالى والعياذ بالله، فقد قال القبرصلي في نفس الكتاب^(١): «وأمر القطب هي أوامر الله، ومشيتته مساوية لمشيئة الله»، وقال شيخه الداغستاني في كتابه المسمى «الوصية» ما نصه^(٢): «التعريف الثاني للطريقة هو أن يكون المرید مستعدًا لتلقي الأمر من مرشده كما كان الرسول ينتظر مجيء الوحي من الله». اهـ
الرد:

العبد مهما علا شأنه عند الله لا يصل إلى درجة يوصف بها بصفة من صفات الله عز وجل، ومن وصفه بذلك فقد وقع في الكفر والعياذ بالله، فكيف بمن يدعي لنفسه المساواة مع الله عز وجل؟!!

فالولي يُعظَّم بما يليق به، والنبى يُعظَّم بما يليق به، والله تعالى نعظمه بكل كمال يليق به؛ فلا نرفع مرتبة الولي إلى مرتبة النبي ولا نرفع مرتبة النبي إلى الوصف بالألوهية.

فكلام القبرصلي وشيخه دليل على فساد عقيدتهما. فالحذر الحذر أخي المسلم مما يوقع في المهالك.

ومن الكفر الذي قاله ناظم القبرصلي في نفس الكتاب^(٣): «الله كان موجودًا بلا بداية وعباده كانوا موجودين بلا بداية لو لم يكن هناك بشر فالله إله من كان إذا؟»

(١) محيطات الرحمة (ص ٦).

(٢) الوصية (ص ٩).

(٣) محيطات الرحمة (ص ١٣).

إله نفسه؟ كلا، الحديث القدسي يقول: «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف»،
عباد الله كانوا جزءًا من هذا الكنز». اهـ

الرد:

هذا الكلام كفر ظاهر لا لبس فيه، فالله تبارك وتعالى هو وحده الأزلي الذي لا
بداية له، وهذا ما أجمع عليه المسلمون سلفًا عن خلف، ولم يخالف في ذلك إلا
الفلاسفة الذين قال فيهم الفقيه الأصولي بدر الدين الزركشي: «وضلهم المسلمون
وكفروهم».

وأما الحديث المذكور فهو مكذوب على الرسول ﷺ كما قال علماء الحديث، لا
سيما والله يستحيل أن يشبه نفسه بالكنز وهو القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) [سورة الشورى].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٤) ﴿خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا لَا يُجِدُونَ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦٥) ، وقال أيضًا عن الكفار: ﴿لَا يُقْضٰى عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوْا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ مِّنْ عَذٰبِهَا﴾. هاتان الآيتان فيهما دليل على أن الكفار يخلدون في نار جهنم
ولا ينقطع عنهم العذاب في الآخرة، وهناك آيات وأحاديث عديدة تدل على ذلك،
فتكذيب هذه النصوص فيه ردة عن الإسلام والعياذ بالله. وممن خالف هذه العقيدة
ناظم القبرصلي الذي قال في نفس الكتاب^(١): «طرق جهنم هي طرق إلى الله أيضًا
بعد جهنم. جهنم هي تنظيف الناس، تنظيفهم من الخطايا والصفات السيئة، ثم
بعد ذلك يقادون إلى الله»، وقال أيضًا: «الله لن يترك عبده بين يدي الشيطان...
رحمته لن تترك أحدًا في جهنم إلى الأبد». اهـ

هكذا هم أدعياء التصوف المنحرفين يتسترون تحت طريقة من الطرق الصوفية
ثم ييثون وينشرون عقيدة الإلحاد والزندقة.
ومن كلام القبرصلي الذي فيه تكذيب لنصوص الشريعة دعوته إلى الإباحية،

(١) محيطات الرحمة (ص ٧٨).

ف عندما تحدث عن الأولياء قال في نفس الكتاب^(١): «يجوز لهم النظر إلى أي مكان، إلى الرجال أو النساء، هم مأمورون بالنظر، لا يوجد تحريم بالنسبة إليهم لذلك نظرهم واجب». اهـ

الرد:

ليعلم أن الله عز وجل فَرَضَ على عباده غَضَّ البصر عن العورات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، وقال النبي ﷺ: «وزنا العين النظر» رواه البخاري.

فإذا كان الله تعالى حَرَّمَ على المسلمين - حتى الأولياء منهم - أن ينظروا إلى عورات بعضهم البعض، فكيف يزعم ناظم القبرصلي بعد ذلك أن نظر الولي إلى النساء واجب؟! كأنه يقول لأتباعه: أنا يجوز لي أن أستمتع بالنظر إلى النساء. ومثل هذا ضرره على الإسلام عظيم لأنه ينقض دين الله عروة عروة ويسعى إلى الإفساد في الأرض تحت ستار التصوف.

ثم إن القبرصلي أنكر فرضية الصلاة والعياذ بالله، فقد قال له شخص في نفس الكتاب المسمى «محيطات الرحمة»: «ما هي التكاليف على زوجاتنا؟»، فأجابه بقوله: «للمبتدئات سجدة واحدة في وقت كل صلاة من الصلوات الخمس، في وقت كل صلاة تكفي سجدة واحدة!! فيقول السائل: «ماذا إذا أرادت أداء الصلاة كاملة، هل هذا مناسب؟ فيجيبه للمبتدئات سجدة واحدة تكفي، وعندما يتقدمن يطلبن الإذن، هذا ما أمرني به شيخي!!». اهـ ويعني بشيخه عبد الله الداغستاني.

الرد:

هذا عين الضلال، وهو كفر كما قال الشيخ ابن حجر الهيتمي في الإعلام وغيره. فقد تواتر بين المسلمين أنه يجب على كل مسلم مكلف خمس صلوات في اليوم والليلة، فالقول إن سجدة واحدة تكفي بدل الصلاة المفروضة إحد في الدين وتكذيب لقوله تعالى: «وأقيموا الصلاة»، ولقول النبي ﷺ: «خمس صلوات كتبهن

(١) محيطات الرحمة (ص ٢٠).

الله على عباده». رواه أحمد

وقد قال ناظم القبرصلي في نفس الكتاب ما نصه^(١): «إن جبريل نزل على الرسول ﷺ وقال له إن الله تعالى يبشرك بأن من قرأ من أمتك الفاتحة ولو مرة واحدة في حياته يكون هذا كافيًا بل وزيادة على الكفاية، وحتى لو كان كافرًا فإن قراءتها مرة واحدة تجلبه إلى الإيمان ربما في آخر لحظة في حياته». اهـ

الرد:

هذا الكلام كذب على الله والرسول وجبريل، وواقع الحال شاهد على كذب هذا الادعاء. فكم من أناس قرؤوا الفاتحة مرات ومرات ثم ماتوا على الكفر. وله غير ذلك من ضلالات وأباطيل، نسأل الله السلامة، والله المستعان وهو نعم الوكيل.

وممن حذر منه ومن شيخه الداغستاني، مفتي داغستان سيد أحمد بن سليمان درويش حاجيو «الإدارة الدينية لمسلمي داغستان» - محاج قلعة، في فتوى عليها الختم والتوقيع - موجود عندنا نسخة منها - ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وبعد فإن التحذير من أهل الضلال واجب أمرنا به ولا سيما الذي اتخذوا اسم الدين ستارًا لهم ليضلوا به الناس وهم في الحقيقة أعداء الدين وبعيدون كل البعد عنه، وكان من هؤلاء ناظم القبرصلي الذي أفسد في الأرض كثيرًا وشوه اسم الإسلام عند من لا علم له بالإسلام، وهو يلبس زي أهل العلم تمويهًا على الناس ليس إلا، وناظم هذا هو تلميذ عبد الله الداغستاني» اهـ.

وفتوى لمفتي داغستان نفسه في التحذير من عبد الله الداغستاني شيخ ناظم القبرصلي، عندنا نسخة منها وعليها الختم والتوقيع، ومما جاء فيها: «إن الرجل الخبيث عبد الله الداغستاني غير مشهور في داغستان ولم يكن فيه في زماننا ولكن سمعت في داغستان عن العلماء الثقات ومشايخ الطريقة الحقيقيون الكرام أن سلسلة عبد الله

(١) محيطات الرحمة (ص ٥٨).

الداغستاني مقطوعة، وكذلك شرف الدين الداغستاني وطريقتهما منحرفة غير صحيحة باطلة ولم يصدقهما في عملهما أحد من عندنا». ثم يقول عن عبد الله الداغستاني: «هذا الخبيث قال وكتب ما هو كذب وافتراء على القراء والسنة وإجماع الأمة». ويقول عنه: «ولكن قال كذبًا وافتراءً على القراء والسنة ومن كذَّبهما كافر إجماعًا لا خلاف فيه ولا شك» اهـ.

وقد حذّر من ناظم القبرصلي أيضًا، مفتي طرابلس الشام الشيخ طه الصابونجي في جريدة «النهار» بتاريخ ١٠/٧/١٩٩٩ قال تحت عنوان: «الصابونجي طالب القضاء بالتحقيق مع زعيمهم: القبرصلي مشعوذ وله علاقات مشبوهة.. سبق أن حذّرنا مرارًا من أساليب الشعوذة التي يلجأ إليها البعض تحت ستار التصوف والكشف الغيبي، لأن الإسلام واضح في منهجه الديني والعلمي والثقافي». وقال: «إن للقبرصلي صداقات مشبوهة مع قادة عالميين ولا يتفق عالم واحد أو شيخ مع أفكاره، وسبق أن صدرت فتاوى تكفير عالمية في حق معلّمه عبد الله الداغستاني» اهـ.

وأما تلميذ ناظم القبرصلي، المدعو عدنان قباني فيكفيه جهلاً وغلواً وكفرًا، ما في تسجيل صوتي له - معنا نسخة منه - يُكَلِّم أتباعه فيقول: «منكن عارفين اللي المنسوب لمولانا - أي شيخه ناظم - معو قوة من مولانا إذا قال للشىء كن فيكون» اهـ. يريد من ذلك أن من أخذ الطريقة عن شيخه ناظم القبرصلي يصير يقول للشىء «كن فيكون»، وقد قال الله تعالى عن ذاته المقدس ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي عبارة عن سرعة الإيجاد، لأن الله كلامه بلا حرف ولا صوت ولا لغة. وطريقتهم هي طريقة الرجس والزندقة ودجاجة المتصوفة، طريقة عدنان قباني وأخيه هشام طريقة شيخهم ناظم وشيخه الداغستاني، طريقة سلسلة الدجالين الكذابين الزنادقة.

قال الله تعالى :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ
أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾

[سورة الجن]

ليس في هذه الآية حجة لمن يقول إن الرسل يطلعهم الله على جميع غيبه كما يدعي كثير من الجهال، إنما معناه أن الذي ارتضاه الله من رسول يجعل له رصداً أي حفظة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الشيطان، ف(إلا) هنا ليست استثنائية بل هي بمعنى (لكن) فيفهم من الآية أن علم الغيب جميعه خاص بالله تعالى فلا يتطرق إليه الاستثناء فتكون الإضافة في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ للعموم والشمول من باب قول الأصوليين المفرد المضاف للعموم، فيكون معنى غيبه أي جميع غيبه، وليس المعنى أن الله يطلع على غيبه من ارتضى من رسول فإن من المقرر بين الموحدين أن الله تعالى لا يساويه خلقه بصفة من صفاته، ومن صفاته العلم بكل شيء قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ والعجب كيف يستدل بعض الناس بهذه الآية على علم الرسل ببعض الغيب إنما الذي فيها أن الله هو العالم بكل الغيب، ولكن الرسل يجعل الله لهم حرساً من الملائكة يحفظونهم. وأما اطلاع بعض خواص عباد الله من أنبياء وملائكة وأولياء البشر على بعض الغيب فمأخوذ من غير هذه الآية ومن حديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فلو كان يصح لغيره تعالى العلم بكل شيء لم يكن لله تعالى تمدح بوصفه نفسه بالعلم بكل شيء، فمن يقول إن الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله جعل الرسول مساوياً لله في صفة العلم فيكون كمن قال الرسول قادر على كل شيء وكمن قال الرسول مرید لكل شيء سواء قال هذا القائل إن الرسول عالم بكل شيء بإعلام الله له أو لا فلا مخلص له من الكفر.

وقد قال الفخر الرازي في «التفسير الكبير» ما نصه^(١): «وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يُظهره الله لأحد» اهـ.

وقال مفتي المدينة المنورة الشيخ أحمد البرزنجي الحسيني في كتابه «غاية المأمول» ما نصه^(٢): «ومن اعتقد تسوية علم الله ورسوله يكفر إجماعاً» اهـ. ومما يردّ به على هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، وقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، فإن الله تبارك وتعالى تمدّح بإحاطته بالغيب والشهادة علماً.

ومما يردّ به على هؤلاء أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ فإذا كان الرسول بنصّ هذه الآية لا يعلم جميع تفاصيل ما يفعله الله به وبأمته، فكيف يتجرأ متجرئ على قول إن الرسول يعلم بكل شيء، وقد روى البخاري في الجامع حديثاً بمعنى هذه الآية وهو ما ورد في شأن عثمان بن مظعون، فقائل هذه المقالة قد غلا الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو فإن الغلو أهلك من كان قبلكم» رواه ابن حبان، وقد صحّ أن الرسول ﷺ قال: «لا ترفعوني فوق منزلتي».

وروى البخاري في الجامع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ» كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا إنا كنا فاعلين»، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإنه سيجاء بأناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول هؤلاء أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول سحقاً سحقاً أقول كما قال العبد الصالح «وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (١١٧)» إلى قوله: «العزير

(١) التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ المجلد الخامس عشر، الجزء ٣٠ ص ١٤٨).

(٢) غاية المأمول (الناشر انجمن ارشاد المسلمين، ص ٣٩٧).

الحكيم (١١٨)»).

ومعنى أن أول ما يكسى ابراهيم أي ما يلبسه من ثياب الجنة فوق ثيابه التي تكون عليه عند خروجه من القبر فإنه لا يخرج عاريًا لأن هذا لا يليق بأنبياء الله ومعنى أول أي من أول لأن نبينا محمدًا ﷺ هو أول من يكسى من ثياب الجنة.

ومن أعجب ما ظهر من هؤلاء الغلاة لما قيل لأحدهم: كيف تقول الرسول يعلم كل شيء يعلمه الله وقد أرسل سبعين من أصحابه إلى قبيلة ليعلموهم الدين فاعترضتهم بعض القبائل فحصدوهم، فلو كان يعلم أنه يحصل لهم هذا هل كان يرسلهم؟ فقال: نعم يرسلهم مع علمه بذلك. وهذا الحديث رواه البخاري وغيره.

ومثل هذا الغالي في شدة الغلوّ رجل كان يدّعي أنه شيخ أربع طرق في بيروت من آل عنتر فقال: الرسول هو المراد بهذه الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) وهذا من أكفر الكفر لأنه جعل الرسول الذي هو خلق من خلق الله أزليًا أبدئيًا، لأن الأول هو الذي ليس لوجوده بداية وهو الله بصفاته فقط.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (٣١)

[سورة المدثر]

قال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١): «﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، أي وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب أهل النار إلا هو أي إلا الله جل ثناؤه» اهـ.

وقال المفسر الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره المسمى «معالم التنزيل» ما نصه^(٢): «قال عطاء: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدّتهم إلا الله، والمعنى: إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم إلا الله عز وجل» اهـ.

هذا معنى الآية، الملائكة جنود الله أي يُطيعونه في ما أمرهم ولا يعصونه، قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) [سورة التحريم]، ليس معنى الجنود في هذه الآية أن الله يحتاج إليهم أو يستعين بهم كما أن الملك أو السلطان يحتاج إلى جنوده ويستعين بهم، الآية ﴿جُنُودَ رَبِّكَ﴾ ليس معناها أنهم أعوانه كما حرّف وادّعى وافترى إمام المشبهة والمجسمة ابن تيمية الحراني في كتابيه «مجموع الفتاوى»^(٣)، والمسمى «بيان تلبيس الجهمية»^(٤) حيث قال: «أنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده وأعوانه من الملائكة» اهـ.

ابن تيمية هذا، يُسمّي الملائكة «أعوان الله» والعياذ بالله من الكفر. وقد

(١) الجامع لأحكام القرآن (دار الفكر، الطبعة الأولى الجزء ١٩ ص ٨٢).

(٢) معالم التنزيل (طبعة دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثالثة في سنة ١٤١٣هـ، الجزء الرابع ص ٤١٧).

(٣) مجموع الفتاوى (المجلد الخامس ص ٥٠٧).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (ج ٦ ص ٣٦).

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران]، أي مستغنٍ عن كل ما خلق، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة الرعد]، فالله تعالى لا معين ولا أمر له، ولا شبيهة ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا ضدَّ ولا مُغالبَ ولا مُكرهَ له، ولا ندَّ ولا مثلَ له.

ولقد دافع عن هذا المنكر القبيح والكفر الصريح، الذَّنْبُ الوهابي الجوال المدعو عبد الرحمن دمشقية في تسجيل له بالصوت والصورة نشره على الإنترنت، حيث أوَّلَ كُفْرَ شيخه وإمامه في التجسيم والتشبيه، فقط لأنه صَدَرَ من ابن تيمية، المجسمة المشبهة يُؤوِّلون الكفر الصريح لمشايخهم.

فيا لفضيحة الوهابية!!! لأيِّ شيءٍ يُكفِّرون المسلمين؟! كيف يُنكرون على المسلمين استعانتهم بالأنبياء والأولياء والصالحين، ولا يُنكرون على إمامهم المجسم ابن تيمية نسبةً الأعوانِ لله بل يُؤوِّلون له، أليس الأولى بهم أن يُحدِّروا منه حيث نَسَبَ لله الأعوان من الملائكة الذين هم أولياء، بدَل أن يُنفقوا الأموال الطائلة في سبيل تكفير المسلمين حيث استعانوا بالأنبياء والأولياء!!!؟

قال الله تعالى :

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴾

[سورة طه]

قال الله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرَ لَخَضْرَوَاتِهَا وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّوْهُمْ رُبُّوْمًا شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [سورة الإنسان].

المقصود بالشراب شراب أهل الجنة، وليس معنى الآية العصيرات التي تباع في الأسواق والدكاكين كعصير التفاح أو العنب أو الجزر أو ما شابه، وبعضهم يكتب هذه الآية في بعض المحال التي يباع فيها العصير أو على بعض عيون وسُّبُل الماء، مع أن ماء السبيل وماء العين وعصير الفاكهة طاهر لكن ليس هذا معنى الآية، إنما الآية عن شراب أهل الجنة، وسياق الآيات قبلها وبعدها يدل على ذلك.

قال المفسر ابن جرير الطبري في تفسيره ما نصه^(١): «وقوله: ﴿ وَسَقَّوْهُمْ رُبُّوْمًا شَرَابًا طَهُورًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وسقى هؤلاء الأبرار ربُّوْمًا شرابًا طهورًا، ومن طهره أنه لا يصير بولاً نجسًا، ولكنه يصير رشحًا من أبدانهم كرشح المسك». ثم قال: «حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبان، عن أبي قلابة: إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شأوا دعوا بالشراب الطهور فيشربونه» اهـ.

واعلم أن من قال وهو يملأ وعاءً شرابًا ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾^(٣٤) بقصد الاستخفاف بما وعد الله به المؤمنين في الجنة من الكأس الممتلئة شرابًا هنيئًا فقد كفر، لأن معنى كلامه أن ذلك الذي ذكره الله مثل هذا الذي أملاه. ومعنى ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾^(٣٤) أي كأسًا ممتلئة بالشراب.

وكذا كلُّ موضع استعمل فيه القرءان بقصد الاستخفاف فهو كفر، فإن كان بغير ذلك القصد فلا يكفر لكن قال الشيخ أحمد ابن حنبل الهيثمي: لا تبعد حُرْمَتُهُ. أي هو حرام لأنه أورد الآية في غير موضعها.

(١) تفسير الطبري (المجلد الثاني عشر الجزء ٢٩ ص ١٣٧).

قال الله تعالى :

﴿ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ (٢٣)

[سورة النبأ]

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(١):
«وقوله عز وجل ﴿ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ (٢٣) ، ذكر الأحقاب، ولم يبين منتهى العدد، ولو كان اللبث فيها يرجع إلى أمد في حق الكفرة، لكان يأتي عليه البيان، كما أتى البيان على منتهى يوم القيامة بقوله ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤) [سورة المعارج]، فلما لم يبين، ثبت أنه لا يرجع إلى حد، وإلى هذا ذهب الحسن». ثم قال: «ليعلم أنهم أبدًا فيها، كما قال ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (١٠٧) [سورة هود]» اهـ. وفي المجلد السادس ص ١٨٥ يقول الإمام الماتريدي ما نصه: «وقال بعضهم ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (١٠٧) أي: ما دامت سماء الجنة وأرض الجنة» اهـ.

أما المجسم ابن تيمية فمن أكبر ضلالاته زعمه بأن النار تفتنى وتبعه على ذلك تلميذه ابن قيم في كتابه المسمى حادي الأرواح^(٢) والقرضاوي وخالد الجندي. يقول ابن تيمية في كتابه المسمى «الرد على من قال بفناء الجنة والنار» ما نصه^(٣): «وفي المسند للطبراني ذكر فيه أنه ينبت فيها الجرجير، وحينئذ فيحتج بفناءها بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، مع أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب ولا سنة ولا أقوال الصحابة» اهـ، ثم زعم في نفس الكتاب^(٤) أن قول من قال بدوام النار محتجًا بالإجماع أن هذه المسألة الإجماع فيها غير معلوم وأنه لا يُقطع فيها

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ المجلد العاشر ص ٣٩٥).

(٢) المسمى حادي الأرواح (ص ٥٧٩ - ٥٨٢).

(٣) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص ٦٧).

(٤) المصدر نفسه، (ص ٧١ - ٧٢).

بإجماع، ثم زعم^(١) أن القول بفنائها فيه قولان معروفان عن السلف والخلف، وقد نقل هذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم.

أما القرضاوي فقد قال على شاشة التلفزة أن القول بفناء النار هو الأليق برحمة الله.

الرد:

في ما ادعاه ردُّ لصريح القرآن والسنة الثابتة المتفق على صحتها ولإجماع الأمة، أما مخالفته للآيات القرآنية الدالة على بقاء النار واستمرار عذاب الكفار بلا انقطاع الى ما لا نهاية له وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الأحزاب]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنٰفِقِينَ وَالْمُنٰفِقَاتِ وَالْكٰفِرَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ وَعَدَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة النساء]، وغيرها من الآيات الكثيرة، وقد ذكر الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته «الاعتبار بقاء الجنة والنار» التي رد بها على ابن تيمية نحوًا من ستين آية، بل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الإسراء]، كاف في نفس ما ادعاه ابن تيمية وغيره.

أما رده للحديث الصحيح الثابت فما رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة قال: «قال النبي ﷺ: «يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود فلا موت»، وما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى

(١) الرد على من قال بفناء الجنة والنار (ص ٥٢).

حزَنهم».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما نصه^(١) : «قال القرطبي: وفي هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد، وإقامته فيها على الدوام بلا موت، ولا حياة نافعة ولا راحة، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [سورة فاطر]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [سورة السجدة]، فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تبنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة» اهـ.

أما من قال: إنه يزول عذابها ويخرج أهلها منها واحتج بما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن بعض الصحابة من روايات الحسن، عن عمر أنه قال: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه»، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري^(٢) : «وهو منقطع» اهـ، ثم قال: «قلت: وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حُمل على الموحدين، وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره بعدة أوجه من جهة النظر، وهو مذهب رديء مردود على قائله، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد» اهـ.

وهذان الحديثان صريحان في إثبات أن أهل النار باقون في النار بقاءً لا انقطاع له، فقد رد ابن تيمية هذين الحديثين برأي منه ولم يذكر دليلاً له إلا أثراً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منقطعاً غير صحيح الإسناد كما قدمنا، فكيف رد صريح القرآن والسنة وركن إلى هذا الأثر الذي لا ثبوت له ليؤيد هواه المخالف لدين الله تعالى، فقد رد صريح القرآن والسنة بقياس باطل توهمه قياساً معقولاً ذكره في بعض ما كتب في هذه المسألة التي شذ فيها عن الأمة لأنه لا يثبت عن أحد من الأئمة القول بفناء النار، ثم هو نفسه ناقض نفسه لأنه ذكر في كتابه المنهاج أن

(١) فتح الباري (١١/٤٢١).

(٢) المصدر نفسه، (١١/٤٢٢).

الجنة والنار باقيتان لا تفنيان بإجماع المسلمين على ذلك ولم يخالف في ذلك إلا جهم بن صفوان فكفره المسلمون، ثم وقع في شطر ما وقع فيه جهم فيكون بنصه هذا كُفّر نفسه.

وما يدل أيضًا على ما قدمناه من الحديث الصحيح ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة يَنعَمُ لا يبيس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»، قال المناوي في فيض القدير عقبه ما نصه^(١): «وهذا صريح في أن الجنة أبدية لا تفنى والنار مثلها، وزعم جهم بن صفوان أنهما فانيتان لأنهما حادثتان، ولم يتابعه أحد من الإسلاميين بل كفروه به، وذهب بعضهم الى إفناء النار دون الجنة وأطال ابن القيم كشيخه ابن تيمية في الانتصار له في عدة كراريس، وقد صار بذلك أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان لمخالفته نص القرءان، وختم بذلك كتابه الذي في وصف الجنان» اهـ.

أما الإجماع فهو منعقد على بقاء النار وقد ذكره الحافظ المجتهد تقي الدين السبكي في رسالته «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» فقال ما نصه: «فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان، وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافرًا بالإجماع، ولا شك في ذلك، فإنه معلوم من الدين بالضرورة، وتواردت الأدلة عليه» اهـ. وقال أيضًا ما نصه: «أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك وتلقوه خلقًا عن سلف عن نبيهم ﷺ، وهو مركز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة، بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك، من رد ذلك فهو كافر» اهـ.

وقال التفتازاني في شرحه على العقيدة النسفية ما نصه^(٢): «وذهب الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما، وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة فضلًا عن حجة»، ونقل أيضًا الإجماع القرطبي في كتابه التذكرة^(٣).

(١) فيض القدير (٦/٢٤١).

(٢) العقيدة النسفية (ص ١٤٠).

(٣) التذكرة (٥/٥٢٧).

ومن التناقض الفاضح للوهابية، قول المدعو عبد الرحمن دمشقية في تسجيل صوتي له: «إن ثبت أن ابن تيمية قال بفناء النار، فهذا تكفير مني له». اهـ، وقد قال شيخه ابن عثيمين في تسجيل صوتي له: «وكان شيخنا عبد الرحمن بن السعدي يعجب من ترجيح ابن تيمية للقول بفناء النار». وهذا اعتراف صريح من المدعو عبد الرحمن دمشقية بتكفير إمامه ابن تيمية.

فقد بان وظهر رد ابن تيمية للنصوص، وقد قال نجم الدين النسفي في عقيدته المشهورة: «وردُّ النصوص كفر»، وقال الطحاوي: «ومن ردَّ حكم الكتاب كان من الكافرين»، فليشفق الذين تابعوه على أنفسهم.

قال الله تعالى :



[سورة عبس]

معنى الآية أن الله تبارك وتعالى عاتب النبي ﷺ عتابًا لطيفًا في ابن أم مكتوم، وكان ﷺ يقول عندما يراه: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي».

قال الإمام الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة»^(١): «والثاني: أن تعبَسَ الوجه على الأعمى، والإعراض عنه لا يظهر للأعمى، لأنه لا يراه، فلا يعده جفاء، وكان في إقباله على أولئك القوم وحسن صحبته إياهم رجاء الإسلام منهم» اهـ.

وقال القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي في «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي»^(٢): «فكان رسول الله ﷺ يكرمه، ويقول إذا رآه: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي. واستخلفه على المدينة مرتين» اهـ.

ولم يرد في كلام أهل العلم لفظ «التأنيب» ولا في كلام عامة المفسرين، ليس كما ادّعى محمد سعيد رمضان البوطي أن الله يؤنب النبي ﷺ، ففي كتابه المسمى «هذه مشكلاتهم» يقول ما نصه^(٣): «ثم إن القرءان يخاطب النبي ﷺ في كثير من الأحيان ناصحًا ومعاتبًا ومؤنبًا» اهـ.

فمن أين جاء هذا القائل بالتأنيب لماذا لا يلتزم بعبارات أهل العلم. ثم إن قول الدكتور السوري «ومؤنبًا»، هذه العبارة فيها إساءة أدب كبيرة مع الرسول ﷺ، ولا يليق برسول الله ولا بمقامه ولا بعصمته، وأما إذا قيل «عاتبه عتابًا لطيفًا» فإنه لا يُشعر بالنقص والازدراء، لأن العتاب ليس شرطًا أن يكون على معصية أو على شيء قبيح.

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، المجلد العاشر الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ص ٤١٧).

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (دار الكتب العلمية، الجزء التاسع الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ص ٤١٢).

(٣) هذه مشكلاتهم (ص ١٧٦).

قال الله تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الْصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ ﴾

[سورة الطارق].

يجب التحذير مما شاع على السنة كثير من الأطباء الذين درسوا عند الكفار وتأثروا بالأعاجم والإفرنج ولم يتعلموا أحكام الشرع، من أن الجنين يخلق من مني الرجل وأن المرأة لا مني لها، بزعمهم، وهذا ما لم يقله عالم من علماء المسلمين قط، وهذا رأي كاسد فاسد مخالف لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإجماع علماء الإسلام من أن الجنين يتكون في رحم الأم من اجتماع مني الرجل والمرأة بخلق الله ومشيتته.

وهؤلاء الأطباء الذين لا يبالون ولا يسألون عن أحكام الحلال والحرام ويخالفون صريح القرآن والسنة فساق لا يجوز الاعتماد على كلامهم ولا الالتفات إلى قولهم هذا الذي أخذوه مقلدين فيه الكفار، وعلم الدين لا يؤخذ من أمثال هؤلاء وما خالف الدين ليس علما، القرآن هو العلم وسنة النبي ﷺ الثابتة الصحيحة هي العلم، وإجماع الأمة هو العلم.

قال الإمام المجتهد التابعي الجليل محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا
عمن تأخذون دينكم» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

الدلائل القرآنية على أن الجنين يخلق من مني الرجل والمرأة وليس من مني الرجل وحده كما زعم هؤلاء الجهلاء

١- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطارق].

٢- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الإنسان].

٣- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الكهف].

٤- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة الحج].

٥- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون].

٦- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴿١١﴾﴾ [سورة فاطر].

٧- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة يس].

٨- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة غافر].

٩- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرَّ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النجم].

١٠- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الْمَ بَكَ نُطْفَةً مِن مَنِيِّ يُمْنَىٰ﴾ [سورة القيامة].

١١- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل].

١٢- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [سورة عبس].

أحاديث رسول الله ﷺ تؤكد وجود المني عند المرأة

١- روى البخاري في صحيحه في باب مناقب الأنصار من حديث أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؛ وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «أما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» الحديث.

٢- وروى البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها» الحديث.

٣- وروى مسلم في صحيحه في كتاب الحيض من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه» الحديث.

٤- روى مسلم في صحيحه في كتاب الحيض من حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ هل تغتسل المرأة إذا هي احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال نعم» الحديث.

٥- وروى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلاً مني

الرجل على مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثنا بإذن الله» الحديث.

إجماع الأمة الإسلامية على وجوب الغسل على المرأة إن خرج منها

المني

١- قال علي بن خلف بن عبد الملك المشهور بابن بطال المتوفى سنة ٤٤٩ للهجرة في شرحه على صحيح البخاري ما نصه^(١): «لا خلاف بين العلماء أن النساء إذا احتلمن ورأين الماء - أي خرج منهن علمن به أو رأينه - أن عليهن الغسل وحكمهن حكم الرجال في ذلك» انتهى كلام ابن بطال.

٢- قال الحافظ يحيى أبو زكريا بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ للهجرة في شرحه على صحيح مسلم ما نصه^(٢): «اعلم أن المرأة إذا خرج منها مني وجب عليها الغسل كما يجب على الرجل بخروجه، وقد أجمع المسلمون على وجوب الغسل على الرجل والمرأة بخروج المنى» ثم قال: «فمن أين يكون الشبه معناه أن الولد متولد من ماء الرجل وماء المرأة فأيهما غلب كان الشبه له وإذا كان للمرأة مني فأنزله فإنزله وخروجه منها ممكن» ثم قال بعد كلام: «وأما مني المرأة فهو أصفر رقيق وقد يبيض لفضل قوتها وله خاصيتان يعرف بواحدة منهما أحدهما أن رائحته كرائحة مني الرجل والثانية التلذذ بخروجه وفتور شهوتها عقب خروجه، قالوا ويجب الغسل بخروج المنى بأي صفة وحال كان والله أعلم» انتهى كلام النووي.

٣- قال القاضي الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ للهجرة في كتابه «إكمال المعلم بفوائد مسلم» ما نصه^(٣): «والغسل إنما يجب على المحتلم كان رجلاً أو امرأة إذا رأى الماء كما ذكر في الحديث ليس من

(١) صحيح البخاري (١/٣٩٧).

(٢) صحيح مسلم (المجلد الثاني الجزء الثالث ص ٢٢٠).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (المجلد الثاني ص ١٣٠).

مجرد رؤية الفعل وهذا ما لا خلاف فيه» انتهى كلام القاضي عياض.

٤- وقال محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المتوفى سنة ٨٢٧ للهجرة في كتابه إكمال إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم ما نصه^(١): «إن سبق ماء الرجل وعلا ماءها أذكر وأشبه الولد أعمامه وإن سبق ماء المرأة وعلا أنث وأشبه الولد أخواله، وإن سبق ماء الرجل وعلا ماءها أذكر وأشبه الولد أخواله، وإن سبق ماء المرأة وعلا ماءه أنث وأشبه الولد أعمامه وزعم بعضهم أن الولد إنما هو من ماء المرأة وماء الرجل إنما هو للعقد كالمنفاح للبن والحديث يرد عليه لأن انقسام الشبه يدل على أنه من المائين قلت هذا الخلاف هو للأطباء وقال جماعة منهم: هو من ماء الرجل فقط. وقيل: لا منهما بل هو من دم الحيض. وقيل: بل من الرغوة والزبد الذي يكون بين ماء الزوجين والصحيح ما دل عليه الحديث أنه منهما». ثم قال: «لو وصل مني المرأة إلى المحل الذي تغسله عند الاستنجاء وهو ما يظهر عند جلوسها لقضاء الحاجة اغتسلت لأنه كحكم الظاهر والبكر لا يلزمها ذلك حتى يبرز عنها لأن داخل فرجها كداخل الإحليل» انتهى كلام الأبي.

٥- قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري^(٢) عند شرح الحديث «هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت فقال رسول الله ﷺ: نعم إذا رأت الماء» ما نصه: «إذا رأت الماء أي المني بعد الاستيقاظ وفي رواية الحميدي عن سفيان عن هشام «إذا رأت إحداكن الماء فلتغتسل» وزاد «فقلت أم سلمة وهل تحتلم المرأة؟» وكذلك روى هذه الزيادة أصحاب هشام عنه غير مالك فلم يذكرها» ثم قال بعد كلام: «وقال ابن بطال فيه دليل على أن كل النساء يحتلمن» ثم قال: «وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال ونفى ابن بطال الخلاف فيه وقد قدمناه عن النخعي» ثم قال: «وقد روى أحمد من حديث أم سليم في هذه القصة أن أم سلمة قالت: يا رسول

(١) صحيح مسلم (٢/١٥١).

(٢) صحيح البخاري المجلد الأول ص ٤٦٣.

الله هل للمرأة ماء؟ فقال: هن شقائق الرجال، وروى عبد الرزاق في هذه القصة «إذا رأت إحداكن الماء كما يراه الرجل» وروى أحمد من حديث خولة بنت حكيم في نحو هذه القصة «ليس عليها غسل حتى تنزل كما ينزل الرجل» وفيه رد على من زعم أن ماء المرأة لا يبرز» انتهى كلام ابن حجر.

أقوال علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم على

إشبات المني للمرأة

١- قال الإمام محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة في كتاب «الأم» ما نصه^(١): «متى خرج المني من ذكر الرجل أو رأت المرأة الماء الدافق فقد وجب الغسل» انتهى.

٢- قال الإمام الفقيه أبو اسحاق الفيروزبادي الشيرازي الشافعي في كتاب «التنبيه» ما نصه^(٢): «يجب الغسل على المرأة من خروج المني» انتهى.

٣- قال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري في تفسيره للآية الثانية من سورة الإنسان ما نصه: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّا خَلَقْنَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ نُطْفَةٍ، يَعْنِي: مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ» ثم قال: «حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْأَسْوَدِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْوَلَدَ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾» ثم قال: «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ الْأَمْشَاجُ خَلْقٌ مِنَ الْوَانِ، خَلِقُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ مَاءِ الْفَرْجِ وَالرَّحِمِ، وَهِيَ النُّطْفَةُ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ، ثُمَّ عَظْمٌ، ثُمَّ مِنْ لَحْمٍ، ثُمَّ أَنْشَأَهُ خَلْقًا آخَرَ، فَهُوَ ذَلِكَ». انتهى

(١) الأم (١/٥).

(٢) التنبيه (ص ١٩).

٤ - قال الإمام علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي في كتابه النكت والعيون ما نصه: «في النطفة قولان:

أحدهما: ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة، قاله السدي.

الثاني: أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجًا».

انتهى

٥ - قال الإمام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي

في تفسيره للآية «ألم يك نطفة من مني يمني» ما نصه: «من المنى. (الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) أي الرجل والمرأة».

وقال في تفسير الآية الثانية من سورة الإنسان ما نصه: «وعن ابن عباس أيضًا

قال: يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما

الولد، فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم

وشعر فهو من ماء المرأة. وقد روى هذا مرفوعًا، ذكره البزار. وروى عن ابن مسعود:

أمشاجها عروق المضغة. وعنه: ماء الرجل وماء المرأة وهما لوان. وقال مجاهد:

نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء. وقال ابن عباس: خلق

من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة

ثم عظم ثم لحم. ونحوه قال قتادة: هي أطوار الخلق: طور وطور علقة وطور مضغة

عظام ثم يكسو العظام لحما، كما قال في سورة «المؤمنون» ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ سُلْةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ الآية. وقال ابن السكيت: الأمشاج الأخلاط، لأنها ممتزجة

من أنواع فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل المعاني: الأمشاج ما جمع وهو في

معنى الواحد، لأنه نعت للنطفة، كما يقال: برمة أعشار وثوب أخلاق. وروى عن أبي أيوب

الأنصاري: قال جاء حبر من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة؟

فقال: [ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة أنثت وإذا علا

ماء الرجل أذكرت] فقال الحبر: أشهد ألا إله إلا الله وأنت رسول الله. وقد مضى هذا القول

مستوفى في سورة «البقرة». (نَبْتَلِيهِ) أي نختبره. وقيل: نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار». انتهى

- وممن قال من العلماء أن للمرأة منياً، كثير جداً نذكر بعضهم بإذن الله:
- ١- الإمام صفى الدين أحمد بن عمر بن محمد المذحجي السيفي المرادي المشهور بالمزجر اليميني في كتاب «العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب»^(١).
 - ٢- الإمام الفقيه أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة الشافعي في كتاب «كفاية النبيه في شرح التنبيه»^(٢).
 - ٣- الإمام زكريا الأنصاري الشافعي في كتاب «حاشية الجمل على شرح المنهاج»^(٣).
 - ٤- الإمام جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي الشافعي كتاب «المهمات»^(٤).
 - ٥- الإمام أبو المحاسن عبد الواحد إسماعيل الروياني الشافعي في كتاب «بحر المذهب»^(٥).
 - ٦- الإمام عبد الرحمن الشربيني الشافعي في كتاب «الغرر البهية»^(٦).
 - ٧- الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي في كتاب «العزیز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير»^(٧).
 - ٨- الإمام عبد الحميد الشرواني الشافعي والإمام أحمد بن قاسم العبادي وشهاب الدين ابن حجر الهيتمي في كتاب «حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي»^(٨).
 - ٩- الإمام سليمان بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي في كتاب «حاشية

(١) العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب (١/٥١).

(٢) كفاية النبيه في شرح التنبيه (١/٤٧٣).

(٣) حاشية الجمل على شرح المنهاج (١/٢٤٢).

(٤) المهمات (٢/٢٣٤).

(٥) بحر المذهب (١/١٨٩).

(٦) الغرر البهية (١/٣٦٢).

(٧) العزیز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير (١/١٨١).

(٨) حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي (١/٤٢٩).

- البجيرمي على شرح منهج الطلاب»^(١) .
- ١٠- الإمام يحيى أبو زكريا بن شرف النووي في كتاب «المجموع»^(٢) .
- ١١- الإمام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي في كتاب «فتح القدير»^(٣) .
- ١٢- الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي في كتاب «شرح فتح القدير»^(٤) .
- ١٣- الإمام أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرّي الحنفي في كتاب «العناية شرح الهداية»^(٥) .
- ١٤- الإمام المجتهد العالم الحافظ النجم في علم الحديث مالك بن انس رضي الله عنه في كتاب «المدونة الكبرى»^(٦) .
- ١٥- الشيخ محمد عليش المالكي في كتاب «منح الجليل شرح مختصر سيدي خليل»^(٧) .
- ١٦- الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني المالكي في كتاب «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل»^(٨) .
- ١٧- الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي في كتاب «الإنصاف»^(٩) .

(١) حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (المجلد الأول ص ١٢٣).

(٢) المجموع (٢/ ٣٧٥).

(٣) فتح القدير (في كتاب الطهارات).

(٤) شرح فتح القدير (١/ ٦٤).

(٥) العناية شرح الهداية الجزء الأول ص ٤٨ - ٤٩).

(٦) المدونة الكبرى (١/ ٣١).

(٧) منح الجليل شرح مختصر سيدي خليل (١/ ١١٩).

(٨) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل (١/ ٤٤٥).

(٩) الإنصاف (١/ ٣٤١).

١٨ - موفق الدين بن قدامة الحنبلي في كتاب «المغني»^(١) .

وها قد رأيت بأمر عينك أيها القارئ المتأني المنصف نقل علماء المذاهب الأربعة ونقل علماء الأمة من الصحابة إلى يومنا هذا وكلهم يؤكدون ويثبتون أن الجنين إنما يُخلق من مني الرجل والمرأة، وبين أيدينا الآن مما يثبت هذه المسألة ويثبت أن المرأة لها مني، أكثر من أربعمئة مصدر ومرجع من كتب كل أصناف علماء الأمة، فلا تلتفت لما خالف ذلك.

وبعد ذكر الأدلة القرآنية والحديثية وإجماع الأمة الإسلامية ونصوص علماء المسلمين من مفسرين ومحدثين وفقهاء وغيرهم كثير ثبت بما لا شك فيه ولا ريب أن المرأة لها مني وأن الولد يخلق من مني الرجل والمرأة فلا يجوز الالتفات إلى قول بعض الأطباء الذين لا يعرفون الحلال من الحرام ولا الحق من الباطل وينكرون أن يكون للمرأة مني ويقولون بويضة، فما معنى البويضة بزعمكم؟ وأين دليلكم من القرآن أو السنة الثابتة أو إجماع الأمة على عدم وجود المنى عند المرأة؟ فنحن معنا مصادر التشريع والأدلة الدينية والعقلية القاطعة واليقينية، وأنتم ليس معكم إلا تقليد أو هام الأطباء الكفار لا الحقائق اليقينية.

(١) المغني (المجلد الأول ص ٢٣٥).

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦)

[سورة الإسراء]

مسألة مهمة في أن المني لا روح ولا حياة فيه

شاع عند بعض الأطباء وفي بعض المدارس والجامعات وبين الجهال فرضيات (**hypotheses**) ونظريات (**theories**) تقول إن المني فيه روح ويسمونه «حيوانًا منويًا»، وبعضهم يعتقد أن فيه ديدانًا صغيرة ثم هذه الديدان تتطور وتصير إنسانًا، وهذا معارض ومخالف لدين الله تعالى ومناقض لما جاء في القرآن والحديث والإجماع، والأصول والحقائق العلمية الصحيحة اليقينية التي في علم الطب وهو - بلا شك - اعتقاد باطل، تسرب من بعض المفتونين بنظرية دارون الإلحادية، المعروفة بنظرية التطور، أو النشوء والارتقاء.

فيجب الاعتقاد الجازم بأن المني لا حياة فيه ولا روح فيه إنما فيه صفة التموج كما في الزئبق وهذا لا يدل على وجود الحياة فيه، كما أن الشجرة وسائر النباتات فيها صفة النمو وهي جماد لا روح فيها.

١- قال الله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة البقرة).

أ- قال المفسر فخر الدين الرازي المتوفى في سنة ٦٠٤ للهجرة في كتاب «التفسير الكبير» ما نصه^(١) : «اتفقوا على أن قوله «وكنتم أمواتًا» المراد به وكنتم ترابًا ونطفًا» انتهى كلام الرازي.
ومعروف لكل عاقل أن التراب لا حياة فيه.

(١) التفسير الكبير (في الجزء الثاني من المجلد الأول ص ١٣٩).

ب- قال الإمام محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»^(١) عند قول الله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ما نصه: «قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: «أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم أي خلقكم، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم يوم القيامة»، قال ابن عطية: وهذا القول هو المراد بالآية» انتهى كلام القرطبي.

ولاحظ إلى قولهما «أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا فأحياكم» وكيف يقال عن المعدوم إنه حي أو فيه روح؟ ولاحظ إلى قوله «فأحياكم» أي بعد أن كنتم أمواتاً، فهذه الآية واضحة صريحة في أن المني لا روح فيه، لأن الله قال: «وكنتم أمواتاً»، وعلى زعم هؤلاء الجهلاء ينبغي أن تكون الآية بزعمهم «وكنتم أحياءً فأحياكم»، وهذا لا يقوله أدنى عاقل.

ج- قال المفسر المشهور محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤ للهجرة في تفسيره «البحر المحيط» ما نصه^(٢): «وكنتم أمواتاً نطفاً في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم» انتهى كلام الأندلسي.

٢- قال الله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا آثْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [سورة غافر].

أ- قال الإمام محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(٣): ««أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب أمهاتهم ثم أحياهم ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا ثم أحياهم للبعث والقيامة فهاتان حياتان

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد الأول ص ٢٤٩).

(٢) البحر المحيط (١/ ١٣٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (المجلد ١٥ ص ٢٩٧).

وموتتان وهو قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨) « انتهى كلام القرطبي.

ب- وقال القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ في كتابه المسمى «حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي» ما نصه^(١): «(قالوا ربنا أمتنا اثنتين)» بأن خلقنا أمواتاً أولاً ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا فإن الإماتة جعل الشيء عادماً الحياة ابتداءً انتهى كلام القاضي.

ج- قال القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ للهجرة في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ما نصه^(٢): «قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» فقال ابن عباس وقتادة والضحاك وأبو مالك: أرادوا موته كونهم ماء في الأصلاب ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم الموت ثم أحياهم يوم القيامة، قالوا وهي كالتي في سورة البقرة ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٨) انتهى كلام ابن عطية.

د- ومثل ذلك قال الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في تفسيره «الدر المنثور في التفسير المأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن» فقال ما نصه^(٣): «أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» قال: هي مثل التي في البقرة ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٨) كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم ثم أخرجهم فأحياهم ثم يميتهم ثم يحييهم بعد الموت.

هـ- وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (٨ / ٢٤٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٥٤٩).

(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن (٥ / ٦٥٠).

في قوله «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» قال: كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة، ثم أحياكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة فهما ميتتان وحياتان. فهو كقوله ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة].

و- وأخرج عبد بن حميد عن أبي مالك رضي الله عنه قال: كانوا أمواتاً فأحياهم الله تعالى فأماتهم ثم يحييهم الله تعالى يوم القيامة.

ذ- وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» قال: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان» انتهى كلام السيوطي.

٣- قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الأنعام].

قال الله جل شأنه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [سورة يونس].

قال الله عز من قائل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [سورة الروم].

قال القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ للهجرة في كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ما نصه^(١): «قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [١٩]»، الحي والميت في هذه الآية يستعمل حقيقة ويستعمل مجازاً فالحقيقة المني يخرج منه الإنسان والبيضة يخرج منها الطائر وهذه بعينها ميتة تخرج من حي وما جرى هذا المجرى وبهذا المعنى فسر ابن عباس وابن مسعود» انتهى كلام ابن عطية.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٢).

الدليل من الحديث على أن المنى ليس فيه روح ولا حياة

قال رسول الله ﷺ في ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً أو أربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» الحديث.

وهذا بيان واضح من رسول الله ﷺ على أن النطفة لا حياة فيها ولا روح وأن الجنين تنفخ فيه الروح بعد هذه المدة التي ذكرها الرسول ﷺ وقال العلامة الشيخ حسن المدابغي في شرحه لهذا الحديث وهو على حاشية فتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي: «لم يختلف أحد في أن نفخ الروح إنما يكون بعد مائة وعشرين يوماً».

تعريف الروح وأن البهائم لها أرواح بنص القرءان والحديث والإجماع

ويجب الإيمان بالروح وهي جسم لطيف لا يعلم حقيقته إلا الله وقد أجرى الله العادة أن تستمر الحياة في أجسام الملائكة والإنس والجن والبهائم ما دامت تلك الأجسام اللطيفة مجتمعة معها، وتفارقها إذا فارقتها تلك الأجسام وهي حادثة ليست قديمة، قال الإمام المجتهد الحافظ محمد بن نصر المروزي: «الروح حادثة بالإجماع»، فمن قال إنها قديمة ليست مخلوقة فقد كفر، وكذلك من قال بالبهائم لا أرواح لها كما قال بعض المعاصرين المجازفين المتنطعين، وذلك تكذيب للقرءان الكريم وإنكار للعيان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [سورة التكويد]، وقال رسول الله ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» رواه مسلم.

فالحق الذي يجب الثبات عليه أن البهائم لها أرواح ولذلك أمر النبي ﷺ

بالإحسان إلى البهيمة عند الذبح، ومن خالف فأنكر أن يكون للبهائم أرواح فهو معارض لكتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم.

فكن دائماً أيها العاقل على ذكرٍ من هذه الأدلة الواضحة الجلية ولا تلتفت إلى قول أصحاب النظريات الكاسدة الفاسدة المخالفة للدين كزعم هؤلاء الذين ذكرناهم إن المني فيه حياة، ويقولون بزعمهم «حيوان منوي»، فالإنسان خلق من ماء وتراب كما أجمعت الأمة على ذلك، ونصّ القرءان عليه، وأكد الرسول ﷺ هذا، وليس من ديدان صغيرة في المني، لأن الله قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ۖ﴾ [سورة الإسراء] وقال ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۖ﴾ [سورة ص] وقال سبحانه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران].

فالحق أحق أن يتبع ودين الله لا يؤخذ من النظريات الوهمية، فمن أراد السلامة والنجاة في أمر دينه ودينه وأخرته فعليه بملازمة الحق والثبات عليه وإلا فإن عذاب الله شديد، يقول الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة].

فنصيحتنا لكل مؤمن غيور على دينه ولكل مؤمنة عفيفة ولكل عاقل أن يحذروا هذه الفتاوى الباطلة المخالفة لدين الله تعالى وأن لا يلتفتوا إلى مصدرها ولو كان ذلك بألف مؤتمر وبألف مقال أو بألف مقابلة فضائية، ولا بقول ألف طبيب ولا بقول ألف شيخ أو دكتور، وليقف كل عاقل وعاقلة عند قول الله تعالى عز وجل: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات]، وعند قول رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان

وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أَدْخَلَ الجنة؟ قال: نعم»
ومعنى حرمت الحرام أي اجتنبته، ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقداً حِلَّهُ. وتأملوا
حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري عن أبي مسعود عقبة ابن عمرو الأنصاري
البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة
الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» وهو تهديد ووعيد لمن ترك الحياء الممدوح
شرعاً، ومعناه أن عدم الحياء يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الأستار كما قاله
ابن حجر الهيتمي في كتابه فتح المبين لشرح الأربعين. فمن خلع جلباب الحياء
يباشر القبائح ولا يبالي. نسأل الله السلامة من المعاصي والفتن، ما ظهر منها وما
بطن والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾

[سورة الأعلى]

قال المفسر فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»^(١) : «أن لا تفسر أسماؤه بما لا يصح ثبوته في حقه سبحانه نحو أن يفسر الأعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقترار والاستواء بالاستيلاء» اهـ.

وقال المفسر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي المتوفى سنة ٦٧١هـ، في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(٢) : «و«العلي» يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان، لأن الله منزّه عن التحيز» اهـ. وقال ما نصه^(٣) : ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأنعام] فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان» اهـ.

وقال المفسر المقرئ النحوي محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) في تفسيره «البحر المحيط» (ج٦/ص٣٠٢)، عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [سورة الأنبياء] ما نصه : «عند هنا لا يراد بها ظرف المكان لأنه تعالى منزّه عن المكان، بل المعنى شرف المكانة وعلو المنزلة» اهـ.

وقال الشيخ مصطفى نجا الشافعي مفتي بيروت (١٣٥١هـ)، في كتابه «كشف الأسرار لتنوير الأفكار» ما نصه^(٤) : «ومعنى العلي المتعالي في جلاله وكبريائه إلى

(١) التفسير الكبير (طبع دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ المجلد السادس عشر، الجزء ٣١ ص ١٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٧٨).

(٣) المصدر نفسه، (ج٦/ص٣٩٩).

(٤) كشف الأسرار لتنوير الأفكار (ص١١٨).

غير غاية ولا نهاية، والمراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأنه تعالى منزه عن التحيز والجهة» اهـ.

وقال الشيخ يوسف الدجوي المصري (١٣٦٥هـ) في مجلة الأزهر التي تصدرها مشيخة الأزهر بمصر^(١)، في تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى] ما نصه: «والأعلى صفة الرب، والمراد بالعلو بالهبة والافتقار، لا بالمكان والجهة، لترهه عن ذلك». وقال أيضًا^(٢): «واعلم أن السلف قائلون باستحالة العلو المكاني عليه تعالى، خلافاً لبعض الجهلة الذين يخبطون خبط عشواء في هذا المقام، فإن السلف والخلف متفقان على التنزيه» اهـ.

والدجوي أحد أعضاء كبار العلماء في الأزهر بمصر، وانظر مقالات وفتاوى الدجوي^(٣)، له بعنوان «تنزيه الله عن المكان والجهة».

قال المحدث الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله تعالى، في كتابه «بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب»: «ومعنى «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» أَنْزَهُ رَبِّي الْأَعْلَى أَي الَّذِي هُوَ أَعْلَى مِنْ كُلِّ عَلِيٍّ أَي عُلُوٌّ قَدْرٍ لَا عُلُوٌّ حَيْزٍ لِأَنَّ الشَّانَ فِي عُلُوِّ الْقَدْرِ لَيْسَ فِي عُلُوِّ الْحَيْزِ وَالْمَكَانِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَالْحَاقِقِينَ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَكَانَهُمْ أَرْفَعُ مَكَانٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَيْسُوا هُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ فِي حَيْزٍ وَمَكَانٍ دُونَ ذَلِكَ بِمَسَافَةٍ كَبِيرَةٍ، بَلِ الْأَنْبِيَاءُ وَإِنْ كَانَ مُسْتَقَرُّهُمْ الْأَرْضَ أَعْلَى قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَوْلَتْكَ الْمَلَائِكَةُ» اهـ.

وقال رحمه الله، في كتابه «صريح البيان»: «وأما العلو الوارد وصف الله تعالى به فنذكر ما قاله الإمام أبو منصور البغدادي في تفسير الأسماء والصفات ونصه^(٤): «والوجه الثالث أن يكون العلو بمعنى الغلبة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (١٣٩)»

(١) مجلة الأزهر المجلد التاسع، الجزء الأول - المحرم سنة ١٣٥٧هـ (ص ١٦).

(٢) مجلة الأزهر (ص ١٧).

(٣) فتاوى الدجوي (١٨٣) - / ١٩٤ و ٢٠١ - (٢١١)

(٤) الأسماء والصفات (ق/ ١٥١).

[سورة آل عمران]، أي الغالبون لأعدائكم، يقال منه: علوت قرني أي غلبته، ومنه قوله عز وجل ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة القصص] أي غلب وتكبر وطغى، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الدخان] أي لا تتكبروا، وكذلك قوله: ﴿أَلَا تَعْلُوا عَلَىِّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل] أي لا تتكبروا فإذا كان مأخوذاً من العلو فمعنى وصف الله عز وجل بأنه عليٌّ أنه ليس فوقه أحد، وليس معناه أنه في مكان دون مكان، وإن كان مأخوذاً من ارتفاع الشأن فهو سبحانه أرفع شأنًا من أن نشبهه به شيئاً». انتهى كلام العلامة الهري وهو نفيس جدًا.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة البقرة]، الله وصف نفسه في القرآن بأنه قاهرٌ لعباده. قال القشيري: فالرب إذا موصوفٌ بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة، ومنزّة عن الكون في مكان أو عن الكون بمحاذاة مكان. وقال: لولا أنّ هؤلاء المشبهه ضلّلوا بعض الناس الذين ما تعلموا العلم ما كنتُ لطختُ هذا الكتاب بذكرهم، وإنما ذكرتهم لأن هؤلاء أضر على الإسلام من اليهود والنصارى ومن المجوس وعبدة الأوثان لأن ضلالات هؤلاء ظاهرة يتجنّبها المسلمون أما هؤلاء يُوردون آيات من القرآن ويفسّرونها تفسيرًا فاسدًا ليُضلّوا المسلمين، فإذا أخذ إنسان بأقوالهم من وصف الله سبحانه وتعالى بالأعضاء والجلوس والنزول من فوق إلى تحت والاتكاء والاستلقاء والتردد في الجهات، من أخذ بكلامهم يعتقد في الله تبارك وتعالى الشّبّه في المخلوقين ويتخيّل بخياله أشياء مخلوقه، يصف الله بها، فيعتقد الفضائح، فيأخذُ السيل وهو لا يدري.

وفي هذا رد على الوهابية المجسمة أتباع ابن تيمية وابن القيم وابن باز، الذين زعموا أن معنى «الأعلى» في حق الله أنه علو بذاته، ونسبوا لله الجسم والحد، فجعلوا الله يسكن السماء ويجلس على العرش والعياذ بالله، وكل هذا تكذيب للقرآن والأحاديث الصريحة في تنزه الله عن الجهة والمكان.

قال أهل الحق: ليس الشأن في علو الجهة بل الشأن في علو القدر، والفوقية في لغة العرب تأتي على معنيين فوقية المكان والجهة وفوقية القدر قال الله تعالى إخبارًا

عن فرعون ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي نحن فوقهم بالقوة والسيطرة لأنه لا يصح أن يقال إن فرعون أراد بهذا أنه فوق رقاب بني إسرائيل إلى جهة العلو إنما أراد أنهم مهورون له مغلوبون.

فقول الله تعالى إخباراً عن فرعون الكافر ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ معناه علو القدر. وكذا قوله ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي فوقية القوة والسيطرة وليس فوقية المكان. فلهذا نص العلماء أن الفوقية والعلو إذا أطلق على الله فالمراد منه علو قدر وفوقية قهر سبحانه وتعالى وليس علو مكان وجهة لأن الله كان قبل الخلق والمكان والجهات بلا مكان كما أجمع كل علماء أهل السنة على ذلك ونص على ذلك ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري.

فلا تغترّ بعد ذلك بالذين يسمون أنفسهم «سلفية» ليوهموا الناس أنهم على عقيدة السلف، والسلف بريء من عقيدة المشبهة الذين يقولون بالجلوس والاستقرار والمكان والحركة والحد في حق الله، والعياذ بالله من الكفر.

قال الله تعالى :
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢٢)

[سورة الفجر]

يوم القيامة ينزل ملائكةٌ كثير يُحيطون بالإنس والجنّ هم يكونون ضمن سبعة صفوف، الملائكة يكونون في سبعة صفوف في وقت من الأوقات الكافر يُنكرُ أنّه كان يعبدُ غيرَ الله. فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ (١٥) [سورة المطففين] وقال: ﴿ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [سورة القصص] وقال: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة البقرة] وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار. قلنا: القيامة مواطن، فمواطن يكون فيه سؤال وكلام، ومواطن لا يكون ذلك فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان.

قال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها. وقال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تفرّيع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا، والقاطع لهذا قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٢) ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣) [سورة الحجر].

قال أهل التأويل: عن لا إله إلا الله. وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دثارهم وشعارهم، وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها، فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها: عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾ (١٢) ﴿ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَتْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣) [سورة العنكبوت] والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ (١٠١) [سورة المؤمنون] إلى آخرها تبين له الصواب في ذلك، والحمد لله على ذلك. ففي موقف

من مواقف القيامة الله يَحْتَمُ على فم الكافر فتنتطق أعضاؤه، تشهد عليه أعضاؤه بما كان يَعْمَلُ من الكفر، هذا من العجائب التي يُظهِرُها اللهُ يومَ القيامة كذلك الأرض التي كان عملُ عليها الانسانُ شراً أو خيراً، اللهُ يُنطِقُها، هذا الجزء من الأرض يشهدُ عليه بما فَعَلَ من السيئات ويشهدُ للمؤمن بما فَعَلَ من الخيرات. الذهب الذي كان الشخصُ لا يُزَكِّيهِ يكونُ جَمراً يُعيدُهُ اللهُ فيحَمِي في نارِ جَهَنَّمَ يصير مثل الجمر ثم يكوى به جنب وجبهة وظهر الذي كان لا يُزَكِّيهِ. ويُعيدُ اللهُ البقرَ الذي كان لا يُزَكِّيهِ الشَّخْصُ فتنطحه بقرونها وكذلك الإبل تدوس بخفافها الشخص الذي كان لا يُزَكِّيها وكذلك في ذلك اليوم تَظْهَرُ عَجائِبُ أُخرى. هذه العجائب اللهُ قَالَ عنها: «وجاء ربك والملكُ صفاً صفاً». وجاء ربُّكَ معناه تلك العجائب التي تَظْهَرُ يوم القيامة. ثمَّ الملائكةُ يَجْرُونَ جُزءاً من جَهَنَّمَ كبيراً سبعون ألفَ ملكٍ بسبعين ألفَ سلسلة يَجْرُونَها إلى حيثُ يراها الكفار قبل أن يدخلوا جَهَنَّمَ. ولو كان يوجد موت هناك لمات الكفار من شدة هول ذلك المنظر لكن هناك في الآخرة لا يوجد موت. في الدنيا مَنْ اشْتَدَّ عليه الألمُ قد يموتُ أمّا في الآخرة فلا يموت. أهلُ السُنَّة يقولون: «وجاء ربُّكَ والملكُ»، وجاء ربُّكَ أي ظَهَرَت عَجائِبُ قُدرةِ اللهُ لا يقولون جاء اللهُ من فوق إلى تحت، بل هذا كفر. الوهابيةُ يقولون اللهُ يأتي من فوق إلى الأرض المبدلة ليحاسب الخلقَ جَعَلُوا اللهُ سبحانه وتعالى كالملكِ الذي يُقابلُ الرعية. اللهُ يُحاسب الخلقَ بكلامه الذي ليس حرفاً ولا صوتاً ليس مقابلة، اللهُ مُستحيل أن يكونَ بينه وبين شيءٍ من خلقه مُقابلة، مُستحيل أن يكونَ بين اللهُ وبين شيءٍ من خلقه مُقابلة، إنّما يُحاسبهم بكلامه يُسمِعهم كلامه الذي هو ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً فيفهمون منه السُّؤال أعطيتك كذا وكذا أنت فعلت كذا وكذا يفهمون، أنت فعلت كذا وكذا يوم كذا أنا أنعمتُ عليك بكذا لم فعلت كذا. الوقوفُ بينَ يدي اللهُ ليس مَعناه أنّ الخلقَ يكونون في مُقابلة مع اللهُ يومَ القيامة، اللهُ موجودٌ بلا مكان ولا جهة لا هو قريبٌ بالمسافة ولا هو بعيدٌ بالمسافة. الجسمُ إمّا أن يكونَ قريباً منك بالمسافة أو بعيداً عنك بالمسافة، القُربُ بالمسافة للحجم ليس لله، الذي يَظُنُّ أنّ الوقوفَ بين

يدي الله يوم القيامة القرب منه بالمسافة هذا ما عَرَفَ الله. الوهابية يُفَسِّرُونَ آيات القرآن على الظاهر وهذا لا يجوز، الذي يُفَسِّرُ كُلَّ آيات القرآن على الظاهر يكفر كما قال سيّدنا أحمدُ الرِّفَاعِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صونوا عقائدكم من التمسك بظواهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر. اهـ أى أوقع كثيرًا من الناس فى الكفر. كذلك أهل السنة يقولون المؤمنون بعد أن يستقرّوا فى الجنة يرون الله، ليس معناه أنّ الله مُستقرٌّ فى الجنة، وليس معناه أنّهم يرونه ذاتًا قريبًا منهم وليس معناه أنّهم يرونه ذاتًا بعيدًا عنهم، يرونه بلا كيف ولا جهة لا يرونه هكذا إلى فوق ولا يرونه هكذا مُتَحَيِّزًا إلى يمينهم ولا يرونه مُتَحَيِّزًا إلى جهة تحت بل بلا كيف ولا جهة يرونه عندما يكونون فى الجنة، هم فى الجنة أمّا الله فهو موجودٌ بلا مكان. المخلوقُ تراه وأنت تنظرُ إلى فوق أو تحت أو أمام أو إلى خلف ليس هكذا يرى المؤمنون الله. أهل السنة كلُّ هذا فهموه من حيث العقل أى أنّ الخالق موجودٌ بلا جهة ولا مكان، القرب المسافى والبعد المسافى هذا صفة الخلق، أمّا من القرآن فمن قوله تعالى: «ليس كمثله شىء»، نحن أخذنا من الدليل العقلي ومن هذه الآية أنّ الله موجودٌ بلا مكان ولا جهة.

ثمّ أهل الجنة حين يرون الله بعد استقرارهم فى الجنة لا يشكّون أنّه الله لأنّهم رأوا شيئًا لا مثل له لذلك لا يشكّون أنّه الله. اهـ

أحمد بن حنبل رضى الله عنه يجوز التأويل الذي هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله ولغة العرب لذلك أول قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. قال أحمد: «جاء أمره»، وفي رواية: «جاءت قدرته»، أى آثار قدرته، معناه الله يظهر يوم القيامة أهوالاً عظيمة، ولو كان الإمام أحمد مجسمًا كأدعياء السلفية فى هذا الزمان لما أول الآية وكان أخذ بظواهرها. أما المجسمة أدعياء السلفية فيقولون: «التأويل تعطيل» اهـ، والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته فيكونون بذلك حكموا على أحمد بالكفر لأنهم جعلوه معطلًا، فكيف بعد ذلك يدعون الانتساب إليه. أحمد بن حنبل ينزه الله عن أن يكون متصوّرًا، فقد ثبت عنه أنه قال: «مهما تصوّرت ببالك

فالله بخلاف ذلك»، رواه أبو الحسن التميمي الحنبلي في كتابه المسمى اعتقاد الإمام المبحّل أحمد بن حنبل، وقوله هذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «لا فكرة في الربّ» رواه أبو القاسم الأنصاري.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره «تأويلات أهل السنة» ما نصه^(١): «ومنهم من ذكر أن معنى قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢٢)، وقوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة]، أي: أمر الله، دليله ما ذكر في سورة النحل قوله ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [سورة النحل]، فذكر مكان قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢٢): ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾^(٢٣) اهـ.

أما خالد الجندي فيقول في شريطه المسمى «الإيمان بالملائكة» باللهجة المصرية العامية: «أول ما يعلن إئتو ربنا سبحانه وتعالى جاي، ولله المثل الأعلى هو القران قايلك كده في سورة الفجر ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢٢)».

الرد:

هذا الكلام فاسد وهو قوله «إنو ربنا جاي» فإن الجاهل قد يتوهم أن الله أفرغ مكاناً وملاء آخر، يوهم أن الله جسم وكمية وأتى إلى أرض القيامة ويوهم أن الله له مكان في جهة فوق. ثم من يعلن على زعمك أن الله جاي، فإن كنت فهمت ذلك من هذه الآية: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢٢) [سورة الفجر] فهذه مشكلتك لأنك أسأت فهم الآية ولم تعلم معناها على الوجه الصحيح. فلو رجعت إلى تفسير الإمام المجتهد أحمد بن حنبل وهو من رؤوس السلف الذي أول تأويلاً تفصيلياً لفهمت المراد والصحيح ولنفعت الناس بتأويل هذه الآية الشريفة، قال الإمام أحمد رحمه الله: «جاءت قدرته» أي أثر من آثار قدرته لأن يوم القيامة يوم الأحوال العظام، ومن ذلك أن سبعين ألف ملك يجرون جزءاً من جهنم كل ملك معه سلسلة الله أعلم بضخامتها يقربونها من أرض الموقف يبقى بينها وبين أرض الموقف مسيرة

(١) تأويلات أهل السنة (دار الكتب العلمية، المجلد العاشر الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ص ٥٢٣).

أربعين سنة فيراها الكفار فيزدادون رعبًا وخوفًا وقلقًا واضطرابًا. وكل ملك من هؤلاء الملائكة في القوة يزيد على قوة البشر، ثم يُردُّ ذلك الجزء إلى مكانه، هذا شيء واحد من كثير من أهوال القيامة، كذلك بقدرة الله حين يحضر الملائكة في سبعة صفوف لعظم ذلك اليوم حتى يحيطوا بالإنس والجن، ولا أحد يستطيع أن يخرج من هذا المكان. ذلك اليوم تظهر أمور عظيمة. فحذار أن تفهم من أي آية متشابهة معنى فاسدا يكذب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

قال الله تعالى :
﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾

[سورة الضحى]

معنى هذه الآية لم تكن تدري القرآن وتفاصيل الشرائع فهداك الله أي أرشدك إلى معرفة القرآن وشرائع الإسلام، قال تعالى: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ (سورة الشورى)، معناه ما كنت تعلم القرآن ولا تفاصيل الإيمان، فالرسول قبل نزول الوحي كان مؤمناً بربه معتقداً توحيداً تعالى بما ألهمه الله تعالى، قاله الحسن والضحاك وابن كيسان، وقيل: إنه ضلّ وهو صبي صغير في شعاب مكة - أي ضاع عن بيت جده - فرده الله إلى جده عبد المطلب، قاله ابن عباس كما روى عنه أبو الضحى، وهذا ذكره البغوي في تفسيره المسمى «معالم التنزيل» في تفسير سورة الضحى.

ومن أعجب تحريفات وتحريفات شيخ الوهابية الألباني في تفسير هذه الآية ما قاله في فتاويه ما نصه^(١): «أنا أقول هؤلاء - يعني المتوسلين بالأولياء والصالحين و الذين يحرمون اتباع الكتاب والسنة- ولا أتورع من أن أسميهم باسمهم هؤلاء ضالون عن الحق، ولا إشكال في إطلاق هذا التعبير إسلامياً حين أقول إنهم ضالون عن الحق فإن الله عز وجل أطلق على نبيه عليه السلام أنه حينما كان قبل نزول الوحي عليه يقول: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ [سورة الضحى] اهـ.

ففي هذا الكلام جعل الألباني الرسول ضالاً كضلال من حكم عليهم هذا الرجل من علماء الإسلام وعوامهم لتوسلهم بالأنبياء والأولياء وهذا عنده شرك، فحكم على الرسول بما حكم به على علماء المسلمين وعوامهم لضلالهم وكفرهم كما زعم، فهذا طعن في الرسول ﷺ صريح، ومن طعن في الرسول فقد أجمع علماء الإسلام على كفره، فهذا دليل على أنه لا يحترم الأنبياء لأنه انتقص أفضلهم وأكرمهم على

(١) فتاوى الألباني (ص ٤٣٢).

الله وهو نبينا محمد، فبعد تنقيصه للرسول ﷺ فهل يتورع عن تنقيص من سواه كائنًا من كان، هذا مبلغ اعتقاد هذا الرجل فإنه جعل نفسه حاكمًا على كل من سواه من غير تفريق بين النبي وبين أفراد أمته.

فإذا كان الألباني تجرأ على ذكر سيدنا محمد في عداد الضالين ويعني هذا الرجل بالضالين الذين ألحق الرسول بهم من هم مشركون عنده لأن التوسل بالأنبياء والأولياء شرك عنده وعند طائفته، فكيف يشبه سيدنا محمدًا ﷺ بهؤلاء لمجرد أن الله تعالى قال في حقه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [سورة الضحى] ومعنى الآية غير هذا الذي أراده الألباني، لأن الضلال الذي تفيد هذه الآية هو أن الرسول لم يكن عالمًا بعلوم الشريعة قبل نزول الوحي عليه كما قدمنا، فكأن هذا الرجل قال الرسول كان كافرًا كما أن هؤلاء المتوسلين بالأنبياء والأولياء كفار و كما أن من يحرم اتباع الكتاب والسنة كافر، فما الذي دعاه إلى إلحاق سيدنا محمد بمن يعتبرهم مشركين كافرين لأنهم يتوسلون بالأنبياء والأولياء، والتوسل بالأنبياء والأولياء أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم لم يخالف في هذا إلا ابن تيمية، ثم هؤلاء - أعني الألباني وجماعته المشبهة - قلدوه، فالمسلمون مع اختلاف طبقاتهم في الفضل في الدين كانوا متوسلين بالأنبياء والأولياء وإن كان هذا الأمر عند هذا المعكوس القلب كافرًا، ولن يستطيع هذا الملحد إثبات منع التوسل بالأنبياء والأولياء من عالم معتبر قبل ابن تيمية، فليعلم أن هذا الرجل هو الغرض من قدر الأولياء والصالحين إلا فرقته وزعيمهم محمد بن عبد الوهاب وزعيمهم الأول ابن تيمية فإن هؤلاء عندهم هم المسلمون الحقيقيون.

ولو عبر هذا الرجل بما في نفسه لقال بعبارة صريحة: «لا يوجد مسلمون سوى طائفتنا الوهابية» كما قال زعيمهم السابق محمد بن عبد الوهاب: «من دخل دعوتنا فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن لم يدخل في دعوتنا فهو كافر مباح الدم»، وقد نقل ذلك خلق منهم العالم الجليل الشيخ أحمد بن زيني دحلان المكي والشيخ محمد بن عبيد الله النجدي مفتي الحنابلة في مكة المكرمة المتوفى في أواخر القرن الثالث

عشر في كتابه «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» فقال في زعيمهم هذا إنه يكفر من خالف رأيه ويستحل قتله، وشواهد أفعال أتباعه تشهد بذلك.

و من أبشع شذوذ الألباني ما ذكره في فتاويه فقال ص ٧٣: «إنما القاعدة أنه لا يجوز للمسلم أن يدع بلد الإسلام إلى بلاد الكفر إلا لضرورة قاهرة» اهـ.

نقول: بل لمصلحة راجحة يجوز للمسلم أن يقيم في بلاد الكفر إذا كان يرجو بإقامته أنه يُدخل بعض الكفار في الإسلام، إنما يحرم الإقامة فيها على من خاف على نفسه أن يُفتن كأن يُمنع عن الصلاة وعلى هذا يحمل الحديث الوارد في النهي من الإقامة بين الكفار.

فلا يتعجب المسلم من تحريم الألباني على المسلمين في الضفة الغربية البقاء فيها كما في فتاويه ص ١٨ والعياذ بالله فالأمر واضح وجلي لمن أراد الحقيقة، فمن انتقص رسول الله ﷺ لا يستغرب منه أن يكون على عقيدة اليهود وناصرًا لليهود بالتشبيه والتجسيم وإيجاب على أهل فلسطين الهجرة منها وتركها لأحبابه اليهود.

قال الله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾

[سورة الفيل]

معنى الآية أن الله تعالى أرسل طيوراً حقيقية، وليس كما قال الفيلسوف المحرف المخرف اللبناني فؤاد أفرام البستاني أنها ميكروبات أو أمراض وليست طيراً حقيقية بزعمه، الآية لا تُصَرَّف عن ظاهرها إلا بدليل سمعي ثابت أو عقلي قاطع، وليس لهذا الرجل وأمثاله أن يتكلموا في تفسير القرآن، قال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم». مقدمة صحيح مسلم. وكذلك الفيل هو فيل حقيقي وليس كما افترى بعض المتهتكين المتعالمين أنه شيء معنوي.

قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) : «قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِ

الْفِيلِ﴾

الفيل معروف، والجمع أفيال: وفيول، وفيلة»، ثم قال^(٢) : «قال سعيد بن جبير: كانت طيراً من السماء لم يُر قبلها، ولا بعدها مثلها. وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ» اهـ. فلا عبرة بمن كذَّب القرآن والحديث وخالف إجماع علماء المسلمين وخاض برأيه في تأويل بلا دليل.

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد العشرون ص ١٨٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٩٦).

قال الله تعالى :

﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣)

[سورة قريش]

قال المفسر القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١) : «والبيت: الكعبة». وقال في معنى ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣) : «عبادة رب الكعبة» اهـ. وقال الطبري في تفسيره «جامع البيان» ما نصه^(٢) : «وقوله ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣) يقول: فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة، وليعبدوا رب هذا البيت، يعني بالبيت: الكعبة». ثم قال: «عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣) قال: الكعبة» اهـ.

وقال البغوي في تفسيره ما نصه^(٣) : « وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة رب البيت فقال ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣) أي الكعبة» اهـ. وقال المفسر أبو حيان الأندلسي في «تفسير البحر المحيط» ما نصه^(٤) : ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣) هو الكعبة» اهـ.

هذا معنى الآية ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٣)، أي الكعبة زادها الله شرفاً وتعظيماً ومهابةً وقدرًا، ويكفر من يقرأ هذه الآية إذا نزل ضيفًا على شخص في بيته ومرأه صاحب هذا البيت الذي عنده، كما صرح بذلك بعض الحمقى في بيروت، وهذا الكلام فيه دعوة لعبادة غير الله والإشراك به.

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد العشرون ص ٢٠٨).

(٢) جامع البيان (دار الجيل، المجلد الثاني عشر الجزء ٣٠ ص ١٩٩).

(٣) (طبع دار المعرفة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ الجزء الرابع ص ٥٣١).

(٤) تفسير البحر المحيط (طبع دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ المجلد الثامن ص ٥١٣).

قال الله تعالى :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ﴿٦﴾

[سورة الكافرون]

قال الإمام المفسر اللغوي شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الهرري الحبشي رضي الله عنه في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «في الآية معنى التهديد وهو كقوله تعالى: «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم»، فقوله ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ أي الباطل وهو الشرك تعتقدونه وتتولونه، ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ الذي هو دين الحق وهو الإسلام، أي لكم شرككم ولي توحيدني، وهذا غاية في التبري من الباطل الذي هم عليه.

ومثل ذلك في إفادة التهديد والوعيد قوله تعالى في صورة الكهف ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ ﴿٢٩﴾، فليس معنى الآية أن من اختار الإيمان كمن اختار الكفر، بل من اختار الكفر مؤاخذاً، ومن اختار الإيمان مثاباً، ويدل على أنها تفيد التهديد بقية الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾، وهنا يجدر التنبيه إلى أن العلماء قالوا: «من قال في الآيتين إنهما تفيدان ألا مؤاخذاً على من اختار ديناً غير الإسلام إنه يكفر لتكذيبه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ . اهـ

قال الحافظ الطبراني في كتابه «التفسير الكبير» في شرحه لهذه الآية ما نصه: «ومعناه: لكم جزاؤكم على عبادة الأوثان، ولي جزائي على عبادة الرحمن». اهـ
وقال المفسر أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي في كتابه «النكت والعيون تفسير الماوردي» في شرحه للآية ما نصه^(١): «فيه وجهان: أحدهما: لكم دينكم الذي تعتقدونه من الكفر، ولي ديني الذي أعتقده من الإسلام، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: لكم جزاء عملكم، ولي جزاء عملي.

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي (طبعة دار الكتب العلمية المجلد ٦ ص ٣٥٨).

وهذا تهديد منه لهم، ومعناه وكفى بجزاء عملي ثوابًا، قاله ابن عيسى.
قال ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة، لأنها
توحيد وبراءة من الشرك». اهـ

قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ما نصه^(١): «قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٦) فيه معنى التهديد» اهـ.

أما خالد الجندي فيقول على الأورث الثالثة في ٣ - ٣ - ٢٠٠٣ ليلا: «إذا كان
دين الإسلام هو الصحيح فقط ويجب الدعاء إليه وحده. الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لا يتخطى الحدود ولا يهين أحد لكم دينكم
ولي دين إلي عاوز يختار أي دين إن كان صادقًا فلا بأس حتى إلي عاوز يرتد أهلاً
وسهلاً فليرتد، ولكن عليه ألا يثير ضجة بين الناس». اهـ

الرد:

أولاً دين الإسلام هو الدين الحق عند الله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٨٥) [سورة آل عمران]، فلا دين
صحيحاً إلا الإسلام. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) [سورة المائدة]
فكل الأنبياء مسلمون، فمن كان متبعاً لموسى عليه السلام فهو مسلم موسوي ومن
كان متبعاً لعيسى عليه السلام فهو مسلم عيسوي ومن كان متبعاً لمحمد فهو مسلم
محمدي، والإسلام هو الدين الذي رضيه الله لعباده وأمرنا باتباعه. وقد ثبت أن
الرسول ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى» رواه البخاري،
ومعناه دينهم واحد يعني الإسلام، وإليك الأدلة من القرآن على أنّ الإسلام دين
جميع الأنبياء، قال تعالى عن التوراة الأصلية التي أنزلت على سيدنا موسى: ﴿إِنَّا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٤٤) [سورة المائدة].
فانظر للفظ أسلموا، وقال تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ

(١) الجامع لأحكام القرآن (المجلد العشرون ص ٢٢٩).

يَأْتَا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ [سورة آل عمران]، وقال تعالى عن سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ [سورة النمل]، وقال تعالى مخبراً: ﴿ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ [سورة العنكبوت].

بعد هذه الأدلة كيف يقال إذا كان دين الإسلام هو الصحيح فقط، هذا في طياته الشك بصحة الإسلام والشك أنه وحده هو الصحيح ولا شك ولا ريب أنه لا دين سماوي إلا دين واحد وهو الإسلام، فلا يقال أديان سماوية إنما يقال شرائع سماوية عن شرائع الأنبياء فدين آدم مروراً بكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى الرسول محمد خاتمهم هو الإسلام فمن شك في صحة دين الإسلام فهو كافر. ومعنى الآية ﴿وَأَيُّكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة سبأ] لعلى هدى أي طريقة مستقيمة والمعنى أن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، أخرج الكلام مخرج الاحتمال، ومعلوم أن من عبد الله وحده على الهدى ومن عبد غيره من جماد أو غيره في ضلال.

وذهب أبو عبيدة إلى أن أو بمعنى الواو فيكون من باب اللف والنشر والتقدير وإنا لعلى هدى وإياكم في ضلال مبين فأخبر عن كل ما يناسبه قاله صاحب البحر المحيط أبو حيان الأندلسي.

ثم كيف تقول القرءان لا يهين أحداً فالله أهان الكافرين والكافرون لا قيمة لهم عند الله تعالى، ولا يعدل الكافر جناح بعوضة عند الله تعالى، والرسول ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده إن ما يدهدهه الجعل بمنخريه خير من ءابائكم الذين ماتوا في الجاهلية» رواه ابن حبان وأحمد، أي ماتوا على الشرك، وهذا الحديث يشمل سائر أنواع الكفار. وهذا الحديث صريح في أن الكافر أخس خلق الله ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ هذه الآية معناها أن الكافر هو أحقر خلق الله تعالى. فكيف تقول يا خالد إن القرءان لا يهين أحداً.

ثم أنت يا خالد تورد الآية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون]، وتوهم أنّ كل من دان بدين باطل فهو مقبول، وهذا ضد الإسلام، لأنّ معنى الآية لكم دينكم الباطل فعليكم أن تتركوه، ولي ديني الحق فعليكم أن تتبعوه. فكلامك هذا يا خالد دعوة إلى الكفر والإلحاد لأنّ الفقهاء الإسلاميين أجمعوا على تكفير من دان بغير الإسلام وعلى تكفير من شك في كفره أو توقف. فيا ويلك يوم القيامة إن لم ترجع، ومعنى كلامك تقول للناس إلهي عاوز يختار اليهودية أو المجوسية أو البوذية أو الشيوعية أو غيرها يختار ألا تستحي من الله ومن رسول الله ومن الناس والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة التوبة]. فقولك لا بأس أن يختار أي دين هذا كفر.

وأما قولك حتى إلهي عاوز يرتد فأهلاً وسهلاً فليرتد والعياذ بالله تعالى من هذا الكفر البشع أوجد عاقل يقول إلهي عاوز يرتد أهلاً وسهلاً، أيقال أهلاً وسهلاً لمن ترك الإسلام وارتد، أين ذهب عقلك يا خالد! وما معنى بعثة الأنبياء إذا كان كل إنسان له أن يدين بما شاء كما زعمت، وأين أنت من تصرف أبي بكر ومعه أصحاب الرسول يقاتلون من ارتد وتبع مسيلمة الكذاب بعد وفاة النبي ﷺ يا هذا أيترك كلام الله وكلام رسوله وعمل صحابته وإجماع أمته ويتبع كلامك الذي فيه الإلحاد وانحلال ومروق من الدين فيا هلاكك ويا هلاك من تبعك إن بقيتم على هذا إلى الموت.

ونصيحتنا لك: ارجع إلى الحق وتراجع عن ضلالك وتشهد وأعلن ذلك للناس قبل فجأة الموت، أئمدح الذي ارتد لا والله، إنما يؤمر بالعودة إلى الإسلام بالشهادتين هذا شرع الله وهذا هو الدين.

قال الله تعالى :



[سورة الإخلاص]

الصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج، وذلك يدل على أنه ليس بجسم، وعلى أنه غير مختص بالحيّز والجهة.

بيان دلالته على نفي الجسمية:

الأول: أن كل جسم هو مركّب، وكل مركّب هو محتاج إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب هو محتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيًّا بل يكون محتاجًا إلى غيره، فلم يكن صمدًا مطلقًا.

الثاني: لو كان مركبًا من الجوارح والأعضاء لاحتاج في الإبصار إلى العين، وفي الفعل إلى اليد، وفي المشي إلى الرجل، وذلك ينافي كونه صمدًا مطلقًا.

بيان دلالته على أنه تعالى منزّه عن الحيّز والجهة:

هو أنه تعالى لو كان مختصًا بالحيّز والجهة لكان إما أن يكون حصوله في الحيّز المعين واجبًا أو جائزًا:

فإن كان واجبًا فحينئذٍ يكون ذاته تعالى مفتقرًا في الوجود والتحقق إلى ذلك الحيّز المعين، وأما ذلك الحيّز المعين فإنه يكون غنيًّا عن ذاته المخصوص، لأننا لو فرضنا عدم حصول ذات الله تعالى في ذلك الحيّز المعين لم يبطل ذلك الحيّز أصلًا، وعلى هذا التقدير يكون تعالى محتاجًا إلى ذلك الحيّز فلم يكن صمدًا على الإطلاق.

أما إن كان حصوله في الحيّز المعين جائزًا لا واجبًا فحينئذٍ يفتقر إلى مخصص يخصصه بالحيّز المعين، وذلك يوجب كونه محتاجًا وينافي كونه صمدًا.

قال أبو المظفر الإسفراييني في كتابه «التبصير في الدين» في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة وبيان مفاخرهم^(١): «واعلم أنه تعالى ذكر في سورة الإخلاص ما

(١) التبصير في الدين (ص ١٦٢ الباب الخامس عشر).

يتضمن إثبات جميع صفات المدح والكمال ونفي جميع النقائص عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)، في هذه السورة بيان ما ينفي عنه من نقائص الصفات وما يستحيل عليه من الآفات، بل في كلمة من كلمات هذه السورة وهو قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢).

والصمد في اللغة على معنيين:

أحدهما: أنه لا جوف له، وهذا يوجب ألا يكون جسمًا ولا جوهراً، لأن ما لا يكون بهذه الصفة جاز أن يكون له جوف.

والمعنى الثاني: هو السيد الذي يرجع إليه في الحوائج، وهذا يتضمن إثبات كل صفة لولاها لم يصح منه الفعل، لأن مَنْ لا تصح منه الأفعال المختلفة لم يصح الرجوع إليه في الحوائج المتباينة، وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بين صفات النفي والإثبات» اهـ.

قال الحسن البصري رضي الله عنه في تفسير الصمد^(١): «الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال، كان ولا مكان ولا أين ولا أوان ولا عرش ولا كرسي ولا جني ولا إنسي وهو الآن كما كان».

أما ابن تيمية فيقول عن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) «المجتمع بعضه إلى بعض»، والعياذ بالله تعالى.

فاعتقاد ابن تيمية أن الله متحيز له حدود وجهات وحجم وطول وعرض وارتفاع. وهو كعادته ينسب ذلك المعنى إلى جمهور الصحابة كذباً وزوراً.

فقد قال ابن تيمية في تفسيره لسورة الإخلاص^(٢): «وأصل هذه المادة الجمع والقوة، ومنه يُقال: يصمد المال أي يجمعه» اهـ.

ثم قال^(٣): «وكذلك لفظ الصمد فيه الجمع، والجمع فيه القوة، فإن الشيء كلما

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٦٧/٣٢).

(٢) تفسيره لسورة الإخلاص (ص ١٦).

(٣) (ص ٢١).

اجتمع بعضه الى بعض ولم يكن فيه خلل كان أقوى مما إذا كان فيه خلو، ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع: صمدٌ، لقوته وتماسكه واجتماع أجزائه» اهـ.

ثم قال: «والناس إنما يقصدون في حوائجهم من يقوم بها، وإنما يقوم بها من يكون في نفسه مجتمعاً قوياً ثابتاً» اهـ.

وقال في التأسيس^(١): «واسمه الصمد ينفي عنه التفرق والانقسام والتمزق وما يتبع ذلك من تركيب ونحوه، فإن اسم الصمد يدل على الاجتماع» اهـ.

ثم قال^(٢): «وحيث يكون مشاراً إليه بحسب الحس»، ثم قال: «فإن الصمد فيه

من معنى الاجتماع والقوة والسؤدد ما ينافي الانقسام والتفرق» اهـ. ويقول أيضاً في كتابه المسمى بيان تلبيس الجهمية ما نصه^(٣): «وأما استدلال هؤلاء المتأخرين

بذلك - بأنه صمد - على نفي الجسم والحد فباطل أيضاً، بل هو قلب للدلالة،

فإن كونه الموصوف مصمداً لا يمنع أن يكون جسماً أو محدوداً كسائر ما وصف

بأنه صمد، فإن الملائكة توصف بأنها صمد، وكذلك الأجسام المصممة، فكيف

يقال: إن كونه صمداً أو مصمداً ولا جوف له ينافي أن يكون جسماً محدوداً؟» اهـ.

والعياذ بالله من هذا الكلام.

ومن نفس الكتاب يقول^(٤): «إذ الاجتماع لا يكون إلا في ما له عدد. فلو لم يكن

منه وله صفات تقتضي التعدد، لامتنع أن يقال له صمد» اهـ.

سبحانك هذا بهتان عظيم وكفر جسيم.

وهذا من أصرح الصريح وأقبح القبيح من تجسيم ابن تيمية وتشبيهه لله بخلقه،

فإنه كما ترى يحاول بكثرة ثرثرته أن يثبت أن الله تعالى جسم متركب من أجزاء

(١) التأسيس (٢/٥٨).

(٢) المصدر نفسه، (٢/٥٩).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (طبعة المملكة العربية السعودية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ٧/٥٩٦).

(٤) المصدر نفسه، (ص٥٩٨).

متعددة ويدور ليثبت عقيدته المكذبة للقرءان بقوله إن الصمد من أسماء الله لا ينفي الجسمية والتركيب عنه تعالى، وماذا يريد من ذلك إلا أن يقول إن الله جسم مركب من أشياء كانت متفرقة فاجتمعت بعد ذلك، وهذا فيه نسبة الحدوث إلى الله وأنه محتاج إلى مخصص يخصصه بهذا الاجتماع بعد الافتراق والتركب من أجزاء متعددة، والاحتياجية تنافي الألوهية. فظهر الحق لكل ذي عينين وأسفر وبان، ولا تكن أخي المسلم في شك من حقيقة ابن تيمية وأتباعه الذين جاؤوا بدين مركب جديد يكذبون فيه القرءان والأنبياء والإسلام.

وأما ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، فقد حاول أن يثبت سَمَّ التشبيه كشيخه ابن تيمية، ففي تفسيره المسمى «تفسير القرءان العظيم» يقول^(١) : وقال عبد الله بن بريدة أيضًا (الصمد) نور يتلأأأهـ. والعياذ بالله تعالى. دون أن يُعقَّبَ على ذلك بالإنكار، وهو تشبيه صريح لله بخلقه، حيث روى ابن حبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال في وصف الجنة «هي وربِّ الكعبة نور يتلأأأ». وقول ابن كثير فيه تشبيه لله تعالى بالجنة التي هي من خلقه، وهذا تكذيب لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(١) تفسير القرءان العظيم (دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ المجلد ٦ صحيفة ٥١٣).

قال تعالى:



[سورة الفلق]

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ما نصه: «وقرأ الجمهور: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، بإضافة شر إلى ما، وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد، كالإحراق بالنار، والإغراق بالبحر، والقتل بالسم. وقرأ عمرو بن فايد: من شر بالتنوين.

وقال ابن عطية: وقرأ عمرو بن عبيد، وبعض المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم يخلق الشر: من شر بالتنوين، ما خلق على النفي، وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل، وأما الحق الذي لا محيد عنه هو أن الله خالق كل شيء». اهـ.

مَعْنَى الْقَدْرِ وَالْإِيمَانِ بِهِ

قال بعض العلماء: القدر هو تدبير الأشياء على وجهٍ مطابقٍ لعلم الله الأزليّ ومشيئته الأزليّة فيوجدتها في الوقت الذي علم أنّها تكون فيه فيدخل في ذلك عمل العبد الخير والشرّ باختياره. ويدلّ عليه قول رسول الله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١) رواه مسلم.

ومعناه أنّ المخلوقات التي قدرها الله تعالى وفيها الخير والشرّ وجدت بتقدير الله الأزليّ، وأمّا تقدير الله الذي هو صفة ذاته فهو لا يوصف بالشرّ بل تقدير الله للشر الكفر والمعصية وتقديره للإيمان والطاعة حسنٌ منه ليس قبيحًا، إرادة الله تعالى نافذةً في جميع مراداته على حسب علمه بها، فما علم كونه أراد كونه في الوقت الذي يكون فيه، وما علم أنّه لا يكون لم يرد أن يكون، فلا يحدث في العالم شيءٌ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

إلا بمشيئته ولا يصيب العبد شيء من الخير أو الشر أو الصحة أو المرض أو الفقر أو الغنى أو غير ذلك إلا بمشيئة الله تعالى، ولا يخطئ العبد شيء قَدَّر الله وشاء أن يصيبه، فقد ورد أنّ النبي ﷺ علّم بعض بناته: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» رواه أبو داود في السنن^(١) ثم تواتر واستفاض بين أفراد الأمة.

وروى البيهقي^(٢) رحمه الله تعالى عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه أنّه قال: «إنّ أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتّى يستيقن يقينًا غير شكّ أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويقرّ بالقدر كلّ» أي لا يجوز أن يؤمن ببعض القدر ويكفر ببعض.

وروى أيضًا^(٣) بالإسناد الصحيح أنّ عمر بن الخطّاب كان بالجابية - وهي أرض من الشّام - فقام خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال «من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلّ فلا هادي له»، وكان عنده كافرٌ من كفّار العجم من أهل الذّمّة فقال بلغته «إنّ الله لا يضلّ أحدًا»، فقال عمر للترجمان «ماذا يقول»؟ قال إنّّه يقول إنّ الله لا يضلّ أحدًا، فقال عمر «كذبت يا عدوّ الله ولولا أنّك من أهل الذّمّة لضربت عنقك هو أضلّك وهو يدخلك النار إن شاء»^(٤).

وروى الحافظ أبو نعيم^(٥) عن ابن أخي الزّهريّ عن عمّه الزّهريّ أنّ عمر بن الخطّاب كان يحبّ قصيدة لبيد بن ربيعة التي منها هذه الأبيات، وهي: [الرمّل]
إنّ تقوى ربّنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل
أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعل

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح.

(٢) كتاب القضاء والقدر (ص ٢٩٩).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٢٦٠).

(٤) أي شاء أن تموت على كفرك هذا.

(٥) حيلة الأولياء (٣/٣٦٩-٣٧٠)

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
ومعنى قوله «إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلًا»، أي خير ما يعطاه الإنسان.
ومعنى قوله «وَيَاذَنُ اللَّهُ رِيثِي وَعَجَلًا»، أي أنه لا يبطنى مبطئ ولا يسرع مسرعاً إلا
بمشيئة الله وياذنه.

وقوله «أحمد الله فلا ندد له»، أي لا مثل له.

وقوله «بيديه الخير»، أي والشّر.

وإنما اقتصر على ذكر الخير من باب الاكتفاء كقوله تعالى ﴿سَرَّيْلًا تَقِيكُمْ
الْحَرَّ﴾ [سورة النحل] أي والبرد لأن السراويل تقي من الأمرين ليس من الحر
فقط.

وقوله «ما شاء فعل»، أي ما أراد الله حصوله لا بد أن يحصل وما أراد أن لا يحصل
فلا يحصل.

وقوله «من هداه سبل الخير اهتدى» أي من شاء الله له أن يكون على الصراط
الصحيح المستقيم اهتدى.

وقوله «ناعم البال» أي مطمئن البال. وقوله «ومن شاء أضل» أي من شاء له أن
يكون ضالاً أضلّه.

وروى البيهقي عن الشافعي أنه قال حين سئل عن القدر: [متقارب تام]

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ففي العلم يجري الفتى والمسئ

على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد وهذا قبيح وهذا حسن

فتبين بهذا أن الضمير في قوله تعالى ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النحل]

[سورة النحل] يعود إلى الله لا إلى العبد كما زعمت القدرية بدليل قوله تعالى إخباراً

عن سيدنا موسى ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة الأعراف].

وكذلك قالت طائفة ينتسبون إلى أمين شيخو الذين زعيمهم اليوم عبد الهادي الباني الذي هو بدمشق فقد جعلوا مشيئة الله تابعة لمشيئة العبد حيث إن معنى الآية عندهم إن شاء العبد الاهتداء شاء الله له الهدى وإن شاء العبد أن يضل أضله الله فكذبوا بالآية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة التكويد] ، فإن حاول بعضهم أن يستدل بآية من القرآن لضد هذا المعنى قيل له القرآن يتصادق ولا يتناقض فليس في القرآن آية نقيض آية وليس هذا من باب التاسخ والمنسوخ، لأن النسخ لا يدخل العقائد وليس موجبا للتناقض فالنسخ لا يدخل في الأخبار إنما هو في الأمر والنهي. إنما النسخ بيان انتهاء حكم آية سابقة بحكم آية لاحقة، على أن هذه الفئة لا تؤمن بالتاسخ والمنسوخ.

ومن غباوتهم العجبية أنهم يفسرون قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة] بأسماء الله الحسنى، فإن قيل لهم لو كانت الأسماء هي أسماء الله الحسنى لم يقل الله ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [سورة البقرة] بل لقال فلما أنبأهم بأسمائي انقطعوا، لكنهم يصرون على جهلهم وتحريفهم للقرآن.

وروى الحاكم رحمه الله تعالى أن علي الرضى بن موسى الكاظم كان يقعد في الروضة وهو شاب ملتحف بمطرف^(١) خز فيسأله الناس ومشايخ العلماء في المسجد، فسئل عن القدر فقال: قال الله عز من قائل ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [سورة القمر] يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر^(٤٨) إناكل^(٤٩) شئ خلقته بقدر^(٤٩) [سورة القمر].

ثم قال الرضى: «كان أبي يذكر عن آباءه أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كان يقول «إن الله خلق كل شئ بقدر حتى العجز والكيس وإليه المشيئة وبه الحول والقوة» اهـ.

(١) قال ابن الاثير في النهاية (٣/ ١٢١): «المطرف بكسر الميم وفتحها وضمها الثوب الذي في طرفه علمان».

فالعباد منساقون إلى فعل ما يصدر عنهم باختيارهم لا بالإكراه والجبر كالريشة
المعلقة تميلها الرياح يمنةً ويسرةً كما تقول الجبرية.
ولو لم يشأ الله عصيان العصاة وكفر الكافرين وإيمان المؤمنين وطاعة الطائعين
لما خلق الجنة والنار.

ومن ينسب لله تعالى خلق الخير دون الشرّ فقد نسب إلى الله تعالى العجز ولو كان
كذلك لكان للعالم مدبران مدبرٌ خيرٍ ومدبرٌ شرّ وهذا كفرٌ وإشراكٌ.
وهذا الرأى السّفية من جهةٍ أخرى يجعل الله تعالى في ملكه مغلوبًا لأنه على
حسب اعتقاده الله تعالى أراد الخير فقط فيكون قد وقع الشرّ من عدوّه إبليس وأعوانه
الكفّار رغم إرادته.

ويكفر من يعتقد هذا الرأى لمخالفته قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ (٢١)
[سورة يوسف] أي لا أحد يمنع نفاذ مشيئته.

وحكم من ينسب إلى الله تعالى الخير وينسب إلى العبد الشرّ أدبًا أنه لا حرج
عليه، أمّا إذا اعتقد أنّ الله خلق الخير دون الشرّ فحكمه التّكفير.
واعلموا رحمكم الله أنّ الله تعالى إذا عذّب العاصي فبعده من غير ظلم، وإذا
أثاب المطيع فبفضله من غير وجوبٍ عليه، لأنّ الظلم إنّما يتصوّر ممّن له أمرٌ وناوٍ
ولاء امر لله ولا ناهي له، فهو يتصرّف في ملكه كما يشاء لأنّه خالق الأشياء ومالكها،
وقد جاء في الحديث الصّحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده^(١) والإمام أبو داود
في سننه^(٢) وابن حبان^(٣) عن ابن الدّيلميّ قال: «أتيت أبيّ ابن كعبٍ فقلت يا أبا
المنذر، إنّه حدث في نفسي شيءٌ من هذا القدر فحدّثني لعلّ الله ينفعني»، قال «إنّ
الله لو عذّب أهل أرضه وسمواته لعذّبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت
رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قبله

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٢/٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في القدر.

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٥٥/٢).

الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا دخلت النار» .

قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فحدثني مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فحدثني مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني مثل ذلك عن النبي ﷺ.

وروى مسلم في صحيحه^(١) والبيهقي في كتاب القدر^(٢) عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيءٌ قضى عليهم ومضى عليهم من قدرٍ قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت بل شيءٌ قضى عليهم ومضى عليهم، قال فقال أفلا يكون ظلمًا، قال ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت كل شيء خلقه وملك يده لا يسئل عمًا يفعل وهم يسألون، قال فقال لي يرحمك الله إنني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله فقالا يا رسول الله رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيءٌ قضى عليهم ومضى عليهم من قدرٍ قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال «بل شيءٌ قضى عليهم ومضى عليهم»، ومصدق ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [سورة الشمس].

وصحَّ حديث «فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم^(٣) من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل.

أما الأول وهو من وجد خيرًا فلائن الله تعالى متفضلٌ عليه بالإيجاد والتوفيق من غير وجوبٍ عليه، فليحمد العبد ربه على تفضله عليه.

أما الثاني وهو من وجد شرًا فلائن الله تعالى أبرز بقدرته ما كان من ميل العبد السيء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب القدر: باب كيفية خلق آدمي.

(٢) القضاء والقدر (ص ١٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم.

فمن أضله الله فبعده ومن هداه فبفضله.

ولو أنّ الله خلق الخلق وأدخل فريقاً الجنة وفريقاً النار لسابق علمه أنّهم لا يؤمنون لكان شأن المعذب منهم ما وصف الله بقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُخْرِزَ ﴾ [سورة طه].

فأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ليظهر ما في استعداد العبد من الطّوع والإباء فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

فأخبرنا أنّ قسماً من خلقه مصيرهم النار بأعمالهم التي يعملون باختيارهم، وكان تعالى عالماً بعلمه الأزلي أنّهم لا يؤمنون، قال تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة] أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه قال في الأزل ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة طه] وقوله صدق لا يتخلف لأنّ التخلف أي التغيّر كذب والكذب محال على الله.

قال تعالى ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الأنعام] أي ولكنه لم يشأ هداية جميعكم إذ لم يسبق العلم بذلك، فالعباد منساقون إلى فعل ما يصدر عنهم باختيارهم لا بالإكراه والجبر.

واعلم أنّ ما ذكرناه من أمر القدر ليس من الخوض الذي نهى النبي ﷺ عنه بقوله «إذا ذكر القدر فأمسكوا» رواه الطبراني^(١)، لأنّ هذا تفسير للقدر الذي ورد به النصّ، وأمّا المنهية عنه فهو الخوض فيه للوصول إلى سرّه، فقد روى الشافعي^(٢) والحافظ ابن عساكر^(٣) عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال للسائل عن القدر «سرّ الله فلا تتكلّف»، فلما ألح عليه قال له: «أمّا إذ أبيت فإنه أمر بين أمرين لا جبر ولا

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن مسعود (١١٦/٢).

(٢) ذكر المتقي الهندي في كنز العمال عن الإمام الشافعي (٣٤٨/١) وعزاه للحلية ولم نعثر عليه فيه.

(٣) تاريخ دمشق (١٨٢/٥١).

تفويضاً».

واعلم أيضاً أنّ رسول الله ﷺ قد ذمّ القدرية وهم فرقٌ، فمنهم من يقول العبد خالقٌ لجميع فعله الاختياري، ومنهم من يقول هو خالق الشرّ دون الخير وكلا الفريقين كفّارٌ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «القدرية مجوس هذه الأمة» (١) وفي رواية لهذا الحديث «لكلّ أمةٍ مجوسٌ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر» رواه أبو داود (٢) عن حذيفة عن النبي ﷺ.

وفي كتاب «القدر» للبيهقي (٣) وكتاب «تهذيب الآثار» (٤) للإمام ابن جرير الطبري رحمهما الله تعالى عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال «صنفان من أمّتي ليس لهما نصيبٌ في الإسلام القدرية والمرجئة» (٥).

فالمعتزلة هم القدرية لأنّهم جعلوا الله والعبد سواسيةً بنفي القدرة عنه عزّ وجلّ على ما يقدر عليه عبده، فكأنّهم يثبتون خالقين في الحقيقة كما أثبت المجوس خالقين خالقاً للخير هو عندهم النور وخالقاً للشرّ هو عندهم الظلام.

والهداية على وجهين:

أحدهما إبانة الحقّ والدعاء إليه، ونصب الأدلّة عليه، وعلى هذا الوجه يصحّ إضافة الهداية إلى الرّسل وإلى كلّ داعٍ لله كقوله تعالى في رسوله محمدٍ ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ [سورة الشورى].

وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [سورة فصلت].

والثاني من جهة هداية الله تعالى لعباده، أي خلق الاهتداء في قلوبهم كقوله تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧/١٠)

(٢) رواه ابنة داود في سننه: كتاب السنة: باب في القدر.

(٣) القضاء والقدر (ص/٢٢٨-٢٨٩).

(٤) تهذيب الآثار (٢/١٨٠)

(٥) المرجئة هم طائفة انتسبوا للإسلام كانوا يعتقدون أنّ العبد المؤمن مهما عمل من الكبائر ومات بلا توبة ليس عليه عذاب.

ضَيْقًا حَرْجًا ﴿١٢٥﴾ [سورة الأنعام].

والإضلال خلق الضلال في قلوب أهل الضلال فالعباد مشيئتهم تابعة لمشيئة الله قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (سورة الإنسان). وهذه الآية من أوضح الأدلة على ضلال جماعة أمين شيخو لأنهم يقولون إن شاء العبد الهداية يهديه الله وإن شاء العبد الضلال يضلله الله^(١)، فماذا يقولون في هذه الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فَإِنَّهَا صريحة في سبق مشيئة الله على مشيئة العبد لأن الله نسب المشيئة إليه وما ردها إلى العباد. فأولئك كأنهم قالوا من يرد العبد أن يشرح صدره للإسلام يشرح الله صدره، ثم قوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ فلا يمكن أن يرجع الضمير في يرد أن يضلله إلى العبد لأن هذا يجعل القراء ركيكًا ضعيف العبارة والقراء أعلى البلاغة لا يوجد فوقه بلاغة، فبان بذلك جهلهم العميق وغباوتهم الشديدة. وعلى موجب كلامهم يكون معنى الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أن العبد الذي يريد أن يهديه الله يشرح الله صدره للهدى وهذا عكس اللفظ الذي أنزله الله، وهكذا كان اللازم على موجب اعتقادهم أن يقول الله والعبد الذي يريد أن يضلله الله يجعل صدره ضيقًا حرجًا، وهذا تحريف للقراء لإخراجه عن أساليب اللغة العربية التي نزل بها القراءان وفهم الصحابة القراءان على موجبها، والدليل على أنهم يفهمون القراءان على خلاف ما تفهمه هذه الفرقة اتفاق المسلمين سلفهم وخلفهم على قولهم «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

نور العين في بيان أخطاء تفسير الجلالين

قال المحدث عبد الله بن محمد صديق الغماري الحسني الإدريسي في كتابه «بدع التفاسير» ما نصه^(٢): «تفسير الجلالين ينساق مع الإسرائيليات».

* في الجزء الأول من كتاب «تفسير الجلالين» هناك موضعان:

(١) انظر الكتاب المسمى التفسير الفريد: القسم الثاني (٢٦٧-٢٦٨).

(٢) بدع التفاسير (ص ٢٢٤).

* عند قول الله تعالى في تفسير سورة الأعراف ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠) .

يقول الكاتب: أي أن آدم وحواء وافقا إبليس في أمره لهما بتسمية المولود الذي يأتيهما «عبد الحارث».

الرد:

هذا شيء لا يليق بآدم وحواء أن ينخدعا للشيطان إلى حد الإشراك، فيستحيل على نبي من الأنبياء أن يشرك بالله قبل النبوة وبعدها، وذلك متفق عليه بلا خلاف في عقيدة المسلمين. ثم إنَّ حواء وليّة من الوليات أيضًا لا تنخدع بهذا للشيطان، فالله تبارك وتعالى يقول في أولياته ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٢) [سورة يونس].

والمعنى الصحيح لهذه الآية أن الأب والأم من ذرية آدم وحواء (أي من بعد نبي الله إدريس) أشرك بعضهم بدل أن يشكروا الله بطاعته ويدلء آخر الآية على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠) .

- قال النسفي في تفسيره ما نصه: «جعلوا له شركاء» أي جعل أولادهما (أي من بعد نبي الله إدريس) له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك «في ما آتاها» أي آتى أولادهما.

دليله: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠) حيث جمع الضمير، وءادم وحواء بريئان من الشرك. اهـ

وحاصل المعنى أن البعض أشرك بالله بعد نبي الله إدريس عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠) أي تنزه الله عما زعموا من الشرك وإن كانت جاءت الآية بصيغة الجمع لكنه لا يراد بذلك ءادم وحواء لأنهما بريئان من الشرك.

* ومما لا أصل له ما جاء في تفسير سورة يوسف ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِءٌ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖءٌ ﴾ (٢٤) .

يقول الكاتب: قصد ذلك أي بالجماع، أي قصد الزنا.

الرد:

هذا ضلال وغلط شنيع يخالف نزاهة الأنبياء فيستحيل على نبي من الأنبياء قصد الزنا كما يستحيل عليه فعله لما فيه من الطعن والقبح بنبي من الأنبياء.

- قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ما نصه^(١): «ولا يصح ما يروى عن بعض المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا دل على العزم، والأنبياء معصومون من العزم على الزنا» اهـ.
- وقال الفخر الرازي في تفسيره ما نصه: «إن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل بالباطل والهّم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب»^(٢) اهـ.

- وقال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره «النهر الماد» ما نصه^(٣): «الذي نقوله إن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ ألبتة بل هو منهي لوجود رؤية البرهان».

وقال أيضاً: «واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة: يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب».

- أما بيان أن يوسف عليه السلام برأ نفسه من الذنب فهو قوله عليه السلام «هي راودتني عن نفسي» وقوله عليه السلام «ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه».
- وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت النسوة «ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» وأيضاً قالت «الآن حصص الحقّ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين».

(١) زاد المسير (٤/٢٠٥).

(٢) التفسير الكبير (١٨/١١٨).

(٣) النهر الماد (٢/١١٤).

- وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك فهو قوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكَ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ».

- وأما الشهود فقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٦) وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٧) وقد كان قميصه قدًّا من الدبر - أي من الخلف - .

- وأما شهادة الله تعالى بذلك قوله «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين» فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته عدة مرات.

- وأما بيان أن إبليس أقرّ بطهارته فلأنه قال ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٨٣) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى اهـ.

- وقال أيضًا في تفسيره ما نصه^(١): «المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح، لأن الهم هو القصد فوجب أن يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به فمراد المرأة (أي زليخا امرأة العزيز) تحصيل اللذة والتمتع، واللاتق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قيل: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لو همّ بدفعها لقتلته أو لكانت تأمر بقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتناع من ضربها أولى صوتًا للنفس عن الهلاك.

والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلق به فكان يتمزق من قدام، وكان الشاهد شهد عليه عندها بالخيانة، ولو كان ثوبه ممزقًا من خلف لكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جرم أنه لم يشتغل

(١) (١٨/١٢٠ - ١٢١).

بدفعها عن نفسه بل ولى عنها حتى صارت شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية» اهـ.

فيتلخص مما ذكر أن الله تبارك وتعالى عصم الأنبياء عن الرذائل ونزههم عنها ويوسف عليه السلام لم يشتهها لنفسه ولا أراد أن يواقعها ولم يهمل بذلك، هذا هو اللائق بالنبي يوسف عليه السلام وهو من تعلق قلبه بمحبة الله وتعظيمه ومخافته كغيره من إخوانه الأنبياء وهذا هو اعتقاد المسلمين.

- وقال بعض العلماء في تفسير الآية: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

أحسن ما قيل: إن جواب لولا محذوف يدل عليه ما قبله أي لولا أن رأى برهان ربه لهم فلم يحصل منه هم بالزنا لأن الله تبارك وتعالى أراه برهانه، كما تقول لصديقك: «زرتك لولا أمطرت» فلم تحصل الزيارة لنزول المطر.

فالتقول إن سيدنا يوسف عليه السلام هم بالزنا بامرأة العزيز أي قصد ذلك هو قول باطل عاطل مخالف لهدي القرءان وفيه طعن وقدح بنبي من الأنبياء، وهي دعوى باطلة بالنقل والعقل، وفيه ضلال مبين.

❖ ومما لا أصل له ما في الجزء الثاني من هذا التفسير ففيه غلطان:

الأول: في تفسير سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَيَّأَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [سورة الحج].

يقول الكاتب: وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد «أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ففرحوا بذلك وكانوا بالقرب منه مع المسلمين، وقالوا ما ذكرء الهتنا بخير قبل اليوم فجاء جبريل وقال له: هذا ليس من القرءان فحزن رسول الله ﷺ وأنزل الله الآية تسلية له ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾.

الرد:

هذه الرواية غير صحيحة، وحصول قراءة شيء غير القرآن على ظن أنه قرآن مستحيل على رسول الله ﷺ فهو معصوم من ذلك، فقد قال الفخر الرازي: «يكفر من اعتقد أن الشيطان أجرى كلاماً على لسان النبي ﷺ هو مدح الأوثان الثلاثة اللات والعزى ومناة بهذه العبارة: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» إذ يستحيل أن يمكّن الله الشيطان من أن يجري على لسان نبيه مدح الأوثان.

«والتفسير الصحيح: أن كل نبي كان يقرأ على قومه ثم الشيطان يُلقي إلى الناس كلاماً غير الذي يقرؤونه أي يزيد للناس من كلامه على ما قاله النبي ليوهم الناس أن النبي قال ذلك أي ليفتنهم، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ويثبت ما يقرؤونه وذلك ابتلاء من الله تبارك وتعالى، وليس في أي كتاب معتبر أن الشيطان يلقي على السنة الأنبياء كلاماً وإلا لارتفعت الثقة في كلامهم ولقال الناس لعل هذا من إلقاء الشيطان فلذلك استحال حصول ذلك.

قال النسفي ما نصه^(١): ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه - أي على النبي ﷺ - « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

وقال: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فلما بطلت هذه الوجوه - حيث ذكر احتمالات وردّها - لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله: «ومناة الثالثة الأخرى» فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلاً بقراءة النبي ﷺ فوقه عند بعضهم - من المشركين - أنه عليه الصلاة والسلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي ﷺ - وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي ﷺ ويُسْمَعُ كلامه، فقد روي أنه نادى يوم أحد ألا إن محمداً قد قتل، وقال يوم بدر: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم». اهـ.

والثاني: في تفسير سورة ص آية ٢٣ في تفسير النعجة المذكورة في الآية ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.

(١) (في الجزء الثالث ص ١٠٧).

يقول الكاتب: (لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها).
ثم فسر قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ « فقال: (أوقعناه في بلية بمحبته تلك المرأة).

الرد:

أساء الكاتب بقوله: إن النعجة هي امرأة شخص أعجب بها داود فعمل حيلة فأرسل زوجها للغزو ليقتل هناك ثم يأخذها داود، وهذا لا يليق بمنصب النبوة.
قال الإمام الحافظ ابن الجوزي في تفسيره بعد ذكر هذه القصة المكذوبة عن سيدنا داود: «وهذا لا يصح من طريق النقل ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزهون عنه، وأما استغفار داود ربه فهذا لأنه حكم بين الاثنين بسماعه من أحدهما قبل أن يسمع الآخر».

والمقصود بالنعجة في هذه الآية هي النعجة الحقيقية وليس المراد بها امرأة، وإن كانت العرب قد تكني بالنعاج عن النساء لكن لا يجوز تفسير النعاج في هذه الآية بالنساء.

فائدة: لو فعل ذلك ملك من ملوك الأرض بصديقه أو قائد من قادة جيشه ذلك إعجابًا بزوجة هذا القائد ليستأثر بها إذا قتل لنفرت منه النفوس، فما لبعض الناس يقولون في حق أنبياء الله ما لا يليق بهم، فهم أي الأنبياء قدوة للناس وقد جملهم الله بالصفات الحميدة وعصمهم عن الصفات الذميمة.

تنبيه مهم: مما يجب التحذير منه كتاب (قصص الأنبياء) للشعالبي، ففيه مثل هذه المواضيع وزيادة عليها من قصص أخرى مفتراة لا أصل لها، كالقصة التي تروى أن الدود كان يتناثر من جسد أيوب عليه السلام في مرضه فصار يردّها إلى جسده ويقول لها: «كلي فقد جعلني الله طعامك» وأن أيوب عليه السلام على زعمه تقطع لحمه وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشًا، نعوذ بالله تعالى من الضلال فقد أجمع علماء الإسلام على أن أنبياء الله هم صفوة خلق الله

وهم علماء حكماء معصومون بعصمة الله لهم تبارك وتعالى فيستحيل على أحدهم أن يضر نفسه - لأن حفظ النفس مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء وأجمع عليه العقلاء -، ويستحيل عليهم أيضًا الأمراض المنقّرة التي تنقّر الناس عنهم، وهذه القصة لا تجوز في حق نبي من الأنبياء وهي كذب، وهي مذكورة أيضًا في بعض التفاسير غير المعتمدة.

وإنما أيوب عليه السلام ابتلاه الله تبارك وتعالى بلاءً شديدًا استمر مرضه ثمانية عشر عامًا وفقد ماله وأهله ثم عافاه الله وأغناه ورزقه الكثير من الأولاد، وأما أن مرض أيوب طال ثمانية عشر عامًا فهو في صحيح ابن حبان. اهـ.

الخاتمة

تمَّ بفضل الله تعالى وإنعامه وتوفيقه وجوده وإحسانه وكرمه الجزء الأول من كتاب الفرقان في تصحيح ما حُرف في تفسيره من آيات القرآن ويليه الجزء الثاني وهو كتاب فريد في موضوعاته غني في مباحثه نافع جدًّا لكل مشغول بعلم التفسير في عصرنا الحديث ولكل باحث ومدرس وخطيب وأستاذ ومؤلف فقد حوى لآلئ كنوز علم تفسير مع تحذير مما افترى ودُسَّ عل تفسير والمفسرين المعترين وإنه يحذر من كثير من الدجاجة العصر المتسترين والمتقنعين باسم الإسلام والمسلمين والعلم والعلماء وباختصار فهذا الكتاب قد كفا وشفا بما حوى وجمع مما لا نعرف انه قد اجتمع في كتاب آخر فينبغي اعتماده والإعتناء بتدريسه من قبل المشايخ والمدارس والمعاهد والثانويات والجامعات وأئمة المساجد وخطباء الجمعة ومتكلمي المؤتمرات وبقية أهل الإختصاص والأبحاث والدراسات فإنه كفاهم المؤنه وجمع لهم ما كان متفرقاً في بطون كثير من المجلدات والمؤلفات وفيه زبدة تفاسير أهل السنة والجماعة والحث والحض على التمسك بعقيدة السواد الأعظم جمهور الأمة الإسلامية الأشاعرة والماتردية أهل السنة والجماعة من وفقهم الله لفهم معاني الكتاب والسنة نصرهم الله وأيدهم وحفظهم وكثرهم ومحق أعداءهم.

الْقَلَائِدُ

فِيمَا أُجْمِعُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقَائِدِ

شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ
الشيخ جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي الحسيني
دكتور محاضر في العقائد والفرق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا بِالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَجَعَلَ سَبِيلَ أُمَّتِهِ السَّبِيلَ السَّوَاءَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أَنْجُو بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّمَضَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا سَيِّدَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ وَأَنْعِمْ وَأَكْرِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا عَادَتِ الشَّمْسُ عَلَى الدُّنْيَا بِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَقْوَامًا مِنَ الْمَخْذُولِينَ قَدْ تَنْطَعُوا فِي أَيَّامِنَا بِدَعْوَى تَعْمِيمِ الاجْتِهَادِ وَأَنْهُمْ قَدْ اسْتَوَوْا مَعَ الْأَيْمَةِ الْفُحُولِ الْأَعْلَامِ بِدَعْوَى أَنْهُمْ رِجَالٌ وَأَوْلِيكَ رِجَالٌ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثُمَّ زَادُوا فِي غَيْبِهِمْ يَعْزَمُونَ حَتَّى أَنْكَرُوا حُجِّيَةَ الْإِجْمَاعِ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَصُولًا أَجْمَعَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَقِيدَةِ، وَقَدَّمْتُ لَذَلِكَ مُقَدِّمَةً فِي مَعْنَى الْإِجْمَاعِ وَانْعِقَادِهِ، رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا طَالِبِي الْحَقِّ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

معنى الإجماع وحجته وبيان كيفية انعقاده

اعلم أنّ الإجماع لغةً يطلق بمعنيين: أحدهما العزم على الشيء، والثاني الاتفاق، وأما اصطلاحاً فاتفق أهل الحل والعقد - وهم مجتهدو أمة محمد ﷺ - في عصرٍ من العصور على أمرٍ ديني.

ودليل حجية الإجماع قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥)؛ ووجه الحجة أنه تعالى جمَعَ بين مُشَاقَّةِ الرَّسُولِ ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد في قوله ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ فيلزم تحريم اتباع غير سبيل المؤمنين لأنه لو لم يكن حراماً لما جمَعَ بينه وبين المُحَرَّمِ الذي هو مُشَاقَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، لأنَّ الجمع بين حرامٍ ونقيضه لا يحسن في وعيدٍ، فدَلَّ ذلك على أن اتباع غير سبيلهم حرامٌ، وإذا حُرِّمَ اتِّبَاعُ غَيْرِ سَبِيلِهِمْ كان اتِّبَاعُ سَبِيلِهِمْ واجباً، إذ لا واسطة بين السبيلين، وإن ثبت وجوب اتباع سبيلهم ثبتت حجية الإجماع. فإذا اتَّفَقَ الْمُجْتَهِدُونَ في عَصْرِ على شيءٍ فهو إجماعٌ وحجَّةٌ، فلا يصحُّ أن يأتي بعدهم من ينقض ما اتَّفَقَ عليه السابقون.

وقد ادَّعى بعض الملاحدة أن هذا الدين كثير الاختلاف لا يصلح اتباعه ولا يعرف الصواب منه، فردَّ عليهم الفحول من العلماء كأي إسحاق الإسفراييني فقال: «نحن نعلم أن مسائل الإجماع أكثر من عشرين ألف مسألة، وبهذا يُردُّ قول الملاحدة: إن هذا الدين كثير الاختلاف إذ لو كان حقاً لما اختلفوا فيه. فنقول: أخطأت، بل مسائل الإجماع أكثر من عشرين ألف مسألة، ثم لها من الفروع التي يقع الاتفاق منها وعليها وهي صادرة عن مسائل الإجماع التي هي أصول أكثر من مائة ألف مسألة»، ذكره في «شرح الترتيب» نقله عنه الزركشي^(٢).

(١) سورة النساء، (١١٥).

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، (٦ / ٣٨٤).

الإجماعُ في العقائد

أَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْحَقَائِقَ ثَابِتَةٌ وَالْعِلْمُ بِهَا مُتَحَقِّقٌ^(١).
وَأَنَّ أَسْبَابَ الْعِلْمِ هِيَ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةُ السَّلِيمَةُ وَالْخَبْرُ الصَّادِقُ وَالْعَقْلُ^(٢).
وَأَنَّ الْعَالَمَ عُلُوبِيَّهً وَسُفْلِيَّهً مُحَدَّثٌ بِمَجْنِسِهِ وَأَفْرَادِهِ وَجَوَاهِرِهِ وَأَعْرَاضِهِ^(٣).

وَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْعَالَمِ لَا يُمِثِّلُهُ وَلَا يُشَابِهُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا أَعْمَالِهِ^(٤)،
فَلَيْسَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِجِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ^(٥)، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ^(٦)، قَدِيمٌ لَا بَدَايَةَ
لَهُ، بَاقٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ^(٧)، مُرِيدٌ لَا أَمْرَ لَهُ، شَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ^(٨)، قَادِرٌ لَا شَيْءَ
يُعْجِزُهُ^(٩)، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ^(١٠)، سَمِيعٌ بِسَمْعٍ مِنْ غَيْرِ أُذُنٍ^(١١)، بَصِيرٌ بِبَصَرٍ مِنْ
غَيْرِ حَدَقَةٍ^(١٢)، مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ وَاحِدٍ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ وَلَا لُغَةٍ^(١٣)، حَيٌّ قَيُّومٌ أَحَدٌ

(١) المِنَنُ الْكُبْرَى (لَطَائِفُ الْمِنَنِ وَالْأَخْلَاقِ)، عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِي، (ص/ ٦٥٢).

(٢) حَاشِيَةٌ عَلَى شَرْحِ الْعُقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ، عَصَامُ الْإِسْفَرَايِينِي، (ص/ ٤٦).

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِي، (ص/ ٣١٥).

(٤) إِتْحَافُ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ، مُحَمَّدُ مَرْتَضَى الرَّيْدِي، (٢/ ٣٥).

(٥) التَّعْرُفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرٍ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٤١).

(٦) الْأَنْوَارُ الْقُدْسِيَّةُ، عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِي، (ص/ ١٣).

(٧) أَصُولُ الدِّينِ، أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِي، (ص/ ٩١).

(٨) الْإِنْصَافُ فِيمَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَلَا يَجُوزُ الْجَهْلُ بِهِ، أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي، (ص/ ١٣).

(٩) التَّعْرُفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرٍ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٣٥).

(١٠) التَّعْرُفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرٍ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٣٥). الْإِقْنَاعُ فِي مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ، أَبُو
الْحَسَنِ الْقَطَّانِ، (١/ ٣٥).

(١١) الْإِقْنَاعُ فِي مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ، أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانِ، (١/ ٣٥).

(١٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(١٣) التَّعْرُفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرٍ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٤٠).

صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَالْأَفْهَامُ^(١)، مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ لَا يُشْبِهُ ذَلِكَ، وَأَنَّ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةَ أَزَلِيَّةَ أَبَدِيَّةٍ وَليستْ عَيْنِ الذَّاتِ وَلَا غَيْرِهِ^(٢).

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ^(٣)، وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَمَّا سِوَاهُ، فَلَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ وَلَا تَكْتَنِفُهُ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ^(٤)، وَأَنَّهُ اسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ لَا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ.

وَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْجَوَاهِرِ وَالْأَجْسَامِ وَالْأَعْمَالِ وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالْحَوَاطِرِ وَالنِّيَّاتِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ^(٥).

وَأَنَّ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً هِيَ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَمَنْ أَنْكَرَهَا أَوْ جَعَلَهَا بِخَلْقِ الْعَبْدِ فَقَدْ كَفَرَ^(٦).

وَالِاسْتِطَاعَةُ نَوْعَانِ:

اسْتِطَاعَةٌ سَابِقَةٌ عَلَى الْفِعْلِ وَهِيَ سَلَامَةُ الْأَسْبَابِ وَالْآلَاتِ وَبِهَا يَكُونُ صِحَّةُ التَّكْلِيفِ.

وَاسْتِطَاعَةٌ تُقَارِنُهُ وَهِيَ حَقِيقَةُ الْقُدْرَةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْفِعْلُ.

وَأَجْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُثِيبُ فَضْلًا وَيُعَاقِبُ عَدْلًا وَيَرْزُقُ كَرَمًا^(٧)، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.

(١) التَّعْرِفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرِ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٣٥).

(٢) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، (ص/ ٣٧).

(٣) الْإِقْنَاعُ فِي مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ، أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، (١/ ٥٦).

(٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ، أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِي، (ص/ ٣٢١). الْإِرْشَادُ إِلَى قَوَاطِعِ الْأَدِلَّةِ، أَبُو الْمَعَالِي الْجَوَيْنِيُّ، (ص/ ٢١). التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي، (٢٩/ ٤٤٩).

(٥) إِتْحَافُ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ، مُحَمَّدُ مَرْتَضَى الرَّيِّدِيُّ، (٢/ ٤٤٨).

(٦) التَّعْرِفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرِ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٤٤).

(٧) التَّعْرِفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرِ الْكَلَابَاذِي، (ص/ ٦٢). أَبْكَارُ الْأَفْكَارِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، سَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيُّ، (٢/ ٢٢٤).

وَأَنَّ تَعْدِيْبَهُ الْمُطِيْعَ وَإِيْلَامَهُ الدَّوَابَّ وَتَوَجِيْعَهُ الْأَطْفَالَ لَيْسَ مِنْهُ بِظَلْمٍ^(١) بَلِ
اتِّصَافُهُ بِالظُّلْمِ مُحَالٌ^(٢).

وَأَنَّ الْقِرْءَانَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشْبِهُهُ كَلَامُ الْمَخْلُوقِيْنَ، وَأَنَّ اللَّفْظَ الْمُنزَّلَ الَّذِي
نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ لَيْسَ عَيْنَ الْكَلَامِ الذَّاتِيَّ بَلِ هُوَ عِبَارَةٌ
عَنْهُ^(٣)، وَكُلُّ يُسَمَّى قُرْءَانًا.

وَنُؤْمِنُ بِمُحْكَمِ الْكِتَابِ وَمُتَشَابِهِهِ وَنَقُولُ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ - وَالْمُحْكَمَاتُ هُنَّ أُمَّ
الْكِتَابِ - وَنُنزِرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا تَقْتَضِيهِ ظَوَاهِرِ الْمُتَشَابِهَاتِ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ لَا يَلِيْقُ
بِجَلَالِهِ.

وَأَنَّ الرِّزْقَ مَا يَنْفَعُ وَلَوْ مُحَرَّمًا، وَالشَّيْءُ هُوَ الْمَوْجُودُ وَلَوْ قَدِيمًا.

وَأَنَّ الْأَجَلَ وَاحِدٌ وَالْمَيِّتُ مَقْتُولٌ بِأَجَلِهِ^(٤).

وَأَنَّ الرُّوحَ مَخْلُوقَةٌ حَادِثَةٌ^(٥).

وَأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنذِرِيْنَ، فَصَلَّاهُمْ عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِيْنَ، أَوْلَهُمْ ءَادَمَ،
وَءَاخِرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ^(٦)، أَيَّدَهُم بِالْمُعْجِزَاتِ
الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَأَنْزَلَ عَلَى بَعْضِهِمْ كُتُبًا.

وَأَنَّهُ يَجِبُ لِكُلِّ مِنْهُمْ الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَالْفَطَانَةُ وَالْعِفَّةُ وَالتَّبْلِيغُ^(٧)، وَيَسْتَحِيلُ

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن القَطَّان، (١/ ٥٧).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥١).

(٣) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٩). المِلَل والنِّحَل، أبو الفتح
الشَّهْرَسْتَانِي، (١/ ٨٩). نهاية العقول في دراية الأصول، فخر الدِّين الرازي، (٢/ ٣١٥).

(٤) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥٧).

(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حَيَّان الأندلسي، (٧/ ١٠٦).

(٦) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ١٧٧).

(٧) المُحَرَّرُ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عَطِيَّة الأندلسي، (١/ ٢١١).

عليهم كل ما يُنْفِرُ عن قَبُولِ دَعْوَتِهِمْ، وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ الْأَعْرَاضُ الَّتِي لَا تَقْدَحُ فِي مَرَاتِبِهِمْ^(١).

وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ وَسُؤَالَ الْمَلَائِكِينَ وَالْقِيَامَةَ وَالْبَعْثَ وَالْحَشَرَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالصِّرَاطَ وَالْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ حَقٌّ^(٢).

وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنِيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ فِي الْقَبْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ^(٣).

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلَا كَيْفٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا جِهَةٍ لَا كَمَا يَرَى الْمَخْلُوقُ^(٤).

وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ لِلَّهِ مُكْرَمُونَ، لَيْسُوا ذُكُورًا وَلَا إِنَاثًا^(٥)، لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَتَنَاكحُونَ وَلَا يَتَعَبُونَ^(٦)، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ^(٧).

وَأَنَّ الْجِنَّ مَوْجُودُونَ^(٨)، أَبْوَهُمُ الْأَوَّلِ إِبْلِيسُ، وَهَمُّ مُكَلَّفُونَ مُتَعَبِدُونَ فَمِنْهُمْ الصَّالِحُ وَمِنْهُمْ الطَّالِحُ.

(١) التعرّف لمذهب أهل التصوّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٦٩-٧٠).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن القَطَّان، (١/ ٥٠-٥٣).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن القَطَّان، (١/ ٥٢). أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٢٦٣).

(٤) المنهاج في شرح صحيح مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ، محيي الدِّين النووي، (٣/ ١٥). التعرّف لمذهب أهل التصوّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٢).

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [سورة الرُّخْف: ١٩].

(٦) قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٠].

(٧) قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التَّحْرِيم: ٦].

(٨) أبكار الأفكار في أصول الدِّين، سيف الدِّين الأمدِّي، (٤/ ٣١).

وَأَنَّ شَرِيْعَةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ نَسَخَتْ مَا خَالَفَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ أَجْمَعِينَ^(١).

وَأَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ^(٢).

وَأَنَّ التَّوَسُّلَ إِلَى اللَّهِ بِالذُّوَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالتَّبَرُّكَ بِأَثَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ حَسَنٌ^(٣).

وَأَنَّ شَدَّ الرَّحَالِ بِقَصْدِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ^(٤).

وَأَنَّ الْأَمْوَاتَ يَنْتَفِعُونَ بِدُعَاءِ الْأَحْيَاءِ لَهُمْ وَتَصَدَّقُهُمْ عَنْهُمْ وَقِرَاءَتِهِمُ الْقُرْآنَ عِنْدَهُمْ^(٥).

وَأَنَّ التَّحْذِيرَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَاجِبٌ^(٦).

وَأَنَّا لَا نُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

وَأَنَّ الْمَعْصِيَةَ وَلَوْ كَبِيرَةً لَا تُخْرِجُ مُرْتَكِبَهَا مِنَ الْإِيمَانِ^(٧).

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الْكُفْرَ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ^(٨).

(١) رَوْضَةُ النَّاطِرِ، ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ، (١/٢٢٩).

(٢) التَّعْرِيفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، أَبُو بَكْرٍ الْكَلَابَادِيُّ، (ص/٧١). الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، أَبُو مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيُّ، (ص/٣١٠).

(٣) شِفَا السَّقَامِ فِي زِيَارَةِ خَيْرِ الْأَنْامِ ﷺ، تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، (ص/١٢١).

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(٥) الْإِمْتَاعُ بِالْأَرْبَعِينَ الْمُتَبَايِنَةَ السَّمَاعِ، ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، (ص/٧٩).

(٦) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سُورَةُ آءَالِ عِمْرَانَ: ١٠٤].

(٧) شَرْحُ رِسَالَةِ الْقَيَّرَوَائِي، ابْنُ نَاجِي التَّنُوحِيِّ، (ص/٥٦).

(٨) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٤٨].

وَأَنَّهُ قَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَى^(١).
وَأَنَّ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ^(٢).

وَأَنَّ ظُهُورَ الْمَهْدِيِّ وَخُرُوجَ الْمَسِيحِ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَتُرُوقَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَسَائِرَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْغَيْبِيَّاتِ كُلِّ ذَلِكَ حَقٌّ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ^(٣)،
وَأَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ^(٤)، وَأَنَا نَعْتَرِفُ بِفَضْلِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ نَصْبُ إِمَامٍ^(٥) وَلَوْ مَفْضُولاً، وَأَنَّ طَاعَةَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَاجِبَةٌ^(٦).
وَأَنَّ إِمَامَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ كَانَتْ حَقَّةً^(٧) وَأَنَّ عَلِيًّا أَصَابَ فِي قِتَالِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَأَهْلِ صِفِّينَ وَأَهْلِ التَّهْرَوَانِ^(٨)، وَأَنَّ عَائِشَةَ مُبْرَأَةٌ مِنَ الزِّنَا.

وَأَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأَبَا مَنْصُورَ الْمَاتَرِيْدِيَّ كُلَّ مِنْهُمَا إِمَامَ لِأَهْلِ السَّنَةِ مُقَدَّمٌ.
وَأَنَّ طَرِيقَ الْإِمَامِ الْجَنْدِيْدِ الْبَغْدَادِيِّ طَرِيقَ قَوْمٍ، وَأَنَّ الشَّافِعِيَّ وَأَبَا حَنِيفَةَ وَصَاحِبِيَهُ

(١) التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، (ص / ١٧٧).

(٢) قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَتَّهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن القَطَّان، (١ / ٥٨).

(٤) المصدر السابق، (١ / ٥٩).

(٥) المنهاج في شرح صحيح مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ، محي الدين النووي، (١٢ / ٢٠٥).

(٦) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن القَطَّان، (١ / ٦٠).

(٧) التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، (ص / ١٧٨).

(٨) نقله عبد القاهر الجرجاني في كتابه «الإمامة» وعنه القرطبي. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين القرطبي، (ص / ١٠٨٩).

وَمَالِكًا وَأَحْمَدَ وَسُفْيَانَ وَسَائِرَ أَيْمَّةِ الْإِسْلَامِ أَيْمَّةَ هُدَى وَاخْتِلَافِهِمْ رَحْمَةً بِالْأَنَامِ.

وَأَنَّ الصَّلَاةَ تَجُوزُ خَلْفَ عَلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَنَّ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ جَائِزٌ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ.

وَأَنَّ الْحَجَّ وَالْجِهَادَ فَرَضَانَ مَاضِيَانِ مَعَ أُولَى الْأَمْرِ مِنَ أَيْمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قِيَامِ

السَّاعَةِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ

الطَّيِّبِينَ، وَسَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الفهرس

- ٥ - التَّوْبَةُ
- ٩ - نُبْدَةُ تعْرِيفِيَّةُ بِالشَّيْخِ الدُّكْتُورِ جَمِيلِ حَلِيمٍ
- ١٢ - المقدمة
- ١٢ - الباعث على تأليف هذا الكتاب
- ١٥ - وعيد من قال في القرآن وتفسيره برأيه
- ١٩ - سورة الفاتحة
- ١٩ - قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ سورة الفاتحة
- الملحدون في أسماء الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٥﴾
- ٣٦ - قال الله تعالى: ﴿أَجْعَلْ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [سورة البقرة].
- قال الله تعالى: ﴿يَبْنَئِ امْرَأَةٌ بِلِأَنذَرْتَهَا أَنَّهَا نَذْرٌ عَلَيْهَا وَأُيَسِّرُهَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾
- ٣٧ [سورة البقرة]
- قال الله تعالى: ﴿وَوَدَّعَيْنَا أَلْفَ مَنَامٍ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [سورة البقرة].
- ٣٨ [سورة البقرة]
- ٤٢ - قال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة]
- ٤٥ - قال الله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [سورة البقرة]
- ٤٨ - قال الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة]
- قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا قُلْتُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٥﴾ [سورة البقرة].
- ٥١ [سورة البقرة]
- ٥٤ - قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ﴿٢٥٦﴾ [سورة البقرة]
- ٦١ - الرد المحكم المتين في فضح المنافقين والضالين
- ٧٢ - قال الله تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [سورة البقرة]
- ٧٤ - قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة]
- ٧٨ - قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة]
- ٨٢ - قال الله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [سورة آل عمران]

- ٨٤ - قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴾ [سورة آل عمران].
- ٨٧ - فائدة عظيمة النفع في تنزيه الله عن الجهة والمكان
- قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ قَسَّطَ لِيُفْعَلُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [سورة النساء]
- ٩٠
- قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [سورة النساء]
- ٩٢
- قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة المائدة]
- ٩٩
- قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَانِي نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبْتُوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ [سورة المائدة]
- ١١١
- قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المائدة]
- ١١٨
- قال الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة المائدة]
- ١٢٧
- قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة المائدة]
- ١٢٩
- ١٣٠ - قال الله تعالى: ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [سورة المائدة]
- ١٣٣ - قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ [سورة الأنعام]
- ١٣٥ - فائدة مهمة عظيمة النفع تتعلق بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
- ١٣٨ - بيان ما يجب عقلاً للأنبياء
- ١٤٦ - بيان ما جاء في عدد الأنبياء
- ١٥٢ - براءة الأنبياء مما نُسب كذباً وزوراً للعلماء
- ١٥٤ - قال الله تعالى: ﴿ أَكْفَنُ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [سورة الأنفال]
- ١٥٧ - قال الله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ إِذْنْتَ ﴾ [سورة التوبة]
- ١٦٢ - قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُضِلَّ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا نَفَعْ عَلَيَّ قَبْرُهُ ﴾ [سورة التوبة]

- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة يوسف]. ١٧٢
- قال الله تعالى: ﴿ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة يوسف]. ١٧٣
- قال الله تعالى: ﴿ قَالُوْٓا اِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ اَخٌ لَّهٗ مِنْ قَبْلُ فَاَسْرَهَا يُوْسِفُ فِيْ نَفْسِهٖ وَكَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ اَنْتُمْ سُرَّ مَّكَانًا وَّاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا تَصِفُوْنَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة يوسف]. ١٨٢
- قال الله تعالى: ﴿ يَخَافُوْنَ رِبِّهٖمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة النحل]. ١٨٥
- قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ اِيْمَانِهٖۙ اِلَّا مَنۢ اُكْرِهٖ وَقَلْبُهٗ مُّطْمَئِنٌّۢ بِالْاِيْمَانِ وَلٰكِن مَّنۢ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهٖمُ غَضَبٌۭ مِّنَ اللّٰهِ وَلَهُمْ عَذَابٌۭ عَظِيْمٌ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة النحل]. ١٨٦
- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيۤ اٰدَمَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء]. ١٩٢
- قال الله تعالى: ﴿ وَمِنۡ اٰيٰتِهَا فَتَهَجَّدَ بِهٖ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىۤ اَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُوْدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء]. ١٩٣
- قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنۡ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِيْنَ نَارًا اَحَاطَ بِهٖمْ سُرَادِقُهَا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الكهف]. ٢٠٢
- قال الله تعالى: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلٰى الْعَرْشِ اسْتَوٰى ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة طه]. ٢٠٥
- بيان أن الأئمة الأربعة على التنزيه في مسألة الاستواء
- تحذير واجب من كتاب الوهابية المجسمة المسمى بإثبات الحد لله وبأنه قاعد وجالس على العرش والعياذ بالله من هذا الكفر الصريح..... ٢٣٦
- ردٌ مختصر ٢٣٧
- قال الله تعالى: ﴿ فَاَوْجَسَ فِيْ نَفْسِهٖ خِيفَةً مُّوسٰى ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة طه]. ٢٤٠
- قال الله تعالى: ﴿ وَعَصٰى اٰدَمُ رَبِّهٗ فَغَوٰى ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة طه]. ٢٤٣
- قال الله تعالى: ﴿ وَذَا التُّونِ اِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ اَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادٰى فِي الْظُلْمٰتِ اَنْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ سُبْحٰنَكَ اِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]. ٢٥١
- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُوْرِ مِنْۢ بَعْدِ الذِّكْرِ اَنْتَ الْاَرْضُ بِرِثٰهَا عِبَادِى الصّٰلِحُوْنَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]. ٢٥٤
- قال الله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة الحج]. ٢٥٦
- قال الله تعالى: ﴿ اَللّٰهُ نُوْرٌ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة النور]. ٢٥٩

- قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَسْتَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان] ٢٦١
- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (٧٠) [سورة الفرقان] ٢٦٢
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٥٦) [سورة القصص] ٢٦٩
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٤٥) [سورة العنكبوت] ٢٧٢
- قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٤٠) [سورة الأحزاب] ٢٧٤
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب] ٢٧٩
- قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْرَنَّهُمْ هَيَؤَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُؤُ﴾ [سورة فاطر] ٢٨٢
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٢٨) [سورة فاطر] ٢٨٣
- قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (٣١) [سورة فاطر] أبو لهب لا يُخَفِّفُ عنه العذاب ٢٨٥
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [سورة يس] ٢٩٢
- المقالة الرابعة زعمه (أي ابن تيمية) أن الله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ وأنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء ٢٩٥
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٣٢) [سورة ص] ٣٠٩
- قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ (٧٥) [سورة ص] ٣١١
- قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٣٦) [سورة الزمر] ٣١٣
- «إثبات أن التوسل بالأنبياء والأولياء جائز، وأنه ليس شرًا كما تقول الوهابية» ٣١٥
- قال الله تعالى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ﴾ (١٦) [سورة غافر] ٣٢٢
- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ﴾ (٣١) [سورة غافر] ٣٢٦
- القواعد الإيمانية في نفس عقائد الوهابية الفرعونية ٣٢٦
- قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١١) [سورة الشورى] ٣٣٥

- ٣٤٦ - قال الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [سورة الدخان]
- ٣٥٠ - قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ۝٢٣ ﴾ [سورة الجاثية]
- ٣٥٥ - قال الله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝١١ ﴾ [سورة محمد]
- ٣٥٧ - قال الله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٤ ﴾ [سورة الحجرات]
- ٣٦٤ - قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ ﴾ [سورة الذاريات]
- ٣٦٦ - قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ [سورة النجم]
- ٣٧١ - قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝١١ وَمِنَوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ ﴾ [سورة النجم]
- ٣٧٤ - قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ۝٣٢ ﴾ [سورة النجم]
- ٣٨١ - قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ ﴾ [سورة النجم]
- ٣٨٤ - قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩ ﴾ [سورة الرحمن]
- ٣٨٧ - قال الله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّه الثَّقَلَانِ ۝٣١ ﴾ [سورة الرحمن]
- ٣٨٨ - قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۝٤ ﴾ [سورة الحديد]
- ٣٩٢ - تفسير معية الله المدكورة في القرآن
- ٣٩٩ - قال الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۝١ ﴾ [سورة التحريم]
- ٤٠٣ - قال الله تعالى: ﴿ فَفَخَنَفَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ۝١٤ ﴾ [سورة التحريم]
- ٤٠٨ - قال الله تعالى: ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ۝١٦ ﴾ [سورة الملك]
- ٤١٠ - حديث الجارية
- ٤١٩ - تأويل أهل الحق لقوله عليه الصلاة والسلام ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
- ٤٢٣ - تأويل حديث النزول والرد على الوهابية المجسمة
- ٤٢٩ - وهذا التأويل أخذه أهل السنة من رواية النسائي
- ٤٣٢ - قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ ﴾ [سورة القلم]

- ٤٤١ - قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة نوح]
- ٤٤٣ - قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة التوبة]
- ٤٥٢ - قال الله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الجن]
- ٤٦٤ - قال الله تعالى: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الجن]
- ٤٦٧ - قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر]
- ٤٦٩ - قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿١١﴾﴾ [سورة طه]
- ٤٧٠ - قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النبأ]
- ٤٧٥ - قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ وَنُوَّكَ ﴿١﴾﴾ [سورة عبس]
- ٤٧٦ - قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطارق]
- ٤٧٧ - الدلائل القرآنية على أن الجنين يخلق من مني الرجل والمرأة وليس من مني الرجل وحده كما زعم هؤلاء الجهلاء
- ٤٧٨ - أحاديث رسول الله ﷺ تؤكد وجود المنى عند المرأة
- ٤٧٩ - إجماع الأمة الإسلامية على وجوب الغسل على المرأة إن خرج منها المنى
- ٤٨١ - أقوال علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم على إثبات المنى للمرأة
- ٤٨٦ - قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الإسراء]
- ٤٨٦ - مسألة مهمة في أن المنى لا روح ولا حياة فيه
- ٤٩٠ - الدليل من الحديث على أن المنى ليس فيه روح ولا حياة
- ٤٩٠ - تعريف الروح وأن البهائم لها أرواح بنص القرآن والحديث والإجماع
- ٤٩٣ - قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [سورة الأعلى]
- ٤٩٧ - قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفجر]
- ٥٠٢ - قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الضحى]
- ٥٠٥ - قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الفيل]

- ٥٠٦ - قال الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ [سورة قريش]
- ٥٠٧ - قال الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون]
- ٥١١ - قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّكْمَدُ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]
- ٥١٥ - قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفلق]
- ٥١٥ - مَعْنَى الْقَدْرِ وَالْإِيمَانِ بِهِ
- ٥٢٣ - نور العين في بيان أخطاء تفسير الجلالين
- ٥٣١ - الخاتمة
- ٥٣٤ - مَعْنَى الْإِجْمَاعِ وَحُجَّتُهُ وَبَيَانُ كَيْفِيَّةِ انْعِقَادِهِ
- ٥٣٥ - الإجماع في العقائد
- ٥٤٢ - الفهرس